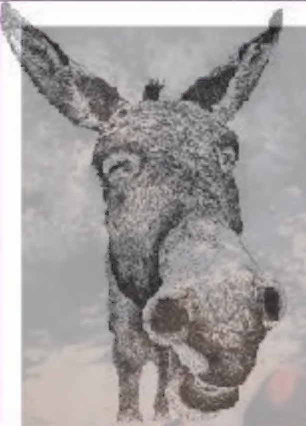




المشروع القومي للترجمة

كريك وأوريكس

رواية

تأليف : مارجريت أتوود

ترجمة وتقديم :

سحر توفيق



1082

كريك وأوريكس

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٠٨٢
- كريك وأوريكس
- مارجريت أتوود
- سحر توفيق
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة رواية :

Oryx and Crake

by : Margaret Atwood

هذا عمل قصصى من صنع الخيال ، الأسماء ، والشخصيات ، والأماكن ، والأحداث هى إما من خيال المؤلفة أو تم اسخدامها بشكل خيالى.

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084.

المشروع القومى للترجمة

كريك وأوريكس

رواية

تأليف : مارجريت أتوود

ترجمة : سحر توفيق



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

أتوود ، مارجريت

كريك وأوريكس : رواية / تأليف : مارجريت أتوود ؛ ترجمة : سحر توفيق – القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ٢٠٠٧

٥٤٤ ص ؛ ٢٠ سم (المشروع القومى للترجمة) .

١ – القصص الإنجليزية .

(أ) توفيق ، سحر (مترجم)

(ب) العنوان ٨٢٣

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٥٧٢٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 251 - 4

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

(١٣)

(١٤)

(١٥)

كان بمقدورى أن أفعل مثلما يفعل الآخرون، أن أثير دهشتك بحكايات غريبة مستحيلة، لكننى أفضل أن أحكى لك حقيقة واقعة عارية بأبسط طريقة وأوضح أسلوب؛ لأن هدفى الأساسى ليس تسليتك، ولكن أن تعرف..

جوناثان سويفت ، رحلات جاليڤر

Jonathan Swift, Gulliver's Travels

أليس ثمة أمان؟ أليس ثمة طريقة لمعرفة خبرات العالم عن ظهر قلب؟ ألا من مرشد، أو ملجأ؟ أليس ثمة إلا المعجزة والقفز من فوق قمة البرج إلى الهواء؟

فيرجينيا وولف ، إلى بيت الضوء

Virginia Woolf, To the Lighthouse

مقدمـــــة المترجمة

"كريك وأوريكس" رواية من نوع "الديستوبيا"، أى الرؤيا الخيالية التى ترسم عالمًا مظلمًا، عالمًا يُعَدُّ الطرف المقابل أو العكسى لليوتوبيا.

تتفتح أحداث الرواية من خلال رحلتين يقوم بهما سنومان، بطل الرواية الذى جاء اسمه من اسم رجل الجليد الأسطورى القديم. إحدى الرحلتين إلى الماضى على شكل لقطات استرجاعية، يستعيد فيها الأحداث التى مرت بحياته منذ طفولته، ونرى فيها الشخصيات الأساسية التى ترافقه فى الرواية، وأهمها كريك، صديقه منذ فترة المراهقة، وأوريكس، الفتاة التى أولع بحبها، وهى شخصية ملغزة تطارده صورتها دائمًا، قبل أن يتعرف إليها ويقع فى غرامها، وبعد أن تموت تظل صورتها تعاوده وصوتها يلقى إليه بعبارات التشجيع أحيانًا، والسخرية أحيانًا أخرى. ومن خلال هذه الرحلة نلقى نظرة على مجتمع مستقبلى، فى مكان ما من القرن الحادى والعشرين. والرحلة الثانية فى الحاضر - حاضر الرواية - يعود فيها إلى ما أسمته المؤلفة "قبة الجنة"، بحثًا عن طعام وإمدادات يستطيع بها أن يستمر فى حياته البائسة. وهنا نرى التردى الذى يمكن أن يصل إليه الحال بعد فناء معظم البشرية.

وهذه ليست الرواية الأولى لمارجريت أتوود التى تتحدث عن المستقبل، فقد سبق لها كتابة رواية بعنوان **Handmaid's Tale** (١٩٨٥)، وهى تتحدث عن المستقبل أيضًا من منظار ديستوبى، ولكن "كريك وأوريكس" قد تفوقت فى النظرة التشاؤمية، وإن كان القدر الأكبر مما فيها من ظلام يأتى من أنها تنطلق من خيوط موجودة بالفعل فى عالمنا الآن: الإعدام والتعذيب فى السجون لأسباب تتعلق بالسياسة، الاستخدام السيئ للعلم، تحويل البشر والأعضاء البشرية إلى سلعة تجارية، وغير ذلك من الجرائم التى ترتكب ضد الإنسانية.

تستطلع مارجريت أتوود التطورات فى العلوم الحديثة، خاصة الطبية، وبشكل محدد الهندسة الوراثية ومحاولة تهجين مخلوقين مختلفين لخلق حيوانات مختلفة فى تركيبها، مثل الكلديبات (هجين بين الكلب والذئب) والراكويانات (تهجين للراكون والظربان)، والبيجونات (تهجين للخنزير والإنسان، لإنتاج أعضاء بشرية للزراعة فى الإنسان). هذا المجتمع يخلق ويرفع من شأن التطرف التجارى، وتسليع الحياة نفسها، كما يزيد من الهوة بين الأغنياء والفقراء، كما يقوم بتسليع الحياة البشرية والحياة الجنسية للبشر فى الدعارة ونشرها فى أسوأ صورها على شبكة الإنترنت، الدعارة المنظمة حتى للأطفال. ولا تعتمد الرواية على الخيال العلمى القائم على تصوير الإنجازات العلمية المتفوقة كما فى روايات الخيال العلمى المعروفة، وإنما تعتمد على رؤية للمجتمع من خلال صورة ديستوبية للآثار المدمرة التى يمكن أن تنتج عن

استخدام العلم فى "تسليع" الحياة البشرية والجنس، وتحويلهما إلى تجارة بلا حدود؛ وكذلك للاتساع المتزايد للفجوة بين الغني والفقر، وبين دول الشمال والجنوب، كما يسمونها.

فى أثناء ترجمتى لهذه الرواية، لم تفارقنى الأحلام والكوابيس المزعجة، كانت الرواية تمثل لى أسوأ ما يمكن أن نتوقعه بالنسبة لمستقبل البشرية، مع كل ما فى ذلك مما يمس واقعنا الحالى، حتى لتظن أنها ما هى إلا امتداد طبيعى لما يحدث اليوم فى عالمنا الذى أصبح نفسه كابوساً.

هل ينتهى البشر إلى مثل هذه النهاية المروعة؟ هل المستقبل مظلم كل هذا الإظلام؟ وإذا غضضنا الطرف عن النهاية نفسها، فهل المجتمع المستقبلى الذى صورته لنا المؤلفة هو ما سوف يكون فى المستقبل القريب؟

تروى الكاتبة ببراعة كيف يقضى جيمى وكريك فى مراهقتهما الوقت فى اللعب على الإنترنت، مستعرضة لنا ألعاباً مفزعة، ومواقع على الشبكة توحى بما يمكن أن يصل إليه المجتمع البشرى من تفسخ وانهيار. وفى اللعبة المسماة بالانقراضية يختار كريك الاسمين الكوديين له ولجيمى، وتقول الكاتبة:

اختار كريك اسميهما الكوديين، كان جيمى هو "ثيكنى"، على اسم طائر أسترالى منقرض كان يظهر دائمًا فى المقابر، .... أما الاسم

الكودى لكريك فكان كريك، على اسم طائر المُزَعة الأسترالى ذو الرقبة الحمراء – وهو طائر كان دائمًا نادرًا، قليل العدد،.... وبمرور الوقت خبا اسم ثيكنى ونُسى، أما كريك فقد التصق وبقى.

ويتجول الفتيان على الشبكة بين المواقع المفزعة: "قطع الرءوس دوت كوم"، التى كانت تعرض "تغطية حية للإعدامات فى آسيا"، و"أليبوبو دوت كوم، والتى تعرض قطع الأيدى ورجم الزناة فى بلاد متربة يُقصد بها البلدان الأصولية فى الشرق الأوسط". لكن الكاتبة تضيف ما يُعَدُّ رأيًا فيما تتعرض له بلدان الشرق الأوسط اليوم من أحداث مروعة بعضها صناعة أمريكية، وفى الوقت نفسه من دعايات مبالغ فيها: "إن هذه النوبات الدموية ربما كانت تحدث فى ساحة خلفية فى مكان ما من كاليفورنيا، مع شلة من الكومبارس يحيطون بالمنظر ويمنعون الرؤية"، نعم، ها هى تقول إن الإعلام الغربى قد يكون متجنيًا فى كثير مما يذيعه عن تلك البلدان. ومع ذلك، فسوف تسأل نفسك وأنت تقرأ: هل يتحول "قطع الرءوس" و"الانتحار"، و"الاغتصاب"، وغير ذلك من المصائر المفزعة التى يمكن أن يتعرض لها البشر، إلى أداة للهو والتسلية فى يوم من الأيام؟ هل يصل انهيار القيم الأخلاقية فى عالمنا إلى مثل هذا المصير المفزع؟ ولكن، ألا نرى اليوم بعضًا من ذلك بالفعل؟ ألا نرى تصوير العنف والجنس والتطرف والاغتصاب وكل خروج على القيم الأخلاقية الأساسية للبشرية؟ ألا نرى ذلك على شبكة الإنترنت وفى أفلام السينما يحظى بإقبال جماهيرى واسع النطاق؟

الواقع أن عرض المؤلفة لمواقع الإنترنت، رغم ما فيه من سخرية مُرَّة، ينطوى على توقع لمدى السوء الذى يمكن أن يصل إليه هذا العالم؛ كل ما يحتويه العالم اليوم من أحداث وأحوال مفزعة، إلى أين تؤدى؟ هذا التزايد السكانى الرهيب، إلى أين سينتهى به الحال لو استمر على نفس المعدلات؟ هذه الأحوال التى تسيطر فيها دولة واحدة تتخذ الحلول العسكرية طريقة لفرض سيطرتها على العالم، ماذا يمكن أن تكون نتيجتها؟ هذه الهوة المتزايدة الاتساع بين الغنى والفقر، بين الشمال والجنوب، بين دول العالم المتقدمة ودول العالم المتأخرة، إلام يؤدى الاتساع المتزايد لتلك الهوة؟ إلى أين ينتهى الحال بالمغامرات العلمية التى لا تعرف حدوداً فى المجالات العلمية الحديثة، خاصة الهندسة الوراثية، لعبة التهجين ومحاولة الدخول إلى منطقة اللعب بالخلق نفسه؟ إلى أين ينتهى الحال بالفقراء الذين لا حول لهم ولا قوة عندما تدخل الشركات الكبرى إلى كل مكان؟ إلى أين نصل من سوء أحوال المناخ وتدهور البيئة فى العالم كله، والذى لا يمكن إيقافه ، لأن تلك الشركات الكبرى المتحكمة فى أحوال الاقتصاد لا همّ لها سوى الربح والمزيد من الربح؟

أسئلة تتطرق إلى ذهن القارئ ولا شك، والمؤلفة تمد الخطوط إلى نهاياتها المنطقية، كل تلك الخطوط نرى إلى أين يمكن أن تؤدى، حتى تصل إلى القمة المنطقية أيضاً، الفناء.

ويبقى أن سنومان، أو جيمى، أو ثيكنى، الطائر الذى يبقى فى المقابر، كما توقع كريك تماماً، هو الوحيد الباقى لينعى كل البشر.

لكن، هل هناك أمل؟ هل يبقى للعالم أمل صغير فى النجاة؟ الرواية رؤيا كابوسية مفزعة، ولكن - فى النهاية - ثمة بصيص صغير من الأمل، ولكنه بصيص ملغز أيضاً، يمكن أن يكون للجنس البشرى بقاء، ولكن... علامات الاستفهام الكثيرة لا تنتهى مع النهاية المفتوحة.

وقد استخدمت الكاتبة الكثير من المعلومات العلمية الصحيحة، إن كل المعلومات عن الحيوانات والطيور الموجودة فى ثنايا هذه الرواية لها أصل فى الواقع، وكل ما فى الأمر أن الكاتبة أضافت إلى الحيوانات المنقرضة بعض الحيوانات المعرضة حالياً للانقراض (مدت الخيوط إلى نهاياتها المنطقية، كما سبق القول). كذلك بالنسبة للظروف البيئية القاسية التى تصورها، ما هى إلا توقعات علماء البيئة لما يمكن أن يئول إليه مناخ الأرض إن لم تتخذ التدابير اللازمة للإقلال من التلوث ومن تآكل طبقة الأوزون فى أسرع وقت ممكن. وفى نهاية الكتاب تضيف المؤلفة تنويهاً توضح فيه مراجعها بالنسبة لكل هذه المعلومات، وكذلك بالنسبة للاقتباسات الموجودة فى ثنايا الرواية.

وفى ترجمتى لهذه الرواية قابلتنى عدة مشاكل تتعلق باللغة التى استخدمتها المؤلفة؛ فقد لجأت إلى سك كلمات كثيرة جديدة، منها على سبيل المثال الكلمات التى تجمع بين اسمى حيوانين تمّ تهجين حيوان

جديد منهما، وقد تصرفت فى ذلك بما تسمح به اللغة العربية المطواعة فى هذا المجال، وبشكل أرجو أن يكون واضح المعنى. كذلك حرصت كل الحرص على الرجوع إلى المراجع المعتمدة بالنسبة للمصطلحات العلمية المتناثرة فى طول الرواية، وأرجو أن أكون قد وفقت. أما بالنسبة لأسماء الأماكن وبعض أسماء المنتجات فقد فضلت أن تبقى كما هى وأن أكتب تعريبًا للنطق مع توضيح المعنى من الكلمة أو التعبير أثناء السياق مرة واحدة على الأقل، أو بإضافة هامش، وجميع الهوامش الموجودة فى ثنايا الرواية هى من وضعى.

سحر توفيق

(١)

مانجو

يستيقظ سنومان قبل الفجر. يرقد بلا حركة، يسمع صوت المد قادمًا، موجة بعد موجة تصطدم بالحواجز المختلفة، ويش - واش، ويش واش، كأنها دقات قلب. يتمنى أن يصدق أنه لا يزال نائمًا.

على الأفق الشرقى سديم رمادى، يتشرب الآن بوهج وردى شديد. ما أغرب أن هذا اللون لا يزال يبدو رقيقًا! الأبراج الشاطئية تقف كأنها صورة سيلويت أمام هذا الضوء، ترتفع بشكل يبدو بعيد الاحتمال من داخل اللون الوردى والأزرق الباهت للبحيرة. صرخات الطيور التى تعشش هناك والصوت البعيد لاحتكاك المحيط بصخور الحاجز الصناعى المكون من أجزاء السيارات الصدئة، وقراميد الحجارة المختلطة المكسورة، يبدو أشبه بأصوات المرور فى يوم العطلة.

ينظر فى ساعته كنوع من التعود - ساعة ذات غلاف من الاستينلس ستيل، سوارها من الألمونيوم المصقول، لا يزال يلمع رغم أنها لم تعد تعمل. وهو يضعها فى يده كتميمة تجلب الحظ. ولا يرى فيها

إلا ميناء خاليًا، ساعة الصفر. هذا الغياب للوقت الرسمي يسبب له رعشة هلع. ليس ثمة إنسان في أي مكان يعرف الوقت.

يقول لنفسه: "أمان". يأخذ عدة أنفاس عميقة، ثم يحك أماكن قرص الحشرات في جلده، حولها ولكن ليس عليها مباشرة، محاذراً أن يخدش قشور الجروح؛ فهو لن يحتمل أبداً أي تسمم في الدم. ثم يفتش الأرض بعينيه بحثًا عن أحياء برية، كل شيء هادئ، لا حشرات ولا حيوانات صغيرة. اليد اليسرى مع القدم اليمنى، اليد اليمنى مع القدم اليسرى، يأخذ طريقه نازلاً من فوق الشجرة. بعد أن يمسح الجذع والبراعم، يلف ملاءته القذرة حوله كما لو كانت ثوبًا رومانيًا. كان قد علق قبعة البيسبول الحمراء المقلدة تقليداً أصيلاً على أحد الأفرع ليلاً للحفاظ عليهاو يفتشها، وينفض عنها عنكبوتًا، ثم يضعها على رأسه.

يسير ياردتين إلى اليسار، يبول بين الشجيرات. "ارفعوا رءوسكم"، يقول ذلك للجنادب التي تنز قافزة مبتعدة من تأثير الصدمة. ثم يذهب إلى الجانب الآخر من الشجرة، بعيداً عن المكان الذي اعتاد التبول فيه، وينبش مفتشًا في المخبأ الذي ابتدعه من بضعة قوالب من الطوب الأسمنتي، وأحاطه بشبكة من السلك ليمنع عنه الفئران والجرذان. كان قد خبأ بضع حبات من المانجو هناك، في كيس بلاستيك مربوط عليها، وعلبة من سجق كوكتيل سفلتانا الخالي من اللحم، ونصف زجاجة ثمينة من الويسكي – لا، بل هي أقرب إلى الثلث – وقالب الطاقة بطعم

الشيكولاتة اختلسه من موقف للمقطورات، كانت لينة ولزجة داخل الورق المفضض. ولا يجد فى نفسه قدرة على أكلها، ربما لن يجد مثلها مرة أخرى. ويحتفظ فى هذا المخبأ بفتاحة علب أيضاً، ولغير ما سبب واضح يحتفظ أيضًا بماسكة ثلج وست زجاجات بيرة فارغة، لأسباب عاطفية، ولتخزين مياه للشرب. وأيضًا نظارته الشمسية يضعها على عينيه. إحدى العدسات مفقودة لكنها أفضل من لا شىء.

يفك عقدة الكيس البلاستيك، لم تعد هناك إلا حبة مانجو واحدة. غريب، كان يذكر أن هناك أكثر. لابد أن النمل استطاع الدخول، رغم أنه ربط الكيس جيداً قدر ما استطاع. وها هى الحشرات تجرى على ذراعه بالفعل، نمل من النوع الأسود ونمل من النوع الأصفر الصغير الشرير. من المدهش أن لها مثل هذه اللدغات الحادة، خاصة النوع الأصفر. ينفضها بعيداً.

يقول بصوت مرتفع: "إنه الالتزام الصارم بالروتين اليومى الذى يميل نحو إصلاح المعنويات والحفاظ على السلامة العقلية". لديه إحساس بأنه يقرأ من كتاب، نوعًا من الإرشادات الثقيلة المملة المكتوبة لمساعدة الاستعماريين الأوربيين على إدارة مزارع من نوع أو آخر. لا يذكر أنه قرأ شيئًا كهذا أبداً، لكن ذلك لا أهمية له. فهناك كثير من المساحات الخالية فى تلك البقايا التى يتكون منها مخه، حيث كان المفترض أن توجد الذاكرة. زراعات المطاط، زراعات البن، زراعات الجوت. (ما هو الجوت؟) ربما قيل لهم أن يرتدوا ملابس شمسية، وأن

يرتدوا ثيابًا خاصة لتناول الغداء، وأن يتجنبوا اغتصاب الأهالى. لا يمكن أن تكون الكلمة هى "اغتصاب". تجنب عمل علاقة مع الإناث من السكان. أو ربما استخدموا تعبيرًا آخر.....

وهو يراهن أنهم لم يتجنبوا، رغم ذلك. تسع مرات فى الغالب. يقول: "نظرًا لاعتبارات التخفيف ...". ويجد نفسه يقف وفمه مفتوح، محاولاً أن يتذكر باقى الجملة. يجلس على الأرض ويبدأ فى أكل ثمرة المانجو.

حطام عائم

على الشاطئ الأبيض، حطام شعب مرجانية وعظام، مجموعة من الأطفال يسيرون. لابد أنهم كانوا يسبحون. لا تزال جلودهم مبللة ولامعة. لابد أن يكونوا أكثر حذرًا؛ من يعلم أى ملوثات قد تغزو البحيرة؟ ولكنهم متهورون، على عكس سنومان، الذى لن يغمس إصبع قدمه هناك ولا حتى بالليل، عندما تكون الشمس عاجزة عن النيل منه. مراجعة: خصوصا بالليل.

يراقبهم بحسد، أم هو حنين؟ لا يمكن؛ فلم يسبح فى البحر أبدًا فى طفولته، لم يجرب الجرى على شاطئ عاريًا دون أية ثياب على بدنه. الأطفال يفحصون المنطقة، ينحنون، يلتقطون الحطام، ثم يفكرون، ويقلبون، ويقررون، ويحتفظون ببعض الأشياء، ويلقون بالبعض الآخر،

يضعون كنوزهم فى حقيبة بالية. آجلاً أو عاجلاً - هو متأكد من ذلك - سوف يأتون للبحث عنه، يحتضنون ساقيه ويمتصون ثمار المانجو الخاصة به، هنا حيث يجلس ملفوفًا فى ملاءته العفنة تحت ظلال الأشجار هربًا من الشمس المحرقة. فهو بالنسبة للأطفال - ذوى الجلود السميكة، المقاومة للأشعة فوق البنفسجية - هو مخلوق العتمة، مخلوق الغسق.

ها هم يأتون الآن. ينشدون بطريقتهم الغنائية: "سنومان، يا سنومان". وهم لا يقتربون منه أبداً أكثر من اللازم. أهو بسبب الاحترام - كما يحب أن يفكر - أم بسبب أن رائحته بشعة؟

(إن رائحته بشعة بالفعل، وهو يعرف ذلك جيداً. تتصاعد منه رائحة كريهة - نتنة - مثل رائحة حيوان بحرى - رائحة زيتية ملحية سمكية - وليس معنى هذا أنه شم رائحة مثل هذا الحيوان من قبل، لكنه رأى صوره).

صاح الأطفال معًا، وهم يفتحون حقيبتهم: "يا سنومان، انظر ماذا وجدنا؟" وأخذوا يرفعون الأشياء، يمسكونها وكأنما يعرضونها للبيع: غطاء عجلة سيارة (وش العجلة)، إصبع بيانو، قطعة غليظة من زجاجة بلون أخضر باهت صقلت أطرافها مياه البحر. علبة بلاستيك لأقراص بليس بلاس ("سعادة مضاعفة")، فارغة، عبوة صغيرة لكيزان الدجاج المحمرة، فارغة أيضاً. وماوس كمبيوتر، أو بقاياه، بذيله السلكى الطويل.

يشعر رجل الجليد بأنه على وشك البكاء. ماذا يمكنه أن يقول لهم؟ لا سبيل لأن يشرح لهم ماهية هذه الأشياء التى تثير فضولهم، أو ماذا كانت عليه فى السابق. ولكن من المؤكد أنهم خمنوا ماذا سيقول، لأن هذا هو ما يقوله دائمًا.

يقول بصوت لطيف ولكن عميق: "هذه أشياء من الزمن الماضى". لابد أن تكون نغمة صوته بين صوت المعلم، والملاطف، والعم الطيب.

"هل يمكن أن تؤذينا؟". أحيانا يجدون علب زيت السيارات، أو مذيبات حارقة، أو زجاجات بلاستيكية للمواد المبيضة للغسيل. شراك من الماضى. وهو يعتبر خبيراً بأية حوادث محتملة: السوائل الحارة، والأدخنة الملوثة، والغبار السام. آلام من نوع غريب.

يقول "هذه، لا. هذه آمنة". وهنا يفقدون اهتمامهم، ويتركون الحقيبة تتدلى. لكنهم لا يذهبون: يقفون، ويحدقون. إن مجيئهم إلى الشاطئ مجرد ذريعة. فى الغالب يريدون أن ينظروا إليه، لأنه يختلف عنهم تمامًا. كثيراً ما يسألونه أن يخلع نظارته الشمسية ثم يضعها مرة أخرى: إنهم يريدون أن يعرفوا إذا كان له عينان فعلاً، أم ثلاثة.

يغنون "سنومان، يا سنومان"، وإن كانوا لا يعنون التوجه إليه بقدر ما يتوجهون إلى بعضهم البعض. بالنسبة لهم كان اسمه مجرد مقطعين. فهم لا يعرفون ما معنى سنومان، أو رجل الجليد، فهم لم يروا الجليد أبداً.

كانت إحدى قواعد كريك(*) عدم اختيار اسم إلا إذا كان له معادل مادى طبيعى – حتى لو كان ممتلئًا أو نحيفًا. لا أسماء مثل اليونيكورن أو الجريفين، أو المانتيكور أو البازيليسك(**). لكن هذه القواعد لم تعد سارية، وجعل ذلك سنومان يشعر بمتعة، وإن كانت تنطوى على المرارة، لأن يكون له مثل هذا الاسم الملتبس. فالحيوان الثلجى الذى يسمى سنومان أو رجل الجليد موجود وغير موجود، يظهر ويختفى على أطراف العواصف الثلجية، رجل شبيه بالقرد، أو قرد شبيه بالإنسان، قذر، مراوغ، معروف فقط من خلال الإشاعات ومن خلال آثار أقدامه التى تشير إلى الخلف. قيل إن القبائل التى كانت تعيش فى الجبال طاردته وقتلت أفراده متى كانت تسنح لهم الفرصة. وقيل إنهم كانوا يسلقونه ويحمرونه ويقيمون احتفالات خاصة؛ والمثير أكثر فى هذه المقولات – كما يظن سنومان – أنها قيلت لتعطيهم مظهرًا وحشيًّا وكأنهم من آكلى لحوم البشر.

ولأغراض خاصة بالحاضر اختصر اسمه، فهو فقط سنومان. واحتفظ بصفة الحيوان الثلجى لنفسه؛ ليكون سره الخاص.

بعد لحظات تردد قصيرة جلس الأطفال القرفصاء مكونين نصف دائرة، صبيان وبنات معًا. وكان اثنان من أصغرهم لا يزالان يمضغان

(*) استخدمت المؤلفة لبطلها الثانى اسم طائر المُرَعَة Crake، وهو من طيور أستراليا.

(**) أسماء لحيوانات خرافية.

إفطارهما، وتجرى العصارة الخضراء على ذقنيهما. من المثير لليأس أن يصبح الإنسان زرى الهيئة بدون مرآة. ولكن هؤلاء الأطفال جذابون بشكل مذهل - كل منهم عريان، كل منهم رائع، كل منهم له لون بشرة مختلف - لون الشيكولاتة، والورد، والشاى، والزبد، والكريمة، والعسل - لكن كلاً منهم له عينان خضراوان. إنها علامة الجمال عند كريك.

يحدقون فى رجل الجليد بأمل، لابد أنهم يأملون فى أن يتحدث إليهم، لكنه لا يشعر بأن مزاجه يسمح بذلك اليوم. وأقصى شيء يمكنهم فعله أن يتركهم يرون نظارته الشمسية عن قرب، أو يراقبون ساعة يده اللامعة التى لا تعمل، أو كاب البيسبول الخاص به. وهم يحبون الكاب، لكنهم لا يفهمون حاجته لمثل هذا الشيء - شعر يمكن خلعه، وليس بشعر، ولم يبتدع بعد حكاية له.

يسودهم الهدوء قليلاً، يحدقون، يتأملون، لكن أكبرهم يبدأ فجأة: "يا سنومان، من فضلك أخبرنا - ما هذا الشيء الذى ينمو على وجهك؟" ويردد الآخرون فى توافق معًا: "من فضلك قل لنا، من فضلك قل لنا!" لا تردد، ولا ضحك، إنهم جادون فى السؤال.

يقول: "إنه ريش!".

يسألون هذا السؤال مرة على الأقل كل أسبوع. ويعطيهم نفس الإجابة. حتى على مدى هذا الوقت القصير - شهرين، أو ربما ثلاثة؟

لقد فقد القدرة على العد – كدسوا مجموعة من المعلومات، من التساؤلات عنه وعما يمكن أن يكون: كان سنومان طائراً من الطيور، لكنه نسى كيف يطير ووقع ريشه عنه، ولهذا فهو يشعر بالبرد وبحاجة إلى جلد آخر، ويريد أن يلف نفسه كاملاً بهذا الجلد. لا، إنه يشعر بالبرد لأنه يأكل السمك، والسمك بارد. لا، إنه يلف نفسه لأنه فقد عضو الرجل، ولا يريدنا أن نرى ذلك، ولهذا فهو لا يذهب للسباحة. سنومان له تجاعيد، لأنه ذات مرة كان يعيش تحت الماء وتسبب ذلك فى تجعيد بشرته. سنومان حزين لأن الآخرين الذين مثله تركوه وطاروا بعيداً فوق البحر، والآن هو وحيد تماماً.

يقول أصغرهم: "أنا أيضًا أريد ريشًا". أمل لا جدوى منه: ليس للرجال من أبناء كريك لحى. لقد وجد كريك نفسه أن اللحى أمر لا مبرر له، كما أنه كان يتضايق من مهمة الحلاقة، ومن ثم فقد ألغى الحاجة إليها. رغم أنه لم يفعل ذلك طبعًا بالنسبة لسنومان، كان ذلك متأخراً جدا بالنسبة له.

والآن يبدأون كلهم معًا: "يا سنومان، يا سنومان، هل يمكن أن تعطينا ريشًا نحن أيضًا؟ من فضلك؟"

يقول: "لا".

يغنى الطفلان الصغيران: "لم لا؟ لم لا؟".

"دقيقة واحدة، سأسأل كريك". يمسك بساعته ويرفعها نحو السماء، ويلفها على معصمه، ثم يضعها على أذنه كما لو كان يستمع إلى دقاتها. وهم يتابعون كل حركة، مسحورون.

يقول: "لا، كريك يقول إن هذا ليس ممكنًا. لن تنالوا ريشًا. هيا اغربوا عن وجهى".

"اغربوا؟ اغربوا؟" ينظرون إلى بعضهم البعض، ثم إليه. لقد أخطأ، قال شيئًا جديداً، تعبيراً من المستحيل شرحه. وهم لا يجدون أى إهانة فى كلمة "اغربوا". "ما معنى اغربوا؟"

"ابتعدوا!". ينفض ملاءته عليهم فيتفرقوا، يعدون على الشاطئ. إنهم ليسوا متأكدين هل يخافونه، أو كيف يخافونه. لم يعرف عنه أنه يؤذى طفلاً، لكن طبيعته غير مفهومة تماماً. لا يعرف أحد ما قد يفعل.

صوت

"أنا الآن وحدى"، يقول ذلك بصوت مرتفع: "وحدى تمامًا. وحدى على شاطئ واسع واسع". قصاصة أخرى من كتاب القصاصات الذى يطن فى رأسه.

مراجعة: شاطئ بحر.

يشعر بأنه بحاجة لسماع صوت بشرى - صوت بشرى مكتمل، مثل صوته. أحيانًا يضحك مثل ضبع أو يزأر مثل أسد - أو حسب

الفكرة التى لديه عن الضبع أو الأسد. كان يشاهد أسطوانات دى ڤى دى DVD قديمة عن تلك المخلوقات عندما كان طفلاً: تلك البرامج التى تتناول سلوكيات الحيوانات، وتصور الجماع والدمدمة والأحشاء الداخلية، وأمهات تلعق صغارها. لماذا كان يجدها مطمئنة؟

أو أحيانًا كان يصرخ بأصوات كقباع البيجونات أو هديل الحمام، أو يعوى مثل الكلديب: آرووو! آرووو! وأحيانًا فى الغسق يجرى،ذهابًا وإيابًا على الرمال، يركل المحيط بالحجارة ويصرخ: اللعنة، اللعنة، اللعنة، اللعنة، اللعنة! بعدها كان يشعر بأنه أفضل حالاً.

يقف ويرفع ذراعيه ليتمطى، وتقع ملاءته. ينظر إلى جسده فى فزع: البشرة الكئيبة التى تنتشر فى أنحائها لسعات الحشرات، خصلات الشعر التى يختلط فيها اللونان الأبيض والأسود، أظافر القدمين الصفراء التى تتزايد كثافة. عريان كما كان يوم وُلد، ولا يعنى ذلك أنه يستطيع أن يذكر شيئًا عن يوم ميلاده. كثير من الأحداث الأكثر أهمية تحدث من وراء الناس، عندما لا يكونون فى موقف يستطيعون فيه المشاهدة: الميلاد والموت، على سبيل المثال. والسلوك العفوى المؤقت أثناء الجنس.

يقول لنفسه: "ليس لك أن تفكر فى ذلك أبداً". الجنس مثل الشراب، من السيِّئ أن تبدأ التفكير فيه واليوم لا يزال فى أوله.

كان معتاداً على العناية بنفسه جيداً ؛ كان معتاداً على الجرى، والذهاب إلى الجمنيزيوم. والآن يمكنه أن يرى ضلوعه ، إنه يذوى. لا يتناول ما يكفى من البروتين الحيوانى. يسمع فى أذنه صوت امرأة تهدهده. كعكات شهية!. ليست هذه أوريكس، إنها امرأة أخرى. لم تعد أوريكس تتحدث كثيراً.

يناشدها: "قولى شيئًا". يمكنها أن تسمعه، إنه بحاجة لتصديق ذلك، لكنها تعامله تلك المعاملة الصامتة. يسألها: "ماذا يمكننى أن أفعل؟ تعرفين أننى...".

يأتى الهمس ليقاطعه: أوه، حسنًا! ارقد فقط يا عزيزى. من هذه؟ كعكة اشتراها يوماً. مراجعة : خبيرة جنس محترفة. فنانة ترابيز، عمود فقرى مطاطى شديد الليونة، شذرات الترتر ملصقة عليها وكأنها قشور سمكة. يكره هذه الأصداء. كان القديسون يسمعونها، كانت حشرات القمل المجنونة تهاجم النساك فى الكهوف والصحارى. سرعان ما سوف يرى شياطين جميلة، يدعونه، ويلعقن شفاههن، بحلمات أثداء حمراء مثيرة وألسنة حمراء تترجرج على شفاههن. عرائس البحر سوف يرتفعن مع الأمواج، هناك خلف الأبراج المنهارة، وسوف يسمع غناءهن الجميل ويسبح ليصل إليهن وتأكله أسماك القرش. سوف تنقض عليه مخلوقات لهن رءوس النساء وأثداؤهن، ومخالب النسور، وسوف يفتح ذراعيه لاستقبالها، وسوف تكون النهاية. تجميد المخ. أو الأسوأ، فتاة يعرفها، أو كان يعرفها، سوف تأتى سائرة نحوه من بين الأشجار،

وستبدو سعيدة لرؤيته، لكنها ستكون هواء ، من الممكن أن يرحب حتى بهذا ، لكى يستمتع بالصحبة.

ينظر إلى الأفق، من خلف نظارته الشمسية ذات العدسة الواحدة: لا شيء. البحر صفيح ساخن، السماء لونها أزرق مبيض، إلا تلك الدائرة التى أحرقتها الشمس. كل شيء خاوٍ. الماء، الرمل، السماء، الأشجار، شذرات وقت مضى. لا أحد هناك ليسمعه.

"كريك"، يصرخ، "أيها الأخرق! يا براز العقول!"

يسمع. الماء المالح يجرى على وجهه ثانية. لا يعرف أبداً متى سوف يحدث ذلك، ولا يستطيع أبداً أن يوقفه. تنفسه يخرج لاهثًا، كما لو كانت يد عملاق تقبض على صدره – تقبض، ثم تترك، تقبض. ذعر مجنون.

"أنت فعلت هذا!" تضيع صرخته فى المحيط.

لا إجابة، وهو أمر لا يثير الدهشة. الأمواج وحدها، ويش – واش، ويش – واش. يمسح وجهه بكفه، يمسح القذارة المتراكمة والدموع والمخاط، والشوارب المهملة وعصير المانجو اللزج. يقول: "سنومان، سنومان. ابحث لنفسك عن حياة".

(٢)

محرقة

ذات مرة، لم يكن سنومان هو سنومان. بل كان جيمي. وكان ولداً طيباً فى ذلك الوقت.

أقدم ذكرى مكتملة فى عقل جيمى هى ذكرى نار عظيمة مشتعلة فى الهواء الطلق. لابد أنه كان فى الخامسة، وربما فى السادسة من عمره. كان يرتدى حذاء مطاطياً وعلى مقدمة كل قدم وجه بطة يبتسم، وهو يذكر ذلك ؛ لأنه بعد رؤيته للنار الهائلة تعثر بقدمه داخل قصعة مليئة بمطهرٍ للجراثيم وهو يرتدى هذا الحذاء. وقالوا له إن المطهرً سام وأنه لا ينبغى أن يتطاير، وهنا شعر بالقلق ؛ لأن السم يمكن أن يصل إلى عيون البطتين ويؤذيهما. وقيل له إن البطتين مجرد شىء مثل الصورة، وأنهما ليستا حقيقيتين ولا تشعران بشىء، لكنه لم يصدق هذا الكلام.

فكر سنومان فى نفسه، إذن فلنقل خمسة ونصف. هذا يبدو صحيحاً. ربما كان الشهر هو أكتوبر، أو نوفمبر؛ كان لون أوراق الأشجار قد تغير، وكانت برتقالية أو حمراء. كانت الأرض طينية تحت

قدميه – لابد أنه كان يقف فى حقل ما – وكان ثمة رذاذ مطر خفيف. كانت النار مشتعلة فى كومة هائلة من الأبقار والأغنام والخنازير. كانت أرجلها ممددة جامدة ومستقيمة؛ ألقى عليها جازولين، وارتفعت ألسنة اللهب، صفراء وبيضاء وحمراء وبرتقالية، ورائحة لحم مشوى ملأت الهواء. كانت كرائحة الشىّ فى الفناء الخلفى عندما كان والده يشوى بعض الأطعمة، لكنها كانت أقوى كثيراً، وتختلط بها رائحة جازولين ورائحة شعر يحترق.

كان جيمى يعرف رائحة الشعر المحترق، لأنه قص بعض شعره بمقص الأظافر وأشعل فيه النار بولاعة السجائر الخاصة بوالدته. تجعد الشعر، وتغضن مثل حفنة من الديدان السوداء الدقيقة، فقص المزيد وفعل ذلك مرة أخرى. وبمرور الوقت كُشف أمره، كان شعره ممزقًا ومتعرج الأطراف على جبهته. وعندما وُجه إليه الاتهام قال إنها كانت تجربة.

حينئذ ضحك والده، لكن والدته لم تضحك. قال أبوه إن جيمى على الأقل لديه عقل يجعله يقص شعره قبل أن يحرقه. قالت والدته إن من حسن الحظ أنه لم يتسبب فى حرق البيت كله. ودارت بينهما مشاجرة حول ولاعة السجائر، التى ما كان يمكن أن تكون هناك (هذا ما قاله أبوه) لو لم تكن والدته تدخن. وقالت أمه إن كل الأطفال يحاولون عمل حرائق، وإن لم تكن الولاعة هناك لاستخدم الكبريت.

وما إن اشتعلت المشاجرة حتى شعر جيمى بالارتياح، لأنه عرف حينها أنه لن يعاقب. كل ما عليه أن يصمت وسرعان ما سوف ينسيا لماذا بدآ المشاجرة أصلاً. لكنه أيضًا شعر بالذنب، لأنه تسبب فى أن يتشاجرا هكذا. عرف أنها يمكن أن تنتهى بالباب يصفق. وانكمش أكثر وأكثر فى مقعده والكلمات تطن فى رأسه، وأخيراً سمع صفقة الباب - أمه هذه المرة - ودفقة الهواء التى جاءت مع الصفقة، كان دائمًا هناك دفقة هواء عندما يصفق الباب، دفقة هواء تهفُّ وتُصَفِّر فى أذنيه مباشرة.

قال والده: "لا تهتم، يا صديقى". وأضاف: "النساء دائمًا يشعرن بالسخونة تحت ياقاتهن. سوف تهدأ. هيا نتناول بعض الآيس كريم". وهذا ما فعلاه، وضعا آيس كريم الفراولة فى طبقين صغيرين عميقين، عليهما طيور زرقاء وحمراء، وكانت أطباقًا يدوية مصنوعة فى المكسيك ولهذا لا يجب أن تضعها فى غسالة الأطباق، وأكل جيمى كل نصيبه ليُظهِرَ أمام أبيه أن كل شىء على ما يرام.

النساء، وما يحدث تحت ياقاتهن. السخونة والبرودة، المجىء والذهاب فى تلك الملابس الغريبة ذات المناخ المختلف وروائح المسك والورد داخل ثيابهن - يثرن مشاعر الغموض والأهمية، وعدم القابلية للتحكم فيهن. كان هذا حكم أبيه على الأشياء. لكن درجات حرارة أجساد الرجال لا يتم التعامل معها أبداً، إنها حتى لا تُذكر أبداً، ليس عندما كان صغيراً، إلا عندما كان والده يقول: "اجمد فى مِكانك". لماذا

لم تكن تُذكر؟ لماذا لم يكن يُذكر شيء حول ياقات الرجال الساخنة؟ تلك الياقات الناعمة ذات الزوايا الحادة بجوانبها الداخلية المصفرة كريهة الرائحة. كان يمكن أن يُكَوِّن بعض النظريات حول هذا الموضوع.

في اليوم التالى أخذه والده إلى محل حلاق حيث كانت صورة لفتاة جميلة فى النافذة لها شفتان مكتنزتان وترتدى تى - شيرت يميل كاشفًا عن أحد كتفيها، تحدق بعينين سوداوين كالفحم بنظرة وضيعة، وشعرها يقف جامدًا مثل الإبر. وبالداخل، كان الشعر يغطى الأرض القرميدية كلها، بعضه متكتل وبعضه متناثر، كانوا يكنسونه بمكنسة لإزاحته. فى البداية وضعوا على جيمى مئزرًا أسود، كان أكثر شبهًا بصدرية طفل، ولم يكن جيمى يريد هذا الشيء؛ لأنه طفولى. ضحك الحلاق وقال إنها ليست صدرية طفل، فمن سمع عن طفل يضع صدرية سوداء؟ وهكذا رأى جيمى أنه لا بأس؛ ثم قص الحلاق شعر جيمى قصيرًا جدًّا، أقصر من الأماكن غير المنتظمة، وربما كان ذلك هو ما كان يريده فى الأساس - شعرًا أقصر. ثم أخرج شيئًا من برطمان ووضعه على شعر جيمى ليجعله شائكًا. وكانت رائحته كرائحة قشر البرتقال. ابتسم لنفسه فى المرآة، ثم عبس وهو يقطب حاجبيه.

قال الحلاق وهو يومئ إلى والده: "ولد جدع، يا له من نمر". ونفض شعر جيمى المقصوص على الأرض بالإضافة إلى كل ما كان عليها من شعر آخر؛ ثم أزال المئزر الأسود بحركة رشيقة، وأنزل جيمى من على المقعد.

أمام النار المشتعلة فى الهواء الطلق، كان جيمى يشعر بالقلق على الحيوانات، لأنها تحترق ولابد أن ذلك يؤلمها. قال له والده إن هذا لا يحدث، لأن الحيوانات ميتة. إنها مثل قطع اللحم والسجق، والفارق الوحيد أن جلودها لا تزال عليها.

دار فى رأس جيمى أنها لا تزال تحتفظ برءوسها أيضًا. قطع اللحم ليس لها رءوس. الرءوس هى الفارق: ظن أنه يرى الحيوانات تنظر إليه مؤنبة من عيونها المحترقة. بطريقة ما كان يشعر أن كل ذلك – المحرقة، الرائحة المحترقة، لكن بالأكثر: الحيوانات ومعاناتها فى وسط اللهب – غلطته؛ لأنه لم يفعل شيئًا لإنقاذها. وفى الوقت نفسه وجد منظر النار جميلاً – مضيئة، كشجرة الكريسماس، لكن شجرة كريسماس تشتعل بالنار. تمنى أن يكون هناك انفجار، كما فى التليفزيون.

كان والد جيمى إلى جواره، يمسك بيده. قال جيمى: "ارفعنى". افترض والده أن ذلك يعنى أنه متعب، وقد كان فعلاً، فرفعه واحتضنه. لكن جيمى كان يريد أيضاً أن يرى بشكل أفضل.

قال والد جيمى: "هكذا تنتهى الأمور، متى ما بدأت المشاكل"، لم يكن يوجه كلامه إلى جيمى، وإنما إلى رجل يقف معهم. كان والد جيمى يبدو غاضباً، وكذلك كان الرجل وهو يجيبه.

"يقولون إن ذلك جيئ به هنا عن عمد".

قال والد جيمى: "لو صح هذا، لما أثار دهشتى".

قال جيمى: "هل يمكن أن أحصل على أحد قرون البقر؟". لم يكن يفهم لماذا يتم تضييعها هباء. كان يريد أن يطلب اثنين، لكن هذا قد يكون زيادة.

قال والده: "لا، ليس هذه المرة يا صديقى". وهو يربت على قدم جيمى.

قال الرجل: "ارفع الأسعار، وبهذه الطريقة تضرب منتجاتهم فى مقتل".

قال والد جيمى بصوت يدل على التقزز: "إنه قتل على أى حال، لكن يمكن أن يكون مجرد مجنون. أمر يختص بإحدى العقائد الغريبة، لا يمكنك أن تعرف أبداً".

قال جيمى: "لِمَ لا؟". فلا أحد غيره يريد القرون. لكن والده تجاهله هذه المرة.

قال: "السؤال هو، كيف فعلوا ذلك؟ كنت أظن رجالنا يحموننا تماماً".

"ظننت هذا أيضاً. إننا ندفع بما يكفى. ماذا كان يفعل الحراس؟ إننا لا ندفع لهم ليناموا".

قال والد جيمى: "ويمكن أن تكون رشوة. سوف يتحرون عن التحويلات البنكية، رغم أن من الغباء أن تضع مثل هذه النقود فى بنك. على أية حال، سيحدث تغيير فى الرءوس".

قال الرجل: ياله من منظر، ولا أتمنى أن أكون مكانهم. من الذى يأتى من الخارج؟"

"الذين يقومون بالإصلاحات. وسيارات التوصيل".

"يجب أن يحضروا كل ما فى الداخل".

قال والده: "سمعت أن هذه هى الخطة. ولكن هذه الحشرة شىء جديد. لدينا الشفرة الحيوية".

قال الرجل: "يمكن أن يلعب هذه اللعبة اثنان".

قال والد جيمى: "يمكن أن يلعبها أى عدد".

فى اليوم التالى، سأل جيمى والده: "لماذا وُضعت الأبقار والخراف فى النار؟"

كان ثلاثتهم معًا، يتناولون طعام الإفطار، لابد إذن أنه كان يوم أحد. فهو اليوم الذى يكون والدته ووالده موجودين معًا على الإفطار.

كان والد جيمى يتناول كوب قهوته الثانى. وبينما يشربه، كان يكتب بعض الملاحظات على صفحة مليئة بالأرقام. قال: "كان لابد من حرقها، لمنع الانتشار"، قال ذلك دون أن يرفع رأسه؛ وكان مشغولاً بحاسب الجيب الخاص به، يدق على أزراره بالقلم.

"انتشار أى شىء؟"

"المرض."

"ما هو المرض؟"

قالت والدته: "المرض هو مثلما يكون عندك سعال".

"إذا كان عندى سعال، هل سأُحرق؟"

قال والده وهو يقلب الورقة: "غالباً".

شعر جيمى بالخوف من ذلك، لأنه كان قد أصيب بالسعال الأسبوع الماضى، وقد يصاب به ثانية فى أية لحظة: لقد كان ثمة شىء لزج فى زوره بالفعل. كان يمكنه أن يتخيل شعره يحترق، ليس مجرد خصلة أو اثنتين، ولكن كله، وهو لا يزال متصلاً برأسه. لم يكن يريد أن يوضع فى كومة مع الأبقار والخنازير. بدأ يبكى.

قالت أمه: "كم مرة قلت لك إنه لا يزال صغيراً جداً".

قال والد جيمى: "بابا وحش مرة أخرى. إنها مجرد مزحة يا صاحبى. أنت تعرف – مزحة: ها ها ها".

"إنه لا يفهم هذا النوع من المزاح".

"طبعاً يفهمها. أليس كذلك يا جيمى؟"

قال جيمى، من بين شهقاته: "نعم!"

قالت والدته "اترك دادى لحاله. دادئ يفكر. إنه عمله الذى يدفعون له النقود من أجل أن يقوم به. ليس لديه وقت لك الآن".

ألقى والده بالقلم. "ياللغيظ، ألا يمكن أن تتوقفى عن هذا بعض الوقت؟".

غرزت أمه سيجارتها فى فنجان القهوة نصف الفارغ. "تعال يا جيمى، هيا نتمشى قليلاً". جذبت جيمى من رسغه، وأغلقت الباب الخلفى بحرص مبالغ فيه خلفهما. حتى أنها لم تلبس أو تلبسه معطفًا. لا معطف، ولا قبعة لأى منهما، كانت ترتدى ثوبها وخفها المنزليين.

كانت السماء رمادية، والرياح شديدة البرودة؛ سارت ورأسها منكس، شعرها تعبث به الريح. سارا حول البيت، فوق الحشائش الندية بخطوة سريعة جداً، يده فى يدها. شعر جيمى كما لو كان ثمة شىء له مخلب حديدى يجره فى مياه عميقة. شعر بأنه يجذب، كما لو كان كل شىء على وشك أن يُكسر ويُلقى بعنف. وفى الوقت نفسه شعر بأنه فى حالة انتباه. أخذ يراقب خف والدته: كانا قد تلوثا بالتراب الندى. لو فعل هو ذلك بخفه لكانت مشكلة.

أبطأ قليلاً، ثم وقفا. ثم كانت والدته تتحدث إليه بصوت هادئ لطيف كصوت معلمة فى التليفزيون، وكان هذا يعنى أنها فى غاية الغضب. قالت إن المرض شىء لا يُرى، لأنه صغير جداً جداً. ويمكن أن يطير فى الهواء أو يختفى فى الماء، أو فى أصابع الأولاد الصغار

القذرة؛ ولهذا لا يجب أن تضع أصابعك فى أنفك ثم تضعها فى فمك؛ ولهذا يجب أن تغسل يديك دائمًا بعد الذهاب إلى الحمام؛ ولهذا يجب ألا تمسح....

قال جيمى: "أعرف، هل يمكن أن أدخل؟ إننى أشعر بالبرد".

تصرفت أمه وكأنها لم تسمعه. استمرت بذلك الصوت الهادئ المطوط: المرض، المرض يدخل إليك، ويغير أشياء بداخلك. ويعيد ترتيبك، خلية خلية، وهذا يجعل الخلايا مريضة. وبما أنك كلك عبارة عن خلايا دقيقة، تعمل معًا على إبقائك حيًّا، فإذا مرض عدد كافٍ من هذه الخلايا، فإنك....

قال جيمى: "يمكن أن أصاب بالسعال، أنا يمكن أن أصاب بالسعال فعلاً الآن!" وأصدر صوت سعال.

قالت أمه: "ياه، لا تهتم". كانت دائمًا تحاول أن تشرح له الأشياء، ثم تفقد حماسها. كانت هذه أسوأ اللحظات لكليهما. كان يقاومها، كان يتظاهر بأنه لا يفهم حتى وهو يفهم، كان يتظاهر بالغباء، لكنه لم يكن يريدها أن تيأس منه. كان يريدها أن تكون شجاعة، أن تحاول كل جهدها معه، أن تهدم الجدار الذى أقامه أمامها، أن تستمر.

قال، وهو ينهنه بقدر ما يجرؤ: "أريد أن أسمع حكاية الخلايا الدقيقة". "أريد هذا!".

قالت: "ليس اليوم، هيا بنا ندخل".

مزارع مؤسسة أورجان

كان والد جيمى يعمل فى مزارع مؤسسة أورجان لزراعة الأعضاء. كان يقوم برسم خريطة الجينات، وكان واحداً من أفضل العاملين فى هذا الحقل. قبل تخرجه، قدم بعض أهم الدراسات فى رسم خريطة البروتينوم، ثم ساعد فى هندسة فأر متوشالح(*) كجزء من "عملية الخلود". وبعد ذلك، فى مزارع مؤسسة أورجان، كان واحداً من أهم مهندسى مشروع البيجون وأوائلهم، مع فريق خبراء زراعة الأنسجة وخبراء الأحياء المجهرية الذين كانوا يعملون فى التهجين الجينى المقاوم للإصابات المرضية. وكان اسم "بيجون" الذى أطلق على المشروع مجرد كنية، أما الاسم الرسمى فكان "شبه مستحثات أعضاء متعددة". لكن كل شخص كان يستخدم اسم بيجون. أحياناً كانوا يقولون "مزارع أورجان – أوينك" (كناية عن صوت البيجونات)، لكن ليس كثيراً. ولم تكن مزرعة حقيقية على أية حال، ليست كالمزارع التى نراها فى الصور.

(*) متوشالح Methuselah : أطول البشر عمراً فى التوراة، "فكانت كل أيام متوشالح تسعمائة وتسعاً وستين سنة ومات" (تك ٥: ٢٧). ويستخدم الاسم فى الأدبيات الحديثة للإشارة إلى أى مخلوق استطاع أن يعيش فترة طويلة جداً.

كان الهدف من مشروع البيجون هو تربية مجموعة منوعة من الأنسجة البشرية القادرة على مقاومة الأمراض فى عائل هو خنزير معدل جينيًا – والأعضاء التي سيتم زراعتها بلطف ويتم تجنب رفض الجسد لها. يمكن أيضًا أن تكون قادرة على الوقاية من هجوم الميكروبات والفيروسات صيادة الفرص، والتى كان يظهر منها سلالات جديدة كل عام. وتم تهجين جين سريع النضج حتى يمكن لكلى الخنازير وأكبادها وقلوبها أن تصبح مستعدة أسرع. والآن كانوا يضبطون خنزيراً يمكن أن تنمو داخله خمس أو ست كلى معًا. ومثل هذا الحيوان العائل يمكن أن يُحصد ما ينمو فيه من كلى إضافية؛ ثم، بدلاً من تدميرها، يمكن إبقاؤها حية وتنمية أعضاء أخرى، مثلما ينمو لسرطان البحر مخلب جديد إذا فقد أحد مخلبيه. وهذا سيكون أقل تبديداً، فتربية أحد الخنازير من هذا النوع تستهلك كثيراً من الطعام والعناية. كانت مزارع مؤسسة أورجان تحتاج إلى كثير من النقود على سبيل الاستثمار.

وقد شُرح كل هذا لجيمى عندما كبر وأصبح فى سن ملائمة بحيث يمكن أن يستوعب.

سن ملائمة. يفكر ستومان وهو يهرش، ليس فى مكان لسعة الحشرة نفسه، ولكن حوله. يا لها من فكرة غبية. سن ملائمة لأى شيء؟ الشرب، لممارسة الجنس، لمعرفة أفضل؟ أى عقل غبى كان مسئولاً عن تلك القرارات؟ وعلى سبيل المثال، ستومان نفسه لم يصل بعد إلى سن ملائمة لهذا الـ... هذا الـ... – ماذا يمكن أن تُسَمَّى... هذه الحالة؟ لن

يكون أبداً في سن ملائمة، ولا يمكن أن يكون إنسان عاقل في سن ملائمة أبداً لذلك....

كل واحد منا يجب أن يسير في الطريق المرسوم له، أو لها، يردد الصوت الذي يطن في رأسه، صوت رجل هذه المرة، ويبدو كصوت معلم كذاب، وكل طريق فريد من نوعه. لا يجب أن ينصب اهتمام الساعي على طبيعة الطريق نفسها، ولكن ما يتحلى به كل فرد منا من جمال وقوة وصبر، تلك الصفات التي تمكننا أحياناً من مواجهة....

يقول سنومان "احشوها". كتالوج تعليمي رخيص من نوع "اصنعها بنفسك": نيرفانا لترفع المعنويات المنخفضة. رغم أن لديه ذلك الشعور الهزيل بأنه قد يكون كتب هذا الشيء الرائع بنفسه.

في أيام كانت أسعد، طبيعي. نعم، أيام أسعد كثيراً.

أمكن تعديل أعضاء البيجونات، باستخدام خلايا أخذت من متبرعين من البشر، وكان يتمّ تجميد الأعضاء حتى الحاجة إليها. كان هذا أرخص كثيراً من استنساخ الفرد لنفسه ليصبح مستنسخه قطع غيار – بضع ثنيات تبقى لكيّها هناك، كما اعتاد والد جيمي أن يقول – أو حفظ طفل أو اثنين للحصاد يُخبآن في بستان أطفال غير قانوني. كانت مؤسسة أورجان في كراساتها الإعلانية ومواد الترويج، اللامعة والمختارة كلماتها بحرص، كانت تؤكد على الكفاءة والمنافع الصحية المقارنة في الإجراءات العملية لعملية البيجون. ولتهدئة القلق أيضاً، تم

الادعاء بأن الخنازير التى تصبح غير صالحة لا تنتهى كقطع لحم وسجق؛ فلا أحد يريد أن يأكل حيوانًا قد تكون خلاياه مطابقة لخلايا بعض الناس على الأقل.

ومع ذلك، فبمرور الوقت، والتحول الملحى الذى أصاب الطبقة الصخرية للشواطئ، وذوبان طبقة الجليد الشمالية، وفساد مناطق التندرا الواسعة بسبب الميثان، وتزايد الجفاف واستمراره فى سهول وسط القارة الأمريكية، وتحول السهول الآسيوية إلى كثبان رملية، وعندما أصبح اللحم أكثر صعوبة فى الحصول عليه، بدأ بعض الناس يشعرون بالارتياب. وفى المزارع العضوية نفسها كان من الملاحظ امتلاء قوائم طعام مقهى هيئة العاملين بالكثير من سندويتشات لحوم البقر والخنازير وفطائر اللحم. كان الاسم الرسمى للمقهى هو "أندرس بيسترو"، لكن الاسم المتداول كان "القباع". وعندما كان جيمى يتناول وجبة الظهر الخفيفة هناك مع والده، وهو ما كان يحدث عندما تكون والدته فى حالة عجلة، كان الرجال والنساء فى المناضد القريبة يلقون بعض النكات الساخرة.

كانوا يرددون أحيانًا "فطيرة بيجون مرة أخرى". أو "فطائر بيجون المقلية، فشار بيجون. تعال يا جيمى، كُل!". وكان ذلك يضايق جيمى؛ كان لديه تشوش لا يعرف معه من ينبغى أن يُسمح له بأكل ماذا. ولم يكن يريد أن يأكل أحد البيجونات، لأنه كان يفكر فيها كمخلوقات مثله هو نفسه إلى حد كبير. ولم يكن هو ولا هم يعرفون ماذا يحدث ليتحدثوا عنه.

قالت رومانا: "لا تلق بالاً لهم يا صغيرى، إنهم يمزحون، أتعرف هذا؟". كانت رومانا من التقنيين فى معمل والده. وكثيراً كانت تتناول وجبتها الخفيفة معهما، هو ووالده. كانت شابة، أصغر من أبيه وأصغر حتى من أمه، كانت أقرب شبهاً بصورة الفتاة المعلقة على شباك الحلاق، كان لديها الفم المكتنز المنتفخ نفسه، وعينان كبيرتان مثلها، كبيرتان وملطختان بلون أسود. لكنها كانت تبتسم كثيراً، ولم تكن تصفف شعرها فى خصلات دائرية. كان شعرها ناعماً وداكناً. كان شعر أم جيمى من لون تسميه هى نفسها "أشقر قذر". (قال والده "ليس قذراً بما يكفى". "هاه! نكتة. نكتة. لا تقتلينى!")

كانت رومانا دائماً تطلب سلاطة. "كيف حال شارون؟" تقول لوالد جيمى، وهى تنظر إليه بعينيها الواسعتين الهادئتين. كانت شارون هى والدة جيمى.

وكان والد جيمى يقول: "ليست فى حال طيبة جداً".

آه، هذا أمر سيئ!".

"إنها مشكلة. لقد بدأت أشعر بالقلق".

كان جيمى يراقب رومانا وهى تأكل. كانت تتناول قضمات صغيرة جداً، وتستطيع أن تمضغ الخس دون إصدار صوت. وكذلك الجزر الطازج. وكان هذا أمراً مدهشاً، كأنما تستطيع أن تجعل هذه الأشياء

الصلبة المقرمشة سائلة وتمتصها، كأنما هى مخلوق غريب من جنس البعوض فى فيلم على إحدى أسطوانات الدى فى دى DVD .

ارتفع حاجبا رومانا مبدية اهتمامها، وقالت: "ربما يجدر بها أن تعرض نفسها على متخصص، لا أعرف". كانت تضع بودرة بنفسجية على جفنيها، بدرجة زائدة إلى حد ما" وهذا جعل جفنيها يبدوان متغضنين. أكملت قائلة: "إنهم قادرون على فعل أشياء كثيرة، هناك حبوب كثيرة جديدة ...". كان المفترض أن تكون رومانا إحدى العبقريات التكنولوجية، لكنها كانت تتكلم كما لو كانت تعلن عن جيل لحمام الأطفال فى أحد الإعلانات التليفزيونية. قال والده إنها لم تكن غبية، لكنها لا تريد أن تضيع قواها العصبية فى عبارات طويلة. كان هناك الكثير من الناس يتبعون هذه الطريقة فى مؤسسة أورجان، وليسوا كلهم نساء. هذا لأنهم كانوا أهل الأرقام، لا أهل الكلمات، هذا ما قاله والد جيمى. وكان جيمى يعرف نفسه ، وأنه لم يكن من أهل الأرقام.

قال والد جيمى: "لا تظنى أننى لم أقترح عليها ذلك. وقد سألت فيما حولنا، ووجدت أفضل شخص، وحددت معه موعداً، لكنها لم تقبل الذهاب". وأضاف، وقد نكس رأسه ناظراً إلى المنضدة: "إن لديها أفكارها الخاصة".

"ما أسوأ هذا، يا له من تبديد. أعنى، لقد كانت شديدة الذكاء!".

قال والد جيمى: "أوه، ولا تزال نكية، لديها نكاء يخرج من آذان الآخرين".

"لكنها كانت كذلك، أنت تعرف هذا...".

شوكة الطعام تنزلق من بين أصابع رومانا، ويحدق الاثنان كل للآخر كما لو كان يبحث عن الصفة الكاملة المناسبة لما كانت عليه والدة جيمى. ثم يلاحظان أن جيمى يسمع، ويجذب انتباههما إليه مثل أشعة قادمة من خارج الأرض، أشعة شديدة البريق.

"إذن، جيمى يا صغيرى، كيف الحال فى المدرسة؟"

"كُلْ يا صديقى، كُلْ رقائق البطاطس، لكى ينمو بعض الشعر على صدرك!".

ويقول جيمى: "هل يمكن أن أشاهد البيجونات؟"

كانت البيجونات أكبر وأكثر بدانة من الخنازير العادية بكثير، لكى يكون لديها مكان يتسع لكل الأعضاء الإضافية. وكانوا يحتفظون بها فى مبانٍ خاصة، عليها حراسة مكثفة؛ فقد تكون كارثة لو استطاع منافس أن يختطف أحد هذه البيجونات مع ما به من مواد مستنسخة جينياً. عندما كان جيمى يذهب لزيارة البيجونات كان يجب أن يرتدى حلة عضوية من مقاس كبير جداً، ويرتدى قناع وجه، ويغسل يديه أولاً بصابون مضاد للجراثيم. وكان يحب البيجونات الصغيرة بشكل خاص،

كل أنثى لديها اثنا عشر مُصْطَفون فى طابور، يمتصون اللبن. بيجونات صغيرة لطيفة. لكن البيجونات الكبيرة مخيفة نوعًا، بأنوفها السائلة وعيونها الصغيرة الوردية ذات المسحة البيضاء. كانت تنظر إليه وكأنما تراه، كانت تراه حقًا، وربما كان لديها تخطيط لما يمكن أن تفعله به فيما بعد.

"بيجون، بالون، بيجون، بالون"، كان أحيانًا ينشد ليهدئها ويشعرها بالأمان، وهو يميل على حافة الحظيرة. بعد غسل الحظائر لم تكن رائحتها سيئة جداً. كان سعيداً لأنه لا يعيش فى حظيرة، حيث يمكن أن يضطر للرقاد فى القاذورات. لم يكن لدى البيجونات تواليت فكانت "تعملها" فى أى مكان؛ وجعله هذا يشعر شعوراً فجا بالخجل. لكنه لم يبلل فراشه منذ وقت طويل، أو لم يكن يفكر فى أنه كان يفعل هذا.

قال والده: "احذر أن تقع. سوف تأكلك كلك فى دقيقة".

قال جيمى: "لا، لن تفعل". فكر، لأننى صديقها، لأننى أغنّى لها. وتمنى أن تكون لديه عصا طويلة، ومن ثم يستطيع أن يعابثها بها – لا أن يؤذيها، فقط أن يجعلها تجرى حول المكان ببعض الحيوية. كانت تقضى وقتًا طويلاً دون أن تفعل أى شىء.

عندما كان جيمى صغيراً حقًا كانوا يعيشون فى بيت خشبى على طراز كاب – كود، فى أحد المجمعات السكنية – كانت هناك صور له، فى سلة حمل الطفل فى الشرفة، وعليها التواريخ وكل شىء، وضعت فى

ألبوم صور فى وقت ما عندما كانت والدته لا تزال تتجشم مشقة هذه الأشياء - ولكنهم الآن كانوا يعيشون فى بيت كبير على الطراز الجورجى، به حمام سباحة داخلى وجيمنيزيوم صغير. كان الأثاث فيه يسمى "طبق الأصل". كان جيمى كبيراً تماماً قبل أن يكتشف معنى هذا التعبير - أن كل قطعة طبق الأصل المفروض أن لها نسخة أصلية فى مكان ما . أو كانت هناك فى وقت ما نسخة أصلية. أو شىء أصلى.

كان كل ذلك - البيت، وحمام السباحة، والأثاث - ملكًا لمستوطنة شركة أورجان، التى يعيش فيها أهل القمة.

وبمرور الوقت، بدأ المتنفذين متوسطى المكانة والعلماء الصغار يعيشون فى المكان نفسه أيضًا . قال والد جيمى إن هذا أفضل؛ حيث لا يحتاج أحد لركوب المواصلات إلى العمل من المجمعات السكنية. ورغم طرق النقل المعقمة والقطارات السريعة جداً كانت المخاطرة قائمة دائماً عندما تمر عبر المدينة.

لم يذهب جيمى أبدًا إلى المدينة. ولكنه رآها فى التليفزيون - لافتات لا نهاية لها، وعلامات ضوئية، ومبانى ممتدة كثيرة، طويلة وقصيرة، شوارع لا نهاية لها قذرة المظهر، مركبات كثيرة جداً من كل الأنواع، بعضها تخرج من الخلف سحبًا من الدخان، آلاف الناس، مسرعين، مبتهجين، ثائرين. وكانت هناك مدن أخرى أيضًا، بعيدة وقريبة، بعضها فيها أحياء أفضل، هكذا قال والده، تقريبًا مثل

المستوطنات، تحاط بيوتها بأسوار عالية، لكن هذه لم تكن تظهر فى التليفزيون كثيراً.

لم يكن أهل المستوطنات يذهبون إلى المدن إلا فى حالات اضطرارية، وعندما يذهبون لا يذهبون وحدهم أبداً. كانوا يسمون المدن "أراضى السوقة". ورغم بطاقات الهوية ذات البصمات التى يحملها كل شخص الآن، فإن الأمن العام فى أراضى السوقة ضعيف؛ فهناك أناس يجوبون الشوارع فى تلك الأماكن يمكن أن يزيفوا أى شىء ويمكن أن يكونوا أى شخص، ناهيك عن النقود السهلة – المدمنون، والسكارى، والفقراء فقراً مدقعاً، والمجانين. ومن ثم كان الأفضل لكل العاملين فى مؤسسة أورجان أن يعيشوا فى مكان واحد، يحظى بكل إجراءات الأمان الفائقة.

خارج جدران المزرعة وبواباتها ، وكشافاتها، لا يمكن التنبؤ بأى شىء. أما داخلها فكان الأمر كما هو منذ كان والد جيمى صبيًّا، قبل أن تصبح المسائل بهذه الخطورة، أو هذا ما قاله والد جيمى. أما والدة جيمى فقالت إن كل شىء مصطنع، وأن الأمر لا يزيد عن ساحة رئيسية ولا يمكن أن تعيد الأشياء كما كانت فى السابق، لكن والد جيمى قال لماذا الانتقاد؟ يمكنك أن تسيرى فى كل مكان دون خوف، أليس كذلك؟ اذهبى فى جولة بالدراجة، اجلسى على مقهى بجوار الطريق واشترى آيس كريم؟ كان جيمى يعرف أن والده على حق، لأنه هو نفسه كان يفعل كل هذه الأشياء.

ومع ذلك، فإن رجال سلاح الشركة - الذين كان والد جيمى يسميهم "تاسنا" - كان عليهم أن يكونوا على حذر دائم. وعندما يكون هناك أمر شديد الخطورة، لم يكن يمكن التنبؤ بما ينويه الجانب الآخر، أو الجوانب الأخرى: لم يكن ثمة جانب واحد عليك أن تحذر منه. الشركات الأخرى، البلدان الأخرى، عصابات ومتآمرين متعددين. كان والد جيمى يقول هناك الكثير من "الهاردوير" (الأدوات الصلبة) حولنا. كثير من الهاردوير، كثير من السوفت وير، كثير من الأنماط الحيوية المعادية، كثير من الأسلحة من كل نوع. وكثير جداً من الحسد والتعصب والولاءات السيئة.

قال والد جيمى إنه منذ زمن بعيد، فى أيام الفرسان والتنانين، كان الملوك والدوقات يسكنون فى قلاع عالية الجدران تحوطها الخنادق والجسور المتحركة وبها فتحات فى الأسوار يمكن منها شن هجوم عنيف على الأعداء، والمستوطنة فكرة مشابهة. كانت القلاع لحمايتك أنت وأهلك داخلها، ولمنع أى شخص خارجها من الدخول.

سأل جيمى: "هل نحن إذن ملوك ودوقات؟"

قال والده ضاحكاً: "أوه، بكل تأكيد!".

وجبة خفيفة

فى وقت ما، كانت والدة جيمى تعمل فى مزارع مؤسسة أورجان، وفيها التقت بوالده: كانا يعملان كلاهما فى المستوطنة نفسها،

وفى المشروع نفسه. كانت والدته إخصائية فى الأحياء الدقيقة، وكان عملها دراسة بروتينات الأنماط الحيوية الضارة لخنازير المزرعة، وتعديل مستقبِلاتها لدى الحيوان بطريقة تجعلها غير قادرة على الاتصال بمستقبِلات خلايا الخنازير، أو أن تقوم بصنع أدوية للوقاية من هذه الأنماط الضارة.

قالت لجيمى فى حالة من حالات الشرح التى كانت تعتريها: "الأمر بسيط. الميكروبات والفيروسات الضارة تريد أن تدخل من باب الخلية وتأكل الخنازير من الداخل. كان عمل مامى هو صناعة أقفال لهذه الأبواب". وعلى شاشة الكمبيوتر الخاص بها، فرجت جيمى على صور الخلايا، وصور الميكروبات، وصور للميكروبات تدخل إلى الخلايا وتصيبها فتنفجر منفتحة، وصور مقربة للبروتينات، وصور للأدوية التى جربتها. كانت الصور تبدو مثل الحلوى المغلفة فى السوبرماركت: علبة بلاستيك شفافة تحوى حبات الحلوى، علبة بلاستيك شفافة تحوى حبات الجيلى، علبة بلاستيك شفافة تحوى عرق سوس مبروم. كانت الخلايا تبدو مثل العلب البلاستيك الشفافة، بأغطية يمكن رفعها.

سأل جيمى: "لماذا لم تعودى تصنعين الأقفال للأبواب؟"

قالت، وهى تنظر إلى قمة رأس جيمى وتنفخ على سيجارتها: "لأننى أريد أن أبقى معك فى البيت".

قال جيمى متنبهًا: "ولكن ماذا عن البيجونات، الميكروبات ستدخل إليها!" لم يكن يريد أصدقاءه الحيوانات أن تنفجر مثل الخلايا المصابة.

قالت أمه: "هناك آخرون يتولون هذا العمل الآن". لم يكن يبدو عليها الاهتمام على الإطلاق. تركت جيمى يلعب بالصور الموجودة على الكمبيوتر؛ وبمجرد أن تعلم كيف يدير البرامج، كان يلعب بها ألعاب الحرب - الخلايا ضد الميكروبات. قالت إنه لا مشكلة إذا ضاعت أشياء من على الكمبيوتر، لأن كل هذه المواد قديمة ولم تعد لها حاجة على أى حال. ومع ذلك، ففى بعض الأيام - الأيام التى يبدو أنها تملك نشاطًا وحيوية ولديها عزيمة وهدف وثبات - كانت تريد أن تتجول على الكمبيوتر بنفسها. كان يحب أن تفعل ذلك - فقد كان يبدو أنها تشعر بمتعة. فى هذا الوقت تكون ودودة أيضًا. وتبدو أمًّا حقيقية، ويكون هو طفلاً حقيقيا. لكن هذه الحالات المزاجية لم تكن تستمر طويلاً معها.

متى توقفت عن العمل فى المعمل؟ عندما بدأ جيمى يذهب إلى مدرسة المزرعة ليوم كامل، فى السنة الأولى. وهذا شىء غير مفهوم، لأنها لو أردت أن تبقى فى البيت مع جيمى، فلماذا بدأت تفعل ذلك عندما أصبح جيمى غير موجود فى البيت؟ لم يفهم جيمى الأسباب أبداً، وعندما سمع هذا التفسير لأول مرة كان أصغر كثيراً من أن يفكر فيه. كل ما كان يعرفه هو أن دولوريس الفلبينية التى كانت تعيش معهم، قد أُخرجت من البيت، وقد افتقدها كثيراً. كانت تناديه جيم - جيم، وتبتسم

وتضحك وتعد له البيض بالطريقة التى يحبها، وكانت تغنى وتغمره بتدليلها. لكن كان على دولوريس أن تذهب، لأن أم جيمى الحقيقية ستكون هنا الآن طوال الوقت - وكان هذا "هدية تُقدَّم له - والمرء ليس بحاجة إلا إلى أم واحدة، أليس كذلك؟"

يفكر سنومان، بل يمكن أن يحتاج أكثر. نعم، يمكن أن يحتاج أكثر فعلاً.

كان سنومان يذكر صورة واضحة لأمه - أم جيمى - جالسة على مائدة المطبخ، لا تزال فى رداء الحمام عندما يعود إلى البيت من المدرسة فى وسط اليوم ليتناول الوجبة الخفيفة. يمكن أن يكون أمامها كوب من القهوة، لم يلمس، يمكن أن يجدها تنظر من النافذة وتدخن. كان ثوب الحمام من اللون الأرجوانى الفاتح، لون لا يزال يشعره بالحنين متى رآه. وفى العادة لا يجد الوجبة جاهزة، وقد يضطر لإعدادها بنفسه، وتشارك والدته بإلقاء توجيهات بصوت فاتر. ("اللبن فى الثلاجة. إلى اليمين، لا... اليمين. ألا تعرف أيهما يدك اليمنى؟"). كانت تبدو متعبة جدا، ربما كانت متعبة منه. أو ربما كانت مريضة.

سألها فى أحد الأيام: "هل أنت مصابة؟"

"ماذا تقصد يا جيمى؟"

"مثل الخلايا!"

"آه، فـهـمت. لا، لست مـصـابة". وتوقـفت لحظة ثم قـالت: "وربما أكون". لكن عندما اكفهر وجهه، سحبت كلامها.

أكثر ما كان يتمنى جيمى هو أن يجعلها تضحك - أن يجعلها سعيدة، مثلما كانت سعيدة على ما يذكر من قبل. كان يروى لها أشياء مضحكة حدثت فى المدرسة، أو أشياء يحاول أن يجعلها مضحكة، أو أشياء يبتدعها. ("كارى جونستون بالت على الأرض"). قد يقفز مرحًا حول الغرفة، ويقطب حاجبيه، ويسقسق بصوت كصوت القرود، وهى حيلة نجحت مع كثير من البنات الصغيرات فى فصله، وتقريبًا مع كل الأولاد. كان يضع زبدة الفول السودانى على أنفه ويحاول أن يلعقها بلسانه. كانت معظم هذه الأفعال لا تؤدى إلا لتوترها: "هذا غير مسلٍ، إنه مقرف". "كفى، جيمى، إنك تسبب لى صداعًا". لكن فى هذه الحالة، كان أحيانًا يتمكن من الحصول على ابتسامة أو أكثر منها. ولم يعرف أبدًا ما الشىء الذى ينجح فى ذلك.

ومن حين لآخر كان يجد وجبة حقيقية بانتظاره، وجبة معدة وفاخرة حتى أنها تخيفه، فما هى المناسبة؟ مكان مجهز، فوطة ورقية - فوطة ورقية ملونة، كما فى الحفلات - ساندويتش من زبدة الفول السودانى والجيلى، وهو المفضل لديه، لكن من الممكن أن يجده مفتوحًا ومستديرًا، وجه من زبدة الفول السودانى وابتسامة من الجيلى. وهنا يجد والدته مرتدية ثيابها بعناية، شفتاها مبتسمتان ومرسومتان بطلاء الشفاه،

وكأنها ترديد لابتسامة الجيلى على الساندويتش، وساعتها تكون فى غاية الانتباه، له ولقصصه السخيفة، تنظر إليه مباشرة، ولون عينيها الأزرق يبدو أكثر عمقًا. كانت تذكره فى تلك الأورقات بحوض من البورسلين: نظيف ولامع، وصلب.

كان يعرف أن المطلوب منه أن يقدر المجهود الذى قامت به فى إعداد هذه الوجبة، ومن ثم فكان هو أيضًا يقوم بمجهود. "يا ولد، طبقي المفضل!". يقول هذا وهو يدير عينيه، ويربت على بطنه معبراً عن الجوع بشكل كاريكاتورى، مبالغ فيه. لكنه كان يحصل على ما يريد، لأنها حينئذ كانت تضحك.

وعندما صار أكبر وأكثر قدرة على المراوغة، وجد أنه فى الأيام التى لا يستطيع فيها أن يجذب تأييدها، كان على الأقل يستطيع أن يحصل على رد فعل ما. أى شىء كان أفضل من الصوت الفاتر، والعينين التائهتين، والتحديق المتعب من النافذة.

قد يبدأ قائلاً: "هل يمكن أن أحصل على قطة؟"

"لا يا جيمى، لا يمكن أن تحصل على قطة. لقد تناقشنا فى ذلك من قبل. القطط يمكن أن تحمل أمراضًا ضارة للخنازير".

يقول بصوت ماكر: "لكن أنت لا مانع لديك".

تنهيدة، ونفخة دخان. "هناك آخرون لديهم مانع".

"هل يمكن إذن أن أحصل على كلب؟"

"لا، ولا كلاب أيضاً. أليس لديك ما تفعله في غرفتك؟"

"هل يمكن أن أحصل على ببغاء؟"

"لا. يكفي هذا". تبدو وكأنها لا تستمع إليه في الواقع.

"هل يمكن أن أحصل على لا شيء؟"

"لا."

وهنا يمكن أن ينعق: "أوه، حسنًا، لا أستطيع أن أحصل على لا شيء! إذن سيكون عندي شيء! ما هو هذا الشيء؟"

"جيمي، أحيانًا تكون مزعجًا للغاية، هل تعرف هذا؟"

"هل يمكِن أن أحصل على أخت صغيرة؟"

"لا!"

"طيب أخ صغير؟ من فضلك؟"

"لا معناها لا! ألم تسمعني؟ قلت لك لا!"

"لماذا لا؟"

كان هذا هو المفتاح، هذا هو ما يحصل به على رد الفعل. تبدأ في البكاء وتقفز وتجري خارج الغرفة وهي تصفق الباب وراءها، وووف. أو

ربما تبدأ فى البكاء وتحتضنه. أو قد تلقى بكوب القهوة عبر الغرفة وتبدأ فى الصراخ: "كل هذا هراء، هراء تماماً، لا فائدة!" إلى درجة أنها قد تصفعه، ثم تبكي وتحتضنه. يمكن أن يحدث أى مجموعة من ردود الأفعال هذه.

أو ربما يكون البكاء وحسب، تضع رأسها على ذراعيها، وتهتز كلها وتلهث فى محاولة للتنفس، تختنق بالبكاء والتنهدات. وحينئذ لا يعرف ماذا يفعل. كان يشعر بأنه يحبها كثيراً عندما كان يتسبب لها فى لحظة تعاسة، أو ربما عندما تتسبب هى له فى لحظات تعاسة؛ فى تلك اللحظات لم يكن يعرف أى شيء هو الصحيح. كان يحاول أن يخفف عنها، يقف بعيداً كما يفعل مع الكلاب الغريبة، يمد يده قائلاً: "أنا آسف، أنا آسف!". وكان آسفًا، لكن كانت لديه مشاعر أخرى: كان أيضًا يشعر بارتياح غريب، يهنئ نفسه، لأنه استطاع أن يحدث مثل هذا التأثير. كان أيضاً يشعر بالخوف. هناك دائمًا تلك الحافة الحرجة، هل تجاوز الحد كثيراً؟ وإذا كان قد فعل، ماذا سيحدث بعد ذلك؟

(٣)

الظهيرة

الظـهـر هو أسـوأ الأوقـات، بما فـيـه من توهج الشـمس وزيادة الرطوبة. فى حوالى الحادية عشرة يلجأ ستومان إلى الغابة مرة أخرى، بعيداً عن مشهد البحر كله، لأن الأشعة الشريرة تقفز فوق المياه وتصل إليه حتى لو كان تحت ظل ما يحميه من السماء، ثم يحمرُّ جلده ويتسلَّخ. إنه بحاجة حقًا لأنبوبة من كريم حماية قوى ضد الشمس، بفرض أنه يمكن أن يجد مثل هذا الشىء.

فى الأسبوع الأول، عندما كانت لديه طاقة أكثر، صنع لنفسه ملجأ ذا سطح متحدر، مستخدماً فروع الأشجار المتساقطة على الأرض ولفة من شريط لصق الأنابيب ونسيج مشمع مضاد للماء وجده فى صندوق سيارة محطمة. وفى ذلك الوقت كانت لديه مطواة، لكنه فقدها بعد أسبوع، أم كان ذلك بعد أسبوعين؟ لابد أن يحتفظ بقدرة أكبر على تذكر تلك الأشياء، الأسابيع مثلاً. كانت مطواة من النوع الذى يوضع فى الجيب، ولها شفرتين، ومثقاب، ومنشار صغير جداً، ومبرد أظافر،

وفتاحة لولبية. كما كان بها مقص صغير، كان يستخدمه لقص أظافر قدميه وشريط لصق الأنابيب أيضاً. وقد شعر بالأسف لضياع المقص.

كان والده قد أهداه مطواة كهذه في عيد ميلاده التاسع. اعتاد أبوه دائماً أن يهديه بأدوات، محاولاً أن يجعل منه شخصاً عملياً. وكان جيمى في رأى والده لا يستطيع أن يركِّب لمبة كهربائية. من إذن يريد أن يركب لمبة؟ يدوى الصوت في رأس سنومان، صوت من إحدى الكوميديات المذاعة هذه المرة. أفضلِ أن أفعل شيئًا آخر في الفراش.

يقول سنومان: "اخرس".

سألته أوريكس عندما أخبرها أن والده أهداه المطواة: "هل أعطيته دولارًا؟"

"لا. لماذا؟"

"عندما يهديك أحد سكينًا يجب أن تعطيه نقوداً. حتى لا يجرحك سوء الحظ. لا أريد أن تُجرح بسبب سوء الحظ يا جيمى".

"من قال لك هذا؟"

قالت أوريكس: "شخص ما"، شخص ما لعب دوراً كبيراً في حياتها.

"من هو؟" شعر جيمى بالكراهية لهذا الشخص – بلا وجه، بلا عينين، ماكر، كله يدان وحيوية، في وقت هو فرد واحد، وفي وقت آخر

اثنان، وفى وقت ثالث أشخاص كثيرون - لكن أوريكس وضعت فمها قرب أذنه وهمست "شخص ما، شخص ما"، وهى تضحك فى الوقت نفسه، فكيف إذن يستطيع أن يركز على هذه الكراهية القديمة الغبية؟

فى الفترة القصيرة التى قضاها تحت ذلك الملجأ كان ينام على سرير من النوع الذى يطوى كان قد جرَّه من أحد العشش الواقعة على شاطئ البحر على بعد نصف ميل، كان عبارة عن إطار معدنى داخله شبكة سلكية عليها حشية من الإسفنج الصناعى. فى الليلة الأولى هاجمه النمل، فملأ أربعة علب من الصفيح بالماء ووضع أرجل السرير فيها. وقد أوقف هذا النمل. لكن الحرارة المتواصلة، ورطوبة الهواء العالية تحت المشمع البلاستيك كل هذا جعله يشعر بعدم الراحة: فى الليل، عند مستوى الأرض، ولا نسيم فى الهواء، يبدو وكأن الرطوبة تصل إلى درجة مائة بالمائة، كانت أنفاسه تضبب البلاستيك.

كذلك كانت الراكوبانات مزعجة، تنطلق بين أوراق الأشجار وتتشمم قدميه، وتطلق ضوضاء حوله كما لو كان زبالة بالفعل، وفى صباح أحد الأيام استيقظ ليجد ثلاثة بيجونات تحدق فيه من خلف البلاستيك. أحدها كان ذكراً، تخيل أنه يرى نقطتين تبرقان بلون أبيض محل النابين. والمفروض أن البيجونات ليس لها أنياب، لكن ربما كانت تعود إلى نوعها الأصلى الآن وقد أصبحت برية، عملية تقدم سريعة فى تطورها بسبب الجينات التى تحث سرعة نضجها. كان يصيح فيها ويلوح بذراعيه فتجرى هيابة، لكن من يستطيع أن يتنبأ بما يمكن أن

تفعله المرة القادمة عندما تقترب؟ هى، أو الكلدييات. سوف تكتشف هذه الحيوانات يومًا ما أنه لم يعد لديه بندقية رش؛ فقد ألقى بها عندما لم يصبح لديه الطلقات الفعالة الخاصة بها. كان من الغباء ألا يسرق بعض هذه الطلقات لإعادة تشغيلها: خطأ، مثله فى ذلك مثل إعداد مكان نومه على مستوى الأرض.

ومن ثم انتقل إلى الشجرة. فوقها لا بيجونات أو كلدييات، وقليل من الراكويانات التى كانت تفضل البقاء بين الأعشاب الأرضية. أقام قاعدة قوية على الفروع الرئيسية من قطع الأخشاب والشريط اللاصق. لم يكن هذا عملاً سيئًا؛ فقد كان دائمًا أكثر قدرة على تجميع الأشياء رغم أن والده لم يكن يصدق ذلك تمامًا. فى البداية أخذ المرتبة الإسفنجية إلى الأعلى، ولكنه اضطر لرميها عندما بدأت تتعفن، وأصبحت رائحتها أشبه برائحة حساء الطماطم بدرجة معذِّبة.

كان النسيج البلاستيك على الملجأ قد تهرأ أثناء عاصفة عنيفة جداً على غير العادة. ولكن بقى إطار السرير، ولا يزال يمكنه استخدامه أثناء الظهيرة. وجد أنه إذا تمدد عليه على ظهره، وذراعيه ممدودتان وبدون ملاءة مثل قديس معد للحرق(*)، فإن ذلك أفضل من الرقاد على الأرض، على الأقل يمكن أن يصل بعض الهواء إلى كل أسطح جسده.

(*) إشارة إلى حرق القديسين فى فترات من التاريخ بعد اتهامهم بالزندقة.

من لا مكان، تظهر كلمة: ميزوزويك. يستطيع رؤية الكلمة، يستطيع أن يسمع الكلمة، لكنه لا يستطيع أن يفهمها. لا يستطيع أن يصل أى شيء بها. يحدث هذا كثيراً فى الآونة الأخيرة، هذا الذوبان للمعانى، قوائم الكلمات الباقية فى ذهنه تتسرب فى الفراغ.

"إنها الحرارة فقط"، يقول هذا لنفسه، "سوف أكون أفضل عندما تمطر". يتصبب العرق منه بشدة حتى يكاد يسمعه، تزحف قطراته على جسده، إلا أنه أحياناً يكون ما يزحف على جسده هو الحشرات. ويبدو أنه جذَّاب للخنافس. الخنافس، الذباب، النحل، كما لو كان لحماً ميتاً، أو زهرة من النوع سيئ الرائحة.

أفضل شيء فى ساعات الظهيرة هو أنه على الأقل لا يشعر بالجوع، حتى مجرد التفكير فى الطعام يجعله يشعر بالغثيان، مثل كيكة شوكولاتة فى حمام بخار. يتمنى لو يستطيع أن يبرد نفسه بإخراج لسانه.

الشمس الآن فى قمة توهجها، فى السمت، كما كانوا يسمونها. يرقد سنومان ممدداً على السرير الذى يبدو بشبكته السلكية كالشواية فى الظل المائع، مستسلماً القيظ. هيا نتظاهر أننا فى الإجازة! صوت معلمة من المدرسة هذه المرة، مغرور، متنازل. "أنا مسز ستراتون، يمكنكم أن تدعونى باسم سالى"، ذات المؤخرة الكبيرة. هيا نتظاهر بهذا، هيا نتظاهر بذاك. كانوا يقضون السنوات الثلاث الأولى من

المدرسة فى محاولة جعلك تتظاهر بأنك شيء مهم، ثم باقى السنوات فى إنقاص درجاتك إذا حاولت فعل الشيء نفسه. هيا نتظاهر بأننى هنا معك، بالمؤخرة الكبيرة وكل شيء، أستعد لامتصاص مخك من داخل جمجمتك.

هل هناك حركة خفيفة؟ ينظر إلى نفسه: لا حركة. تختفى سالى ستراتون، وهذا أفضل. عليه أن يجد وسائل أكثر وأفضل لإنفاق وقته. وقته، يالها من فكرة مفلسة، وكأنما لديه صندوق من الوقت يخصه وحده، يمتلئ إلى حافته بالساعات والدقائق ويمكنه أن ينفقها كالنقود. المشكلة أن الصندوق به ثقوب والوقت يتسرب منها، مهما حاول أن يفعل به.

وعلى سبيل المثال، قد يبرى قطعًا من الخشب ويصنع طاقم شطرنج، ويلعب مع نفسه. كان يلعب مع كريك، لكنهما كانا يلعبان بالكمبيوتر، وليس بشطرنج حقيقى. كان كريك يكسب فى الغالب. لابد أن هناك سكينًا أخرى فى مكان ما، إذا ركز تفكيره، وخرج للبحث، هناك أشياء ملقاة فى البقايا، وهو متأكد أنه يمكن أن يجد واحدة. وإذ توصل لهذه الفكرة شعر بالدهشة لأنه لم يفكر فيها من قبل.

يترك نفسه يعود بالذاكرة إلى أوقات ما بعد المدرسة مع كريك. لم يكن ثمة ما يضر فى البداية. قد يلعبان لعبة الانقراضيات، أو إحدى الألعاب الأخرى: واكو ثلاثية الأبعاد، الرقصة البربرية، أسامة سريع

الخطوة. كل هذه الألعاب كانت لها استراتيجية واحدة: كان عليك أن ترى أين تذهب قبل أن تصل إلى المكان، ولكن عليك أيضًا أن تعرف أين يقصد اللاعب الآخر. كان كريك ماهرًا فى تلك الألعاب ، لأنه كان بارعًا فى كل النقلات الجانبية. أما جيمى فكان أحيانًا يكسب فى لعبة أسامة سريع الخطوة، طالما كان كريك يلعب فى الجانب غير المؤمن.

لا أمل فى نحت قطع لمثل هذه الألعاب على أية حال. لا مناص من الشطرنج. أو، يمكن أن يكتب يومياته. يكتب انطباعاته. لابد أن هناك كميات هائلة من الورق ملقاة هنا أو هناك، فى الأماكن الداخلية غير المحترقة التى لا تزال غير مخربة، وأقلامًا من كل الأنواع؛ لقد رآها فى بعض غزواته بحثًا عن الطعام، لكنه لم يفكر فى أخذ شىء منها. يمكن له أن يحاكى قباطنة السفن، فى العصور القديمة – السفينة أمامها عاصفة، القبطان فى كابينته، لا مهرب له من الموت، لكنه جسور، جالس يملأ سجل السفينة. كانت هناك أفلام بهذه الطريقة. أو المنبوذون الذين ألقى بهم القدر على جزر صحراوية، يحتفظون بيومياتهم يومًا بيوم بعناية. قوائم بما لديهم من إمدادات، ملاحظات على الجو، الأعمال الصغيرة التى أنجزها – تركيب أزرار، التهام حيوان رخوى.

هو أيضًا منبوذ بشكل ما. يمكنه أن يكتب قوائم. هذا قد يعطى حياته شكلاً ما.

ولكن حتى المنبوذ يفترض قارئًا مستقبليًّا، شخصًا ما سيأتى فيما بعد ويجد عظامه وأدواته ويعرف مصيره. ليس بإمكان سنومان أن يفترض شيئًا كهذا؛ فلن يكون له قارئ فى المستقبل، لأن الكريكيين لا يمكنهم القراءة. أى قارئ يمكنه أن يتخيله ليس له وجود إلا فى الماضى.

تتعلق دودة فى الهواء بخيط، تلتف ببطء وكأنها لاعب يسير على الحبل، تتخذ مسارًا لولبيًّا فى اتجاه صدره. إنها غضة، بلون أخضر غريب، مثل لون قرص صمغى، ومغطاة بشعيرات دقيقة لامعة. وبينما يراقبها، شعر فجأة بتدفق عاطفى رقيق ونوع من الفرح غير مفهوم. أمر غريب، يفكر. لن تكون هناك أبدًا أية دودة مثل هذه. لن تمر أبدًا مثل هذه اللحظة من الزمن، ولا مثل هذا التناغم.

هذه الأشياء تتسل عليه بلا سبب، تلك الومضات من السعادة غير العقلانية. ربما هو نقص أحد الفيتامينات.

تتوقف الدودة، تستشعر الهواء حولها برأسها العارى الأصلع. عيناها الضخمتان الشفافتان مثل مقدمة خوذة أحد راكبى الموتوسيكلات. ربما هى تشمه، تلتقط هالته الكيماوية. يقول لها: "لسنا هنا لنلعب، ولا لنحلم، ولا لننساق على غير هدى، إن أمامنا عمل شاق، وأثقال لرفعها".

من أى وعاء عصبى ضامر فى مخه جاء هذا؟ حصة "مهارات الحياة"، فى المدرسة الإعدادية. المعلم شخص متثاقل المشية خارج لتوه من فقاعة دوت.كوم أسطورية تعود إلى ما قبل التاريخ. كان له ذيل ليفى يتدلى من خلف رأسه الأصلع، وجاكيت مصنوع من جلد الثعلب، كان يضع حلقة ذهبية فى أنفه العجوز المسامى المنبعج، ويؤكد تعبيرات الاعتماد على الذات، والفردية، وركوب المخاطر بنغمة يائسة، وكأنما لم يعد هو نفسه يؤمن بهذه الأشياء. ومن حين لآخر يخرج عليهم بحكمة عتيقة مقدمة داخل مفارقة ملتوية لا تفيد فى تقليل الملل، أو قد يقول: "كان يمكن أن أكون مناضلاً"، ثم يحدق فى الفصل بنظرة ذات مغزى، وكأنما ثمة معنى أعمق من العمق نفسه يفترض عليهم جميعًا أن يدركوه.

أمسك الدفاتر على الشاشة بمدخل مزدوج، التعامل مع البنوك بلمسة من طرف الإصبع، استخدام الميكروويف دون أن تنفجر البيضة، ملء طلبات السكن فى هذه الوحدة أو تلك، وطلبات العمل فى هذه المستوطنة أو تلك، بحث الصفات الوراثية للعائلة، التفاوض فيما يختص بك من عقد زواج أو طلاق، التزاوج الحكيم على أساس صفات جينية متماثلة، الاستخدام المناسب للعازل التناسلى لتجنب نقل الأنماط الحيوية التى تنتقل جنسيًا: تلك هى "مهارات الحياة". لم يكن أحد من الأطفال ينفق الكثير من الانتباه فى هذه الحصص. فهم إما يعرفون هذه الأشياء بالفعل، أو لا يريدون معرفتها. كانوا يعاملون هذه الحصة

باعتبارها ساعة راحة. لسنا هنا لنلعب، أو لنحلم، أو لننساق على غير هدى. إننا هنا لنمارس "مهارات الحياة".

يقول سنومان: "سيان!".

أو بدلاً من الشطرنج أو اليوميات، يمكن أن يركز على ظروفه الحياتية. هناك إمكانية للتحسن فى تلك الشقة، إمكانية كبيرة. مثلاً، مصادر طعام أخرى. لماذا لم يحاول أبداً أن يتغذى على الجذور والثمار العنبية البرية، ونصب الفخاخ من أجل لحم للشى، لعبة صغيرة، وكيف يأكل الأفاعى؟ لماذا ضيَّع وقته؟

أوه، يا حبيبى، لا تعذب نفسك، صوت أنثوى يهمس فى أذنه آسفًا.

لو يستطيع فقط أن يجد كهفًا، كهفًا جيداً له سقف مرتفع وجيد التهوية، وربما بعض الميّاه الجارية، سوف يكون أفضل كثيراً. حقيقة، هناك جدول من المياه العذبة على بعد ربع ميل، وهو يتسع فى موضع منه ليصبح بركة. فى البداية كان يذهب هناك ليتبرد، لكن الكريكيين قد يكونون هناك يستحمون ويلعبون، أو ربما يستريحون على ضفافها، والأطفال قد يزعجونه طالبين إليه أن ينزل للسباحة فى البركة، ولم يكن يحب أن يروه بدون ملاءته. فهو شديد الغرابة، مقارنة بهم، إنهم يجعلونه يشعر بأنه بشع. وإن لم يكن هناك ناس، فقد تكون هناك حيوانات، كلدييات، بيجونات، أو كلابيست. فبرك المياه تجتذب آكلات اللحوم. ترقد منتظرة، يسيل لعابها. وتنقضُّ فجأة، وهو أمر ليس لطيفًا جداً.

تتجمع السحب، وتظلم السماء. وهو لا يستطيع أن يرى جيداً من خلال الأشجار، لكنه يشعر بتغير فى الضوء. يستسلم لرقاد لا يغيب فيه فى النوم تماماً، ويحلم بأوريكس، طافية على ظهرها فى حمام السباحة، ترتدى زياًّ يبدو أنه مصنوع من نسيج أبيض رقيق له ما يشبه أوراق الزهور. تنتشر حولها، تنبسط وتنقبض مثل صمامات قنديل البحر. الحمام مطلى بلون وردى نابض بالحيوية. تبتسم له وتحرك ذراعيها برقة لتظل طافية، وهو يعلم أن كليهما فى خطر عظيم. ثم يسمعان صوت انفجار أجوف، مثل انغلاق باب سرداب هائل.

انهمار

يستيقظ على صوت الرعد ورياح مفاجئة؛ فاجأته عاصفة ما بعد الظهر. يندفع واقفاً، ويختطف ملاءته. تلك العواصف قد تأتى بسرعة هائلة، وإطار سرير معدنى فى عاصفة رعدية ليس مكاناً آمناً . لقد بنى لنفسه جزيرة من إطارات السيارات هناك فى الغابة، والمسألة مجرد أن يجثم عليها، محتفظاً بها كمادة عازلة بينها وبين الأرض حتى تمر العاصفة. أحياناً تحمل العاصفة حجارة كبيرة قد تصل إلى حجم كرة الجولف، ولكن النباتات المتقاربة وقمم الأشجار فى الغابة يجعل وقوعها أبطأ وأقل خطراً .

يسرع إلى كومة الإطارات بمجرد اندلاع العاصفة. اليوم ليس سوى المطر، الطوفان المعتاد، شديد الكثافة حتى يتحول الهواء إلى ضباب. ينهمر المطر عليه بينما يئز البرق أزيزًا. تتكسر الأفرع وتتساقط حوله من أعلى، تتكون جداول صغيرة من المياه تتحرك ببطء على الأرض. والجو يبرد، ويمتلئ الهواء بروائح الأوراق المغسولة والأرض المبللة.

وما أن يبطئ المطر تساقطه ويصبح رذاذًا، ويتوقف هزيم الرعد، يعود ليخوض طريقه إلى مخبئه المصنوع من القوالب الأسمنتية ليأخذ زجاجات البيرة الفارغة. ثم يشق طريقه إلى قطعة أسمنتية معلقة كانت يومًا جزءًا من جسر. تحتها توجد يافطة برتقالية مثلثة عليها رسم ظلِّي لرجل يجرف. كان المقصود بهذه اللافتة إعلان أن العمل جارٍ. غريب التفكير فى العمالة التى لا نهاية لها، الحفر، الدق، النقش، الرفع، الثقب، يومًا بعد يوم، وعامًا بعد عام، وقرنًا بعد قرن؛ والآن ذلك الانهيار اللانهائى الذى لابد أن يحدث فى كل مكان. قلاع من الرمال فى مهب الريح.

مياه المطر تتدفق من خلال فتحة فى جانب الأسمنت. يقف تحتها بفمه المفتوح، يبتلع المياه المليئة بحبيبات الرمل والأغصان المكسرة وأشياء أخرى لا يريد أن يفكر فيها - لابد أن المياه وجدت طريقًا ما خلال البيوت المهجورة والأقبية الموجعة، ومصارف المياه المسدودة، وأشياء أخرى يمكن التكهن بها. ثم يحاول تجفيف نفسه، ويعصر

ملاعته. ولا يصبح نظيفًا جداً بهذه الطريقة، ولكن على الأقل يمكن أن يتخلص من الطبقة السطحية من الوسخ والدهون. ربما يكون من المفيد أن يحصل على صابونة؛ إنه ينسى أخذ واحدة أثناء جولاته لاختلاس بعض الأشياء الصغيرة.

أخيراً، يملأ زجاجات البيرة. لابد أن يحصل على وعاء أفضل، ترموس أو دلو – شيء يمكن أن يحفظ كمية أكبر. كما أن الزجاجات تنزلق، ومن الصعب ضبط وضعها. يظل يتخيل أنه لا يزال يشم رائحة البيرة داخلها، رغم أنها مجرد أمنيات. هيا نتظاهر بأن هذه بيرة.

كان يجب ألا يفكر فى هذا. يجب ألا يعذب نفسه. يجب ألا يتابع وضع المستحيلات أمام نفسه، كما لو كان حيوانًا معمليًّا موضوعًا فى قفص، واقعًا فى فخ إنجاز تجارب مضللة ولا جدوى منها على عقله نفسه.

أخرجونى من هنا! يسمع نفسه يفكر. لكنه ليس محبوساً، إنه ليس فى سجن. أى "خروج" يمكن أن يكون أكثر مما هو فيه؟

"لم أفعل هذا عن عمد"، يقول فى صوت الطفل المرتعش الذى يرتد إليه فى هذه الحالة. "الأحداث سارت بهذه الطريقة، لم يكن لدى فكرة، كان الأمر خارجاً عن إرادتى! ماذا كنت أستطيع أن أفعل؟ أى شخص، أى أحد، استمع لى أرجوك!"

يا له من أداء سيئ، حتى هو غير مقتنع به. ولكنه الآن يبكى مرة أخرى.

يقول الكتاب الموجود داخل رأسه: من المهم تجاهل الموترات الصغرى، تجنب شكوى لا جدوى منها، وتحويل طاقات المرء العقلية إلى الحقائق الحالية الملموسة والمهام التى بين يديك. لابد أنه قرأ هذا فى مكان ما . من المؤكد أن عقله لن يبتدع "شكوى لا جدوى منها"، لن يفعل هذا وحده.

يمسح وجهه فى ركن الملاءة. يهتف بصوت مرتفع "شكوى لا جدوى منها". وكما يحدث غالباً، يشعر أن هناك من يسمعه، شخص غير مرئى، يختفى خلف ستار من أوراق الأشجار، يراقبه بخبث.

(٤)

راكوبان

وهناك من يسمعه بالفعل: إنه راكوبان صغير. يمكنه أن يراه الآن، عيناه البراقتان تحدقان فيه من تحت شجيرة.

يقول له ملاطفًا: "تعالى يا صغيرتى، تعالى يا صغيرتى". يتراجع الحيوان تحت الأغصان. إذا حاول ملاطفته، إذا حاول بجدية، ربما يمكنه ترويض أحد هذه الحيوانات، وحينئذ يكون لديه من يتحدث إليه. كانت أوريكس تقول إنه من الطيب أن تجد من تتحدث إليه. "يجب أن تحاول فعل ذلك يا جيمى"، تقول ذلك وهى تقبله فى أذنه.

يقول معترضاً: "ولكنى أتحدث إليك".

قبلة أخرى. "هل تفعل؟"

عندما كان جيمى فى العاشرة من عمره أهداه والده راكوبان ليربيه.

ماذا كان شكل أبيه؟ لا يستطيع سنومان أن يركز فى ذلك. أما والدة جيمى فتظل صورة واضحة، بكامل ألوانها، مع إطار ورقى لامع

حولها كصورة كاميرا بولارويد، لكنه يمكن أن يتذكر والده في بعض التفصيلات: تفاحة آدم تتحرك صعوداً ونزولاً وهو يبلع، أذنان يسقط عليهما ضوء خلفي قادم من نافذة المطبخ، اليد اليسرى موضوعة على المائدة، يقطعها كم القميص. والده نوع من المختارات المتناثرة. ربما لم يستطع جيمي أبداً أن يبتعد عنه بما يكفي لرؤية كل الأجزاء معًا.

لابد أن مناسبة إهدائه الراكويان كانت عيد ميلاده. كانت أعياد ميلاده خامدة، لم تكن أبداً موضع احتفال عام، خاصة بعد رحيل دولوريس الفلبينية المقيمة. عندما كانت موجودة، كانت دائمًا تتذكر عيد ميلاده؛ كانت تصنع كعكة، أو ربما تشترى واحدة، لكن على أى حال كانت الكعكة موجودة، كعكة رائعة، مع المثلجات والشموع – أليس هذا صحيحًا؟ يتمسك بأن هذه الكعكات كانت موجودة في الواقع يغلق عينيه، يستحضر صورها، تصطف متأرجحة، شموعها موقدة، تنبعث منها رائحة الفانيليا حلوة مريحة، مثل دولوريس نفسها.

أما والدته فكان يبدو أنها لا تستطيع أبداً أن تتذكر كم عمر جيمي أو أى يوم ولد فيه. كان عليه أن يذكِّرها عند الإفطار، ثم تفيق من غشيتها وتشترى له هدية تغيظه – بيجاما للأطفال الصغار عليها صور حيوانات الكانجارو أو الدببة، أو ديسك لا يمكن أن يستمع إليه شخص أقل من أربعين عاماً، أو ملابس داخلية مزينة بصور الحيتان – وتربطها بورق وتلقيها عليه على مائدة الغذاء، وهي تبتسم تلك الابتسامة

المتزايدة الغرابة، كما لو أن شخصًا صرخ فيها: ايتسمى! وضايقها بشوكة الطعام.

ثم يقوم والده بوضع كل شىء داخل اعتذار أخرق، كيف أن هذا التاريخ المهم والخاص جداً جداً قد انزلق بشكل ما من رأسه، ويسأل جيمى إن كان كل شىء تمامًا، ويرسل له بطاقة تهنئة إلكترونية – التصميم النموذجى لمزرعة الأعضاء، خمسة بيجونات مجنحة ترقص رقصة الكونجا، وعليها عيد ميلاد سعيد يا جيمى، أتمنى أن تتحقق كل أحلامك – ثم يظهر بهدية فجأة فى اليوم التالى، هدية ليست هدية ولكن أداة ما، أو لعبة لتقوية الذكاء، أو أى طلب خفى قد يقدره. ولكن على أى أساس هذا التقدير؟ لم يكن هناك أى معيار، أو ربما كان هناك واحداً، ولكنه غائم وهائل لدرجة أن لا أحد يستطيع إدراكه، خاصة جيمى. لم يكن ما يحرزه يمكن أن يكون هو الفكرة الصحيحة، ولا أن يكون كافياً. لابد أنه بدا عادياً بشكل مثير للكآبة حسب المقياس المعيارى المعتمد للرياضيات والكيمياء والأحياء التطبيقية فى مزرعة أورجان، ربما كان هذا هو السبب فى أن والده لم يعد يقول له إنه يمكن أن ينجز أفضل كثيراً بمجرد المحاولة، وانتقل إلى التصدق عليه سراً ببعض الثناء الدال على خيبة الأمل، كما لو كان جيمى مصاباً فى مخه.

وهكذا، نسى سنومان كل شىء آخر فيما يخص مناسبة عيد ميلاد جيمى العاشر، فيما عدا الراكوبان، والذى أحضره والده إلى البيت فى قفص. كان صغيراً، أصغر من الركام الذى يولد من الجيل الثانى من

حيوانات الراكويان، نسل أول زوج تم تهجينه جينيًا. وكانت بقية الركام قد انتزعت فوراً. قال والد جيمى إنه اضطر أن ينفق الكثير من وقته ويقوم بمجهودات كبيرة ويجذب حبالاً كثيرة ليمسك بهذا الراكويان، لكن الأمر يستحق كل هذا المجهود ؛ لأنه من أجل هذا اليوم المهم جداً جداً، والذى صادف كالعادة أن يكون هو اليوم السابق.

بدأ إنتاج حيوانات الراكويان كهواية فى المعمل البيولوجى لزراعة الأعضاء فى ساعات فراغ العاملين. وكان هناك الكثير من العبث فى تلك الأيام: كان الذين يقومون به يقولون إن خلق حيوان لعبة لطيفة جداً، إنها تجعلك تشعر وكأنك إله. وتم تدمير عدد من التجارب لأنها كانت شديدة الخطورة ولا يمكن تركها لتعيش - فمن يحتاج ضفدع القصب، بذيل يلتف حول الأشياء مثل ذيل الحرباء، والذى يمكن أن يتسلق المنازل ويدخل من نافذة الحمام ويعميك بينما تقوم بغسل أسنانك؟ ثم صنعوا حيوان "السنات"، وهو مزيج سيء الحظ من الثعبان والجرذ: كل هذه الأنواع اضطروا للتخلص منها. لكن حيوانات الراكويان تمسكوا بها كحيوانات تصلح للتربية فى المنزل، داخل مستوطنة مؤسسة أورجان. فهذه الحيوانات ليست من العالم الخارجى - العالم خارج المستوطنة - ومن ثم فإنها لا تحمل ميكروبات غريبة وتصبح آمنة للبيجونات. بالإضافة إلى أنها لطيفة جداً.

سمح الراكويان الصغير لجيمى بأن يحمله. كان يجمع بين اللونين الأسود والأبيض - قناع أسود، خط أبيض على ظهره، وحلقات بيضاء

وسـوداء حـول ذيله المنفـوش. أخـذ يلعـق أصـابع جـيـمى، فـوقـع فى حبه فوراً.

قال والده: "ليست له رائحة، ليس مثل الظربان" (الحيوان الذى تم تعشيقه مع الراكون لإنتاج الراكوبان). "إنه حيوان نظيف، وله مزاج طيب. هادئ. الراكون لا يمكن أن يصلح للتربية فى المنزل، فبمجرد أن يكبر يصبح نكد المزاج وسيئ الطبع، ويمكن أن يمزق البيت كله. أما هذا الشىء فهو أكثر هدوءاً. سنرى ما سيفعله الفتى الصغير. أليس كذلك يا جيمى؟"

فى الفترة الأخيرة كان والد جيمى يعامله بلطف زائد وكأن لديه شعوراً بالذنب تجاهه، وكأنه عاقب جيمى خطأ على شىء لم يرتكبه. كان يقول أليس كذلك يا جيمى؟ أكثر من اللازم. لم يكن جيمى يحب ذلك – لم يكن يحب أن يكون هو الشخص الذى يمنح درجات حسن السير والسلوك. كما كان هناك بضع حركات لوالده يمكن الاستغناء عنها أيضًا – النغز بالماصة، ونكش الشعر، وطريقة نطقه لكلمة يا بنى، بصوت أعمق قليلاً. هذه الطريقة الودودة فى الكلام كانت تسير من سئ إلى أسوأ، وكأنما كان والده يتلو ما حفظه عن ظهر قلب عن دور الأب، ولكن دون أمل كبير. قام جيمى بالكثير من التقليد والمحاكاة حتى أصبح يستطيع أن يكشف ذلك فى الآخرين، فى أغلب الأحيان. ربت على الراكوبان الصغير ولم يُجِبْ.

قالت والدته: "من سيطعمه ويخلى صندوق الفضلات؟.. أنا لن أفعل هذا". لم تقل هذا بغضب، ولكن فى صوت حيادى واقعى، وكأنها مجرد متفرج، شخص على الخط الجانبى؛ وكأنما جيمى ومهمة العناية به، ووالده الذى يصعب إرضاءه، والشجار من حين لآخر بينها وبينه، وأشياء حياتهم التى يتزايد ثقلها - كأن كل ذلك لا يعنيها. لم تعد تغضب كما فى السابق، ولم تعد تخرج مندفعة من البيت فى خفها المنزلى. أصبحت أكثر تأنيًا واحتراسًا.

قال والده: "جيمى لم يطلب منك ذلك. سوف يفعل ذلك بنفسه، أليس كذلك يا جيمى؟"

قالت والدته: "ماذا ستسميه؟" لم تكن تريد أن تعرف فى الواقع، وإنما كانت تريد التقرب إلى جيمى بطريقة ما. لم تكن تشعر بارتياح عندما تراه متحمسًا لشىء أعطاه له والده. "أظنك ستسميه بانديت".

كان هذا هو الاسم الذى يفكر فيه جيمى بالضبط، بسبب القناع الأسود. لكنه قال: "لا، هذا اسم ممل. سأدعوه كيلر".

قال والده: "اختيار طيب يا بنى".

قالت والدته: "إذا بلل كيلر الأرض، عليك القيام بتنظيفها".

أخذ جيمى كيلر إلى غرفته بالطابق الأعلى، واتخذ الحيوان لنفسه مكانًا على وسادته. كانت له رائحة خفيفة، غريبة ولكن ليست منفرة،

رائحة كرائحة الجلد، مثل رائحة صابون خاص بالرجال. نام جيمى وذراعه ملتف حوله، وأنفه قريب من أنف الحيوان الصغير.

بعد أن تلقى هدية الراكوبان بشهر أو اثنين تقريبًا تغيرت وظيفة والد جيمى. لقد قامت شركة نوسكينز بعملية لصيد الرءوس عليه وعينته فى وظيفة نائب المدير – الوظيفة الشريرة، كما كانت تسميها والدة جيمى. وانتقلت معه رومانا، تكنولوجية المعمل فى مؤسسة أورجان، كانت جزءًا من الصفقة ؛ لأنها ثمينة وعالية القيمة، قال ذلك والد جيمى. كانت "الساعد الأيمن له" (يقول لجيمى "ساعدة – هذه نكتة"، ليريه أنه يعرف أن رومانا امرأة. لكن جيمى كان يعرف ذلك على أى حال). كان جيمى مسرورًا تقريبًا لأنه لا يزال بإمكانه رؤية رومانا أثناء وجبة الظهيرة الخفيفة – فعلى الأقل هى شخص مألوف لديه – رغم أن تناوله لهذه الوجبة مع والده أصبح أقل عددًا وأبعد مسافة بين كل مرة وأخرى.

كانت نوسكينز أحد فروع مؤسسة هيلثوايزر، ومن ثم فقد انتقلوا للمعيشة فى مستوطنة هيلثوايزر. كان المنزل هذه المرة على طراز النهضة الإيطالية، برواق مقنطر، وكثير من البلاطات السيراميك بلون الأرض، وكان حمام السباحة الداخلى أكبر. قالت أم جيمى إنه "حظيرة". كانت تشكو من إجراءات الأمن الصارمة عند بوابات هيلثوايزر – الحراس أكثر فظاظة، يرتابون فى كل شخص، يحبون تعرية الناس لتفتيشهم، خصوصًا النساء. قالت إنهم أخذوا ركلة بسبب ذلك.

قال والد جيمى إنها تبالغ كثيراً والأمر تافه. وقال على أية حال لقد كان ثمة حادثة منذ بضعة أسابيع قبل أن ينتقلوا للمعيشة هنا – امرأة مجنونة، كانت تمسك نمطًا حيوياً معادياً محبوسًا فى عبوة سبراى للشعر، نوعًا شريراً تم تهجين جيناته من الإيبولا أو الماربيرج، أحد مسببات النزيف المحصنة. وقد أصابت حارسًا كان بغبائه لا يرتدى قناع وجهه، وهو أمر مخالف للتعليمات لكنه كان بسبب شعوره بالحر الشديد. وقد أطلقت بنادق الرش على المرأة فى الحال وتم تحييدها فى وعاء ضخم من سائل التبييض، أما الحارس المسكين فقد تم تحويله إلى طوارئ الأنماط البيولوجية، ووضع فى غرفة عزل، حيث تحلل إلى بركة من مادة لزجة. لم يحدث ضرر كبير، لكن طبيعى أن الحراس فى حالة اهتياج.

قالت والدة جيمى إن هذا لا يغير حقيقة شعورها بأنها سجينة. قال والده إنها لا تفهم حقيقة الوضع. ألم تكن تريد أن تشعر بالأمان، ألم تكن تريد الأمان لابنها؟

قالت: "إذن فهذا لمصلحتى؟" كانت تقطع رغيفًا من الخبز الفرنسى إلى مكعبات متساوية الأبعاد، بهدوء وبطء.

"من أجل مصلحتنا. من أجلنا".

"حسنًا، يبدو أننى أختلف معك".

قال والد جيمى: "لا جديد هناك".

وفقًا لما قالته أم جيمى، فإن تليفوناتهم وبريدهم الإلكترونى موضوعة تحت المراقبة، وأولئك الأشخاص الأقوياء قليلو الكلام الذين يأتون لتنظيف البيت من هيلثوايزر مرتين أسبوعيًّا، دائمًا كل اثنين معًا - هم جواسيس. قال والد جيمى إنها بدأت تصاب بالبارانويا، وعلى أية حال ليس لديهم ما يخفونه، فلماذا القلق؟

لم تكن مستوطنة هيلثوايزر فقط أحدث من مستوطنة أورجان، ولكنها كانت أكبر أيضًا. كان بها مبنيان للتسوق بدلاً من واحد، ومستشفى أفضل، وثلاثة نوادٍ للرقص، وحتى ملعب جولف خاص. والتحق جيمى بمدرسة هيلثوايزر العامة، ولم يكن يعرف أحدًا فيها فى البداية. ورغم أنه شعر بالوحدة فى البداية، فلم يكن هذا سيئًا جدًّا. والواقع أن هذا كان أفضل؛ لأنه يمكنه من إعادة تدوير حركاته ونكاته القديمة التى كان الأطفال فى أورجان قد اعتادوها. وقد انتقل من تقليد الشمبانزى إلى ادعاء الغثيان والاختناق حتى الموت - وكلاهما منتشر - وحركة كان يجذب فيها فتاة شبه عارية على بطنه ويجعلها تلتف بساقيها حوله، وتهتز.

ولم يعد يرجع إلى البيت لتناول وجبة وسط اليوم الخفيفة. كانت سيارة المدرسة الكبيرة التى تعمل بالإيثانول والطاقة الشمسية تأخذه فى الصباح، وتعيده فى المساء. وكان بالمدرسة كافيتريا رائعة ومبهجة وبها وجبات متوازنة، واختيارات من وجبات شعوب مختلفة - بروجى، وفلافل، وكشرى، ومنتجات الصويا للنباتيين. بلغ سرور جيمى بتناول

الوجبة دون وجود أحد والديه حتى أنه أحس برأسه يدور. ولدرجة أن وزنه زاد بعض الشيء، ولم يعد أشد الفتيان نحافة فى الفصل. وإذا تبقى لديه بعض الوقت بعد تناول الغذاء كان يذهب إلى المكتبة ويشاهد بعض أسطوانات السى دى CD التعليمية القديمة. ومن هذه الدروس كان يفضل الببغاء ألِكس، وهى برامج موجودة فى أسطوانات تحت عنوان دراسات فى سلوك الحيوانات. كان يحب الجزء الذى يخترع فيه ألكس كلمة جديدة - جوزة الفلين، بمعنى اللوز - وأفضل شىء هو الجزء الذى شعر فيه ألكس بالسأم من تدريبات المثلث الأزرق والمربع الأصفر وقال: سأنصرف الآن. لا ألِكْس، ارجع هنا قلت لك! أيهما هو المثلث الأزرق - لا، المثلث، الأزرق؟ لكن ألِكْس كان قد خرج من الباب. خمس نجمات لألِكس.

فى أحد الأيام سُمح لجيمى بأن يحضر كيلر إلى المدرسة، حيث كانت - إنها الآن أنثى رسميًا - نجاحًا هائلاً. "أوه يا جيمى، إنك محظوظ للغاية"، قالت ذلك واكولا برايس، أول فتاة شعر نحوها بالإعجاب. مسحت بيدها على شعر كيلر، يد بنية، وأظافر وردية، وشعر جيمى بقشعريرة، كما لو كانت أصابعها تجرى على جسده هو.

أصبح والد جيمى يقضى وقتًا أطول فى عمله، لكن كلامه عن العمل أصبح أقل. كانت هناك بيجونات فى نوسكينز، كما فى مزارع مؤسسة أورجان، لكن هذه كانت أصغر وتستخدم لتطوير تكنولوجيات حيوية

تتعلق بالبشرة. كانت الفكرة الأساسية هى إيجاد طريقة لاستبدال البشرة القديمة التى تنتشر فيها التجاعيد ببشرة جديدة، ليست معالجة بالليزر، ولا هى نوع من الغطاء الجلدى قصير العمر، وإنما إعادة بداية أصيلة لجلد جديد يخلو من التجاعيد ولا تشوبه شائبة. ولهذا قد يكون من المفيد تربية خلية جلدية فتية ريانة يمكن أن تأكل الخلايا القديمة فى بشرة من تزرع لديهم، وتستبدلها بنسخ أصيلة من نفسها، مثل الطحالب التى تنمو فى بركة ماء.

وفى حالة النجاح ستكون المزايا هائلة، شرح والد جيمى وهو يتّبع طريقته الجديدة فى الفترة الأخيرة من الحديث المباشر، رجل لرجل، مع جيمى. ماذا يفعل رجل أو امرأة من الأثرياء، كان يومًا يتمتع بجمال وشباب، مهووس بالحصول على جرعة مكملة من الهرمون أو حقنة من الفيتامينات ولكن تعوقه مرآة غير متسامحة، ألا يبيع بيته، والفيلا المسيجة التى تقاعد فيها، وأولاده، وروحه ليحصل على لحظة جنس ثانية؟ الشعار الأنيق للشركة هو "نوسكينز لكبار السن". والحق أنه لم يتم العثور على وسيلة ناجعة تمامًا حتى الآن: فدستة أو ما يقارب ذلك من الأشخاص الذين كانوا يأملون وتبرعوا بأنفسهم لإجراء التجارب، والتى لن يدفعوا مقابلها شيئًا ولكن يوقعون على التخلى عن حقوقهم فى المقاضاة، خرجوا أشبه بمخلوق متعفن قادم من الفضاء الخارجى – لون الجلد غير متناسق، بنى مخضر، ويتقشر عن أجسادهم على شكل أشرطة مهترئة.

لكن نوسكينز كان لديها مشروعات أخرى أيضًا. فى إحدى الأمسيات جاء والد جيمى إلى البيت متأخرًا، وثملاً إلى حد ما، ومعه زجاجة من الشمبانيا. ألقى جيمى نظرة واحدة إلى ذلك، وتنحى عن الطريق. كان قد خبأ ميكروفونًا صغيرًا خلف صورة شاطئ البحر فى غرفة المعيشة، وآخر خلف ساعة المطبخ الجدارية – تلك التى ينبعث منها صوت طائر مختلف لكل ساعة – لكى يستطيع أن يستمع إلى الأشياء التى لا دخل له بها. كان قد وصل الميكروفونين ببعضهما فى غرفة التكنولوجيا الجديدة فى المدرسة، واستخدم مكونات نموذجية من الميكروفونات الصغيرة التى تستخدم فى الاتصال اللاسلكى بالكمبيوتر، والتى تكون، مع بعض التعديلات، مفيدة لاختلاس السمع.

جاء صوت أم جيمى: "لماذا هذا؟". كانت تعنى الشمبانيا.

قال صوت والد جيمى: "لقد نجحنا. وأظن أن احتفالاً صغيرًا يليق بالمناسبة". صوت تدافع، ربما حاول تقبيلها.

"نجحتم فى أى شىء؟"

صوت سدادة الشمبانيا. "هيا، تعالى، إنها لن تعضك". سكتة، لابد أنه يصب الشمبانيا. نعم، وصوت كأسين يلتقيان. "فى صحتنا".

"نجحتم فى أى شىء؟ أريد أن أعرف لأى شىء أشرب".

سكتة أخرى. تخيل جيمى والده يبتلع الشمبانيا، تفاحة آدم تتحرك طلوعًا ونزولاً مع البلع. "إنه مشروع تجديد الأعصاب. إننا الآن لدينا نسيج عصبى بشرى أصيل ينمو داخل أحد حيوانات البيجون. أخيراً بعد كل تلك التجارب عديمة الجدوى! تخيلى الاحتمالات، لضحايا السكتة، و....."

قالت والدة جيمى: "هذا ما كان ينقصنا، مزيد من الناس بأمخاخ خنازير. أليس لدينا ما يكفى بالفعل؟"

"ألا يمكن أن تكونى إيجابية، مرة واحدة فقط؟ كل ردود الأفعال السلبية هذه، هذا غير جيد، ذلك غير جيد، لا شىء يرضيك أبداً!".

قالت والدة جيمى بذلك الصوت الجديد البطىء الخالى من الغضب: "إيجابية فى أى شىء؟ فى أنك فكرت فى طريقة أخرى لاغتصاب مجموعة من الأشخاص اليائسين؟"

"يا إلهى، أنت عبثية!".

"لا، أنت الذى لا تهتم لشىء. أنت وشركاؤك الأذكياء. وزملاؤك. هذا خطأ، كل هذا النظام خطأ، إنها مباءة أخلاقية، وأنت تعرف هذا".

"إننا نمنح الناس الأمل. الأمل ليس اغتصاباً للآخرين!"

"بأسعار نوسكينز.. هو كذلك. إنك تغالى فى الإعلان عن منتجات ليس لها تلك القيمة المعلن عنها، وتأخذ كل نقودهم، ثم يصبحون بغير

نقود، وهكذا لن يحصلوا على علاج بعد ذلك. وليذهبوا إلى الجحيم، فأنت وأصدقاؤك لا تبالون بهم. ألا تذكر الطريقة التى كنا نتحدث بها؟ كل ما كنا نريد أن نفعله؟ جعل الحياة أفضل للناس – ليس فقط لمن لديهم نقود. كنت ... كانت لديك أخلاق ومثاليات فى ذلك الوقت".

يقول والد جيمى بصوت متعب: "مؤكد، وما زالت لدى. لكنى لا أستطيع أن أدفع ثمنها".

سكتة. لابد أن أم جيمى كانت تدير ذلك فى عقلها. قالت: "فليكن ما يكون" – دلالة على أنها لم تكن عازمة على التسليم. "فليكن ما يكون، هناك بحث وهناك بحث. ما تفعله – هذا الأمر الخاص بمخ الخنزير. أنت تتدخل فى الأساسيات التى تنبنى عليها الحياة. هذا غير أخلاقى. إنه ... تدنيس للمقدسات".

بانج! على المنضدة. ليست يده. الزجاجة؟ "لا أصدق أننى أسمع هذا! إلى من كنت تستمعين؟ إنك متعلمة، أنت فعلت بنفسك مثل هذه المنتجات! إنها مجرد بروتينات، أنت تعلمين هذا! ليس ثمة ما هو مقدس بالنسبة للخلايا والأنسجة، إنه مجرد...."

"أنا أعرف النظرية."

"على أى حال هذه النظرية تدفع تكاليف إقامتك ومعيشتك، وتضع الطعام على مائدتك. أنت لست فى موقف يجعلك تتكلمين على أساس متين".

يقول صوت أم جيمى: "أعرف، صدقنى، هذا أمر أعرفه جيداً. لماذا لا يمكنك أن تحصل على عمل أكثر أمانة؟ عمل أساسى."

"ما هو وأين هو؟ أتريدين منى أن أحفر المصارف؟"

"على الأقل سيكون ضميرك مرتاحاً".

لا، ضميرك أنت. أنت التى تشعرين بالذنب. لماذا لا تذهبين لحفر بعض المصارف بنفسك، على الأقل سوف تنزلين من عليائك. وربما تقلعين عن التدخين - إنك وحدك مصنع لانتفاخ الرئة، بالإضافة إلى أنك بيد واحدة تدعمين شركات الدخان. فكرى فى ذلك إن كنت تهتمين بالأخلاق إلى هذه الدرجة. إنهم الأشخاص الذين يتسببون فى تعلق أطفال فى سن السادسة بالتدخين طوال حياتهم بتمرير عينات مجانية إليهم".

"أعرف كل هذا". سكتة. "أنا أدخن لأننى أعانى من الاكتئاب. شركات الدخان تسبب لى الاكتئاب، أنت تسبب لى الاكتئاب، جيمى يسبب لى الاكتئاب، إنه يتحول إلى ...".

"خذى بعض الأقراص إذا كنت مكتئبة إلى هذه الدرجة الملعونة!"

"لا داعى للسباب".

أظن أن هناك داعٍ!" لم يكن صياح والد جيمى جديداً تماماً، لكن اقترانه بالسباب جذب انتباه جيمى. ربما سيحدث فعل ما، زجاج

يتكسر. شعر بالخوف – ذلك الشعور بأن ثمة كتلة باردة فى بطنه عاد مرة أخرى – لكنه شعر أيضًا أنه لابد أن يسمع. إذا كان ثمة كارثة على وشك الوقوع، ثمة كارثة نهائية، فلابد أن يشهدها. مع ذلك، لم يحدث شيء، لم يكن هناك إلا صوت خطوات تخرج من الغرفة. تُرى أيهما خرج؟

أيًا كان، فسوف تأتى الخطوات إلى الطابق العلوى، وتدخل حجرته للتأكد من أنه نائم ولم يسمع شيئًا. ثم يمكنهما أن يشطبا هذا الأمر من على قائمة "الوالدية الممتازة"، والتى يحتفظان كلاهما بها داخل رأسيهما. لم يكن هذا المشهد الردىء هو ما جعل جيمى يشعر بالغضب، وإنما كان الأمر الحميد. الأمر الذى يفترض أنه حميد، أو حميد بالنسبة له. الأمر الذى يطيب لهما أن يهنئا أنفسهما بشأنه؛ أنهما لا يعلمان شيئًا عنه، ماذا يحب، ماذا يكره، ماذا يتمنى. كانا يعتقدان أنه ليس إلا ما يريانه عليه. ولد لطيف ولكنه أحمق إلى حد ما، محب للتباهى إلى حد ما. ليس النجم اللامع فى الكون، ليس من أهل الأرقام، لكنك لا تستطيع أن تحصل على كل ما تريد، وعلى الأقل هو ليس فشلاً ذريعًا. على الأقل لم يكن سكيرًا أو مدمنًا مثل كثير من الأطفال فى عمره، فإذن امسك الخشب. لقد سمع والده يقول ذلك حقًا، هذا التعبير امسك الخشب، كما لو كان جيمى معرضًا للضياع، والخروج على المسار، ولكنه لم يكن قد وصل إلى ذلك بعد. أما الشخص المختلف، السرى، الذى يعيش داخله، فهما لا يعرفان عنه شيئًا على الإطلاق.

أقفل الكمبيوتر، وفصل الميكروفونين، وأطفأ الإضاءة، ودخل إلى الفراش، بهدوء، وبحرص أيضًا؛ لأن كيلر كانت فى الفراش بالفعل. كانت نائمة فى الجهة السفلى، فهى تفضل هذا المكان؛ وقد بدأت تعتاد لعق قدمه للطعم المالح. وهذا كان يدغدغه؛ وضع رأسه تحت الغطاء، وانفجر فى ضحك صامت.

مطرقة

مرت سنوات عديدة. لابد أنها مرت، يفكر سنومان، إنه لا يستطيع أن يتذكر فى الواقع الكثير عن هذه السنوات إلا أن صوته اخشوشن، وبدأ الشعر ينمو فى بعض مناطق من جسده. لم يكن أمرًا مثيرًا جدًّا وقتها، إلا أنه لو لم يحدث لكان الأمر أسوأ. ونمت بعض عضلاته أيضًا. وبدأت تنتابه بعض الأحلام الجنسية ويعانى من فتور الهمة. وكان يفكر فى البنات كثيرًا بشكل مجرد، إذا جاز التعبير - فتيات بدون رءوس - ويفكر فى واكولا بريس ورأسها موجود، رغم أنها لم تكن تلازمه. هل ظهرت على وجهه بثور؟ لا يذكر أنه عانى من البثور، رغم أن وجوه منافسيه، على ما يذكر، كانت مغطاة بالبثور.

جوزة الفلين، كان يقول ذلك لأى شخص يعرفه. أى شخص ليس فتاة. لم يكن أحد إلا هو وألِكس الببغاء يعرف معنى جوزة الفلين بالضبط، ومن ثم كانت تضع حدًّا رائعًا للأمر. وأصبحت موضة بين

الأولاد فى مستوطنة هيلثوايزر، وعُدَّ جيمى شخصًا قادرًا على كبح انفعالاته إلى حد ما. هاى، يا جوزة الفلين!

لم تكن له صداقة سرية حميمة إلا مع كيلر. من المؤسف أن الشخصية الوحيدة التى يستطيع أن يتحدث معها كانت حيوان راكوبان. كان يتجنب والديه قدر الإمكان. كان والده جوزة فلين، ووالدته كانت لحنًا رتيبًا. لم يعد يخشى المجال الكهربائى السلبى لكليهما، كان يرى أنهما مثيران للضجر، أو هكذا حدث نفسه.

فى المدرسة، قام بخيانة عظمى تجاههما. اجتذب الأعين إلى مفاصل سبابتيه ويدس إبهاميه داخل قبضتيه. ثم بتحريك الإبهامين أعلى وأسفل لإظهار الفمين يفتحان ويقفلان، وبهذه الطريقة كان يجعل هاتين الدميتين اليدويتين تتجادلان معًا. كانت اليد اليمنى هى "الأب الشرير"، واليد اليسرى هى "الأم الصالحة". الأب الشرير يتهدد ويضع النظريات ويدبر مقالب تافهة طنانة. والأم الصالحة تشكو وتكيل الاتهامات. ومعرفة العالم والحياة لدى الأم الصالحة تقول إن الأب الشرير هو المصدر الوحيد لأوجاع البواسير، وجنون السرقة، والصراع الكوكبى، ومشاكل التنفس، وما فى القشرة الأرضية من عيوب، وانسداد المجارى، وكذلك هو المسئول عن كل ما عانته فى حياتها من صداع نصفى أو آلام الطمث. وكان هذا العرض الذى يقدمه فى الكافيتريا يحظى بنجاح عظيم، يتجمع الأولاد، ويطالبون: جيمى، جيمى، العب الأب الشرير! وكان الأولاد الآخرون لديهم العديد من التنويعات

يقترحونها، مأخوذة من الحياة الخاصة لعائلاتهم. وحاول بعضهم رسم عينين على مفاصل أصابعهم، لكنهم لم يكونوا في مهارته في الحوار.

كان جيمي يشعر أحيانًا بالذنب – بعد ذلك – عندما يتمادى في الأمر. لم يكن ينبغي أن يجعل الأم الصالحة تبكي في المطبخ ؛ لأن مبايضها قد انفجرت، وما كان ينبغي أن يقوم بهذا المشهد الجنسي مع طبق السمك الخصوصي ليوم الاثنين، ٢٠٪ سمك حقيقي – حيث وقع الأب الشرير عليه ومزقه بسبب الشهوة ؛ لأن الأم الصالحة كانت في حالة امتعاض ولم تقبل. هذه الهزليات كانت مهينة، رغم أن ذلك السبب وحده لم يكن ليوقفه. كما أن هذه المواقف كانت قريبة من الحقيقة المزعجة التي لا يريد جيمي أن يتأكد منها. لكن الأولاد الآخرين كانوا يحثونه على المضي، ولم يكن يستطيع مقاومة التصفيق.

قد يسأل "أكان هذا خارجًا عن الحدود، يا كيلر؟"، "هل كان ذلك حقيرًا جدًا؟"، حقير، كلمة اكتشفها أخيرًا، كانت الأم الصالحة تستخدمها كثيرًا هذه الأيام.

تلعق كيلر أنفه. إنها تسامحه دائمًا.

ذات يوم عاد جيمي من المدرسة ووجد رسالة على مائدة المطبخ. كانت من أمه. وبمجرد أن رأى الكتابة على ظهرها – إلى جيمي، وتحتها خطين باللون الأسود – عرف ماهيتها.

كانت تقول عزيزى جيمى، هراء هراء هراء، عانيت من تعذيب الضمير بما يكفى، هراء هراء، لم أعد أشارك فى نمط حياة ليس فقط لا معنى له فى حد ذاته، ولكن أيضًا هراء هراء. كانت تعرف أنه عندما يكبر جيمى ويصبح قادراً لفهم معانى هراء هراء، فربما يوافقها ويفهم. سوف تحاول الاتصال به فيما بعد، إذا كان ذلك ممكنًا. هراء هراء سوف يستمر البحث حتمًا؛ ولهذا من الضرورى أن تظل مختبئة. إنه قرار لم يتخذ دون كثير من البحث الروحى والتفكير والعذاب، ولكن هراء. سوف تظل دائمًا تحبه جداً.

يفكر سنومان أنها ربما أحبت جيمى بالفعل، بطريقتها الخاصة. رغم أنه لم يكن يعتقد ذلك حينئذ. ربما، من ناحية أخرى، لم تكن تحبه. ومع ذلك فلابد أنها كانت تحمل له عاطفة إيجابية من نوع ما. أما كان من المفترض وجود رباط أمومى؟

وقالت فى النهاية، ملحوظة، أخذت كيلر معى لأحررها، فأنا أعرف أنها ستكون أكثر سعادة فى الحياة البرية، الحياة الحرة فى الغابة.

لم يكن جيمى يصدق هذا أيضًا. أغضبه هذا بشدة. كيف تجرؤ؟ كانت كيلر ملكه! وكانت كيلر حيوانًا أليفًا، ستحرم من الأمان وحدها، لن تعرف كيف تدافع عن نفسها، كل شىء جائع يمكن أن يمزقها ويحولها إلى قطع فرو بيضاء وسوداء. ويفكر سنومان، لكن لابد أن أم جيمى وكل من كانوا من نوعها على حق، وكيلر وغيرها من الراكونيانات

المحررة لابد أنها استطاعت أن تتأقلم جيداً، وإلا فمن أين جاء كل هذا العدد الكبير السمج منها، والذى يليت به هذه الناحية الآن؟

شعر جيمى بالأسى لأسابيع. بل لشهور. أيهما كان يحزن لفراقه أكثر؟ أمه؟ أم ذلك الظربان المعدل جينيًّا؟

تركت أمه رسالة أخرى. ليست رسالة بالضبط – رسالة غير كلامية. لقد حطمت كمبيوتر المنزل الخاص بوالد جيمى، ليس فقط محتوياته، بل نزلت عليه بمطرقة. الواقع أنها تقريبًا استخدمت كل أداة ممكنة فى صندوق "العدة المنزلية" الخاص بوالد جيمى والمرتب جيداً والذى نادراً ما استخدم، ولكن يبدو أن المطرقة كانت هى السلاح الرئيسى الذى استقر عليه اختيارها. وفعلت الشىء نفسه بجهاز الكمبيوتر الخاص بها أيضًا، بل إنها كانت أكثر دقة فى تحطيمه. وهكذا لم يستطع لا والده ولا سلاح الشركة الذين سرعان ما كانوا يجوبون المكان، لم يستطع أى منهم أن يصل إلى أية فكرة تخص أية رسائل شفرية ربما كانت ترسلها، أو نوع المعلومات التى قد تكون وقد لا تكون أنزلتها على الكمبيوتر وأخذتها معها.

أما كيف خرجت من نقاط التفتيش والبوابات، فقد قالت إنها ذاهبة إلى طبيب أسنان فى إحدى الوحدات لإجراء إصلاح فى قناة جذرية (لإحدى أسنانها). وكان معها الأوراق، وكل الإثباتات الضرورية، وكانت القصة حقيقية؛ فالمتخصص فى القنوات الجذرية فى عيادة أسنان

هيلثوايزر كان قد أصيب بنوبة قلبية ولم يصل بديل له بعد، ومن ثم كان السكان يتعاقدون لمثل هذه الإجراءات خارج المجموعة. بل إنها كانت قد حددت موعداً حقيقيًّا مع طبيب الوحدة، والذى راح يطالب والد جيمى بالدفع للوقت الذى ضيعه عندما لم تأت فى الموعد. (ورفض والد جيمى أن يدفع لأن الإخلال بالموعد لم يكن غلطته، ولم يكن يخصه، وقد تبادل هو وطبيب الأسنان مباراة فى الصياح حول ذلك فيما بعد، على التليفون.) لم تأخذ معها أية أمتعة، فهى أذكى من ذلك. وقد استأجرت أحد رجال سلاح الشركة كحماية فى طريقها بالتاكسى من محطة القطار المحكم السريع خلال مسافة قصيرة داخل "أرض السوقة" والتى كان يجب عبورها قبل الوصول إلى الجدار المحيط بالوحدة كلها، وكان ذلك أمراً معتاداً. لم يسألها أحد، كانت شخصية مألوفة ولديها الطلب الرسمى وجواز المرور وكل شىء. لا أحد عند بوابة المستوطنة نظر داخل فمها، رغم أنه لو فعل أحد ذلك لما استطاع أن يرى شيئًا: فألم العصب لا يظهر.

ولابد أن رجل سلاح الشركة كان متعاونًا معها، وإلا فإنه قضى عليه، على أى حال هو لم يرجع، ولم يتم العثور عليه أبداً. أو هكذا قيل. هذا الحدث حرك الأشياء بالفعل. كان معناه أن هناك آخرين متورطين. لكن أى آخرين، وما هى أهدافهم؟ كان جلاء هذه الأمور أمراً ملحًّا وعاجلاً، هكذا قال رجال السلاح الذين استجوبوا جيمى. سأله رجال السلاح: هل أم جيمى قالت له أى شىء فى أى وقت؟

قال جيمي: ماذا يعنون بـ أي شيء؟ كانت هناك المحادثات التي اختلس السمع إليها في ميكروفونيه الصغيرين، لكنه لا يريد أن يتحدث عن هذا. وكانت هناك الأشياء التي تفلت في حديثها أحياناً دون قصد، مثل كيف أن كل شيء قد خرُب، ولن يعود كما كان في الماضي أبداً، مثل البيت الشاطئي الذي كانت تملكه عائلتها عندما كانت صغيرة، البيت الذي جرفته المياه مع بقية الشواطئ وقليل من المدن الساحلية الشرقية عندما ارتفع مستوى سطح البحر بسرعة، ثم كانت تلك الموجة الهائلة القادمة من بركان جزر الكناري. (درسوا ذلك في المدرسة، في وحدة الجيولوجيا الاقتصادية. وجد جيمي صور المحاكاة على فيديو مثيرة للغاية). وكانت تتباكى على بستان الكرم الخاص بجدها والذي كان في فلوريدا، والذي جف وأصبح بستان زبيب عملاقاً عندما توقفت الأمطار عن المجيء، وفي العام نفسه تقلصت بحيرة أوكيتشوبي وتحولت إلى بركة طين كريهة الرائحة، وأخذت الأراضي الشاسعة المسماة إيفرجليدز، شبه الاستوائية المغمورة بالمياه والخضرة الدائمة، تشتعل فيها الحرائق ثلاثة أسابيع متواصلة.

ولكن كل الآباء والأمهات كانوا ينوحون على أشياء كهذه. هل تذكر متى كان يمكنك أن تقود سيارتك إلى أي مكان؟ هل تذكر عندما كان الجميع يعيشون في أرض السوقة؟ هل تذكر عندما كان يمكنك أن تطير إلى أي مكان في العالم دون خوف؟ هل تذكر سلاسل الهامبورجر، التي كانت دائماً من لحم بقر حقيقي، هل تذكر عربات بيع الهوت - دوج؟ هل

تذكر نيويورك قبل أن تصبح نيويورك الجديدة؟ هل تذكر عندما كان صوتك له أهميته فى الانتخابات؟ كان كل ذلك حديثا عاديا يجرى فى أوقات تناول وجبة الظهيرة. أوه، كان كل شىء رائعًا فى الماضى. ياهوو. الآن سوف أغلق على نفسى وحدى، لا جنس الليلة!

قال جيمى للرجل الذى استجوبه من سلاح الشركة إن والدته كانت مجرد أم. وكانت تفعل ما تفعله الأمهات، وكانت تدخن كثيراً.

"هل تنتمى إلى أى مؤسسة؟ هل جاء إلى البيت أى شخص غريب؟ هل كانت تتكلم كثيراً فى تليفونها المحمول؟"

وقال رجل الشركة الآخر: "أى شىء يمكنك أن تساعدنا به سوف نقدره يا بنى". وكانت تلك الكلمة يا بنى هى التى حسمت الأمر. قال جيمى إنه لا يعتقد ذلك.

تركت أم جيمى بعض الملابس الجديدة له، بمقاسات قالت إنه سرعان ما سيكبر وتصبح مناسبة له. كانت من النوع الذى يمتص العرق، مثل الملابس التى كانت تشتريها دائماً. كما أنها كانت صغيرة جداً. فوضعها جيمى فى أحد الأدراج.

انزعج والده بشدة، هذا واضح؛ أصيب بالذعر. لقد كسرت زوجته كل القواعد المرعية، لابد أنها كانت تعيش حياة أخرى وهو لا يدرى عنها شيئًا. وهذا الأمر له أثر سيئ للغاية على أى رجل. وقال إنه لم يكن يحتفظ بأية معلومات مهمة على كمبيوتر المنزل الذى حطمته، لكن

بالطبع يمكن أن يكون هذا مجرد قول، ولم يكن هناك وسيلة لإثبات العكس. ثم أخذ للاستجواب، فى مكان آخر، لفترة طويلة جداً. ربما كانوا يعذبونه – كما فى الأفلام القديمة أو على بعض المواقع السيئة للإنترنت – بأقطاب كهربائية وهراوات ومسامير ساخنة إلى درجة الاحمرار، كان جيمى قلقًا من هذا، وانتابته مشاعر سيئة. لماذا لم يرَ أن كل هذا على وشك الحدوث ولم يمنعه، بدلاً من أن يلعب لعبة الدمى المتكلمة الوضيعة؟

أثناء ابتعاد والده، بقيت معه فى المنزل امرأتان حديديتان من سلاح الشركة، للعناية بجيمى، أو هذا ما قيل له. واحدة مبتسمة، والأخرى ذات وجه جامد التعابير. كانتا تجريان الكثير من المكالمات التليفونية على تليفونيهما المحمولين الأثيريين؛ وفحصتا ألبومات الصور ودواليب أم جيمى، وحاولتا أن تجعلا جيمى يتكلم. إنها تبدو جميلة فعلاً. هل تظن أن لها عشيقًا؟ هل كانت تذهب إلى أرض السوقة كثيرًا؟ قال جيمى، وما الذى يجعلها تذهب هناك، وقالتا إن بعض الناس يحبون ذلك. سأل جيمى مرة أخرى لماذا؟ وصاحبة الوجه خالى التعابير قالت إن بعض الناس فاسدون، وضحكت ذات الوجه الباسم واحمر وجهها، وقالت يمكنك هناك أن تحصل على أشياء لا يمكن أن تحصل عليها هنا. أراد جيمى أن يسأل أى نوع من الأشياء؟ لكنه لم يفعل لأن الإجابة قد توقعه فى المزيد من الأسئلة، حول ماذا كانت أمه تحب أو ما الذى تريد

الحصول عليه. لقد ارتكب كل خياناته لها فى غرفة طعام مدرسة هيلثوايزر العليا، ولم يكن ينوى أن يرتكب المزيد.

صنعت المرأتان وجبة أومليت مريعة أشبه بالجلد فى محاولة لجعله يتخلى عن حذره بإطعامه. وبعد أن فشلت تلك الوجبة كانتا تقومان بتسخين طعام مجمد فى الميكروويف أو تطلبان بيتزا. إذن كانت والدتك تذهب إلى مكتب البريد كثيراً؟ هل كانت تذهب للرقص؟ لابد أنها كانت تفعل. كان جيمى يريد أن يوجه لهما لطمات عنيفة. لو كان بنتًا لأمكنه أن ينفجر باكيًا ويجعلهما يرثيان له، وبذلك يمكنه أن يسكتهما.

بعد أن عاد والد جيمى من حيث أخذوه، لجأ إلى الاستشارة النفسية. ويدا أنه بحاجة لذلك، كان وجهه أخضر، وعيناه حمراوان ومنتفختان. وذهب جيمى إلى الاستشارة أيضًا، لكنها كانت مجرد إضاعة للوقت.

لابد أنك تشعر بالتعاسة لأن أمك رحلت.

أيوه، صحيح.

لا ينبغى أن تلوم نفسك يا بنى. فليس رحيلها غلطتك.

ماذا تعنى؟

لا غبار عليك، يمكنك أن تعبر عن مشاعرك.

أية مشاعر تريدنى أن أعبر عنها؟

لا داعى لأن تكون عدوانيًّا يا جيمى، أنا أدرك ما تشعر به.

إذا كنت تعرف ما أشعر به بالفعل، فلماذا إذن تسألنى، وهكذا.

قال والد جيمى لجيمى إنهما هما الاثنان عليهما أن يشقا طريقهما بأفضل وسيلة ممكنة. وهكذا شقا طريقهما. وشقا، وشقا، كانا يسكبان لنفسيهما عصير البرتقال فى الصباح ويضعان الأطباق فى غسالة الأطباق متى يتذكران، وبعد بضعة أسابيع من شق الطريق، استعاد والد جيمى لونه الطبيعى وتخلص من اللون المخضر، وبدأ يلعب الجولف مرة أخرى.

عندما مضى أسوأ ما فى الأمر، كان يمكن أن تعرف أنه، تحت المظهر الخارجى، لم يكن يشعر بأنه فى حالة سيئة جدًّا. بدأ يترنم بصفير وهو يحلق ذقنه. وكان يحلق مرات أكثر. وبعد فترة مناسبة انتقلت رامونا لتعيش معهما. وأخذت الحياة شكلاً مختلفًا، شكلاً تتنابه نوبات جنس مقهقهة مزمجرة تجرى خلف الأبواب التى كانت مغلقة ولكنها لم تكن مانعة للصوت، بينما راح جيمى يرفع صوت الموسيقى عاليًا محاولاً ألا يسمع. كان يمكن أن يضع كاميرا دقيقة فى غرفتهما، ويلم بالمشهد بكامله، لكنه كره بشدة أن يفعل ذلك. والحقيقة أنه وجد الأمر محرجًا. وذات مرة كان ثمة حدث غير متوقع فى صالة الطابق الأعلى، والد جيمى يلتف بفوطة حمام، وأذناه ناتئتان من جانبى رأسه، خداه محمران بحيوية الصراع الشبقى الأخير، واحمر

جيمى خجلاً متظاهراً بأنه لا يلاحظ شيئًا. إن الأرنبين اللذين يمارسان الحب فى بلاهة هرموناتهما ربما يكون لديهما آداب السلوك التى تجعلهما يمارسانه فى الجراج، بدلاً من حك أنف جيمى به طول الوقت. لقد جعلاه يشعر بأنه غير مرئى. والحق أنه لم يكن يريد أن يشعر بغير ذلك.

كم من الوقت ظلا فى هذه الحالة؟ يتساءل سنومان الآن. هل كانا يفعلان ذلك خلف حظائر البيجون فى زيهما المعملى وقناعى وجهيهما المانعين للجراثيم؟ لا يظن هذا، كان والده شبقًا، ولكن ليس قذرًا. بالطبع يمكن أن تكون الاثنين: شبقًا قذرًا، أو قذرًا شبقًا. لكن والده كان أخرق للغاية (أو هكذا كان جيمى يعتقد)، ولم يكن ماهراً فى الكذب لكى يتورط فى خيانة كاملة دون أن تلاحظ والدة جيمى.

ومع ذلك، ربما لاحظت. ربما كان هذا سبب هروبها، أو جزء من السبب. إنك لا تأخذ مطرقة - فضلاً عن شنيور كهربى ومفتاح إنجليزى - لتحطيم كمبيوتر شخص ما دون أن تكون فى حالة غضب أعمى.

وليس معنى ذلك أنها لم تكن غاضبة بشكل عام؛ لقد تجاوز غضبها مدى أن يكون مثيره دافع واحد.

كلما فكر سنومان فى الأمر، كلما اقتنع بأن رومانا ووالده أحجما عن فعل ذلك. لقد انتظرا حتى انفجرت والدة جيمى فى نثار من

آلنقاط الضوئية قبل أن يقع كل منهما بين ذراعي الآخر. وإلا لما جلسا يحدقان كل في الآخر بكل هذا الصدق البرىء في كافيتريا أندرس بيسترو في مزارع أورجان. إذا كان بينهما شيء بالفعل لتعاملا ببعض الجفاف ولاتخذا مظهر زملاء العمل في الأماكن العامة، ولتجنب كل منهما الآخر على الأقل؛ ولكانت لقاءاتهما سريعة في أركان خفية خسيسة، يتخبطان في أزرار وسوست ثيابهما على بساط المكتب، يمضغ كل منهما أذن الآخر في ساحات انتظار السيارات. ولما تجشما مشقة تلك الوجبات المعقمة المطهرة، ووالده يحدق في مفرش المنضدة، بينما رومانا تمضغ الجزر الطازج حتى يسيل في فمها. ولما سال لعاب كل منهما على الآخر فوق فطائر اللحم والخضر بينما يستخدمان جيمي كدرع بشري.

وليس معنى هذا أن سنومان يفوته الحكم السليم. إنه يعرف كيف تسير تلك الأشياء، أو كيف كانت تسير. إنه شخص بالغ الآن، ويحمل ضميره أشياء أسوأ كثيراً. فمن هو لكي يلومهما؟

(وهو يلومهما.)

أجلست رومانا جيمي وحدقت فيه بعينيها الكبيرتين الصادقتين الناعستين المحاطتين بالرموش السوداء الطويلة، وقالت له إنها تعرف أن ذلك صعب جداً عليه، وأنه صدمة لهم جميعًا، ولها أيضًا، رغم أنه من الممكن، كما تعرف، أن يظن عكس ذلك، وهي تدرك أنها لا يمكن أن

تكون بديلاً عن أمه الحقيقية، لكنها كانت تأمل، ربما، أن يصبحا صديقين؟ قال جيمى، أكيد، وما المانع، ذلك أنه بعيداً عن علاقتها بأبيه كان يكن لها مشاعر طيبة، وأراد أن يرضيها.

وقد حاولت. كانت تضحك على نكاته، أحيانًا متأخرة بعض الشىء – وذكّر نفسه بأنها لم تكن من أهل الكلمات – وأحيانًا عندما كان والده غير موجود كانت تعد الطعام فى الميكروويف لها هى وجيمى فقط؛ والقائمة الثابتة غالبًا هى لازانيا، وسلاطة سيزار. أحيانًا تحب مشاهدة بعض أفلام دى فى دى DVD معه، تجلس بجواره على الأريكة، وتصنع طبقًا من الفيشار أولاً، تضع عليه بعض الزبد الذائب، وتخوض فيه بأصابعها المدهننة ثم قد تمصها فى أثناء الأجزاء المرعبة بينما يحاول جيمى ألا ينظر إلى صدرها. وقالت له إن كان هناك أى شىء يريد أن يسألها عنه، مثل، كما تعرف، هى ووالده، وماذا حدث بالنسبة للزواج. قال إنه ليس ثمة ما يسأل عنه.

فى الليل، وفى السر، كان يشتاق لكيلر. وكذلك، فى ركن ما من نفسه لم يستطع أن يعترف به تمامًا – كان يشتاق لأمه الحقيقية، التعسة، غير الكفء، غريبة الأطوار. أين تراها ذهبت، أى خطر تتعرّض له؟ كان أمراً مسلماً به أنها تتعرض لخطر من نوع ما. سوف يبحثون عنها، كان يعرف هذا، وإذا كان فى مكانها لأراد ألا يتم العثور عليه أبدًا.

لكنها قالت إنها قد تتصل به، فلماذا لا تفعل ذلك؟ بعد قليل وصلته بطاقتين بريديتين، على أحدهما طابع من إنجلترا، ثم من الأرجنتين. وكانا موقعان باسم "الخالة مونيكا"، لكنه عرف أنهما منها. أتمنى أن تكون بخير، كان هذا كل شيء. لابد أنها تعرف أنهما سيُقرآن من حوالى مائة متطفل قبل أن يصلا إلى جيمى، وكان هذا صحيحاً. فبعد كل بطاقة جاء رجال السلاح، يسألون من هى "الخالة مونيكا". جيمى قال إنه لا يعرف. لم يكن يعتقد أن أمه موجودة فى أى من البلدين اللتين أتت الرسالتين منهما؛ لأنها أذكى كثيراً من أن تفعل هذا. لابد أنها جعلت أشخاصاً آخرين يرسلونهما لها.

ألم تكن تثق به؟ هذا ثابت بالدليل القاطع. شعر بأنه خيب أملها، خذلها بطريقة ما. لم يفهم أبداً ما المطلوب منه. لو استطاع فقط أن يأخذ فرصة أخرى لإسعادها.

"أنا لست طفولتى"، يقول سنومان بصوت مرتفع. إنه يكره هذه الاسترجاعات. لا يستطيع أن يقفلها، لا يستطيع أن يغير الموضوع، لا يستطيع أن يخرج من الغرفة. إن ما يحتاج إليه هو مزيد من الانضباط الداخلى، أو مقطع غامض يكرره مرات ومرات ليهدئ من نفسه. ماذا كانت هذه الأشياء تسمى؟ تراتيل المانترا؟ لقد درس ذلك فى المدرسة الابتدائية. "العقيدة الدينية لهذا الأسبوع". حسناً، الآن هدوءاً كالفئران الصغيرة، هذا مقصود به أنت يا جيمى. اليوم سوف نتظاهر بأننا

نعيش في الهند، سوف نمارس المانترا. أليس ذلك لطيفًا؟ الآن هيا نختار كلمة، كلمة مختلفة، لكي يكون لدى كل منا مانترا خاصة به.

يقول لنفسه "تمسَّك بالكلمات". الكلمات الغريبة، الكلمات القديمة، الكلمات النادرة. السجاف، النورن، السرنديبية، البيبراخ، الزلاقة. عندما تختفي هذه الكلمات من رأسه، ستكون قد ذهبت، من كل مكان، إلى الأبد. كأنها لم تكن أبدًا.

كريك

قبل اختفاء أم جيمي بعدة أشهر، ظهر كريك. حدث الأمران في العام نفسه. ماذا كانت الصلة بينهما؟ لم يكن ثمة صلة، فيما عدا أنهما بدوا متوافقَين معًا. كان كريك من بين العدد الضئيل من أصدقاء جيمي الذين تحبهم والدته. ففي الغالب كانت ترى أصدقاءه البنين أحداثًا، وصديقاته البنات ذوات عقول فارغة أو يملن إلى الخلاعة. والواقع أنها لم تستخدم أبدًا مثل هذه الكلمات، لكن يمكن للمرء أن يخمن.

إلا كريك. كريك مختلف. هو أقرب إلى البالغين. كانت تقول هذا: الواقع أنه أكثر نضجًا من كثير من البالغين. يمكنك أن تخوض مناقشة موضوعية معه، مناقشة يتم فيها متابعة الأحداث والفرضيات حتى نتائجها المنطقية. ولا يعني ذلك أن جيمي شاهدهما معًا يخوضان مثل تلك المناقشة، لكن لابد أنهما فعلا وإلا ما كانت لتقول ذلك. كيف

وأين جرت هذه المناقشات المنطقية الناضجة؟ كان يتساءل فى نفسه عن ذلك كثيراً.

كانت أم جيمى تقول: "صديقك محترم فكرياً؛ إنه لا يكذب على نفسه". ثم تحدق فى جيمى بتلك العينين الزرقاوين، بنظرة تعبر عن الجرح الذى يسببه هو، كان يعرف ذلك جيداً. لو فقط كان يمكن أن يكون كذلك - محترم فكرياً. موضوع آخر مربك يضاف إلى بطاقة التقرير السرى التى تحملها أمه معها فى جيب عقلى ما، بطاقة التقرير التى كان فيها يجتاز الامتحانات بالكاد، جيمى يمكن أن يكون أفضل فى الاحترام الفكرى لو فقط بذل جهداً أكبر. بالإضافة إلى: لو كانت لديه أية مفاتيح ملعونة حول المغزى الملعون لذلك.

يقول لها مرة بعد المرة: "لا أريد عشاء، يكفى أن أتناول شيئًا خفيفًا". لو كانت تريد أن تقوم بهذا الشىء الجارح كان يمكنها أن تفعله بالنسبة لساعة المطبخ. لقد عدلها لكى يردد أبو الحناء صوت البومة، وتردد البومة صوت أبى الحناء. فلتشعر ببعض خيبة الأمل منهما كنوع من التغيير.

كانت لديه شكوكه فى "احترام" كريك، فكرى أو غير فكرى. كان يعرف أكثر مما تعرف والدته عن كريك.

عندما هربت أم جيمى بهذه الطريقة، بعد ثورتها بالمطرقة، لم يقل كريك الكثير. لم يبد أنه مندهش أو مصدوم. كل ما قاله أن بعض الناس

يحتاجون التغيير، والتغيير معناه أنهم بحاجة لأن يكونوا فى مكان آخر. قال إن الشخص يمكن أن يكون فى حياتك ثم يختفى منها. وقال إن جيمى ينبغى أن يقرأ حول الفلسفة الرواقية. هذا الجزء الأخير كان مزعجًا إلى حد ما: يستطيع كريك أن يكون تثقيفيًّا أكثر من اللازم أحيانًا، ويترك لنفسه حرية قول "ينبغى ويجب". لكن جيمى قدَّر له هذا الهدوء وعدم التطفل.

بالطبع لم يكن كريك قد أصبح كريك بعد، فى ذلك الوقت: كان اسمه جلين. وكان اسمه يكتب بحرفى "N"، رغم أنه ينطق بواحدة فقط. كان كريك إذا صادف وسأله جيمى حول هذا الموضوع يقول "كان والدى يحب الموسيقى، وأطلق علىَّ اسم عازف بيانو توفى منذ فترة، ولد عبقرى يكتب اسمه بهذه الطريقة".

"فهل جعلك تأخذ دروسًا فى الموسيقى؟"

قال كريك "لا، إنه لم يضطرنى أبدًا لفعل شىء بشكل مكثف".

"ما هو الهدف إذن؟"

"الهدف من أى شىء؟"

"من أن يكون اسمك به حرفا "N"؟

قال كريك: "جيمى، جيمى... ليس لكل شىء هدف".

أفكار سنومان حول كريك عندما كان جلين مضطربة بعض الشىء، فشخصية كريك الأخيرة قد محت شخصيته الأولى تمامًا. ويفكر سنومان أن الجانب "الكريكى" فيه لابد كان هناك منذ البداية، لم يكن هناك أى جلين حقيقى، جلين لم يكن إلا تمويهًا. وهكذا فى إعادة استعراضه للقصة، يرى سنومان أن كريك لم يكن أبداً جلين، ولا أبداً أنه جلين المدعو كريك، أو كريك/جلين، أو جلين الذى أصبح فيما بعد كريك. إنه دائمًا كريك وحسب، خالصة وبسيطة.

وعلى أى حال فإن اسم كريك يوفر الوقت، فكر سنومان بذلك. فما الداعى للوصلات والجمل الاعتراضية والأقواس، إلا فى حالة وجود ضرورة ملحة؟

ظهر كريك فى مدرسة هيلثوايزر العليا فى شهر سبتمبر أو أكتوبر، أحد تلك الشهور التى كانت تسمى بالخريف. كان يومًا دافئًا مشمسًا، وفيما عدا ذلك لم يكن يتميز عن الأيام الأخرى. كان منقولاً؛ نتيجة عملية لصيد الرءوس خاصة بأحد والديه: كانت هذه المسائل تحدث كثيراً بين المستوطنات. كان الأولاد يأتون ويذهبون، والمقاعد المدرسية تُحتل وتُهجر، كانت الصداقة دائمًا أمراً عارضاً.

لم يكن جيمى فى حالة انتباه كبير عندما قدم كريك إلى الفصل، والذى قدمته بطيخ رايلى، والتى كانت معلمة غرفة الأحداث والنصوص المتميزة. لم يكن اسمها بطيخ – كانت هذه كنية يستخدمها الأولاد فى

الفصل – لكن سنومان لا يستطيع أن يتذكر اسمها الحقيقى. ما كان ينبغى لها أن تميل مقتربة جداً من شاشة الكتابة الخاصة به، ويكاد ثدياها الكبيران المكوران أن يلمسا كتفه. وما كان ينبغى لها أن ترتدى الـ تى شيرت الخاص بنوسكينز ضيقاً يلتصق بجسدها تحت السروال القصير الضيق؛ فقد كان ذلك يشتت انتباههم بشدة. ومن ثم عندما أعلنت بطيخ أن جيمى سوف يقوم بمصاحبة زميلهم الجديد جلين فى جولة حول المدرسة، توقفت منتظرة رده، بينما تعثر جيمى على غير هدى يحاول اكتشاف ما قالته لتوها.

قالت بطيخ: "جيمى، طلبت منك طلباً".

قال جيمى: "طبعاً، تحت أمرك"، وهو يدور عينيه، وينظر بخبث، لكن دون مبالغة. كان هناك بعض الضحك فى الغرفة الدراسية؛ حتى مسز رايلى ابتسمت له ابتسامة بعيدة غير مقصودة. كان دائماً يستطيع أن يستميلها بأفعاله الصبيانية اللطيفة. كان يحب أن يتخيل أنه إن لم يكن تلميذاً وهى معلمة ومعرضة للاتهام بالتغرير به، لنحتت الجدار للوصول إلى غرفة نومه لتغوص بأصابعها التواقة فى جسده الفتى.

كان جيمى قد استعاد إعجابه بنفسه مرة أخرى فى ذلك الوقت، يفكر سنومان فى ذلك بنوع من التدليل وبعض الحسد. وكان تعيساً أيضاً، بالطبع. وقد مرت دون أن يتم التعبير عنها، تلك التعاسة. وكلفته كثيراً من الطاقة.

عندما اقترب جيمى من التركيز على كريك، لم يشعر ببهجة شديدة. كريك كان أطول من جيمى، بحوالى بوصتين، وكذلك أكثر نحافة. شعر بنى غامق ناعم، وبشرة برونزية، وعينان خضراوان، ونصف ابتسامة، ونظرة هادئة. كانت ملابسه ذات ألوان غامقة، ليس بها لوجوهات أو مناظر أو تعليقات مكتوبة – مظهر غير مميز. ومن المحتمل أنه كان أكبر منهم كلهم، أو يحاول أن يبدو كذلك. تساءل جيمى أية رياضة يلعبها. ليس كرة القدم، ليست لديه عضلات مفتولة جداً. وليس طويلاً جداً ليلعب كرة السلة. لم يدهش جيمى كلاعب فى فريق، أو شخص من الممكن أن يصاب بغباوة بجرح فى ملعب ما. تنس؟ جائز. (كان جيمى نفسه يلعب التنس).

فى ساعة الغداء، أخذ جيمى كريك وتناولا معًا بعض الطعام – وضع كريك قطعتين ضخمتين من سجق الصويا وقطعة كبيرة من كيكة جوز الهند، إذن ربما كان يحاول أن يكتسب بعض الامتلاء – ثم أخذا يجوبان الصالات فوق غرف الدراسة والمعامل وتحتها وداخلها وخارجها، وجيمى يقوم بالتعليق والشرح. هنا الجيمنزيوم، هنا المكتبة، هؤلاء هم القراء، يجب أن توقع فى المكتبة قبل الظهر، هنا حمام البنات، والمفروض أنه هناك فتحة تم حفرها فى الجدار لكنى لم أجدها أبداً. إذا كنت تريد تدخين الأفيون لا تستخدم العلبة، فقد لوثوها، فى فتحة التهوية هذه توجد عدسات دقيقة للأمن، لا تحدق فيها وإلا لعرفوا أنك تعرف.

كان كريك ينظر إلى كل شىء، ولا يقول شيئًا. لم يتطوع بأية معلومات عن نفسه. والتعليق الوحيد الذى قاله هو أن معمل الكيمياء يثير الكآبة.

فكر جيمى فى نفسه، حسنًا، أعده بنفسك. إذا كان يريد أن يكون حمارًا فنحن فى بلاد حرة. ملايين قبله اختاروا نفس الاختيار. كان متضايقًا من نفسه لهذره وثرثرته بينما كان كريك يعطيه نظرات مقتضبة، لا مبالية، وعلى وجهه نصف ابتسامة جانبية. ومع كلٍ، كان هناك شىء حوله وفيما يخصه. كان هذا النوع من الاسترخاء الهادئ يؤثر فى جيمى دائمًا، عندما يأتى من شخص آخر: كان يعنى أن الطاقة مؤجلة، مدخرة لشىء أكثر أهمية من الصحبة الحالية.

وجد جيمى نفسه يتمنى أن يؤثر فى كريك ولو قدر أنملة، أن يحصل على رد فعل منه، كانت هذه إحدى نقاط ضعفه، الاهتمام برأى الآخرين فيه. وهكذا، بعد المدرسة سأل كريك إذا كان يحب أن يذهب إلى أحد مبانى التسوق، يتسكع، يرى المناظر، ربما يكون هناك بعض البنات، وقال كريك لم لا. لم يكن ثمة الكثير يمكن فعله بعد المدرسة فى مستوطنة هيلثوايزر، أو فى أى من المستوطنات، وخاصة للأولاد من سنهما، ليس فى أى شكل جماعىً. ذلك ليس الحال فى أراضى السوقة. تقول الإشاعات إن الأطفال هناك يجرون حشودًا وأسرابًا. ينتظرون حتى يبتعد أحد الأبوين، وينهمكون فى العمل – يملأون المكان، يضيعون أنفسهم فى الموسيقى الصاخبة، والإسراف فى الخمر، وممارسة الجنس

مع أى شىء حتى لو قطة، يكسرون الأثاث، يأخذون المخدرات بجرعات عالية. فكر جيمى أن هذا أمر أخاذ. ولكن فى المستوطنات كل شىء تحت السيطرة. دوريات ليلية، حظر تجول ليلى لينام الجميع وتنمو العقول، كلاب الشم تطارد أية مخدرات قوية. ذات مرة تساهلوا وتركوا فرقة حقيقية - كانت فرقة "صالات الرقص القذرة" من أرض السوقة - لكن الأمر كاد أن يتحول إلى شغب، ومن ثم لم يكرروها. لا داعى للاعتذار لكريك، فهو نفسه من أبناء المستوطنة المزعجين، ولسوف يعرف بواطن الأمور.

كان جيمى يأمل فى أن تقع عيناه على واكولا برايس، فى مبنى التسوق؛ كان لا يزال يكن لها بعض الحب، لكن بعد حديث "أقدرك كصديقى" الذى حطمته به، حاول أن يقيم علاقة مع بنت ثم أخرى، وانتهى - حاليًّا - مع الشقراء ليندا لى. كانت ليندا لى فى فريق التجديف ولها فخذان قويان وقبلات مؤثرة، وقد جعلته يتسلل إلى غرفة نومها فى أكثر من مناسبة. كان لها فم ممتلئ وخبرة أكثر من جيمى، وكل مرة يذهب إليها كان يشعر وكأنه قد تم شفطه فى ماكينة من ماكينات الألعاب، كل الأضواء البراقة، والشقلبة العشوائية، والحركات الاندفاعية واللفات التى يمكن أن تكون موجودة فى رولمان بلى. لم يكن مغرمًا بها كثيرًا، لكنه كان يريد أن يستمر معها، وأن يتأكد من وجوده على قائمتها. ربما يستطيع أن يجعل كريك ينضم إلى الطابور - خدمة له، لينال لديه بعض العرفان. كان يتساءل فى نفسه أى نوع من البنات يفضله كريك. حتى الآن لم تظهر أى علامات.

فى المول لم تكن هناك أى واكولا، ولا ليندا لى. حاول جيمى أن يتصل بليندا لى، لكن تليفونها المحمول كان مقفلاً. ومن ثم لعب جيمى وكريك بعض الألعاب ثلاثية الأبعاد فى محل الألعاب، وتناولا اثنين من سجق الصويا الكبير – جاء فى قائمة الطعام المكتوبة بالطباشير أنه لن يقدم لحم هذا الشهر، وكوبان من كابوتشينو هابى كوبا، ونصف عود من الجيلى لاستكمال الطاقة وتنظيم الإستيرويدات الهورمونية والشحمية. ثم سارا متمهلين إلى القاعة الداخلية ذات النوافير ونباتات الفوجير البلاستيكية، عابرين موسيقى الحمام الدافئ التى تُعزف دائمًا هناك. كان كريك على وشك أن ينال منه التعب، وكان جيمى على وشك أن يقول إنه مضطر للعودة لأداء واجباته المنزلية، عندما ظهر أمامهما مشهد يستحق الذكر: كانت بطيخ رايلى ومعها رجل، يتجهان إلى أحد نوادى الرقص الخاصة بالكبار فقط. كانت متغيرة تمامًا فى غير ملابس المدرسة، ارتدت جاكيت أحمر واسع وتحته فستان أسود ضيق، وكان الرجل يلف ذراعه حول وسطها، داخل الجاكيت.

وكز جيمى كريك قائلاً: "هل تظنه يضع يده على عجزها؟"

قال كريك: "تلك مشكلة جيو – مترية. لا مفر من أن تحلها بنفسك".

قال جيمى: "ماذا؟" ثم قال، "كيف؟"

قال كريك: "استخدم نيوروناتك، الخطوة الأولى: حاول أن تحسب طول ذراع الرجل، استخدم ذراعه الظاهر كنموذج قياسى. ثم افترض

أن كلتا الذراعين لها الطول نفسه تقريبًا. الخطوة الثانية: احسب مقدار زاوية الانحناء عند الكوع. الخطوة الثالثة: احسب مقدار دوران العجُز. والحساب التقريبي لكل هذا قد يكون ضروريًا في حالة غياب أرقام يمكن إثباتها. الخطوة الرابعة: احسب حجم اليد، باستخدام اليد الظاهرة كما جاء من قبل."

قال جيمي ضاحكًا: "أنا لست من أهل الأرقام"، لكن كريك استمر: "كل احتمالات أوضاع اليد لابد أن نضعها في اعتبارنا الآن. الوسط، حكمه خارج الموضوع. الردف الأيمن الأعلى، خارج الموضوع. الردف الأيمن الأسفل أو أعلى الفخذ قد يبدو بالطرح أقرب الاحتمالات. اليد بين الفخذين العلويين احتمال ممكن، لكن هذا الوضع قد يعوق المشي من جانب موضوع البحث، كما أنه ليس ثمة عرج أو تعثر". كان يؤدي تقليدًا جيدًا لمعلم معمل الكيمياء - الجزء الخاص بـ "استخدم نيوروناتك، والإلقاء الجاف الموجز، الشبيه بالنباح نوعًا. كان رائعًا، أكثر من رائع.

أعجب جيمي بكريك أكثر. ربما يكون هناك شيء مشترك بينهما على أي حال، على الأقل هذا الفتى لديه روح الفكاهة. لكنه كان أيضًا يمثل بعض التهديد. فهو نفسه كان جيدًا في التقليد، وكان يمكن أن يقلد جميع المعلمين تقريبًا. ماذا لو ظهر أن كريك أبرع منه في ذلك؟ شعر في داخله أنه من الممكن أن يكرهه بقدر ما يعجب به.

ولكن فى الأيام التالية، لم يقم كريك بأى عرض يجلب الأنظار.

يفكر سنومان أنه كان ثمة شيئًا مميزًا في كريك حتى في ذلك الوقت. ليس أنه كان محبوبًا بالضبط، لكن الناس كانوا يشعرون بالفخر عندما يهتم بهم. ليس الأولاد فقط، بل المعلمون أيضًا. كان ينظر إليهم كأنه يستمع، وكأن ما يتحدثون به يستحق أن يستولى على كامل انتباهه، رغم أنه لا يقول ذلك بالضبط أبدًا. كان يبعث نوعًا من الرهبة - ليس بالقدر الطاغي، ولكن بما يكفى. كان ينشر حوله جوًّا من الاحتمالات - ولكن أية احتمالات؟ لا أحد يعرف، ومن ثم كان الناس يحترسون منه. كل هذا كان يبدو فى أسلوب ملبسه الداكن البسيط.

تجميد المخ

كانت واكولا برايس شريكة جيمى فى معمل الكيمياء البيولوجية لتكنولوجيا النانو، لكن والدها تم صيده على يد مستوطنة فى الجانب الآخر من القارة، وأخذت القطار السريع المحكم الغلق، ولم يرها أحد مرة أخرى. بعد أن ذهبت ظل جيمى مكتئبًا لمدة أسبوع، ولم يستطع أن يعزيه ولا حتى نكات ليندا لى القذرة.

واحتل كريك مكان واكولا الفارغ على منضدة المعمل، منتقلاً من مكانه المنزوى فى آخر الغرفة لمجيئه متأخرًا. كان كريك شديد الذكاء -

حتى فى عالم مدرسة هيلثوايزر العليا، بكل ما يتكدس فيها من الطلبة الذين يتميزون ببعض النبوغ، وتعدد جوانب الثقافة، لم يجد أى مشقة فى أن يصل إلى قمة القائمة. وظهر أنه ممتاز فى الكيمياء العضوية لتكنولوجيا النانو، وعمل هو وجيمى معًا على مشروعهما الخاص بتهجين شريحة جزيئية واحدة، واستطاعا أن ينتجا الدودة الخيطية البنفسجية المطلوبة - باستخدام كود اللون الخلوى من إحدى الحشائش البحرية البدائية - قبل الموعد المطلوب، وبدون تنويعات غريبة.

وأصبح جيمى وكريك متلازمين فى فترة الغداء، ثم على الأقل مرتين فى الأسبوع - ليس يوميا، فلم يكونا شاذين جنسيا - بعد المدرسة. فى البداية يلعبان التنس، على الملعب الترابى خلف منزل كريك، لكن كريك كان يجمع الوسيلة بتفكير جانبى ويكره أن يخسر، وكان جيمى متهورًا ويفتقد اللياقة البدنية، ومن ثم كان ذلك غير مفيد، وتخليا عنه. أو كانا يتظاهران بأنهما يؤديان واجباتهما المنزلية، والتى كانا يؤديانها بالفعل أحيانًا، ويغلقان على نفسيهما فى غرفة كريك، ويلعبان الشطرنج على الكمبيوتر أو بعض الألعاب ثلاثية الأبعاد، أو لعبة "أسامة سريع الخطوة"، يجريان "قرعة" ليريا من يكون داخل الميدان. كان لدى كريك جهازا كمبيوتر، ولذا كان يمكنهما أن يجلسا كل منهما على جهاز، وقد أعطى ظهره للآخر.

سأل جيمى مرة وهما يلعبان بعض الشطرنج: "لماذا لا نستخدم طاقم لعب حقيقى؟ من النوع القديم، رجال من البلاستيك". لقد بدا من

الغريب أن يجلسا معًا فى غرفة واحدة وكل منهما ظهره للآخر، يلعبان على جهازى الكمبيوتر.

قال كريك: "لماذا؟ على أى حال هذا طاقم شطرنج حقيقى".

"لا، ليس حقيقيا!"

"أوكى، عندك حق، ولكن الرجال البلاستيك أيضًا ليسوا حقيقيين".

"ماذا؟"

"الطاقم الحقيقى موجود فى رأسك".

"بُهْتان!" صاح جيمى. كانت كلمة جيدة، التقطها من أسطوانة دى ڤى دى DVD قديمة؛ واعتادا أن يستخدماها ليعاقب كل منهما الآخر بسبب الغرور. "بهتان شديد جدا!"

وضحك كريك.

أحيانًا يركز كريك على إحدى الألعاب، ويريد أن يلعبها ويلعبها ويتقن هجومه حتى يتأكد من أنه يستطيع الفوز، تسع مرات من عشرة على أى حال. وقد يقضيان شهرًا كاملاً يلعبان "القمع البربرى" (انظر إن كان يمكنك تغيير التاريخ!). أحد الجانبين لديه المدن والموارد، والجانب الآخر قبائل من البدو الرحل، وعادة - ولكن ليس دائمًا - هو الأكثر وحشية. إما أن البرابرة يقمعون المدن، أو يُقمعون هم، لكنك لابد أن تبدأ بالتنظيم التاريخى لأقطاب القوة، وتنطلق منها. الرومان ضد

القوطيين، قدماء المصريين ضد الهكسوس، الأزتيك ضد الإسبان. وكانت تلك لطيفة، لأن الأزتيك هم الذين يمثلون الحضارة، بينما كان الإسبان هم القبائل البربرية. ويمكنك تعديل اللعبة طالما أنك تستخدم مجتمعات وقبائل حقيقية، وظل جيمى وكريك فترة يتنافسان فى مدى مقدرة كل منهما على ابتداع أغرب الثنائيات.

وذات يوم لا ينسى، قال جيمى: "البتشنك ضد البيزنطيين".

قال كريك: "ومن هم هؤلاء البتشنك؟ لقد اخترعت هذا".

لكن جيمى وجدها فى دائرة المعارف البريطانية، طبعة ١٩٥٧، والتى كانت محفوظة على سى دى روم CD- R - منسية لسبب غير معروف - فى مكتبة المدرسة. وجد فصلاً وشعراً. "أشار إليهم ماثيو أوف إديسا(*) بأنهم وحوش أشرار شاربين للدماء"، واستطاع أن يقول ذلك عن ثقة. "كانوا قساة عديمى الرحمة، ولم يكن لديهم ملامح الخلاص أو التحرر". ومن ثم أجريا قرعة وكان البتشنك من حق جيمى، وكسب. وذبح البيزنطيون، لأن هذا كان ما يفعله البتشنك، شرح جيمى ذلك. كانوا دائمًا يذبحون الجميع فى الحال. أو كانوا يذبحون الرجال على الأقل، ثم يذبحون النساء بعد فترة.

(*) ماثيو أوف إديسا Matthew of Edessa : مؤرخ أرمنى عاش فى القرن الثانى عشر، ولد فى مدينة إديسا Edessa .

وكان تأثير فقدان كريك لكل لاعبيه سيئًا، ووجم بعض الوقت. بعد ذلك غير ولاءه إلى لعبة "دماء وزهور". كانت أكثر رحابة، قال كريك: ميدان المعركة أكبر، فى المكان والزمان.

كانت لعبة "دماء وزهور" لعبة تجارة، على طريقة المونوبولى. جانب الدم يلعب بأعمال العنف الوحشية مقابل النقود، أعمال عنف وحشية على أوسع نطاق: أعمال الاغتصاب والقتل ليس لها اعتبار، كان لابد أن يتم القضاء على عدد كبير من الناس. مذابح، إبادة جماعية، أشياء من هذا النوع. وجانب الزهور يلعب بالإنجازات البشرية؛ الأعمال الفنية، الإنجازات العلمية، وأعمال معمارية متميزة، واختراعات مفيدة. كانت تسمى فى اللعبة صروح جلال الروح. كان فى اللعبة صف من الأزرار الجانبية، فإذا كنت لا تعرف ما هى الجريمة والعقاب، أو "نظرية النسبية"، أو "قافلة الدموع"، أو مدام بوفارى، أو حرب الأعوام المائة، أو رحلة إلى مصر، يمكنك أن تنقر مرتين وترى عرضًا بالصور، وله اختيارين: الأول للأطفال، والثانى ملىء بالعرى والتجديف والفحش. وقال كريك : إن هذا هو ما يمتلئ به التاريخ ، كان التاريخ مفعمًا بالكثير من هذه الأشياء الثلاثة.

ترمى الزهر الافتراضى، وسيظهر إما زهرة أو دم. فإذا كان الدم، فإن لاعب الزهرة لديه فرصة لإيقاف وقوع الاعتداءات الوحشية، لكنه لابد أن يضع زهرة فى المقابل. وهنا تختفى الاعتداءات الوحشية من التاريخ، أو على الأقل التاريخ المسجل على الشاشة. ويستطيع لاعب

الدم أن يمتلك زهرة، لكن ذلك يعنى أنه لابد أن يتخلى عن عمل وحشى، ومن ثم تقل ذخيرته بينما تزداد ذخيرة لاعب الزهرة. وإذا كان لاعبًا ماهرًا يستطيع أن يهاجم جانب الزهرة بوسائل العنف الوحشى التى يملكها، ويدمر منجزات الإنسان، ويحولها إلى الجانب الخاص به من الرقعة. واللاعب الذى يستطيع أن يحصل على منجزات بشرية أكثر عند نهاية الوقت هو الفائز. مع خصم نقاط المنجزات التى دمرها بسبب أخطائه، وبسبب خطوات اللعب الغبية والقميئة التى لعبها.

وقيم التبادل المالى، تقدم اللعبة بعض الاقتراحات - موناليزا تساوى معسكر بيرجن بلسن النازى، إبادة عرقية للأرمن تعادل السيمفونية التاسعة زائد الأهرامات الثلاثة - ولكن هناك مجال للمساومة؛ ولكى تفعل هذا يحتاج اللاعب لمعرفة الأرقام - الأرقام الكلية لعدد قتلى الأعمال الوحشية، آخر سعر سوق للأعمال الفنية، أو إذا كان العمل الفنى قد سرق، الرقم الذى دفعته شركة التأمين. كانت لعبة شريرة.

"هوميروس"، يقول سنومان، وهو يشق طريقه تحت الأشجار التى لا تزال تقطر منها المياه. الكوميديا الإلهية، التماثيل الإغريقية، قناطر المياه، الفردوس المفقود، موسيقى موتسارت، شكسبير، الأعمال الكاملة، الأخوات برونتى، تولستوى، جامع اللؤلؤة، كاتدرائية نوتردام، باخ، رمبرانت، فيردى، جويس، البنسلين، كيتس، تيرنر، عمليات رزاعة القلب، لقاح شلل الأطفال، برليوز، بودلير، بارتوك، ييتس، وولف.

لابد أنه كان هناك المزيد. كان هناك المزيد.

يقول صوت فى أذنه: حصان طروادة. تدمير قرطبة، الفايكنج، الحملات الصليبية، جنكيزخان، أتيلا ملك الهان، مذبحة الكاثاريين، حرق السحرة، تدمير حضارة الأزتيك، كذا حضارتى المايو والإنكا، محاكم التفتيش، فلاد الإمبيلار مصاص الدماء، مذبحة هاجوينوتس، كرومويل فى أيرلنده، الثورة الفرنسية، حروب نابليون، المجاعة الأيرلندية، العبودية فى الجنوب الأمريكى، الملك ليوبولد فى الكونغو، الثورة الروسية، ستالين، هتلر، هيروشيما، ماو، بول بوت، عيدى أمين، سرى لانكا، تيمور الشرقية، صدام حسين.

يقول سنومان: "كفى!"

معذرة يا عزيزى، أحاول المساعدة فقط.

كانت هذه هى مشكلة لعبة دماء وزهور: من الأسهل أن تتذكر أعمال الدماء. والمشكلة الأخرى هى أن لاعب الدم هو الذى يكسب عادة، لكن الفوز يعنى أنك قد ورثت أرضًا قاحلة. عندما تذمر جيمى، قال كريك: هذا هو الهدف من اللعبة. قال جيمى إن كان هذا هو الهدف، فهى لعبة لا فائدة منها. لم يكن يريد أن يقول لكريك إنه يعانى من بعض الكوابيس الليلية البشعة ، ولسبب ما، كان أسوأها ذلك الكابوس الذى رأى فيه البارثينون مزينًا بالروس المقطوعة.

وباتفاق غير منطوق تخليا عن لعبة دماء وزهور، وكان هذا أمراً طيباً بالنسبة لكريك، لأنه كان دائماً يتعلق بشيء جديد - الانقراضية. لعبة تقوم على المعارف المكتسبة الأساسية عن العجائب الحيوية وجدها على الشبكة. الانقراضية، تحت إشراف آدم المجنون. آدم أنبأ بأسماء الحيوانات الحية، وآدم المجنون ينبئ بأسماء الحيوانات الميتة. هل تريد أن تلعب؟ كانت هذه العبارة تظهر عندما تدخل. ثم عليك أن تنقر على "نعم"، وتدخل الاسم الكودى الذى تستخدمه، وتختار واحدة من غرفتين للدردشة - مملكة الحيوان، مملكة النبات. ثم يدخل على الخط متحدٍ لك، باستخدام اسمه الكودى - كومودو، رينو، ماناتى، هيبوكامبوس، رامولوسوس(*) - ويقترح مباراة. تبدأ بعدد الأرجل، ما هو؟ ويكون "هو" نمطاً حيويا انقرض خلال الخمسين سنة الأخيرة - ليس التيرانوصوروس، وليس الرخ، ولا طائر الدودو، وتخسر بعض النقاط إذا أخطأت فى الإطار الزمنى. ثم تضيق البحث، شعبة.. طبقة.. نظام.. عائلة.. جنس.. نوع، ثم الموطن الأصلى ومتى شوهد آخر مرة، وما الذى قضى عليه. (التلوث، تدمير الموطن، الأغبياء السذج الذين ظنوا أن أكل

(*) الكومودو Komodo نوع من السحالى العملاقة الموجودة حاليا فى جزيرة كومودو بإندونيسيا، الرينو Rhino هو حيوان الكركدن، والماناتى Manatee من الثدييات البحرية يعرف ببقر البحر، هيبوكامبوس Hippocampus هو أحد أنواع العائلة التى ينتمى إليها حصان البحر، ورامولوسوس Ramulosus هو اسم لفرع صغير من حيوانات الشعب المرجانية.

قرنه سوف يكسبهم قوة). وكلما استطاع المتحدى أن يطيل بقاءه، كلما حصل على نقاط أكبر، لكنك يمكن أن تكسب نقاطًا زائدة مقابل السرعة. وكانت هذه اللعبة تساعد على الحصول على طبعة آدم المجنون لكل الأنواع المنقرضة، لكن هذه الطبعة لا تقدم سوى الأسماء اللاتينية، لكنها على أى حال كانت تحتوى على حوالى مائتى صفحة من الطباعة الجيدة ومليئة بصور مجهولة لحشرات وأعشاب وضفادع لم يسمع بها أحد أبداً. لا أحد فيما يبدو سوى من حصلوا فى اللعبة على لقب جراند ماستر، أو المعلم الكبير، والذين كانت لهم عقول تشبه آلات البحث الإلكترونية.

ودائمًا يمكن أن تعرف أنك تلعب على إحدى تلك الآلات لأن رمزاً يظهر على الشاشة، رمزاً يمثل "كولاكانث"، كولاكانث، نوع من أسماك المياه العميقة، ظن العلماء طويلاً أنه انقرض حتى ظهرت بعض أنواعه فى أواسط القرن العشرين. الوضع الحالى غير معروف. كانت لعبة الانقراضية تعليمية وتثقيفية. وكان جيمى يرى أنها تشبه معلمًا مملاً ساقك سوء حظك إلى الجلوس بجواره فى سيارة المدرسة. لا يمكن إسكاتها.

سأل جيمى فى أحد الأيام كريك وهو جالس منحنى الظهر على اللعبة: "لماذا تحب هذه اللعبة إلى هذه الدرجة؟" أجاب كريك: "لأننى أجيدها". كان جيمى يرتاب فى أنه يريد أن يصبح "معلمًا

كبيراً"، أو جراند ماستر، ليس لأن ذلك له أهمية ما؛ وإنما لأنه كان فرصة قائمة.

اختار كريك اسميهما الكوديين، كان جيمى هو "ثيكنى"، على اسم طائر أسترالى منقرض كان يظهر دائمًا فى المقابر، وارتاب جيمى فى أن كريك كان يحب صوت هذا الاسم على جيمى، أما الاسم الكودى لكريك فكان كريك، على اسم طائر المُرَعة الأسترالى ذو الرقبة الحمراء – وهو طائر كان نادراً قليل العدد دائمًا، كما قال كريك. ولبعض الوقت كانا يناديان بعضهما كريك وثيكنى، كنوع من المزاح. بعد أن تحقق كريك من أن جيمى لم يكن يشارك بحماس تام، وتوقفا عن لعب الانقراضية، خبا اسم ثيكنى ونُسى، أما كريك فقد التصق وبقى.

عندما كانا لا يلعبان مثل هذه الألعاب كانا يتجولان على الشبكة – يقعان على مواقع المختارات القديمة، لرؤية ما الجديد. كان يمكن أن يشاهدا عملية قلب مفتوح فى وقتها الواقعى، أو أخبار "العراة"، والتى كانت لطيفة لبعض الدقائق لأن الناس فيها كانوا يحاولون التظاهر بأن كل شىء عادى ويجتهدون لتجنب النظر إلى الأعضاء الجنسية لبعضهم البعض.

وقد يشاهدان بعض المواقع الخاصة بموت الحيوانات، مثل موقع فيليشيا لسحق الضفادع وما أشبه، ولكن مثل هذه المواقع أصبحت متكررة بشكل متزايد: ضفدع مسحوق، قط ممزق باليد، كانت أشياء

متشابهة كثيرة. أو يشاهدان موقع "دمى ذات جوارب قذرة دوت كوم"، وهو موقع خاص بالفضائح الحالية لزعماء العالم السياسيين. قال كريك: إنه مع التغيير الجينى الديجيتال لا يمكن أن تعرف إذا كان أى من أولئك الجنرالات وغير الجنرالات موجوداً إلى الآن ، وإذا كانوا لا تستطيع أن تعرف إذا كانوا قد قالوا حقًا ما سمعته. وعلى أى حال فقد كان يتم الانقلاب عليه وتغييرهم بسرعة لدرجة جعلت ذلك لا أهمية له.

أو قد يشاهدان "قطع الرءوس دوت كوم"، والتى كانت تعرض تغطية حية للإعدامات فى آسيا. وهناك يمكن أن ترى أعداداً من الناس يتم قطع رءوسهم بالسيوف فى مكان ما يبدو أشبه بالصين، وآلاف النظارة يهتفون. أو يمكن أن يشاهدا أليبوبو دوت كوم، والتى تعرض العديد ممن يفترض أنهم لصوص تقطع أيديهم، وزناة يرجمون بالحجارة حتى الموت، يقوم برجمهم حشد زاعق، فى بلاد مترية يقصد بها البلدان الأصولية فى الشرق الأوسط. كانت التغطية عادة ضعيفة فى هذا الموقع؛ قيل إن التصوير كان ممنوعًا، ومن ثم كان يقوم به بعض الفقراء اليائسين باستخدام كاميرات مينى فيديو مخبأة، مخاطرين بحياتهم من أجل بعض العملات الغربية القذرة. وكنت ترى عادة ظهور النظارة ورءوسهم، ومن ثم كان الأمر يبدو كما لو كنت محاصراً داخل دولاب ثياب ضخم إلا إذا اكتشف الشخص الذى يحمل الكاميرا، وهنا يمكن أن نرى أيادى كثيرة فى حالة هياج وأردية قبل أن تتحول الصورة إلى الإظلام. قال كريك إن هذه النوبات الدموية ربما كانت تحدث فى

ساحة خلفية فى مكان ما من كاليفورنيا، مع شلة من الكومبارس يحيطون بالمنظر ويمنعون رؤية الشوارع.

والأفضل من ذلك المواقع الأمريكية، مع تعليقاتهم على الأحداث الرياضية - "ها هو يأتى الآن! نعم! إنه جو "مجموعة التروس القوية" ريكاردو، والذى اخترتموه أنتم المشاهدون ليكون على القمة!" ثم ملخص لمجموعة من الجرائم، مع صور مروعة للضحايا. مثل هذه المواقع قد تكون فيها إعلانات تجارية، عن أشياء مثل بطاريات السيارات، والمهدئات، والشعارات الملونة بأصفر براق، على الجدران الخلفية. قال كريك إن الأمريكيين على الأقل يضيفون إليها أسلوبهم الخاص.

وكانت أفضل هذه المواقع هى الدائرة الكهربية المغلقة دوت كوم، وتجميد المخ دوت كوم، وصفوف الموت عرض مباشر دوت كوم، كانت هذه المواقع تعرض الإعدام بالكهرباء وبالحقن القاتلة. وبمجرد أن جعلوا التغطية الحيّة المباشر قانونية، وبدأ الأشخاص الذين يُعْدمون يقومون بتنفيذ هذه العروض بالتصنع بشكل ردىء أمام الكاميرات. وكان هؤلاء فى الغالب رجالاً، وأحياناً كانت امرأة، لكن جيمى لم يكن يحب مشاهدة هؤلاء: امرأة تنعب منظر كئيب، مشهد مثير للبكاء، وكان الناس يقفون حولها بشموع موقدة وصور للأطفال، أو يظهرون بقصائد كتبوها بأنفسهم. لكن الرجال كان من الممكن أن يكونوا مشاغبين. وتستطيع مشاهدتهم يلوون وجوههم ساخرين أو عابسين، يغيظون الحراس، يلقون

النكات، وأحيانًا يفلتون منهم فيطاردونهم عبر الغرفة، وهم يجرجرون القيود ويزعقون بشتائم فاحشة.

قال كريك إن هذه الأحداث بهتان. قال إن الرجال يُدفع لهم لكى يقوموا بها، أو يُدفع لعائلاتهم. وكان ممولى هذه العروض يطلبون منهم أن يقوموا بعرض جيد لأن الناس يملون ويغلقون الأجهزة. صحيح أن المشاهدين يريدون رؤية مشاهد الإعدام، لكن بعد فترة تصبح هذه المشاهد عادية، لذلك لابد من إضافة صراع أخير، أو أحد عناصر المفاجأة وإثارة الدهشة. والأغلب أن ذلك يتم بعد إجراء بروفات لكل شىء.

قال جيمى إن هذه نظرية مروعة. كانت كلمة مُروِّعة من الكلمات القديمة أيضًا، مثل بُهتان، والتى استمدها من أرشيفات الدى فى دى DVD. قال: "هل تظن أنهم يُعدمون حقًا؟، كثير منهم يبدون مجرد محاكاة".

قال كريك: "لا يمكن أن نعرف أبداً".

"لا يمكن أن نعرف ماذا؟"

"ما هى الحقيقة".

"بُهتان!"

وكان هناك موقع أيضًا لدعم الانتحار – وكان اسمه "ليلة ليلاء دوت كوم"، – وكان من مكوناته جزء يسمى "هذه كانت حياتك": ألبومات

عائلية، لقاءات مع الأقارب، حفلات شجاعة يقيمها الأصدقاء وهم واقفون يتفرجون بينما يحدث الفعل على خلفية من موسيقى الأرغن. وبعد أن يعلن الطبيب بعيون آسية أن الحياة انتهت، تقدم شهادات مسجلة من المنتحرين أنفسهم، يدلون بتصريحات يقولون فيها إنهم اختاروا الرحيل. وقد ارتفعت أرقام "الانتحار المدعوم" كثيراً بعد أن بدأت إذاعة هذا العرض. قيل إن هناك طابوراً طويلاً من الناس يرغبون فى دفع الكثير من أجل فرصة للظهور فيه وقتل أنفسهم فى مجد وعظمة، وأقيمت مسابقات قرعة لاختيار المشاركين.

كان كريك يبتسم ابتسامة عريضة وهو يشاهد هذا الموقع. لسبب ما وجد أنه موقع مرح للغاية، بينما لم يرَ جيمى أنه كذلك. لم يستطع أن يتصور أن يفعل بنفسه شيئًا كهذا، على عكس كريك، الذى قال إنه يظهر نزعة نحو معرفة متى تشعر بالاكتفاء والرغبة فى الكف. لكن هل يعنى نفور جيمى أنه جبان، أم أن الأمر هو أن موسيقى الأرغن كانت شديدة التأثير؟

مثل هذا الرحيل المخطط له كان يشعره بالقلق والتوتر؛ كان يذكره بالببغاء ألِكس وهو يقول سوف أرحل الآن. كان ثمة صلة ظاهرة بين الببغاء ألِكس، والانتحارات المدعومة، وأمه والمذكرة التى تركتها له. كلهم يتحدثون عن نواياهم، وكلهم اختفوا.

أو ربما يشاهدان برنامج "فى البيت مع أنًّا ك. كانت أنًّا ك. فنانة بث من طراز ذاتى، وقد وضعت كل شقتها على اتصال بالتليفزيون لكى

يمكن أن يتم إرسال كل لحظة من حياتها مباشرة إلى ملايين المشاهدين. "هذه أنَّا ك.، أفكر دائمًا فى سعادتى وتعاستى"، هذا أول ما يصل إليك بمجرد بداية المشاهدة. ثم يمكنك مشاهدتها وهى تصلح حاجبيها، أو وهى تقوم بتشميع خط ثوب السباحة البكينى، أو وهى تغسل ثيابها الداخلية. وكانت أحيانًا تقرأ مشاهد من مسرحيات قديمة بصوت مرتفع، بينما تجلس على علبة مرتدية بنطلون جينز ينتهى على شكل جرس حول القدمين. وكانت هذه هى الوسيلة التى التقى فيها جيمى لأول مرة بأعمال شكسبير – من خلال قراءة أنَّا ك. لماكبث.

الغد والغد والغد.

يزحف بمشيته البطيئة من يوم ليوم

حتى المقطع الأخير من الزمن المسجل؛

وكل أيامك الماضية قد أضاءت

تضل الطريق إلى الموت المغبر

تقرأ أنَّا ك.، كانت ممثلة هاوية بالغة الرداءة، لكن سنومان ظل دائمًا يعترف بفضلها لأنها فتحت له مُدخلاً من نوع ما. فأى أشياء كانت قد تفوته معرفتها لولاها. الكلمات فقط. كلمة "ذوى" على سبيل المثال، أو كلمة "قرمزى".

قال كريك: "ما هذا الهراء؟ هيا نغير القناة!"

قال جيمى: "لا، انتظر، انتظر"، وقد استولى على لبه – أى شىء؟ شىء ما أراد أن يسمعه. وانتظر كريك، لأنه كان أحيانًا يساير جيمى.

وربما يشاهدان "استعراض البرص الصياح"، والذى كان يعرض مسابقات أكل الحيوانات والطيور الحية، والتى يحسب الوقت فيها بساعة إيقاف، مع جوائز من الأطعمة التى يصعب الحصول عليها. كان من المدهش ماذا يمكن أن يفعله الناس من أجل قطعتين من شرائح لحم ضلوع الغنم، أو كتلة من الجبن الأبيض الأصلى.

أو، قد يشاهدان استعرضات بورنوجرافية. وكان هناك الكثير منها.

متى انطلق الجسد لأول مرة فى مغامراته الخاصة؟ يفكر سنومان؛ بعد أن خندق زميلى السفر القديمين: العقل والروح، اللذان كان يُعَدُّ من قبل مجرد وعاء فاسد لهما، أو مجرد دمية تقوم بتمثيل ما يريدان، أو صحبة سيئة، تقود الاثنين الآخرين إلى الدمار. لابد أنه تعب من تهويمات الروح التى لا تتوقف، وحركة العقل الدائبة الناتجة عن الرغبة فى المعرفة، والتى تشتت الجسد متى كان يريد أن ينشب أسنانه فى شىء لذيذ أو يغرز أصابعه فى شىء طيب. لقد ألقى الجسد الاثنين الآخرين خلفه فى مكان ما، تاركًا إياهما تائهين فى ملاذ حرم رطب أو قاعة محاضرة جافة، بينما سلك هو طريقه إلى الحواجز التى لا قمة لها، وألقى بالثقافة معهما؛ الموسيقى والتصوير والشعر

والمسرح. السمو كله؛ لا شيء إلا السمو، وفقًا لما يراه الجسد. لماذا لا تنطلق إلى المطاردة؟

لكن الجسد كان له أنماطه الثقافية الخاصة. كان له فنه الخاص. كان تنفيذ أحكام الإعدام هو مآسيه، والعرى هو رومانتيكيته.

للدخول إلى أكثر المواقع الممنوعة والفاحشة – تلك التى لا تستطيع دخولها إلا إن كنت فوق الثامنة عشرة، والتى تحتاج لدخولها إلى كلمة سر خاصة – استخدم كريك الكود الخاص بالعم بيت، عبر مسار معقد كان يسميه متاهة الليلك. بنى مسارًا ملتويًا عبر الشبكة، مستخدمًا دخولاً غير مشروع بطريقة عشوائية من خلال مدخل سهل لإحدى الشركات التجارية، ثم يقفز من رقعة ليلك إلى أخرى، مع مسح بصمات قدميه فى الطريق. وهكذا عندما وصلت الفاتورة للعم بيت لم يستطع أن يكتشف من الذى استخدم كوده السرى.

ووجد كريك أيضًا مخبأ "عشب فانكوفر النتن" من الرتبة الممتازة، الذى كان يحتفظ به العم بيت فى علب عصير برتقال فى الفريزر؛ وأخذ حوالى ربع العلبة، ثم خلطها ببعض الأعشاب التى كانت تسمى "كناسة السجاد"، منخفضة الأوكتين والتى يمكنك شراؤها من دكان بيع الحلوى بالمدرسة مقابل خمسين دولارًا للكيس الصغير. قال إن العم بيت لن يعرف أبدًا لأنه لا يدخن أبدًا إلا إذا كان يريد أن يمارس الجنس مع أم كريك، الأمر الذى لم يكن كثير الحدوث – إذا حكمنا من عدد علب

عصير البرتقال ومعدلات تناقصها. قال كريك إن العم بيت لابد أن يحصل على متعته الحقيقية فى المكتب، وهو يرأس الناس حوله، ويسوط العبيد العاملين بالأجر. كان العم بيت أحد العلماء فيما مضى، لكنه الآن مدير له شأن كبير فى هيلثوايزر، على قمة إدارة التمويل.

وهكذا كانا يلقان بضع سجائر ويدخنانها وهما يشاهدان مناظر الإعدام والبورنو - أجزاء الجسد تتحرك على الشاشة بالحركة البطيئة، باليه تحت الماء من اللحم والدم تحت الضغط، ممارسة الجنس بطريقة قوية أو ناعمة، الآهات والأنات، صور مقربة للعيون المغلقة والأسنان المطبقة، تدفق هذا أو ذاك. إذا حركت الصورة أمامًا وخلفًا بسرعة، سوف يبدو وكأن مناظر الإعدام والجنس حدث واحد. أحيانًا كانا يشاهدان الشيئين معًا، كل منهما على شاشة مختلفة.

كانت معظم هذه الجلسات تجرى فى صمت، إلا من المؤثرات الصوتية القادمة من الجهازين. وكان كريك هو الذى يقرر ما الذى يشاهدانه ومتى يتوقفان عن المشاهدة. وهو أمر عادل، على أى حال كان الجهازان له. قد يقول: "هل انتهيت من هذا؟" قبل أن يغير. ولم يكن يبدو أنه يتأثر بأى شيء يراه، بطريقة أو بأخرى، إلا عندما كان يرى الأمر مضحكًا. ولم يكن يبدو أنه يتأثر بالمخدر أيضًا. حتى أن جيمى ارتاب فى أنه يستنشق النَفَس بالفعل.

أما جيمى فقد كان يشق طريقه إلى البيت متمايلاً، لا تزال رأسه تطن من المخدر، وشاعراً بأنه كان داخل حفلة من الطقوس العربيدة،

حفلة لم يكن فيها قادراً على التحكم فى أى شىء حدث له. ماذا حدث له؟ كان يشعر أيضًا بأنه خفيف للغاية، كما لو كان من الهواء، هواء خفيف يدوِّخ، على قمة جبل إفرست المغطى بالنفايات. وعند عودته إلى البيت، إلى القاعدة الوالدية - بافتراض أنهما هناك، وموجودان فى الطابق الأسفل - لم يكن يبدو عليهما أبداً أنهما يلاحظان شيئًا.

قد تقول له رامونا: "هل أكلت كفاية؟" وقد تفسر همهمته بأنها نعم.

جرعات حامية

كان العصر هو أفضل الأوقات لفعل هذه الأشياء فى منزل كريك. لم يكن هناك من يقاطعهما. كانت والدة كريك تخرج كثيراً، أو فى حالة استعجال؛ كانت تعمل طبيبة تشخيص فى مجمع المستشفى. وكانت شخصية حادة، ذات فك مربع، وشعر أسود وصدر صغير. وفى المناسبات النادرة التى تصادف فيها وجود جيمى هناك وهى موجودة فى الوقت نفسه، لم تقل الكثير. كانت تنهمك فى دولاب المطبخ بحثًا عن شىء يمكن أن يقوم بدور وجبة خفيفة "لكما يا أولاد"، كما تدعوهما. أحيانًا قد تقف فى وسط إعداداتها - وضع بعض الكريكرز فى طبق، أو تقطيع أجزاء صغيرة من جبن أبيض وبرتقالى - وتقف فى حالة جمود، وكأنها ترى شخصًا آخر فى الغرفة. كان انطباع جيمى

أنها لا تستطيع أن تذكر اسمه، ليس هذا فقط، بل إنها قد لا تذكر اسم كريك أيضًا. أحيانًا تسأل كريك إذا كانت غرفته مرتبة، ومع ذلك لم تدخلها أبدًا بنفسها.

قال كريك، بوجه عابس: "إنها تؤمن باحترام خصوصية الطفل".

قال جيمى: "أراهن أن ذلك بسبب جواربك القميئة. إن كل عطور العرب لن تؤثر فى هذه الجوارب الصغيرة". كان قد اكتشف حديثًا متعة استخدام الاقتباسات. قال كريك: "ولهذا لدينا عطر لجو الغرفة". أما العم بيت، فنادرًا ما كان يعود إلى البيت قبل السابعة. كانت هيلثوايزر تتوسع مثل الهليوم، ولهذا كان لديه مسئوليات كثيرة جديدة. ولم يكن عمًّا حقيقيًّا لكريك، ولكنه كان الزوج الثانى لوالدته. وقد حصل على هذه المكانة عندما كان كريك فى الثانية عشرة، أى أكبر بعامين على الأقل من أن يستطيع رؤية لافتة "العم" إلا كصورة كريهة وزنخة تمامًا. إلا أن كريك قبل الوضع الراهن، أو هذا هو الظاهر. يمكن أن يبتسم، وقد يقول طبعًا، يا عم بيت، أو: عندك حق، يا عم بيت عندما يكون الرجل حاضرًا، لكن جيمى كان يعرف أن كريك يكرهه.

فى عصر أحد الأيام فى – متى؟ مارس، لابد أنه كان مارس، لأن الجو كان حارًّا كجهنم بالخارج – كان كلاهما يشاهدان البورنو فى غرفة كريك. وكانا قد بدآ يشعران كما لو كانا يشاهدانها من أجل الأيام الخوالى، كنوع من الحنين – شىء قد نضجا وتجاوزاه، مثلما يطوف

الرجال متوسطى السن بنوادى المراهقين فى أرض السوقة. ولكن، كنوع من أداء الواجب، أشعلا سيجارة محشوة، ودخلا سرقة إلى كارت العم بيت عن طريق متاهة جديدة، وبدأ يجوبان الشبكة. دخلا لرؤية "تورتة اليوم"، التى كانت تعرض دكان حلوانى فى الأماكن المعتادة، وذهبا إلى "البالعون السوبر"؛ ثم دخلا إلى موقع روسى يوظف العاملين السابقين من لاعبى الأكروبات والباليرينات والبهلونات.

علق كريك قائلاً: "من قال إن المرء لا يستطيع أن يخدع نفسه؟" كان السير على الحبل العالى مع ست مشاعل ملتهبة جيداً جدا، لكنهما رأيا أشياء كهذه من قبل.

ثم ذهبا إلى موقع "هوت توتس"، أو "جرعات حامية"، وهو موقع جنس عالمى. كان الموقع يعلن "أفضل شىء تالٍ لأن تكون هناك". وكان يدعى أنه سيعرض جولات جنس حقيقية، مصورة أثناء القيام بأشياء يمكن أن تدخلهم السجن هناك فى بلادهم. لم تكن وجوههم ظاهرة، ولم تستخدم أسماؤهم، لكن احتمالات الابتزاز لابد أنها كانت موجودة، يكتشف سنومان ذلك الآن. كان المفترض أن المواضع التى يحدث فيها ذلك هى بلاد الحياة فيها رخيصة والأولاد كثيرون، وحيث يمكنك أن تشترى أى شىء تريده.

كانت تلك أول مرة يريان فيها أوريكس. لم تكن تزيد عن ثمانى سنوات تقريبًا، أو هكذا كانت تبدو. ولم يتأكدا أبداً كم كان عمرها فى

ذلك الوقت. لم يكن اسمها أوريكس، لم يكن لها اسم. لم تكن إلا فتاة صغيرة أخرى على أحد مواقع البورنو.

لم يكن جيمى يرى أن تلك الفتيات شيئًا حقيقيا – كان يأخذ الأمر دائمًا على أنهن مجرد مستنسخات ديجيتال – ولكن لسبب ما، كانت أوريكس ثلاثية الأبعاد منذ البداية. كانت صغيرة ونحيلة وشديدة التألق، وعارية مثل الباقيات، لا شىء على جسدها سوى إكليل من الزهور وشريط شعر وردى، وهى أشياء تتكرر كثيراً على مواقع جنس الأطفال. كانت راكعة على ركبتيها، وفتاتان أخريان على جانبيها، تم إيقافهن فى هذا الوضع أمام ذكر عملاق فى حجم جاليفر فى ليليبوت – وهو رجل تحطمت سفينته على جزيرة مليئة بالأقزام المرحين، أو خُطف، وأجبر على تجربة متع معذبة على يد ثلاث جنيات لا روح لهن. وكانت ملامح الرجل المميزة قد تم إخفاؤها – وضع على رأسه كيسٌ به فتحتين للعينين، ووضع شريط لاصق فوق أى وشم أو جرح ، لم يكن هؤلاء الناس يريدون أن يعرفهم أهلهم فى بلادهم، رغم أن احتمال كشفهم كان جزءًا من الإثارة.

والفعل كان هو لعق كمية كبيرة من الكريمة المخفوقة. والتأثير يبدو بريئًا وداعرًا فى وقت واحد؛ فالبنات الثلاث يتحركن فوق الرجل بألسنتهن الصغيرة وأصابعهن النحيلة، يلعقن جسده تمامًا لدرجة خروج أصوات تأوهات وضحكات. ولابد أن الضحكات كانت مسجلة،

فلم تكن آتية من البنات الثلاث؛ فقد بدون كلهن خائفات، وواحدة منهن كانت تبكى.

عرف جيمى السر المؤلم. وفكر أن المفروض أن يبدو الأمر كذلك، فإذا توقفن عن هذا الفعل، ستأتى عصا من خلف الشاشة وتنخسهن. كان هذا من ملامح هذا الموقع. كانت هناك ثلاث طبقات متناقضة من محاولات جعلك تصدق ما تراه، كل طبقة فوق الأخرى: أنا أريد، أنا لا أريد، أنا أريد.

توقفت أوريكس فى وسط ما تفعله. ابتسمت ابتسامة صغيرة صعبة جعلتها تبدو أكبر كثيراً من سنها، ومسحت الكريمة المخفوقة من فمها. ثم نظرت من فوق كتفها، ومباشرة فى عينى المشاهد – مباشرة فى عينى جيمى، وإلى الشخص السرى القابع داخله. وكانت تلك النظرة تقول إننى أراك. أنا أرى أنك تشاهد. أنا أعرفك. أنا أعرف ما تريد.

ضغط كريك على زر الارتداد إلى الخلف، ثم على التجميد، ثم على إنزال الصورة على الجهاز. كان كثيراً ما يجمد الصور، وهو الآن لديه أرشيف صغير منها. أحياناً كان يطبعها ويعطى نسخة لجيمى. وهذا يمكن أن ينطوى على خطورة، فقد يترك بعض البصمات التى يمكن أن يتتبعها أى شخص من خلال المتاهة، لكن كريك كان يفعلها على أى حال. وهكذا، حفظ كريك تلك اللحظة الواحدة، اللحظة التى نظرت فيها أوريكس.

شعر جيمى أن تلك النظرة تحرقه - تأكله من الداخل كما لو كانت مادة حمضية. كانت نظرتها شديدة الازدراء له. لابد أن سيجارة المخدر التى كان يدخنها لم تكن تحتوى أكثر من تبن أخضر؛ فلو كانت أقوى لربما استطاع أن يتجاوز الشعور بالذنب. لكن لأول مرة شعر بأن ما كانا يفعلانه خطأ. قبل ذلك كان نوعًا من التسلية، أو أنه كان خارجًا عن إرادته، لكن الآن شعر بأنه يستحق اللوم. وفى الوقت نفسه شعر بأنه معلق من رقبته: إذا كان من الممكن أن يجد وسيلة نقل سريعة إلى حيث كانت أوريكس لأخذها بلا تردد. لقد توسل لأن يذهب هناك. كان الأمر شديد التعقيد.

قال كريك: "هذه حافظة، هل تريدها؟" قال جيمى "نعم". استطاع أن ينطق الكلمة بصعوبة بالغة، وتمنى أن يكون صوته قد بدا عاديًّا.

وهكذا طبع كريك الصورة، صورة أوريكس تنظر، وحفظها سنومان، وحفظها. وأطلع أوريكس عليها بعد سنوات عديدة.

وكان ما قالته فى البداية هو "لا أظن أن هذه هى أنا".

قال جيمى: "لابد أنها أنت! انظرى! إنها عيناك!"

قالت: "كثير من الفتيات لهن عينان، كثير من الفتيات مررن بهذه الأشياء. كثير جداً". ثم إذ رأت ما بدا عليه من الإحباط، قالت: "ربما تكون أنا. ربما بالفعل. هل يسعدك هذا يا جيمى؟"

قال جيمى: "لا"، هل كانت هذه كذبة؟

"لماذا احتفظت بها؟"

وبدلاً من أن يجيبها سنومان، قال: "فيم كنت تفكرين؟"

لو كانت امرأة أخرى مكانها لهشمت الصورة، وبكت، واتهمته بالإجرام، وقالت له إنه لا يفهم شيئًا عن حياتها، ولقامت بمشهد عام. لكنها مسحت بيدها على الصورة، جرت بأصابعها برقة على وجه الطفلة الناعم المزدرى الذى كان يومًا – بكل تأكيد – وجهها.

وقالت: "أتظن أننى كنت أفكر؟ اوه يا جيمى! أنت دائمًا تظن أن كل شخص يفكر. ربما لم أكن أفكر فى أى شىء".

قال: "أعرف أنك كنت تفكرين".

"هل تريدنى أن أتظاهر بغير الحقيقة؟ هل تريدنى أن أخترع شيئًا؟"

"لا، أخبرينى فقط".

"لماذا؟"

كان على جيمى أن يفكر فى ذلك. تذكر نفسه وهو يشاهد. كيف استطاع أن يفعل ذلك بها؟ ولكن هذا لم يكن يؤذيها، هل كان يؤذيها؟ "لأننى بحاجة لأن تخبرينى". ليس سببًا كافيًا، لكنه كان كل ما استطاع أن يفكر فيه.

تنهدت: "كنت أفكر... أننى...". قالت ذلك وهى ترسم بإصبعها دائرة صغيرة على جلده: "لو كانت لدى الفرصة، فلن تكون أنا الراكعة على ركبتيها".

قال جيمى: "إذن يكون هذا شخص آخر؟ من؟ أى شخص؟"

قالت أوريكس: "إنك تريد أن تعرف كل شىء!"

(٥)

توست

يجلس سنومـــان فى مـــلاعته الرثة منحنيًـا عند أطراف منطقـــة الأشجار، حيث تنمو الحشائش والنباتات العلفية وتندمـج عناقيد البحر بالرمال. أصبح الجو أكثر برودة؛ ولذا يشـعر بأنه أقل اكتئاباً. كما أنـه جائع. هناك شىء يمكن قوله عن الجوع، على الأقل يشعرك بأنك لا تزال حياً.

يتـحـرك نسـيم بارد على أسطح الوريقـات، وحـشـرة تئز وتطن، ويضرب الضوء الأحمر للشمس الغاربة قمم الأبراج فى الماء، مضيئًا لوحًـا زجاجيًـا لم يكسـر هنا أو هناك، كمـا لو أن لمبـات متناثرة قد أضيئت. عديد من البنايات كان لها ذات يوم حدائق على الأسطح، والآن مثقلة بالنمو الزائد للنباتات الشجرية. مئات الطيور تجرى عبر السماء باتجاهها لتحط عليها. طيور أبى منجل؟ أم هى طيور مالك الحزين؟ الطيور السوداء هى طيور الغاق، هو يعرفها جيداً. وهى تستقر على أوراق النبـاتات الداكنة، تتنازع زاعـقـة. إذا أراد يومًـا بعض بقـايا الأسماك، فهو يعرف أين يجدها.

وعبر المنطقة الخالية من الأشجار إلى الجنوب يأتى أرنب، يقفز، ويتسمع، ويتوقف ليقضم بعض الحشائش بأسنانه الكبيرة التى تلمع فى الغسق ببريق مخضر وكأنما اختلسه من الألوان القوس قزحية لأحد قناديل البحار العميقة فى مغامرة قديمة العهد. وفى الضوء الخابى يبدو الأرنب ناعمًا وشفافًا، كقطعة من الحلوى التركية؛ وكأنما يمكن أن تمتص فروه كالسكر. كان ثمة أرانب خضراء مضيئة، حتى فى صبا سنومان، رغم أنها لم تكن كبيرة هكذا ولم تكن قد خرجت من أقفاصها وانطلقت لتعيش مع الحيوانات البرية، وأصبحت مزعجة.

هذا الأرنب لا يخشاه، رغم أنه يملؤه بمشاعر الرغبة فى أكل اللحم، يتمنى لو يضربه بحجر، ويمزقه بيديه العاريتين، ثم يحشوه فى فمه، بتمامه وكل ما فيه. لكن الأرانب تنتمى إلى أطفال أوريكس، ومخيفة لأوريكس نفسها، وليس من اللطيف إزعاج النساء.

إنها غلطته. لابد أن الشراب أذهله عندما كان يضع القوانين. كان ينبغى أن يجعل الأرانب صالحة للأكل بنفسه على أى مستوى، لكنه لا يستطيع أن يغير ذلك الآن. يكاد يسمع أوريكس تضحك منه فى بهجة متسامحة، وإن كان بها بعض الخبث.

أطفال أوريكس، أطفال كريك. كان عليه أن يفكر فى شىء ما. قل حكايتك مباشرة، قلها بسيطة، لا تتلعثم أو تتردد؛ كانت هذه نصيحة خبير يقولها المحامون للمجرمين فى قفص الاتهام. كريك صنع عظام

أطفال كريك من الشُعَب الموجودة على الشاطئ، ثم صنع لحومهم من المانجو. لكن أطفال أوريكس فقسوا من بيضة، بيضة عملاقة وضعتها أوريكس نفسها . الواقع أنها وضعت بيضتين: واحدة مليئة بالحيوانات والطيور والأسماك، والأخرى مليئة بالكلمات. لكن البيضة المليئة بالكلمات فقست أولاً، وفى ذلك الوقت كان أطفال كريك قد خلقوا بالفعل، وأكلوا كل الكلمات لأنهم كانوا جوعى، وهكذا لم تعد هناك كلمات باقية عندما فقست البيضة الثانية. ولهذا لا تتكلم الحيوانات.

التناغم الداخلى هو أفضل شىء. تعلم سنومان هذا فى المرحلة الأولى من حياته، عندما وضع الكذب أمامه تحديات متعددة. والآن حتى عندما يفاجأ متلبساً بتناقض صغير يمكنه أن يقوم بصقله، لأن هؤلاء الناس يثقون به. إنه الشخص الوحيد الباقى الذى عرف كريك وجهاً لوجه، ومن ثم يمكنه أن يدعى الوعى بالتسلسل الداخلى. فوق رأسه تطير اللافتة غير المرئية لمعانى: الكريكية، الكريكوية، الكريكان، تقدس كل ما يفعله.

تظهر النجمة الأولى. "ضوء النجمة، بريق النجم"، أحد معلمى المدرسة الابتدائية، سالى ذات المؤخرة الكبيرة. الآن أغمضوا عيونكم بقوة. أقوى، بقوة شديدة! هناك! أترون نجمة التمنى؟ الآن سوف نتمنى الأمنية التى نريدها أكثر شىء فى العالم الواسع كله، لكن... ششش – لا تخبر أحداً، وإلا فإن أمنيتك لن تتحقق!

يغلق سنومان عينيه بشدة، يدفعهما بقبضتيه، ويغطى وجهه كله. ها هى نجمة التمنى فعلاً: إنها زرقاء. "أتمنى أن، أتمنى لو"، يقول. "تتحقق الأمنية التى أتمناها الليلة".

فرصة كبرى.

يقول صوت: "أوه، سنومان، لماذا تتكلم مع لا أحد؟" يفتح سنومان عينيه: ثلاثة من الأطفال الكبار واقفين بعيداً عن متناوله، ينظرون إليه باهتمام. لابد أنهم زحفوا بهدوء فى ضوء الغسق الخابى.

يقول: "إننى أتحدث مع كريك".

"لكنك تتكلم مع كريك من خلال هذا الشىء اللامع! هل كسر؟"

يرفع سنومان ذراعه الأيسرالذى يحمل ساعته. "هذا من أجل الاستماع إلى كريك. الكلام معه مختلف".

"لماذا تكلمه عن النجوم؟ ماذا تقول لكريك، يا سنومان؟"

يفكر سنومان، فعلاً، ماذا أقول له؟ عندما تتعامل مع الأهالى المحليين، يقول الكتاب الموجود فى رأسه - هذه المرة كتاب أكثر حداثة، من أواخر القرن العشرين، والصوت صوت أنثى تتحدث بثقة - لابد أن تحاول احترام تقاليدهم وأن تقصر تفسيراتك على مفاهيم بسيطة يمكن فهمها فى سياق عقائدهم. عاملة مخلصة من عمال الإنقاذ فى زى الغابة الكاكى، تحت ذراعيها شبكة وفى ثيابها مئات

الجيوب. بقرة صالحة متواضعة، تفكر أن لديها كل الإجابات. كان يعرف بنات بهذه الطريقة فى الكلية. إذا كانت هنا فستحتاج لقطة جديدة بالكامل عن "الأهالى".

يقول سنومان: "كنت أقول له، إنكم تسألون أسئلة كثيرة جداً". يضع ساعته على أذنه. "ويقول لى إنكم إذا لم تتوقفوا عن ذلك، فسوف تتحولون إلى توست".

"من فضلك يا سنومان، ما هو التوست؟"

خطأ آخر. يفكر سنومان. لابد أن يحاول تجنب الاستعارات الملغزة. يقول: "التوست، هو شىء سئ للغاية. إنه سئ لدرجة أننى لا أستطيع وصفه. والآن حان أوان نومكم. اذهبوا".

وما أن يبتعدوا، حتى يقول سنومان لنفسه: "ما هو التوست؟". التوست هو أن تأخذ قطعة من الخبز – ما هو الخبز؟ الخبز هو عندما تأخذ بعض الدقيق ... – ما هو الدقيق؟ سوف نتغاضى عن هذا الجزء، إنه شديد التعقيد. التوست هو شىء يمكنك أكله، مصنوع من نبات مطحون ومشكل على هيئة حجر. ويتم تسويته... من فضلك، لماذا تسويه؟ لماذا لا تأكل النبات وكفى؟ سوف نتغاضى عن هذا الجزء – انتبهوا. يتم تسويته، ثم يقطع إلى شرائح، وتوضع الشرائح فى "توستر"، وهى صندوق معدنى يسخن بالكهرباء – ما هى الكهرباء؟ لا تهتموا بهذا. عندما تكون الشريحة فى التوستر، تخرجون الزبد – الزبد

هو دهن أصفر، مصنوع من الغدد اللبنية الموجودة فى الحيوانات الثديية... فلنتجاوز الزبد. وهكذا، التوستر تحول شريحة الخبز إلى لون أسود من الجانبين، ويخرج منها دخان، ثم هذه "التوستر" تقذف بالشريحة فى الهواء، وتقع على الأرض....

يقول سنومان: "انس." "فلنحاول مرة أخرى". التوست هو اختراع لا هدف له من العصور المظلمة. كان التوست أداة تعذيب تعرض كل من وقع تحت رحمتها إلى تقيؤ كل ما ارتكبه فى حياته السابقة من آثام وجرائم على شكل كلمات. التوست كان أداة شعائرية التهمها عبدة الأوثان فى اعتقاد أنها سوف تعزز قواهم وقدراتهم الجنسية. التوسبت لا يمكن شرحه بأى طريقة عقلانية.

التوست هو أنا.

أنا توست.

سمك

يتغير لون السماء من الأزرق اللازوردى إلى النيلى. يفكر سنومان، بارك الله فيمن وضعوا أسماء الألوان الزيتية وألوان الملابس الداخلية الراقية للنساء. الوردى – لون بتلات الوردة، القرمزى، الضبابى الشفاف، البنى المحروق، البرقوقى الناضج، الأزرق النيلى، الأزرق

البحرى اللازوردى – إنها صور خيالية فى حد ذاتها، تلك الكلمات والعبارات. من المريح أن يتذكر أن الإنسان المنتصب القامة، "الهومو سابينس سابينس"، كان شديد العبقرية فى اللغة، وليست اللغة وحدها. كان عبقريا فى كل النواحى فى وقت واحد.

كان رأى كريك أنها عقول القردة. مخالب القرد، الفضول الزائد لدى القرد، الرغبة فى التفكيك، وقلب الأشياء داخلها إلى خارجها، الشم، الملاطفة، القياس والتقدير، إدخال التحسينات على الأشياء، الرمى، والنبذ أو التخلص من أشياء – كلها متعلقة بأمخاخ القردة، هو نموذج متقدم من مخ القرد، ولكن كل أمخاخ القرود الشىء نفسه. لم يكن كريك يؤمن بفكرة براعة الإنسان، رغم أنه هو نفسه كان على قدر كبير من البراعة.

هناك همهمة من الأصوات تأتى من اتجاه القرية، أو مما يمكن أن يكون قرية إذا كان بها أية بيوت. وفى الموعد تمامًا، ها هم الرجال يأتون، يحملون كشافاتهم، وخلفهم النساء.

كل مرة تظهر النساء، يشعر سنومان بدهشة متجددة. إنهن من جميع الألوان من الأسود الغطيس إلى الأبيض الناصع، ومن أطوال متعددة، لكن كل واحدة منهن ذات انسجام تام يثير الإعجاب. كل منهن أسنانها سليمة تمامًا، بشرتها ناعمة تمامًا. لا تتموج طيات الدهون حول خصرها، لا بروز، لا نقرات التهاب تحت الجلد على

أفخاذهن. لا شعر على الجسد، لا شعر كثيف. تبدو كل منهن وكأنها صورة تم تنقيحها لعارضة أزياء على الموضة، أو إعلانات لبرنامج عالى التكلفة.

ربما كان هذا هو السبب فى أن هؤلاء النساء لا يثرن فى سنومان أقل مشاعر الشهوة. كانت بصمات النقص البشرى هى التى تحركه، العيوب فى التصميم: الابتسامة المائلة، النتوء المجاور للسرة، الشامة، الكدمة. كانت هذه هى الأماكن المتفردة التى يضع فمه عليها. هل كان يرغب فى التعبير عن نوع من المواساة، تقبيل الجرح ليشفى؟ كان هناك دائمًا عنصر من الجنون فى الجنس. بعد أن مر بفترة المراهقة التى كان لا يميز فيها بين النساء، أصبح يفضل المرأة الحزينة، الرقيقة السهلة الهشة، المرأة التى تعانى من مأزق وتشعر بالحاجة إليه. كان يحب مواساتها، أن يربت عليها برقة فى البداية، ويشعرها بالأمان. ويجعلها أكثر سعادة، حتى ولو للحظة. ويشعر بالسعادة هو نفسه أيضًا، بالطبع؛ كان هذا هو الثمن الذى يتلقاه. المرأة التى تشعر بالعرفان سوف تقطع مسافة أكبر.

لكن هذه النساء الجديدات لسن مائلات الفم ولا حزينات، إنهن رابطات الجأش، كتماثيل متحركة. إنهن يشعرنه بالبرودة.

النساء يحملن سمكته الأسبوعية، مشوية بالطريقة التى علمها لهن وملفوفة فى أوراق الأشجار. يشم رائحتها، ويبدأ لعابه يسيل. يحضرن

السمكة إلى الأمام، ويضعنها على الأرض أمامه، سوف تكون سمكة شاطئية، نوع حقير لا طعم له ليشتهى، ويباع، ويعدم، أو سمكة تتغذى على القاع وقد ملأتها السموم، لكن سنومان لم يكن ليبدى اهتماماً أقل، سوف يأكل أى شىء.

يقول أحد الرجال: "ها هى سمكتك يا سنومان"، إنه المسمى ابراهام. ابراهام مثل ابراهام لينكولن، لقد رأى كريك من اللطيف أن يسمى الكريكيين بأسماء شخصيات تاريخية بارزة. بدا ذلك أمراً بريئًا فى ذلك الوقت.

تقول المرأة التى تحمل السمكة: "هذه هى السمكة التى اختيرت لك الليلة"، الإمبراطورة جوزيفين، أو ربما مدام كورى، أو سوجورنر تروث، إنها فى الظل ومن ثم لا يستطيع أن يعرف أيهن. "هذه هى السمكة التى تعطيك أوريكس إياها".

يفكر سنومان، حسنًا كلفيه اليوم.

كل أسبوع، وفقًا لأحوال القمر – محاق، تربيع أول، بدر تمام، تربيع ثان – تقف النساء فى البرك التى يصنعها المد، وينادين السمكة سيئة الحظ بالاسم – الاسم الذى هو "سمكة"، لا شىء آخر. ثم يحددنها، ويقتلها الرجال بالحجارة والعصى. وبهذه الطريقة يتوزع الشعور بالأسف عليهم جميعًا ولا يكون شخص واحد مذنبًا بإراقة دم السمكة.

إذا كانت الأمور قد سارت كما أراد كريك، لما كان هناك مزيد من القتل - ولا مزيد من الضراوة البشرية - لكنه ربما يستمر بدون سنومان وشهيته الوحشية. لا يستطيع سنومان أن يعيش على البرسيم. الناس أنفسهم لن يأكلوا سمكة أبداً، لكن عليهم أن يحضروا له سمكة كل أسبوع لأنه قال لهم إن كريك قد أصدر مرسوماً بذلك. وقد قبلوا وحشية سنومان؛ فقد كانوا يعرفون منذ البداية أنه مخلوق مختلف، ومن ثم لم يكن الأمر يثير دهشتهم على الإطلاق.

يفكر، أنا أبله. كان ينبغى أن أجعلها ثلاثة فى اليوم. يكشف أوراق الأشجار عن السمكة الدافئة، محاولاً أن يمنع يديه من الارتعاش. يجب أن لا يسمح بأن تجرفه مشاعره. لكن هذا ما يحدث دائماً.

يظل الناس واقفين محتفظين بالمسافة بينهم وبينه، ويحولون أبصارهم وهو يحرك يده بقبضة من السمكة إلى فمه ويمتص العينين والخياشيم، ويهمهم مستمتعاً. ربما يكون الأمر مثل سماع صوت الأسد نفسه وهو يأكل، فى حديقة الحيوان، فى الماضى عندما كانت هناك حدائق حيوان، عندما كانت هناك أسود - ينتزع ويمزق ويطحن بأسنانه، مضغ وبلع رهيبين - ومثل أولئك الذين كانوا يذهبون لزيارة تلك الحدائق، لا يستطيع الكراكرز إلا أن يختلسوا النظر. كان مشهد ارتكاب هذا الفعل الفاضح مشهداً غير عادى يجتذب الأنظار، فيما يبدو، حتى أنظارهم، هم المطهرون بالكلوروفيل.

عندما ينتهى سنومان، يلعق أصابعه ويمسحها فى ملاءته، ويضع العظام فى الأوراق مرة أخرى، استعداداً لإعادتها إلى البحر. قال لهم إن أوريكس تريد هذا - تريد العظام لتصنع منها أطفالاً آخرين. وقبلوا هذا دون سؤال، مثل كل شىء يقوله عن أوريكس. وفى الحقيقة كانت هذه إحدى خدعه الذكية، فلا معنى لترك البقايا حوله على الأرض لتجذب الراكويانات والكلديبات والبيجونات وغيرها من الحيوانات المحبة للفضلات.

يقترب الناس منه، الرجال والنساء معًا، يتجمعون حوله، عيونهم الخضراء تلمع فى الضوء الخابى، مثل الأرنب تمامًا، نفس جينة قنديل البحر. يجلسون كلهم معًا هكذا، تنبعث منهم روائح الفواكه الحمضية - وهو ملمح أضافه كريك، ظنًّا منه أن هذه الكيماويات سوف تطرد الناموس. وربما كان على حق، لأن كل الناموس على مدى أميال حولهم كانت فيما يبدو لا تلسع إلا سنومان. يقاوم الرغبة فى ضربها: دمه الطازج وحده يثير هذه الحشرات. ينتقل إلى اليسار ليكون فى الضوء الدخانى للكشافات.

"سنومان، من فضلك احك لنا عن أعمال كريك العظيمة". يريدون قصة، مقابل كل سمكة اغتالوها. يفكر سنومان، حسنًا، أنا أدين لهم بهذا، يا رب لا تخذلنى.

يقول: "أى جزء تريدون سماعه الليلة؟"

يقول صوت: "فى البداية"، إنهم مغرمون بالتكرار، ويحفظون كل شىء عن ظهر قلب.

يقول: "فى البداية، كانت هناك فوضى".

"أرنا الفوضى، من فضلك يا سنومان!".

"أرنا صورة للفوضى!"

يجاهدون مع الصور، فى البداية – ورود على زجاجات كريم فى القمامة التى على الشاطئ، فواكه على علبٍ عصير. هل هذا حقيقى؟ لا، هذا ليس حقيقيًّا. ما هو هذا غير الحقيقى؟ غير الحقيقى يدلنا على الحقيقى. وهكذا. لكن الآن يبدو أنهم أدركوا الفكرة.

يحثونه: "نعم! نعم! صورة للفوضى!"

عرف سنومان أنهم سيطلبون مثل هذا الطلب – كل القصص تبدأ بالفوضى – ومن ثم فهو مستعد. من المخبأ المصنوع من قوالب الطوب الأسمنتى، يحضر إحدى لقياته – دلو بلاستيك برتقالى، وقد حال لونه لكنه سليم. يحاول ألا يتخيل ماذا حدث للطفل الذى كان يمتلكه فى يوم من الأيام. "أحضروا بعض المياه"، يقول ذلك وهو يمسك بالدلو. تضطرب دائرة الكشافات، تمتد الأيدى، تهرول الأقدام داخل الظلام.

يقول: "فى الفوضى، كل شىء يختلط بكل شىء. كان هناك أناس كثيرون جدا، وهكذا كان الناس جميعًا مختلطون بالتراب". يعود الدلو، مطرطشًا، ويوضع فى دائرة الضوء. يضيف ملء يده من التراب، ويحركها بعصا. يقول: "ها هو، فوضى. لا يمكنكم شرب هذا....".

معًا فى صوت واحد: "لا!"

"ولا يمكنكم أكله..."

ضحك: "لا، لا يمكنك أكله!"

"ولا يمكنكم السباحة فيه، ولا يمكنكم الوقوف فيه..."

"لا! لا!" إنهم يحبون هذه الأشياء الصغيرة.

"الناس فى الفوضى كانوا أنفسهم مليئين بالفوضى، والفوضى جعلتهم يفعلون أشياء سيئة؛ كانوا يقتلون أناسًا آخرين طول الوقت، وكانوا يأكلون كل أطفال الأوريكس، على غير رغبة أوريكس وكريك. كل يوم كانوا يأكلونهم. كانوا يقتلونهم ويقتلونهم، ويأكلونهم ويأكلونهم. كانوا يأكلونهم حتى عندما لم يكونوا جوعى.."

شهقات هنا، عيون تتسع، تلك دائمًا لحظة درامية عنيفة. كل هذا الشر! يكمل: "ولم تكن أوريكس تريد إلا شيئًا واحدًا - تريد أن يكون الناس سعداء، وأن يعيشوا فى سلام، وأن يتوقفوا عن أكل أطفالها. لكن الناس لم يستطيعوا أن يكونوا سعداء، بسبب الفوضى. هنا قالت

أوريكس لكريك، هيا نتخلص من هذه الفوضى. وهكذا أخذ كريك الفوضى، وألقاها بعيداً". ويمثل سنومان المشهد، فيرمى الماء إلى أحد الجوانب، ثم يقلب الدلو. "ها هو. فارغ. وهذا هو كيف قام كريك بإعادة التنظيم العظمى وصنع الخواء العظيم. لقد محا القذارة، ونظف المكان....".

"من أجل أطفاله! من أجل أطفال كريك!"

"صحيح. ومن أجل..."

"ومن أجل أطفال أوريكس أيضاً!"

يقول سنومان: صحيح". أما من نهاية لهذه الابتداعات المخجلة؟ يشعر بأنه على وشك البكاء.

يقول الرجال: "كريك صنع الخواء العظيم...."

وتقول النساء: "من أجلنا! من أجلنا!" يتحول الأمر إلى طقس. "يا كريك الطيب الجميل!"

يشعر سنومان بغضب هائل لمداهنتهم لكريك، رغم أن هذه المداهنة هى نتيجة فعله. إن كريك الذى يمدحونه من اختراعه، اختراع لا يخلو من الحقد، كان كريك ضد فكرة الرب، أو الأرباب من أى نوع، ومن المؤكد أنه سيشعر بالغثيان لو شاهد منظر تأليهه التدريجى لو كان هنا. لكنه ليس هنا، ومن المثير لحنق سنومان أن

يستمع إلى كل هذا التزلف فى غير موضعه. لماذا لا يمجدون سنومان بدلاً من ذلك؟ سنومان الطيب الكريم، الذى يستحق التمجيد أكثر - أكثر كثيراً - لأنه من الذى أخرجهم؟ ومن الذى جاء بهم هنا، ومن الذى يعتنى بهم كل هذا الوقت؟ حسناً، يعتنى بهم نوعًا ما. من المؤكد أنه لم يكن كريك الذى يعتنى بهم. لماذا لا يغير سنومان من هذه الميثولوجيا؟ اشكرونى أنا، لا هو! تزلفوا إلى ذاتى بدلاً منه!

لكنه ينبغى أن يبتلع شعوره بالمرارة الآن. يقول: "نعم، كريك الطيب الصالح". ويلوى فمه بشكل يأمل أن يبدو ابتسامة طيبة مؤمنة.

كان يرتجل فى البداية، لكنهم الآن يطلبون عقيدة، وقد يخاطر إذا انحرف عنها. ربما لا يفقد حياته - فهؤلاء الناس لا يميلون للأعمال الانتقامية التى تتسم بالعنف أو إراقة الدماء، أو هم ليسوا كذلك حتى الآن - لكنه قد يفقد جمهوره. يمكن أن يولوه ظهورهم، ويبتعدوا عنه. إنه نبى كريك الآن، سواء شاء ذلك أم لم يشأ، ونبى أوريكس أيضًا. إما هذا أو لا شىء. ولا يستطيع أن يحتمل أن يكون لا شىء، أن يعلم أنه لا شىء. إنه بحاجة لمن يستمع إليه، إنه بحاجة لجمهور. وعلى الأقل، هو بحاجة لوهم أنهم يفهمونه.

تقول إحدى النساء: "يا سنومان، قل لنا متى ولد كريك". هذا طلب جديد، ولم يكن مستعداً له بعد، رغم أنه كان المفروض أن يتوقعه؛ فهؤلاء النساء لهن اهتمام كبير بالأطفال. يقول لنفسه حذار. ما إن يقدم لهم

أمَّا ومشهد ميلاد وكريك الطفل، سوف يطلبون التفاصيل. سوف يريدون أن يعرفوا متى ظهرت أولى أسنانه، ومتى تكلم أولى كلماته، ومتى أكل أول جذر نباتى، وما إلى ذلك من التوافه.

يقول سنومان: "كريك لم يولد أبداً، لقد نزل من السماء، كالرعد. الآن اذهبوا من فضلكم، إننى متعب". سوف يضيف إلى هذه الأسطورة فيما بعد. ربما سوف يمنح كريك قروناً، وأجنحة من نار، وربما يضيف له ذيلاً فوق ذلك.

زجاجة

بعد أن ابتعد أبناء كريك، آخذين معهم كشافاتهم، يتسلق سنومان شجرته بصعوبة، ويحاول أن ينام. كل ما حوله ضوضاء: حركة الأمواج، سقسقة الحشرات وطنينها، زقزقة الطيور، نقيق البرمائيات، حفيف الأوراق. أذناه تخدعانه، يظن أنه يسمع صوت بوق الجاز، على خلفية من طبل إيقاعى، كما لو كان صوتاً مكتوماً آتياً من أحد النوادى الليلية. من مكان ما بعيداً على الشاطئ يأتى طنين، وصوت خوار يرتفع، ماذا الآن؟ لا يستطيع أن يفكر أى حيوان يصنع مثل هذه الضوضاء. ربما تمساح هرب من مزرعة كوبية للتماسيح التى تربى لقتلها وأخذ جلودها، ويأخذ طريقه على الشاطئ نحو الشمال. سوف تكون هذه أخبار سيئة للأطفال الذين يسبحون. يتسمع ثانية، لكن الصوت اختفى.

ثمة همهمة هادئة بعيدة قادمة من القرية، أصوات بشرية. إذا كان يمكن أن تسميهم بشراً. طالما أنهم لا يبدأون في الغناء. غناؤهم لا يشبه أي شيء سبق أن سمعه في حياته التي اختفت؛ إنه غناء ما وراء المستوى البشري، أو ما تحته. كما لو كانت أحجار كريستال تغني، وليس هذا أيضاً. بل هو أقرب إلى نباتات السرخس وكأن أوراقها تتفتح – شيء قديم، شيء كربوني، ولكن في الوقت نفسه وليد جديد، له أريج، أخضر. هذا الصوت يلخصه، يثير عواطف كثيرة غير مرغوبة في نفسه. يشعر بأنه منفي، كما لو كان مستبعداً من حفلة لن يدعى إليها أبداً. كل ما عليه أن يفعل هو أن يخطو داخل الضوء، وسوف يجد حلقة من وجوه خالية من الانفعالات تلتفت إليه. سوف يسود الصمت، كما في المسرحيات المأساوية القديمة عندما يدخل البطل الذي وقع تحت حكم القدر ملفوفًا في عباءة من الأخبار السيئة. وعلى مستوى من اللاوعي ينبغي لسنومان أن يكون حامل الذاكرة لأولئك الناس، وليس حامل الذاكرة اللطيف: إنه هو من كانوا من قبل. يمكنه أن يترنم قائلاً: أنا ماضيكم. أنا سلفكم، جئت من أرض الموتى. وأنا تائه الآن، لا أستطيع العودة، أنا ضائع هنا، وأنا وحدي تماماً. دعوني أدخل!

آه يا سنومان، كيف يمكن أن نساعدك؟ الابتسامات اللطيفة، الدهشة المهذبة، المشاعر الودية المتحيرة.

قد يقول حينئذ: انسوا. فالواقع أنه ما من سبيل يمكنهم به مساعدته.

يهب نسيم قارص البرودة، الملاءة رطبة، يرتجف. لو كان فقط هناك منظم للحرارة فى هذا المكان. ربما يستطيع أن يجد طريقة ما لإشعال نار صغيرة، هنا فوق شجرته.

"اخلد إلى النوم"، يوجه الأمر لنفسه. لكن لا نتيجة. بعد فترة طويلة من القلق والتقلب والهرش، ينزل من على الشجرة ليحضر زجاجة الويسكى الموجودة فى المخبأ. هناك ضوء نجوم يكفى، ومن ثم يمكن أن يحضر أشياء، تقريبًا. لقد قام بهذه الرحلة مرات كثيرة فى الماضى، ففى البداية ولمدة شهر ونصف، بعد أن أصبح متأكدًا تمامًا أن الأمان قد أصبح يكفى للتخفيف من يقظته واحتراسه، كان يخرج عن عقله كل ليلة. لم يكن هذا أمرًا حكيمًا ولا ناضجًا منه، هذا مسلم به، لكن ما فائدة الحكمة والنضج له الآن؟

وهكذا، كانت كل ليلة هى ليلة حفل، حفل لشخص واحد. أو كل ليلة كان لديه ما يصنع به حفلاً، متى ما استطاع أن يجد زجاجة أخرى من الكحول فى أحد مبانى أرض السوقة فى مكان يستطيع الوصول إليه. فى البداية طاف بالبارات القريبة، ثم المطاعم، ثم البيوت والمقطورات. صنع دواء للكحة، وكريما للحلاقة، وكحولاً للتدليك، وكدس كمية كبيرة من الزجاجات الفارغة هناك وراء الشجرة. ومن حين لآخر كان يجد مصادفة بعض المخدر العشبى المخبوء، واستهلك كل ذلك أيضًا، رغم أنه كثيرًا ما كان فى حالة تعفن، ومع ذلك كان أحيانًا يتمكن من أخذ جرعة منه. أو قد يجد بعض الأقراص. لا كوكايين أو مسحوق أو هيروين -

لابد أن ذلك كان قد استعمل مبكراً، وتم شحن العروق والأتوف به فى انفجارة أخيرة لـ أستمتع باللحظات الأخيرة من الزمن؛ أى شىء لأخذ إجـازة من الواقع، فى هذه الظروف. كـانت هـناك علب أقـراص "بليس بلاس" البلاستيكية الفارغة فى كل مكان، وكل مـا يمكن أن تحتاجه من أجل طقوس عربيدة لا تتوقف. لم يستطع المعربدون أن يصلوا إلى كل الخمور، رغم أنه غالباً فى رحلات البحث والجمع كان يكتشف أن آخرين كانوا هناك قبله ، ولم يتركوا سوى حطام الزجاج. لابد أنه كانت هناك سلوكيات تمردية من كل الأنواع التى يمكن تخيلها، حتى لم يعد هناك فى النهاية من يمنعها.

عندمـا وصل الأرض كـان الظلام مطبقًـا. كـان يمكن أن يفـيد من وجـود مـصـبـاح مـعـه، من النـوع المقـاوم للرياح. لابد أن يلاحظ جـيداً. يتلمس طريقه متعثراً فى الاتجاه الصحيح، يبحث الأرض بعينيه خشية وجود السرطان الأرضى الأبيض الشرير الذى يخرج من جحوره ويعدو بسرعة بعد أن يهبط الظلام – هذه الأشياء يمكن أن تقرص قرصة مؤلمة – وبعد انعطافة قصيرة داخل أجمة، يصل إلى مخبئه الأسمنتى عندما تصطدم به قدمه. ويتراجع عن السب، لا يمكن أن يعرف ماذا يمكن أن يطوف خلسة فى الليل. يفتح المخبأ، ويتلمس باحثًا خلاله حتى يجد ثلث زجاجة الويسكى.

كان يدخرها، مقاومـاً الرغبة فى الاحتفال بها، محتفظًا بها كنوع من التـعـاويذ – طالما أنه يعـرف أنهـا لا تزال هناك يصبح مرور الوقت

أسهل. لكن قد يكون أجلها قد حان الآن. إنه متأكد من أنه قد استكشف كل موقع محتمل على بعد يوم ذهابًا وإيابًا من شجرته. لكنه يشعر بأنه محطم. لماذا يدخرها؟ لماذا الانتظار؟ ما قيمة حياته على أى حال، ومن يهتم؟ تعالى، تعالى، أيتها الشمعة قصيرة العمر. لقد أدى دوره التطورى، كما كان الملعون كريك يعرف أنه سيفعل. لقد أنقذ أطفاله.

"الملعون كريك"، لم يستطع أن يقاوم الصراخ.

يتلمس طريقه بيد وهو يمسك الزجاجة باليد الأخرى، يصل إلى شجرته مرة أخرى. إنه بحاجة إلى كلتا يديه ليتسلق، ومن ثم يربط الزجاجة جيداً فى ملاءته. وما إن يصعد، يجلس على الرقعة، ويتجرع الويسكى، وينفجر بالعواء فى النجوم – أرووا أرووا – حتى يفاجأ بكورس من الردود تأتى من جوار الشجرة تماماً.

أهو وميض أعين؟ إنه يسمع لهاثًا.

يصيح مناديًا: "أهلا، يا أصدقائى ذوى الفراء، من يريد أن يكون أقرب أصدقائى؟" ويرتد إليه صوت عواء طويل. هذا أسوأ ما فى الكلدييات؛ إنها لا تزال تشبه الكلاب، لا تزال تتصرف كالكلاب، تنتصب آذانها، تقوم بقفزات لاعبة كالكلاب، تهز أذيالها. تخدعك بسهولة، ثم تهاجمك. لم تستغرق وقتًا طويلاً لترجع إلى ما قبل خمسين ألف سنة من العلاقة بين الإنسان والكلب. أما بالنسبة للكلاب الحقيقية، فإنها لم تكن

لها أية فرصة، فالكلديبات بكل بساطة قتلت وأكلت كل تلك الحيوانات التى أظهرت أية علامات تدل على طبع مستأنس. لقد رأى كلديباً يتقدم نحو كلب بكينى بطريقة ودودة، ويتشمم عجيزته، ثم يندفع بقوة إلى عنقه، يلوح به كخرقة، ويغوص فى الجسد المنهك.

لفترة ظلت هناك بعض الحيوانات المنزلية المهجورة تبحث حوله، شاحبة وهزيلة، تلبدت فراؤها وأصبحت كليلة، تستجدى بعيون متحيرة أن يأخذها إنسان، أى إنسان. لكن أطفال كريك لم يرضوهم، لابد أن رائحتهم بدت غريبة للكلاب، نوع من الفاكهة التى تسير على قدمين، خاصة فى الغسق عندما تفوح روائح زيت الفاكهة الحمضية الطارد للحشرات - وعلى أية حال، لم يظهر الأطفال الكريكيون أنفسهم اهتماماً بفكرة استئناس الكلاب، ومن ثم ركزت الحيوانات الشاردة على سنومان. وكاد يستسلم مرة أو مرتين، وجد من الصعب أن يقاوم توسلهم لإرضائه، وأنينهم الذى يدعو للإشفاق، لكنه ما كان ليقدر على إطعامهم، على أية حال ما كانوا لينفعوه بشىء. قال لهم: "إن الأمر هو أن يسبح المرء أو يغرق. آسف، يا أصدقائى القدامى". وكان يطردهم بالحجارة، وهو يشعر بأنه شديد الرداءة، ولم يعد يرى منها أحداً فى الفترة الأخيرة.

كم كان غبيًّا. لقد تركها للفناء. كان يجب أن يأكلها. أو يأخذ واحداً منها، ويدربه لصيد الأرانب. أو للدفاع عنه. أو شىء ما.

لا تستطيع الكلديات تسلق الأشجار، وهو أمر طيب. لو كانوا بعدد كاف وشديدى الإصرار، سوف يضطر أن يتأرجح من فرع لآخر، مثل طرزان. إنها فكرة مضحكة، بل إنه يضحك بالفعل. يصرخ فيها: "كل ما تريدون هو جسدى!" ثم يفرغ الزجاجة فى جوفه ويلقى بها لأسفل. يسمع نباحًا، وعدوًا سريعًا، لا تزال هذه الحيوانات تحترم القذائف. لكن كم يستمر هذا؟ إنها حيوانات ذكية؛ سرعان ما سوف تعرف أنه ضعيف، وتبدأ فى تصيده. وما إن يبدأ هذا لن يتمكن أبدًا من الذهاب إلى أى مكان، أو إلى أى مكان بدون أشجار. كل ما عليهم فعله أن يجعلوه يخرج إلى مكان مفتوح، ويحيطون به، ويقتربون منه لقتله. ولكن هناك الكثير يمكنك فعله بالحجارة والعصى المدببة. إنه بحاجة فعلاً لأن يجد بندقية رش.

بعد أن ذهبت الكلديات، يرقد على ظهره على الرقعة الخشبية، ويحدق فى النجوم من خلال أوراق الأشجار التى تهتز برقة. تبدو النجوم قريبة، لكنها بعيدة جداً. أضواؤها تلك ترجع إلى ملايين، بل بلايين السنين. رسائل لا مرسل لها.

يمر الوقت. يريد أن يغنى أغنية، لكنه لا يستطيع أن يفكر فى أغنية. تنبعث الموسيقى القديمة داخله، ثم تخبو؛ كل ما يمكنه سماعه هو آلات الإيقاع. ربما يمكنه أن يصنع فلوت، من فرع أو عود أو شىء كهذا، لو استطاع فقط أن يجد سكينًا.

"ضوء النجوم، ضوء النجوم"، ماذا بعد ذلك؟ لقد ضاعت الأغنية من رأسه.

لا قمر، الليلة المحاق، رغم أن القمر هناك، ولابد أن يكون طالعًا الآن، كرة هائلة غير مرئية من الحجر، كتلة عملاقة من الجاذبية، ميت ولكن قوى، يسحب البحر نحو نفسه. يسحب كل السوائل. الجسد البشرى يتكون من المياه بنسبة ثمانية وتسعين بالمائة، يقول ذلك الكتاب الموجود فى رأسه. هذه المرة صوت رجل، صوت موسوعة ما، وليس صوتًا يعرفه، أو عرفه. النسبة الباقية اثنان بالمائة عبارة عن معادن، أهمها الحديد فى الدم والكالسيوم الذى يتكون منه الهيكل العظمى والأسنان.

يقول سنومان: "من يهتم؟" إنه لا يهتم بأن الحديد فى دمه أو الكالسيوم فى هيكله العظمى؛ إنه متعب من أن يكون نفسه، يريد أن يكون شخصًا آخر. يقلب خلاياه، ويستزرع كروموسومًا داخله، يبادل رأسه برأس أخرى، رأس بها أشياء أفضل. أصابع تتحرك على جسده، مثلاً، أصابع صغيرة بأظافر بيضاوية، مطلية بلون أرجوانى كلون ثمر البرقوق أو لون أوراق الورد. أرجو لو، أتمنى لو، تتحقق الأمنية التى أتمناها الليلة. أصابع، فم. يبدأ ألم ثقيل غبى، عند قاعدة عموده الفقرى.

يقول: "أوريكس، أعرف أنك هناك". يكرر الاسم. إنه ليس حتى اسمها الحقيقى، الذى لم يعرفه أبدًا على أى حال؛ إنها مجرد كلمة. إنها مانترا، تعويذة للتفكير.

أحيانًا يستحضر صورتها فى ذهنه. فى البداية تكون صورة ظلية باهتة، لكن إذا ظل يردد اسمها المرة تلو المرة، فقد تنزلق إلى جسده وتصبح حاضرة معه داخل لحمه، وتصبح يده على جسده هى يدها. لكنها دائمًا مراوغة، لا يمكن أبدًا أن تمسكها. الليلة تفشل فى التجسد ويظل وحده، يحاول محاولات سخيفة، يهتز بعنف وحده فى الظلام..

(٦)

أوريكس

يستيقظ سنومان فجأة. هل لمسه أحد؟ لكن لا أحد هناك، لا أحد.

الظلام حالك. لا نجوم هناك. لابد أن السحب قد تجمعت.

يتقلب، يجذب الملاءة حوله. يرتعش، إنه نسيم الليل. من المحتمل أنه لا يزال ثملاً، أحيانًا من الصعب أن يعرف. يحدق فى الظلام، متسائلاً متى يأتى الصبح، وآملاً أن يستطيع العودة إلى النوم.

هناك بومة تنعق فى مكان ما. هذا الاهتزاز العنيف، قريب جداً وبعيد جدا فى الوقت نفسه، مثل أقل نغمة للفلوت. ربما تصطاد. تصطاد أى شىء؟

والآن يشعر بأن أوريكس تطفو نحوه فى الهواء، كما لو كانت على أجنحة من الريش الناعم، تهبط، تستقر؛ إنها قريبة جداً منه، متمددة على جنبها على بعد شعرة. تستطيع بإعجاز أن تجد مكانًا إلى جانبه على المنصة، رغم أنها ليست منصة كبيرة. لو كان لديه

شمعة أو ضوء مصباح لاستطاع أن يراها، الخط الخارجى الهزيل لها، توهج باهت فى الظلمة. لو مد يده يمكنه أن يلمسها؛ لكن ذلك يمكن أن يجعلها تختفى.

يقول لها: "لم يكن الأمر يتعلق بالجنس". لا تجيبه، لكنه يشعر بأنها لا تصدقه. إنه يسبب لها الحزن ؛ لأنه يأخذ بعض المعرفة، مصدر قوتها. "لم يكن الأمر يتعلق بالجنس وحده". ابتسامة غائمة منها: هذا أفضل. "أنت تعرفين أننى أحبك. أنت وحدك". ليست أول امرأة يقول لها هذا. لم يكن ينبغى أن يستهلك هذه العبارة كثيراً قبل ذلك، لم يكن ينبغى أن يستعملها باعتبارها أداةً، وسيلة إغراء، مفتاحًا لفتح مغاليق النساء. عندما جاء الوقت الذى وجد نفسه فيه يعنيها بالفعل، أصبحت الكلمات تبدو له مزيفة، وأصبح يخجل من نطقها. يقول لأوريكس: "لا، إننى أعنى ذلك حقًا".

لا رد، لا استجابة. لم تكن أبداً تقدم الكثير من المعلومات، فى أفضل الأوقات.

فى السابق، عندما كان لا يزال جيمى، كان من الممكن أن يسأل: "قولى لى شيئًا واحداً".

وكانت تجيبه: "اسأل سؤالاً".

وهكذا قد يسأل، ومن الممكن أن تقول: "لا أعرف. لقد نسيت". أو.. "لا أريد أن أخبرك". أو "جيمى، أنت سيئ جداً، هذا أمر لا يعنيك". ومرة

قالت: "فى رأسك صور كثيرة يا جيمى. من أين أتيت بها؟ لماذا تظن أن هذه الصور لى؟"

لقد ظن أنه يفهم إبهامها وغموضها. كان يقول لها وهو يربت على شعرها: "لا عليك، ليست واحدة منها غلطتك".

"واحدة من أى شىء يا جيمى؟"

كم استغرق من الوقت ليجمعها معًا من قطع الفضة التى تتكون منها، جمعها قطعة قطعة، واعتنى بها بحرص؟ كانت هناك قصة كريك عنها، وقصة جيمى أيضًا عنها، والتى كانت صيغة أكثر رومانتيكية، ثم كانت هناك قصتها هى عن نفسها، والتى كانت تختلف عن الاثنتين، وليست رومانتيكية على الإطلاق. يقلِّب سنومان هذه القصص الثلاث فى رأسه. لابد أنه كانت هناك صيغ أخرى منها؛ قصة أمها، قصة الرجل الذى اشتراها أولا، قصة الرجل الذى اشتراها بعد ذلك، قصة الرجل الثالث – أسوأ رجل فيهم جميعًا، الرجل الذى كان فى سان فرنسيسكو، فنان تقىّ لعين، لكن جيمى لم يسمع أيًا من هذه القصص.

كانت أوريكس رقيقة جدًا. قد يفكر أنه كان يرسم عظامها داخل جسدها الصغير. كان لها وجه مثلث – عينان كبيرتان، وفك صغير – وجه نحلة، وجه فرس النبى، وجه قطة سيامية. جلد أصفر باهت جدًا، ناعم ويكاد يشف، مثل البورسلين القديم المرتفع الثمن. وعندما تنظر إليها، تعرف أن امرأة بهذا الجمال، وبهذا الهزال، وما عانته من فقر فى

وقت ما، لابد أن تكون قد عاشت حياة صعبة، وأن تلك الحياة لم تكن صعوبتها تتمثل في مسح الأرضيات. سألها جيمى مرة: "هل سبق لك أن قمت بمسح الأرضيات؟" فكرت دقيقة، "الأرضيات؟". "لم يكن عندنا أرضيات. عندما ابتعدت إلى مكان به أرضيات، لم تكن أنا التى تقوم بتنظيفها". شىء واحد قالته عن الأيام القديمة، تلك الأيام التى ليس بها أرضيات: كانت الأرض الترابية يتم كنسها كل يوم. وكانت تستخدم للجلوس عليها لتناول الطعام، وللنوم عليها، ولهذا كان من المهم تنظيفها دائمًا. فلم يكن أحد يرغب فى أن تلتصق بجسده بقايا الطعام. لم يكن أحد يريد براغيث.

عندما كان جيمى فى السابعة أو الثامنة أو التاسعة، ولدت أوريكس. أين بالضبط؟ من الصعب أن نعرف. فى مكان ما، أجنبى، بعيد.

لكنه، كما قالت أوريكس، كان قرية على أى حال. قرية بها أشجار حولها فى كل مكان وحقول قريبة، أو أحواض أرز ربما. كانت سقوف الأكواخ بها نوع من القش - ربما سعف نخيل؟ - رغم أن أفضلها كان لها أسقف من الصفيح. قرية فى إندونيسيا، أو ربما فى ميانمار؟ قالت أوريكس ليست هاتين، لكنها لم تكن متأكدة. وليست الهند أيضًا. فيتنام؟ خمن جيمى ذلك. كمبوديا؟ نظرت أوريكس باتجاه يديها، وتفحصت أظافرها، لا أهمية لذلك.

لم تستطع أن تتذكر اللغة التى كانت تتكلمها وهى طفلة. كانت

أصغر من أن تحتفظ بها، تلك اللغة المبكرة، هربت كل الكلمات من رأسها. لكنها لم تكن تلك اللغة نفسها فى المدينة التى أخذت إليها لأول مرة، أو ليست اللهجة نفسها؛ لأنها كان عليها أن تتعلم طريقة أخرى للكلام. كانت تتذكر ذلك ، الكلمات غريبة فى فمها، الشعور بأنها لا تريد الكلام.

قالت أوريكس إن تلك القرية كانت مكانًا كل من فيه فقير، وكان هناك أطفال كثيرون. كانت هى نفسها صغيرة جدًا عندما بيعت. كانت أمها لديها عدد من الأطفال، بينهم ولدان كبيران سوف يتعلمان بسرعة العمل فى الحقول، وكان هذا أمرًا طيبًا، لأن الوالد كان مريضًا. كان يسعل ويسعل، كان سعاله موجودًا فى ذكرياتها الأولى.

خمن جيمى أنه كان يعانى من مشكلة فى رئتيه. لابد أنهم كانوا، بالطبع يدخنون مثل المجانين عندما يستطيعون الحصول على السجائر، التدخين يخفف التوتر. (وهنأ نفسه على هذه النظرة الثاقبة). وأرجع الفلاحون مرض الأب إلى المياه الملوثة، الحظ السيئ، الأرواح الشريرة. كان المرض يحمل نوعًا من العار والخجل، لم يكن أحد يريد أن يصاب بعدوى من الآخر. ومن ثم كان والد أوريكس يحظى بالإشفاق، لكنه فى الوقت نفسه كان يلقى اللوم ويتجنبه الناس. وكانت زوجته تعتنى به بامتعاض صامت.

لكن كانت هناك أجراس تدق، وصلوات تُتلى. أُحرقت صور صغيرة فى النار، لكن كل هذا كان بلا جدوى، لأن الوالد توفى. كل شخص فى

القرية يعرف ما سوف يحدث بعدها، لأنه لو لم يكن هناك رجل يعمل فى الحقول أو فى أحواض الأرز، فإن المواد الخام للحياة لابد أن تأتى من مكان آخر.

كانت أوريكس من أواسط الأبناء الأصغر، دائمًا ما يُدفع بها إلى جانب ما، لكن فجأة بدأت تشعر باهتمام شديد، وقُدِّم لها طعام أفضل من المعتاد، وجاكيت أزرق جميل؛ لأن نساء القرية الأخرى كن يساعدن ، وأردن أن تبدو جميلة وفى صحة جيدة. كان الأطفال الذين يتصفون بالقبح أو تشوه ما، أو الغباء، أو لا يتكلمون جيدًا - مثل هؤلاء الأطفال بيعوا بأسعار أقل، أو لم يُباعوا على الإطلاق. وكانت نساء القرية قد يضطررن لبيع أطفالهن فى يوم ما، وإذا كان بإمكانهن المساعدة فى بيع أحد الأطفال، سوف يحصلن على هذه المساعدة فى المقابل حين يحتجنها.

وفى القرية، لم تكن هذه العملية تسمى "بيعًا". إنما كان الحديث حولها يعنى ضمنًا التوسع؛ فالأطفال يُدربون على كسب عيشهم فى العالم الواسع، وكان ذلك هو البريق الخادع الذى يضفى عليها. بالإضافة إلى أنهم لو انتظروا فى مكانهم، فماذا سيفعلون؟ خاصة البنات، كما قالت أوريكس. لم يكن أمامهن إلا أن يتزوجن وينجبن المزيد من الأطفال، الذين سوف يأتى عليهم الدور ليباعوا. يُباعوا، أو يُلقوا إلى النهر، ليطفوا على مياهه ويأخذهم إلى البحر؛ لأن الطعام كان هناك كثير وفى كل مكان.

وفى أحد الأيام جاء رجل إلى القرية. كان هو الرجل نفسه الذى يأتى دائمًا. كان عادة يأتى فى سيارة، تتخبط على الممشى المترب، لكن هذه المرة كانت الأمطار قد هطلت كثيرًا وكان الطريق موحلاً بشدة. كان لكل قرية رجلها الذى يقوم بالدور نفسه، والذى يقوم بالرحلة الخطرة من المدينة على فترات غير منتظمة، ولكن كان معروفًا دائمًا، قبل وقت كاف من مجيئه، أنه فى الطريق. سأل جيمى: "أية مدينة؟"

لكن أوريكس ابتسمت. وقالت : إن الحديث فى هذا الموضوع أشعرها بالجوع. فلماذا لا يطلب جيمى اللطيف بعض البيتزا بالتليفون؟ وهى تحبها بالمشروم، وقلوب الخرشوف، والأنشوجه، ولا تريد عليها فلفل. وسألته: "وأنت تريد أيضًا؟". قال جيمى: "لا، لماذا لا تخبريني؟" قالت: "ولماذا تهتم؟ أنا لا يهمنى، أنا لا أفكر فى ذلك أبدًا. لقد مضى على ذلك وقت طويل".

قالت أوريكس : إن هذا الرجل – وهى تتأمل البيتزا وكأنها لغز محير، ثم تنتقى المشروم، الذى كانت تحب أن تأكله أولاً – كان يأتى ومعه رجلان غالبًا، واللذان كانا خادميه، ويحملان بنادق لحمايته من اللصوص. كان يرتدى ملابس مرتفعة الثمن، وفيما عدا الوحل والتراب – كان الجميع يأتون وقد كساهم الوحل والتراب فى الطريق إلى القرية – كان نظيفًا وأنيقًا جدًا. كان لديه ساعة يد، بطلاء ذهبى، دائمًا ينظر فيها، مشمرًا طرف كمه ليراها، وكانت هذه الساعة تبعث الطمأنينة،

فهى علامة تميُّز. ربما كانت الساعة ذهبًا حقيقيًا. كان البعض يقولون إنها كذلك.

ولم يكن يُنظر إلى هذا الرجل كمجرم من أى نوع، لكن كرجل مال وأعمال محترم لا يغش، أو لا يغش كثيراً، ويدفع نقداً. ولهذا كان يُعامل باحترام وترحيب؛ لأنه لم يكن هناك فى القرية من يريد أن يصطدم بالجانب السيئ منه. فماذا لو توقف عن الزيارة؟ ماذا لو كانت عائلة تريد بيع طفل وهو يرفض شراءه لأنه تضايق منهم فى زيارة سابقة؟ كان هو بنك القرويين، سياستهم التأمينية، العم الطيب الثرى، تعويذتهم الوحيدة ضد سوء الحظ. وكانت الحاجة تزداد إليه كثيراً، لأن الجو أصبح غريبًا جداً، ولم يعد أحد يستطيع التنبؤ به – إما أمطار أكثر من اللازم وإما غير كافية، رياح كثيرة جدا، حرارة مرتفعة جداً – وكانت المحاصيل فى حالة سيئة.

كان الرجل يبتسم كثيراً، ويوجه التحية إلى كثير من رجال القرية بالاسم. وكان دائمًا يلقى كلمة صغيرة، الكلمة نفسها كل مرة. كان يقول إنه يريد السعادة للجميع، ويريد أن يكون هناك رضى من الطَرفين. ولا يريد أية مشاعر ضغينة. ألم يحنِ رأسه من أجلهم، يأخذ أطفالاً بلهاء وأغبياء، وحملاً ثقيلاً بين يديه، لمجرد أن يشعرهم بتفضله بالجميل، لو كان هناك أى انتقاد للطريقة التى يدير بها الشئون، فعليهم أن يخبروه. لكن لم يكن هناك أى انتقاد أبداً، رغم أنه كان هناك بعض التذمر من خلف ظهره؛ إنه لا يدفع أبداً أكثر من العادة، هكذا قيل. ومع ذلك فقد

كان ينال الإعجاب للسبب نفسه؛ فهذا يظهر أنه تاجر ماهر، وأن الأطفال سيكونون فى أيدٍ أمينة.

فى كل مرة يأتى الرجل ذو الساعة الذهبية إلى القرية، قد يأخذ معه عدداً من الأطفال، ليبيعوا زهوراً للسياح فى شوارع المدينة. كان يؤكد للأمهات أن العمل سهل، وأن الأطفال سيعاملون معاملة طيبة، وأنه لم يكن لصاً وضيعاً ولا كذاباً، لم يكن قواداً. سينالون طعاماً جيداً وينامون فى مكان آمن، وسوف يُحرسون بعناية، وسوف ينالون قدراً من النقود يمكنهم إرسالها إلى عائلاتهم فى القرية، أو لا، كما يريدون. وهذا القدر سيكون نسبة مئوية من مكاسبهم بعد خصم تكاليف الإقامة والطعام. (لم ترسل نقود إلى القرية أبداً. كان الجميع يعرفون أن هذا لن يحدث). وفى مقابل تمرين الأطفال، سوف يعطى الآباء، أو على الأصح الأمهات المترملات، ثمناً طيباً، أو ما كان يقول إنه ثمن طيب، وكان ثمناً كافياً، اعتباراً لما اعتاد عليه الناس. وبهذه النقود، ستستطيع الأمهات اللائى بعن أطفالهن منح الأطفال الباقين فرصة أفضل للحياة. هكذا كانوا يقولون فيما بينهم.

فى أول مرة سمع جيمى فيها هذا الكلام تملكه الغضب الشديد. كان هذا فى أيام غضبه. وكذلك فى تلك الأيام التى تصرف فيها بغباء حول أى شىء يخص أوريكس. قالت أوريكس: "إنك لا تفهم". كانت لا تزال تأكل البيتزا فى الفراش؛ ومعها تشرب كوكا، وبعض البطاطس المحمرة إلى جانب ذلك. كانت قد انتهت من المشروم وبدأت تأكل قلوب

الخرشوف. لم تكن أبداً تأكل الخبز. كانت تقول إنها تشعر بأنها ثرية جدا عندما تلقى بالطعام. "كثير من الناس يفعلون هذا. كانت هذه هى العادة".

قال جيمى "عادة غبية"، كان جالساً على مقعد بجوار الفراش، يراقب لسانها القطنى الأحمر وهى تلعق أصابعها.

"جيمى، أنت سيئ، لا تشتم. هل تريد فلفل؟ إنك لم تطلبه لكنهم وضعوه على أى حال. أظن أنهم سمعوا خطأ".

"كلمة غبية ليست شتيمة، إنها مجرد وصف تصويرى".

"حسناً، أظن أن الأفضل ألا تقولها". كانت تأكل الأنشوجه الآن: كانت دائماً تحتفظ بها للآخر.

"أتمنى لو أقتل هذا الشخص".

"أى شخص؟ هل تريد هذه الكوكا؟ لا أستطيع أن أكملها".

"الشخص الذى كنت تتحدثين عنه حالا".

"أوه يا جيمى، أكنت تفضل لو كنا متنا من الجوع جميعاً؟" قالت ذلك مع ضحكتها الصغيرة المحيرة. كانت تلك الضحكة هى أشد ما يخشى منها؛ لأنها كانت تخفى ازدراء ساخراً. كانت تصيبه بالتجمد، كنسيم بارد على شاطئ بحيرة فى ضوء القمر.

ونقل غضبه بالطبع إلى كريك. كان يلكم الأثاث بقبضته، كانت هذه بالنسبة له أيام لكم الأثاث بقبضته. وكل ما قاله كريك هو: "يا جيمى، خذ المسألة بواقعية. لا يمكنك أن تقرن بين طعام ضئيل وزيادة فى السكان إلى الأبد. لا يبدو أن "الهومو سابينس" قادر على أن يتوقف حيث تتوقف الموارد. إنه أحد الأجناس القليلة التى لا تتوقف عن الإنجاب فى مواجهة تضاؤل الموارد. وبتعبير آخر – وفى الصميم، طبعًا – كلما أكلنا أقل، كلما مارسنا الجنس أكثر". قال جيمى: "وكيف تفسر ذلك؟". قال كريك: "الخيال. الناس قادرون على تخيل موتهم، يمكنهم رؤية الموت قادمًا، ومجرد التفكير فى الموت المنتظر يقوم بعمل العقارات المثيرة للشهوة الجنسية. والكلب أو الأرنب لا يسلك مثل ذلك. خذ الطيور – فى فصل الجفاف، تكسر البيض، أو لا تتزاوج على الإطلاق. وتكرس طاقتها للبقاء حية حتى تتحسن الأحوال. لكن البشر يأملون أن يستطيعوا إلصاق أرواحهم على أشخاص آخرين، نسخة جديدة من أنفسهم، ويعيشون إلى الأبد".

"إذن فنحن جنس مكتوب علينا الأمل؟"

"تستطيع أن تسميه الأمل، أو اليأس".

قال جيمى: "لكننا مكتوب علينا الفناء بلا أمل، كذلك".

قال كريك بابتهاج: "كأفراد فقط".

"حسنًا، هذا كلام أهبل".

"جيمى، انضج".

لم يكن كريك أول شخص يقول هذا لجيمى.

كان الرجل ذو الساعة يبقى فى القرية طوال الليل مع خادميه وبندقيتيهما، ويأكل ثم يشرب مع الرجال. كان يوزع سجائر، علبًا كاملة منها، علبًا ورقية ذهبية وفضية لا تزال مغلفة بالسلوفان. وفى الصباح يعاين الأطفال المعروضين ويسأل بعض الأسئلة عنهم – هل أصيبوا بأمراض؟ هل هم مطيعون؟ ثم يفحص أسنانهم، كان يقول إن أسنانهم ينبغى أن تكون فى حالة جيدة. لأنه سيكون مطلوبًا منهم الابتسام كثيراً. ثم يختار منهم، وتنتقل النقود بين الأيادى، ويلقى عليهم تحية الوداع، وتكون هناك انحناءات وإيماءات من الجميع. وقد يأخذ معه ثلاثة أو أربعة أطفال، لا أكثر؛ كان هذا هو العدد الذى يستطيع أن يتدبر أمره. وكان هذا يعنى أنه يختار أفضل المحصول. وكان يفعل نفس الشىء فى قرى أخرى فى منطقته. كان معروفًا بذوقه وحسن اختياره.

قالت أوريكس لابد أن الطفل الذى لا يُختار كان يشعر بأن الأمر سيئ للغاية. فحينئذ يمكن أن تسوء الأمور فى القرية بالنسبة له، فسوف يفقد قيمته، ويُعطى طعامًا أقل. أما هى نفسها فقد تم اختيارها أول واحدة.

أحيانًا كانت بعض الأمهات تبكى، والأطفال أيضًا، لكن الأمهات تقول للأطفال إن ما يفعلونه كان طيبًا، فهم يساعدون عائلاتهم، ويجب أن يذهبوا مع الرجل وأن يفعلوا كل ما يُطلب منهم. كانت الأمهات تقول إنه بعد أن يعمل الأطفال فى المدينة لفترة وتتحسن الأحوال، يمكنهم أن يعودوا إلى القرية. (لم يعد أى طفل إلى القرية أبدًا).

كان كل هذا مفهومًا، وإذا لم يكن من الممكن التغاضى عنه، فقد كان من الممكن غفرانه على الأقل. ولكن، بعد أن يذهب الرجل، كانت الأمهات اللائى بعن أطفالهن يشعرن بالخواء والحزن. كن يشعرن كما لو أن هذا التصرف، الذى فعلنه بكامل حريتهن (فلا أحد أجبرهن، ولا أحد هددهن بشىء)، لم يكن فعلاً عن إرادة منهن. كما كن يشعرن بأنهن ضحية احتيال، كما لو أن الثمن كان ضئيلاً للغاية. لماذا لم يطلبن المزيد؟ ومع ذلك، كانت الأم تقول لنفسها إنها ما كانت تملك أن تختار.

باعت أم أوريكس طفلين فى الوقت نفسه ، ليس فقط لأنها فى حالة صعبة، بل كانت تفكر أن الاثنين سيكونان معًا، ويرعيان بعضهما البعض. كان الطفل الآخر ولدًا، أكبر من أوريكس بعام. كان الأولاد الذين يباعون أقل من البنات، لكنهم لم يكونوا أكثر قيمة. (اعتبرت أوريكس أن هذا البيع الثنائى دليل على حب أمها لها. لم تكن لديها صور عن هذا الحب. ولم تستطع أن تقدم أى واقعة كدليل. كان نوعًا من الاعتقاد أكثر من أن يكون ذكرى).

قال الرجل إنه يقدم لأم أوريكس معروفًا مخصوصًا، فالأولاد كانوا أكثر إثارة للمشاكل ولا يطيعون، ويهربون كثيرًا، ومن يدفع له ثمن متاعبه حينئذ؟ كما أن هذا الولد لم يكن يتصرف بشكل صحيح، كان هذا واضحًا بنظرة خاطفة، وكانت له سنة أمامية مسودة اللون أعطته تعبيرًا إجراميًّا. لكن لأنه يعرف أنها بحاجة للنقود فسوف يكون كريمًا، وسوف يأخذ الولد من بين يديها.

نداء طائر

قالت أوريكس إنها لا تستطيع تذكر الرحلة من القرية إلى المدينة، لكنها تستطيع تذكر بعض الأحداث. كانت هذه الذكريات مثل صور معلقة على جدار، وحولها الجدار الخالى، أو مثل النظر من خلال نوافذ أناس آخرين، كانت مثل الأحلام.

قال الرجل ذو الساعة إن اسمه أونكل "نون"، وأنهم يجب أن يخاطبوه بهذا الاسم وإلا سوف تكون هناك متاعب كبيرة جدا.

سأل جيمى: "هل كانت 'نون' هذه اسمًا فعلاً، أو مجرد الحرف الأول من الاسم؟"

قالت أوريكس: "لا أعرف".

"هل رأيته مكتوبًا أبدًا؟"

قالت أوريكس: "لا أحد فى قريتنا يعرف القراءة. هيا يا جيمى، افتح فمك. سأعطيك آخر قطعة".

وإذ تذكر هذا، شعر سنومان بطعم هذه القطعة فى فمه. البيتزا، ثم أصابع أوريكس فى فمه.

ثم علبة الكوكا وقعت تتدحرج على الأرض. ثم الفرح، وهو يسحق جسده كله داخل العضلة القابضة.

آه أيتها النزهات السرية المسروقة !، آه أيها الفرح الجميل! ،آه أيتها الذاكرة الواضحة!، آه أيها الألم الخالص! آه أيتها الليلة التى لا نهاية لها!

* * *

هذا الرجل – أكملت أوريكس، فيما بعد فى تلك الليلة، أو فى ليلة أخرى – هذا الرجل قال إنه سيكون خالهم من الآن فصاعداً. والآن بعد أن ابتعدوا عن القرية، لم يكن يبتسم كثيراً كما كان يفعل هناك. قال يجب أن يسيروا بسرعة شديدة، لأن الغابة حولهم ومليئة بالحيوانات المفترسة ذات العيون الحمراء والأسنان الطويلة الحادة، وإذا جروا بين الأشجار أو ساروا ببطء فإن هذه الحيوانات قد تأتى وتقطعهم إرباً. شعرت أوريكس بالخوف وأرادت أن تمسك بيد أخيها، لكن هذا لم يكن ممكناً.

سأل جيمى: "أكانت هناك نمور؟"

هزت أوريكس رأسها بالنفى. لا نمور.

"إذن ماذا كانت تلك الحيوانات؟" كان جيمى يريد أن يعرف. وفكر أنه بهذه الطريقة قد يصل إلى بعض المعلومات بالنسبة للموقع. كان يمكنه النظر إلى قائمة من مواطن الحيوانات، وقد يساعد هذا.

قالت أوريكس: "لم يكن لها أسماء، لكنى عرفت ماذا كانت".

فى البداية كانوا يسيرون فى مجموعة معًا على الطريق الموحل، يسيرون على الجانب الذى كان أعلى، محاذرين من الثعابين. كان رجل من حاملى البندقية فى المقدمة، ثم أونكل نون، ثم الأخ، ثم الطفلان الآخران اللذان بيعا أيضًا - كانا بنتين، وأكبر منهما - ثم أوريكس. وفى النهاية سار الرجل حامل البندقية الأخرى. توقفوا لتناول وجبة الظهيرة - أرز بارد، كان القرويون قد أعدوه لهم - ثم ساروا لمسافة أخرى. ثم جاءوا إلى نهر، وحمل أحد الرجلين حاملى البندقية أوريكس عبره. قال إنها كانت ثقيلة حتى إنه تمنى لو يلقيها فى المياه وتأكلها الأسماك، لكن هذا كان مزاحًا. كانت تنبعث منه رائحة ثياب مفعمة بالعرق والدخان، ونوع من العطر أو الدهن فى شعره. ووصلت المياه إلى ركبتيه.

بعد ذلك كانت الشمس قد مالت وأصبحت فى عينيها - فكر جيمى، لابد أنهم كانوا متجهين إلى الغرب - وكانت متعبة للغاية.

وإذ مالت الشمس أكثر وأكثر، بدأت الطيور تغنى وتتنادى، غير مرئية، مختفية بين الأفرع والكروم فى الغابة، نعيب أجش، وصفير، وأربع أصوات واضحة متتالية، مثل الجرس. كانت هذه هى الطيور نفسها التى تنادى بهذه الطريقة عندما يقترب الظلام، وفى الفجر قبيل طلوع الشمس، وشعرت أوريكس بالمواساة فى هذه الأصوات. كانت نداءات الطيور مألوفة، كانت جزءًا مما تعرفه. وتخيلت أن أحد هذه الطيور - الطائر ذو الصوت الجرسى - هو روح أمها، أُرسلت على شكل طائر لترعاها، وكان نداؤها يقول سوف تعودين.

قالت له : فى تلك القرية كان بعض الناس يستطيعون إرسال أرواحهم بهذه الطريقة حتى وهم أحياء. كان هذا أمرًا معروفًا. ويمكنك أن تتعلم ذلك، المرأة العجوز تستطيع أن تعلمك، وبهذه الطريقة يمكنك أن تطير فى كل مكان، يمكنك أن ترى ماذا سيحدث فى المستقبل، وترسل رسائل، وتظهر فى أحلام الناس الآخرين.

ظل الطائر ينادى وينادى، ثم سكت. ثم غربت الشمس فجأة، وكان ظلام. تلك الليلة ناموا تحت سقيفة. من المحتمل أنها كانت حظيرة للحيوانات؛ فقد كانت لها تلك الرائحة. واضطروا أن يبولوا بين الشجيرات، كلهم معًا فى صف واحد، وأحد حاملى البندقية واقف للحراسة. أشعل الرجال نارًا بالخارج وأخذوا يتكلمون ويضحكون، ودخلت رائحة الدخان تحت السقيفة، لكن أوريكس لم تهتم، لأنها نامت. هل ناموا على الأرض؟ أم فى أراجيح شبكية؟ أم على أسرة من النوع

النقال؟ كذا سأل جيمى، لكنها قالت إن هذا لا يهم. كان أخوها إلى جوارها . ولم يكن يهتم بها أبداً من قبل، لكنه الآن كان يريد أن يكون قريباً منها .

فى الصباح التالى ساروا أكثر قليلاً، ووصلوا إلى مكان تُركت فيه سيارة أونكل نون، تحت حماية عدة رجال فى قرية صغيرة، أصغر من قريتهم، وأكثر قذارة. حدقت النساء والأطفال فيهم من مداخل الأبواب، لكنهم لم يبتسموا لهم. إحدى النساء رسمت علامة لمقاومة الشيطان.

فحص أونكل نون السيارة ليتأكد أن لا شىء ينقص منها ودفع للرجال، وطلب من الأطفال أن يركبوا . لم تكن أوريكس قد دخلت سيارة من قبل، ولم تحب الرائحة. لم تكن سيارة تسير بالطاقة الشمسية، كانت من النوع الذى يسير بالبنزين، ولم تكن جديدة. أحد الرجال تولى القيادة، وجلس أونكل نون إلى جواره؛ وجلس الرجل الآخر فى الخلف مع الأطفال الأربعة محشورين إلى جواره. كان أونكل نون فى حالة مزاجية سيئة وقال للأطفال ألا يسألوا أية أسئلة. كان الطريق غير ممهد وداخل السيارة حار. شعرت أوريكس بالغثيان، وظنت أنها ستتقيأ، لكنها غلبها النعاس.

لابد أنهم ساروا طويلاً، وتوقفوا عندما كان الليل مرة أخرى. دخل أونكل نون والرجل الذى كان فى المقدمة إلى مبنى منخفض، ربما كان

نزلاً من نوع ما، وتمدد الرجل الآخر على المقعد الأمامى، وسرعان ما بدأ يشخر. ونام الأطفال فى المقعد الخلفى للسيارة، بقدر ما استطاعوا. كانت الأبواب الخلفية مغلقة بالمفاتيح، فلم يكن يمكنهم الخروج من السيارة دون أن يتسلقوا فوق الرجل، وكانوا خائفين من فعل هذا لأنه قد يظن أنهم يحاولون الهرب. أحدهم بلل بنطلونه أثناء الليل، شمت أوريكس الرائحة، لكن لم تكن هى. فى الصباح أخذوا جميعًا إلى خلف المبنى حيث كان مرحاض مفتوح. وكان على الجانب الآخر منه خنزير ظل يراقبهم وهم يقرفصون لقضاء حاجتهم.

بعد ساعات أخرى من القيادة الصعبة، توقفوا حيث كانت بوابة على الطريق، عليها جنديان. أخبر أونكل نون الجنديان أن الأطفال أبناء أخته، وأن والدتهم توفيت وأنه يأخذهم ليعيشوا فى منزله، مع عائلته، وكان يبتسم مرة أخرى.

قال أحد الجنديين، مكشرًا: "إن لك الكثير من أبناء الأخت".

قال أونكل نون: "هذا من سوء حظى".

"وكل أمهاتهم ماتت؟"

"هذه هى الحقيقة المؤلمة".

قال الجندى الآخر: "هل يمكن تصديق ذلك؟"، وكان مكشرًا أيضًا.

قال أونكل نون: "إليكم..." وشد أوريكس من السيارة، وقال لها "ما هو اسمى؟" وهو يقترب بوجهه المبتسم منها.

قـالت: "أونكل نون". ضـحك الجنديان، وضـحك أونكل نـون أيضًـا. وربت على كـتف أوريكس وقـال لهـا أن تـعـود إلى السـيـارة، وصـافح الجنديين، بعد أن وضـع يده فى جيبه قبـلاً، ثم فتح الجنديان البوابة. ومـا إن اتخـذت السـيـارة طريقـهـا، أعطى أونكل نون لأوريكس بعض الحلوى الصلبة التى كانت على شكل ليمونة صغيرة. امتصتها لبعض الوقت، ثم أخرجـتـهـا من فـمـهـا لتـحـتـفظ بها. لم يكن لها جيب فى ثيـابها، ومن ثم احـتـفظت بـها بين أصـابعـها. فى تلك الليلة روحت عن نفسها بلعق يدها.

بكى الأطفـال فى الليل، لكن ليس بصـوت عـال. بكوا بينهم وبين أنفسـهم. كـانوا خـائفين؛ لم يكونوا يعلمـون إلى أين هـم ذاهبـون، وقـد أبعدوا عما يعرفونه ويألفونه.

وقالت أوريكس إنهم أيضًـا لم يعـودوا يشـعـرون بالحب، بافـتراض أنهم كانوا يشـعرون ببعض الحب أصـلاً. لكنهم كانت لهم قيمة مالية؛ كانوا يمثلون ربحًا ماليًا للآخرين. لابد أنهم شعروا بذلك – شعروا بأنهم يساوون شيئًا ما.

بالطبع (قالت أوريكس)، لم تكن حقيقة أن لهم قيمة مالية تعويضًا عن الحب. كل طفل لابد أن يحظى بالحب، كل شـخص لابد أن يـحـصل على الحب. هى نفـسـهـا كـانت تفـضل حب أمـهـا – وهو الحب الذى استمرت تعتقد فيه، الحب الذى تبعها خلال الغابة على شكل طائر لكى

لا تخاف أو تشعر بالوحدة – لكن الحب كان لا يمكن الاعتماد عليه، كان يأتى ويذهب؛ ولهذا كان من الطيب أن تكون لك قيمة مالية، لأنه إذ ذاك، على الأقل، أولئك الذين يريدون أن يربحوا منك سوف يحرصون على أن تحصل على طعام كافٍ ولا يتم إيذاءك بشدة. كما أنه كان هناك الكثيرون الذين ليس لديهم لا الحب ولا القيمة المالية، وأن يكون لديك أحد هذين الأمرين أفضل من لا شىء.

ورود

كانت المدينة فوضى، مليئة بالناس والسيارات والضوضاء والروائح الكريهة ولغة من الصعب فهمها. أصيب الأطفال الأربع الجدد بالصدمة فى البداية، كما لو كانوا قد غطسوا فى مرجل من الماء الساخن – كما لو كانت المدينة ضارة بهم عضوياً. لكن أونكل نون كان لديه الخبرة، وتعامل مع الأطفال الجدد كما لو كانوا قططاً، أعطاهم وقتاً ليتعودوا على الأشياء. وضعهم فى غرفة صغيرة فى مبنى من ثلاثة طوابق، فى الطابق الثالث، نافذتها عليها قضبان، يستطيعون النظر منها ولا يمكنهم الهرب منها، ثم قادهم إلى الخارج بالتدريج، فى البداية لمسافة قصيرة ولمدة ساعة كل مرة. كان هناك خمسة أطفال فى الغرفة قبلهم، ومن ثم كانت مزدحمة؛ لكن كان هناك مكان يكفى وضع حشية صغيرة لكل طفل، ترص ليلاً حتى أن كل الأرضية كانت مغطاة بالحشايا

والأطفال، ثم تطوى أثناء اليوم. كانت هذه الحشايا بالية وقذرة، وتخرج منها روائح البول، لكن طيها جيداً كان أول شيء يجب أن يتعلمه الأطفال الجدد.

وتعلموا أشياء أخرى من الأطفال الآخرين، الذين كانوا أكثر ألفة بالمكان. أول شيء كان أن أونكل نون سوف يلاحظهم دائمًا، حتى عندما يبدوا أنهم قد استقلوا بأنفسهم في المدينة. سوف يعرف دائمًا أين هم: كل ما عليه هو أن يضع تلك الساعة اللامعة على أذنه، وسوف تخبره، لأنه كان داخلها صوت صغير يعرف كل شيء. كان هذا شيئًا مطمئنًا، لأنه لن يسمح لشخص آخر أن يؤذيهم. ومن ناحية أخرى سيعرف أونكل نون إذا لم تعمل بجدية أو حاولت الهرب، أو إذا احتفظت لنفسك بأى نقود تحصل عليها من السياح. حينئذ سوف تعاقب. سوف يضربك رجال أونكل نون ثم يصاب جسدك برضوض وكدمات. وقد يحرقونك أيضًا. وادعى بعض الأطفال أنهم تحملوا هذه العقوبات، وكانوا فخورين بذلك، وكان في أجسادهم ندوب. إذا حاولت تكرار تلك الأشياء الممنوعة كثيراً - الكسل، السرقة، الهرب - فقد تباع إلى شخص أسوأ كثيراً من أونكل نون. أو ربما تقتل وتلقى في أكوام القمامة، ولا أحد سوف يهتم لأنه لا أحد يعرف من أنت.

قالت أوريكس إن أونكل نون كان يعرف عمله جيداً؛ لأن الأطفال يصدقون الأطفال الآخرين فيما يختص بالعقوبات أكثر مما يصدقون البالغين. فالبالغون يهددون بفعل أشياء لا يفعلونها أبداً، لكن الأطفال

يخبرونهم بما يحدث. أو ما يخشون حدوثه. أو ما حدث بالفعل لهم أو لأطفال آخرين يعرفونهم.

بعد مرور أسبوع من وصول أوريكس وأخيها إلى غرفة الحشايا، أخذ ثلاثة من الأطفال الأكبر سنًا بعيدًا. قال أونكل نون إنهم ذاهبون إلى بلد آخر، اسمه سان فرنسيسكو. هل كان هذا لأنهم سيئون؟ قال أونكل نون لا، بل هي مكافأة لأنهم صالحون. كل من يكون مطيعًا ومجتهدًا سوف يذهب هناك في يوم من الأيام. ولم يكن هناك مكان تريد أوريكس الذهاب إليه سوى البيت، لكن "البيت" كان قد بدأ يبدو غائمًا في ذاكرتها. كانت لا تزال تسمع روح أمها تنادي سوف تعودين، لكن ذلك الصوت كان يبدو أكثر وهنًا وأبعد مسافة. لم يعد كالجرس، بل أصبح كالهمس. كان الآن سؤالاً، وليس تقريرًا، سؤال ليس له إجابة.

أخذت أوريكس ومعها أخاها والفتاتان الأخريان اللتان جاءتا معهما لمراقبة الأطفال الأكثر خبرة وهم يبيعون الزهور. كانت الزهور ورودًا: حمراء وبيضاء ووردية، كانت تؤخذ من سوق الزهور في الصباح الباكر. وكانت الأشواك يتم إزالتها من العيدان، لكي تنتقل الزهور من يد ليد دون أن تتسبب في وخز لأحد. كان لابد أن تتسكع حول مداخل أفضل الفنادق - كذلك من المواقع الجيدة البنوك حيث يمكن استبدال العملة الأجنبية والمحلات ذات الأسعار المرتفعة - وكان عليك أن تنتبه لرجال الشرطة. إذا اقترب منك رجل شرطة أو نظر إليك نظرة قاسية،

يجب أن تبتعد من طريق آخر بسرعة. فبيع الزهور للسياح لم يكن مسموحاً به إلا بترخيص رسمي، ومثل هذه التراخيص غالية. لكن ليس هناك ما تقلق بشأنه، قال أونكل نون إن الشرطة يعرفون كل شيء، ولكنهم يجب أن يتظاهروا بأنهم لا يعرفون.

وعندما ترى أجنبياً، خاصة إذا كانت معه امرأة أجنبية، يجب أن تقترب وترفع الزهور، ولابد أن تبتسم. ولا يصح أن تبحلق أو تضحك على شعورهم الأجنبية الغريبة أو عيونهم الملونة. فإذا أخذوا منك زهرة وسألوك كم ثمنها، يجب أن تبتسم أكثر، وتمسك يدك. إذا تحدثا إليك، أو سألوك أسئلة، يجب أن يبدو عليك أنك لا تفهم. وكان هذا الجزء سهلاً. فالغالب أنهم سيعطونك أكثر - أحياناً أكثر كثيراً - من قيمة الزهرة.

كان ينبغي وضع النقود في كيس صغير يتدلى تحت ملابسك؛ وكان ذلك حماية من النشالين والخطافين من أولاد الشوارع، أولئك البائسين الذين ليس لهم أونكل نون ليعتني بهم. فإذا حاول أي شخص - خاصة لو كان رجلاً - أن يأخذك من يدك ويأخذك إلى مكان ما، يجب أن تنتزع يدك من يده. فإذا أمسك بها بقوة يجب أن تجلس على الأرض. وتلك ستكون علامة، وأحد رجال أونكل نون سوف يأتي، أو ربما أونكل نون نفسه. يجب ألا تدخل سيارة أو فندقاً بأي حال. وإذا طلب رجل منك ذلك، يجب أن تخبر أونكل نون بأسرع ما يمكن.

وأطلق أونكل تون اسمًا جديدًا على أوريكس. أعاد تسمية كل الأطفال. وقيل لهم أن ينسوا أسماءهم القديمة، وسرعان ما تسوها. أصبح اسم أوريكس الآن هو سوسو. وكانت ماهرة فى بيع الزهور. كانت صغيرة جدًا، ونحيفة، وكانت ملامحها مشرقة وبريئة. وأعطيت رداء كان واسعًا جدًا عليها، وكان شكلها فيه أشبه بدمية ملائكية. كان الأطفال الآخرون يدللونها، لأنها كانت أصغرهم. وكانوا ينامون إلى جوارها بالدور فى الليل؛ كانت تنتقل من حضن إلى الآخر.

من كان يستطيع مقاومتها من الأجانب؟ ليس كثيرون. كانت ابتسامتها مثالية – ليست مغرورة ولا عدوانية، ولكن مترددة، خجولة، لا تأخذ شيئًا على علاته. كانت ابتسامة خالية من الشوائب: كانت خالية من الازدراء، ومن الحسد، مجرد وعد بالامتنان من القلب. "يا لها من فتاة فاتنة"، كانت السيدة الأجنبية تهمس، فيشترى رفيقها وردة ويقدمها للسيدة، وبهذه الطريقة يصبح الرجل "فاتنًا" أيضًا؛ وتدس أوريكس العملة إلى الكيس تحت ثيابها، وتشعر بالأمان ليوم آخر، لأنها باعت مقطوعيتها.

لم يكن أخوها كذلك. لم يكن محظوظًا. لم يكن يريد أن يبيع الزهور مثل البنات، وكان يكره الابتسام؛ وعندما كان يبتسم، لم يكن مؤثرًا بنفس القدر بسبب سنته المسودة؛ لهذا كانت أوريكس تأخذ بعض ما تبقى من زهور أخيها وتبيعها له. ولم يكن أونكل تون يهتم فى البداية

– النقود هى النقود – لكن بعدئذ قال لأوريكس إنها لا ينبغى أن تشاهد كثيراً فى الأماكن نفسها لأن ذلك سيجعل الناس يملون رؤيتها.

كان يجب إيجاد شىء آخر للأخ – مهنة أخرى. ينبغى بيعه فى مكان آخر. هز الأطفال الأكبر فى الغرفة رءوسهم وقالوا إن الأخ سيباع إلى قواد، قواد للرجال الأجانب ذوى البشرة البيضاء، أو الرجال ذوى اللحى والبشرة البنية، أو الرجال البدينين ذوى البشرة الصفراء، أى نوع من الرجال يحب الأولاد الصغار. وصفوا بالتفصيل ما سيفعله أولئك الرجال، وضحكوا على ذلك. سيكون طفلاً ذا عجيزة كبيرة كالبطيخة، هكذا يقولون عن الأولاد الذين من مثله. مثل البطيخة، صلبة ومستديرة من الخارج، وناعمة وحلوة من الداخل: عجيزة لطيفة بطيخية، لكل من يدفع. إما هذا أو أنه سيعمل كمرسال، يُرسل من شارع إلى شارع، يؤدى مشاوير للمقامرين، وهذا عمل شاق، وشديد الخطورة، لأن المقامرين المنافسين قد يقتلونك. أو يمكن أن يكون مرسالاً وفتى بطيخ، كلاهما. وهذا هو أرجح الاحتمالات.

رأت أوريكس وجه أخيها يسود ويتصلب، ولم تدهش عندما هرب؛ ولم تعرف أبداً إذا كانوا قد أمسكوه وعاقبوه. كما لم تسأل، لأن السؤال – وقد اكتشفت ذلك الآن – لن يكون شيئًا طيبًا.

ذات يوم أمسك رجل يد أوريكس، وقال إنها ينبغى أن تأتى إلى الفندق معه. توجهت إليه بابتسامتها الخجلة، ونظرت حولها ولم تقل

شيئًا، وشدت يدها منه، وفيما بعد أخبرت أونكل نون. وهنا قال أونكل نون شيئًا مثيراً للدهشة. قال إذا سأل الرجل مرة أخرى، فعليها أن تذهب إلى الفندق معه. وربما يريد أن يأخذها معه إلى غرفته، ويجب أن تذهب معه. ويجب أن تفعل ما يطلبه منها، لكنها ينبغى ألا تقلق، لأن أونكل نون سيراقب وسوف يأتى لأخذها. ولن يحدث لها أى سوء.

سألت: "هل سأصبح بطيخة؟ بنت ذات عجيزة بطيخة؟" وضحك أونكل نون، وقال من أين جاءت بهذه الكلمة. ولكنه قال لا، لم يكن هذا هو ما سوف يحدث.

فى اليوم التالى ظهر الرجل، وسأل أوريكس إذا كانت تريد بعض النقود، نقود أكثر كثيراً مما تكسبه من بيع الزهور. كان رجلاً أبيض مشعراً، له لكنة ثقيلة، لكنها استطاعت أن تفهم الكلمات. هذه المرة ذهبت أوريكس معه. أمسك بيدها وصعدا فى المصعد الكهربائى – وكان هذا هو الجزء المخيف، غرفة صغيرة ذات أبواب تغلق وعندما فتحت الأبواب إذا بك فى مكان آخر، ولم يكن أونكل نون قد شرح لها شيئًا عن ذلك. أحست بقلبها يدق بقوة. قال الرجل، "لا تخافى"، ظنًا منه أنها خائفة منه. لكن الواقع أنه هو كان خائفًا منها، لأن يده كانت ترتعش. فتح أحد الأبواب بمفتاح ودخلا، وأغلق الباب خلفهما، وإذا بهما فى غرفة ملونة بألوان ذهبية وبنفسجية وبها سرير عملاق، سرير للعمالقة، وطلب الرجل من أوريكس أن تخلع رداءها.

كانت أوريكس مطيعة، وفعلت ما طُلب منها. كان لديها فكرة عامة عما قد يريده الرجل – كان الأطفال الآخرون يعرفون مثل هذه الأشياء، وناقشوها بحرية، وضحكوا عليها. كان الناس يدفعون نقوداً كثيرة لمثل هذه الأشياء التي يريدها هذا الرجل، وكانت هناك أماكن خاصة في المدينة يحب الرجال من مثله الذهاب إليها؛ لكن بعضهم لا يريد الذهاب هناك، لأنها أماكن عامة جداً، وهم خجولون، ومن ثم يريدون أن يدبروا أشياء لأنفسهم، وهذا الرجل من هذا النوع. وهكذا عرفت أوريكس أن الرجل سوف يخلع ثيابه، أو بعضها، وقد فعل، وبدا مرتاحًا عندما حدقت في عضوه، الذي كان طويلاً ومشعراً مثله، وبه التواء كما لو كان له كوع صغير. ثم ركع الرجل ليكون على مستواها، ووجهه قريب من وجهها.

ماذا كان شكل وجهه؟ لم تستطع أوريكس أن تتذكر. استطاعت أن تتذكر غرابة منظر عضوه، لكنها لم تستطع أن تتذكر منظر وجهه. قالت: "لم يكن مثل الوجوه، كان ناعمًا كالزلابية. كانت به أنف كبيرة، أنف جزرة. أنف عضو أبيض طويل". وضحكت، واضعة يديها معًا على فمها. "ليس مثل أنفك يا جيمي"، أضافت ذلك في حالة ما لو كان مدركًا حاله. "أنفك جميل. هو أنف جميل فعلاً، صدقني".

قال الرجل: "أنا لن أسبب لك أذى". كانت لهجته سخيفة جداً حتى أن أوريكس أرادت أن تضحك، لكنها عرفت أن ذلك سيكون خطأ.

ابتسمت ابتسامتها الخجولة، وأمسك الرجل بيدها ووضعها على جسده. فعل ذلك برقة، لكنه فى الوقت نفسه بدا غاضبًا. غاضبًا ومتعجلاً.

وكان هذا عندما اندفع أونكل نون فجأة إلى الغرفة - كيف؟ لابد أنه كان معه مفتاح، لابد أن أحدًا فى الفندق أعطاه مفتاحًا. التقط أوريكس واحتضنها وخاطبها بأنها كنزه الصغير، وصرخ فى الرجل، الذى بدا خائفًا جدًّا، وحاول أن يرتدى ثيابه. وتعثر فى بنطلونه وأخذ يقفز على قدم واحدة وهو يحاول أن يشرح شيئًا بلكنته الغريبة، وشعرت أوريكس بالإشفاق عليه. ثم حاول الرجل أن يعطى نقودًا لأونكل نون، نقودًا كثيرة، كل النقود التى فى حافظته، وخرج أونكل نون من الغرفة حاملاً أوريكس كما لو كانت فازة ثمينة وهو مستمر فى العويل والدمدمة. لكن عندما خرجا معًا إلى الطريق ضحك، وأخذ يلقى بالنكات حول الرجل وهو يقفز مرتبكًا، وقال لأوريكس إنها بنت طيبة، وألا تريد أن تلعب هذه اللعبة مرة أخرى؟

وهكذا أصبحت هذه لعبتها. كانت تشعر بالأسف من أجل الرجال، رغم أن أونكل نون قال إنهم يستحقون أن يحدث هذا لهم، وأنهم محظوظون لأنه لم يطلب لهم الشرطة، كانت بشكل ما تندم على الدور الذى تلعبه. لكنها فى الوقت نفسه كانت تستمتع به؛ فقد كانت تشعر بالقوة عندما تعرف أن الرجال يظنونها بلا حول ولا قوة، بينما لم تكن. إنهم هم الذين كانوا بلا حول ولا قوة، هم الذين سرعان ما سوف يتهتهون بالاعتذارات فى لكناتهم السخيفة ويقفزون على قدم

واحدة فى غرف فنادقهم الفاخرة، وقد وقعوا فى فخاخ بنطلوناتهم بعجيزاتهم خارجة منها، عجيزات ناعمة وعجيزات مشعرة، عجيزات من أحجام وألوان مختلفة، بينما أونكل نون يوبخهم بقسوة. ومن حين لآخر كان أحدهم يبكى. وبالنسبة للنقود، كلهم كانوا يفرغون جيوبهم، ويلقون كل النقود التى معهم إلى أونكل نون، ويشكرونه على أخذها. لم يكونوا يريدون أن يمضوا أى وقت فى السجن، ليس فى هذه المدينة، حيث السجون ليست فنادق وتستغرق وقتًا طويلاً لوضع التهم وإقامة المحاكمات. كانوا يريدون أن يسرعوا بركوب التاكسيات، بأسرع ما يستطيعون، ويركبون الطائرات الضخمة، ويطيرون بعيداً فى السماء.

وكان أونكل نون يقول: "يا سوسو الصغيرة" بمجرد أن ينزل بها إلى الشارع خارج الفندق. "أنت فتاة ذكية! أتمنى لو أستطيع الزواج بك. هل تحبين ذلك؟"

كان هذا قريبًا من الحب كما استطاعت أوريكس أن تفهمه فى ذلك الوقت، ومن ثم شعرت بالسعادة. لكن ماذا كانت الإجابة الصحيحة، نعم أم لا؟ كانت تعرف أن هذا مجرد مزاح وليس طلبًا جادًا، فلم تكن تزيد عن الخامسة من عمرها، أو السادسة، أو السابعة، ومن ثم لا يمكنها الزواج. على أية حال، قال الأطفال الآخرون إن أونكل نون له زوجة كبيرة تعيش فى بيت فى مكان آخر، وإن له أطفالاً أيضًا. أطفاله الحقيقيون، وكانوا يذهبون إلى المدرسة.

قالت أوريكس بابتسامتها الخجولة: "هل يمكن أن أستمع إلى ساعتك؟". بدلاً من.. كان هذا ما تعنيه. بدلاً من الزواج بك، بدلاً من إجابة طلبك، بدلاً من أن أكون ابنتك الحقيقية. وضحك أكثر، وتركها تستمع لساعته، لكنها لم تسمع أى صوت صغير داخلها.

موسيقى الجاز فى أرض الجنيات العابثات

ذات يوم جاء رجل مختلف، رجل لم يروه أبداً من قبل - رجل طويل ونحيف، أطول من أونكل نون، ثيابه لا تناسبه، ووجهه ملىء بالبثور، وقال إنهم جميعاً لابد أن يأتوا معه. لقد باع أونكل نون عمله فى الزهور، هكذا قال الرجل: الزهور، وبائعى الزهور، وكل شىء آخر؛ لقد ذهب بعيداً، انتقل إلى مدينة أخرى. وهكذا أصبح هذا الرجل الطويل هو الرئيس الآن.

بعد عام أو نحوه، عرفت أوريكس، أخبرتها فتاة كانت معها فى الأسابيع الأولى من الغرفة ذات الحشايا، وظهرت مرة أخرى فى حياتها الجديدة، حياتها فى صناعة الأفلام - أن تلك لم تكن حقيقة ما حدث. والحقيقة أن أونكل نون وُجد طافياً فى إحدى ترع المدينة، وكان مذبوحاً.

هذه الفتاة رأته. لا، كان هذا خطأ - إنها لم تره، لكنها عرفت شخصاً رآه. لم يكن هناك شك فى شخصيته. كانت بطنه منتفخة

كالوسادة، ووجهه متورمًا، لكنه كان هو أونكل نون فعلاً. كان عاريًا من الثياب - لابد أن شخصًا ما أخذها. ربما شخص آخر، غير ذلك الذى ذبحه، وربما كان الشخص نفسه ، لأنه ما فائدة ملابس جيدة لجثة ميتة؟ لم تكن الساعة فى يده أيضًا. قالت الفتاة أيضًا "ولا نقود"، وضحكت. "لا جيوب، إذن لا نقود!".

سأل جيمى: "أكانت هناك ترع فى تلك المدينة؟" ربما كان يظن أن ذلك قد يعطيه مفتاحًا يدله على أية مدينة كانت. فى تلك الأيام كان يريد أن يعرف كل ما يمكن معرفته، عن أوريكس، عن أى مكان كانت فيه. أراد أن يتتبع وينتقم شخصيًّا من أى شخص سبب لها أذى فى يوم من الأيام، أو تسبب فى تعاستها. كان يعذب نفسه بمعارف مؤلمة، كل معلومة ملتهبة يستطيع أن يجمعها كان يدسها تحت ظفره. وكلما ازدادت إيلامًا، كلما ازداد اقتناعًا، بأنه يحبها أكثر.

قالت أوريكس: "نعم، كانت هناك ترع. كان الفلاحون، وزارعو الزهور، يستخدمونها للوصول إلى الأسواق. كانوا يربطون قواربهم ويبيعون ما معهم هناك، فى المراسى. وكان هذا منظرًا جميلاً، عندما تراه من بعيد. زهور كثيرة جدًّا". نظرت إليه، كانت غالبًا تستطيع أن تخمن ما يفكر فيه. قالت "لكن كثيرًا من المدن بها ترع. وأنهار. الأنهار مفيدة جدا، للقمامة والموتى والأطفال الذين يلقى بهم، وكل هذا الخراء". رغم أنها لم تكن تحب الشتائم، أحيانًا كانت تحب أن تقول ما تسميه بالكلمات البذيئة؛ لأن ذلك يصدمه. كانت قد نالت موارد كبيرة من

الكلمات البذيئة بمجرد أن سارت فى الطريق. أضافت برقة أكثر: "لا تقلق هكذا يا جيمى، كان هذا منذ وقت طويل". كثيراً ما كانت تتصرف كما لو كانت تريد حمايته، من صورة نفسها - صورتها فى الماضى. كانت تحب أن تحتفظ فقط بالجانب المضىء من نفسها أمامه. كانت تحب أن تشرق.

* * *

وهكذا انتهى أونكل نون فى الترعة. لقد كان سيئ الحظ. لم يدفع للناس الذين كان يجب أن يدفع لهم، أو لم يدفع لهم بما يكفى. أو ربما حاولوا شراء تجارته وكان الثمن منخفضًا جدًّا فلم يقبل. أو أن رجاله أنفسهم باعوه. كانت هناك احتمالات كثيرة عما حدث له. أو ربما حدث الأمر صدفة - مجرد حادثة قتل عشوائى، لص عادى. لم يكن أونكل نون حريصًا، كان يخرج يمشى بنفسه. رغم أنه لم يكن رجلاً طائشاً.

قالت أوريكس: "بكيت حين سمعت ذلك، مسكين أونكل نون".

سأل جيمى: "لماذا تدافعين عنه؟ لقد كان مؤذيًا، كان صرصوراً".

"كان يحبنى".

"كان يحب النقود!"

قالت أوريكس: "طبعًا يا جيمى، الجميع يحبونها. لكنه كان يمكن أن يفعل بى أشياء أسوأ كثيراً، لكنه لم يفعل. لقد بكيت عندما سمعت أنه مات، بكيت كثيراً".

"ما هى الأشياء الأسوأ؟ أى شىء أسوأ من هذا؟"

"جيمى، أنت تقلق أكثر من اللازم".

أُخرج الأطفال من الغرفة ذات الحشايا الرمادية، ولم ترها أوريكس مرة أخرى. ولم تر معظم الأطفال الآخرين مرة أخرى. لقد تم تقسيمهم، وكلٌّ ذهب فى طريق. بيعت أوريكس إلى رجل يصنع أفلامًا. كانت هى الوحيدة التى ذهبت مع رجل السينما. قال لها إنها فتاة جميلة وسألها كم عمرها، لكنها لم تكن تعرف الإجابة. سألها ألا تحب أن تمثل فى السينما. لم تكن قد رأت السينما أبدًا، ومن ثم لم تعرف إن كانت تحب ذلك أم لا؛ لكنه بدا عرضًا ممتعًا، ومن ثم قالت نعم. فى هذا الوقت كانت قد أصبحت تعرف متى تكون "نعم" هى الإجابة المطلوبة.

أخذها الرجل فى سيارته مع بنات أخريات، ثلاث أو أربع، فتيات لم تكن تعرفهن. قضين الليل فى بيت، بيت كبير. كان بيتًا من بيوت الأغنياء؛ كان له سور مرتفع يحيط به على قمته زجاج مكسور وسلوك شائكة على القمة، ودخلوا من بوابة. وفى الداخل كانت له رائحة ثرية.

سأل جيمى: "ماذا تعنين برائحة ثرية؟"، لكن أوريكس لم تستطع أن تفسر ذلك. كلمة "ثرى" كانت مجرد شىء تعلمت قوله. كان البيت له رائحة كرائحة أفضل الفنادق التى دخلتها، أنواع كثيرة مختلفة من الأطعمة التى تطبخ، الأثاث الخشبى، الدهانات والصابون، كل تلك الروائح مختلطة. لابد أنه كانت هناك زهور، أو أشجار أو شجيرات مزهرة قريبة، لأن بعض الرائحة كان يدل على ذلك. كانت هناك بُسُط على الأرض لكن الأطفال لا يسيرون عليها؛ كانت البُسُط فى غرفة كبيرة، وقد عبروا من الباب المفتوح ونظروا إلى الداخل ورأوها. كانت بُسُطًا زرقاء ووردية وحمراء، رائعة الجمال.

كانت الغرفة التى وضعوا فيها بجوار المطبخ. ربما كانت غرفة خزين، أو كانت كذلك من قبل، كانت هناك رائحة الأرز والأجولة التى يوضع فيها، ولم يكن يوجد أرز فى الغرفة حينئذ. وقُدِّم لهم طعام - قالت أوريكس إنه كان طعامًا أفضل من المعتاد، كان به دجاج - وطُلب منهن ألا يصنعن أى ضوضاء. وأُغلق عليهن بالمزلاج. كان فى هذا المنزل كلاب، يمكن أن تسمعهم فى الفناء بالخارج، ينبحون.

فى اليوم التالى ذهبت بعض الفتيات فى سيارة نقل، فى الجزء الخلفى من سيارة نقل. كانت هناك بنتان أخريان، كلتاهما صغيرتان مثل أوريكس. إحداهما كانت قد جاءت من القرية لتوها، وتشتاق إلى أهلها هناك، وتبكى كثيراً، فى صمت، مخبئة وجهها. وكُنَّ قد رُفعن إلى الجزء الخلفى من عربة النقل، وأغلق عليهن، وكان المكان مظلمًا وحارًا

وشعرن بالعطش، وعندما أردن التبول اضطررن إلى فعل ذلك فى العربة، لأنها لم تتوقف. كانت هناك نافذة صغيرة، عالية جداً، أدخلت بعض الهواء.

لم تمر سوى ساعتين تقريباً، لكن الوقت بدا أطول بسبب الحرارة والظلام. عندما وصلوا إلى حيث هم ذاهبون تم تسليم البنات إلى رجل آخر، رجل مختلف، وذهبت سيارة النقل.

سأل جيمى، متخذاً سمت التحرى: "هل كان عليها أى كتابة؟ سيارة النقل؟"

"نعم، كان عليها كتابة حمراء".

"ماذا كانت تقول؟"

قالت أوريكس، مؤنبة "وكيف لى أن أعرف؟"

شعر جيمى بالغباء. "هل كانت هناك صورة إذن؟"

"صورة ماذا؟"

فكرت أوريكس. "كانت صورة ببغاء. ببغاء أحمر".

"فى حالة طيران أم كان متوقفاً؟"

"جيمى، أنت غريب جداً!"

تمسك جيمي بهذا، هذا البيغاء الأحمر، واحتفظ به في عقله. أحيانًا كان يظهر له في أحلام اليقظة، مليئًا بالغموض والأهمية الخفية، رمز عارٍ من أي سياق. لابد أنه كان اسم ماركة، شعاراً. بحث في الإنترنت عن ببغاء، ماركة الببغاء، شركة الببغاء، الببغاء الأحمر. ووجد أَلِكس ببغاء جوزة الفلين، الذي قال سوف أرحل الآن، لكن لم يكن هذا مفيداً بأي حال لأن أَلِكْس كان له لون آخر. كان يريد الببغاء الأحمر ليكون صلة بين القصة التي روتها أوريكس، وما يُسمى بالعالم الحقيقي. أراد أن يكون سائراً في شارع أو متجولاً على الشبكة، و... وجدتها، هذا هو، الببغاء الأحمر، الشفرة، كلمة السر، وسوف تتضح أشياء كثيرة.

قالت أوريكس كان المبنى الذي تصنع فيه الأفلام "في مدينة أخرى، أو ربما في جزء آخر من نفس المدينة، لأن المدينة كانت كبيرة جداً". وكانت الغرفة التي سكنتها مع البنتين الأخريين في نفس المبنى أيضًا. ولم يخرجن منه تقريبًا أبداً، إلا إلى السطح المنبسط أحيانًا عندما كان صنع الأفلام يتم هناك. بعض الرجال الذين كانوا يأتون إلى المبنى يريدون أن يكونوا بالخارج أثناء التصوير. كانوا يحبون أن يراهم الآخرون، وفي الوقت نفسه، كانوا يريدون أن يكونوا مختبئين، وكان السطح حوله سور. قالت أوريكس: "ربما أرادوا أن يراهم الرب. ما رأيك يا جيمي؟ هل كانوا يستعرضون أمام الرب؟ أظن ذلك".

كان لدى هؤلاء الرجال كلهم أفكار عما يجب أن يكون فى أفلامهم. كانوا يريدون أشياء فى الخلفية، مقاعد أو أشجارًا، أو يريدون حبالاً، أو صراخًا، أو أحذية. أحيانًا يقولون صورٌ فقط، أنا أدفع من أجل ذلك، أو أشياء من هذا القبيل؛ لأن كل شىء فى هذه الأفلام كان له ثمن. كل قوس شعرة، كل زهرة، كل موضع، كل إيماءة. لو فكر الرجال فى أمر جديد، فلابد أن تكون هناك مناقشة عن تكاليف ذلك الشىء الجديد.

قالت أوريكس: "وهكذا تعلمت أمور الحياة".

قال جيمى: "ماذا تعلمت؟" لم يكن يجب أن يتناول تلك البيتزا، ولا تلك الأعشاب التى دخناها بعدها. كان يشعر ببعض الغثيان.

"أن كل شىء له ثمن".

ليس كل شىء. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. لا يمكنك شراء الوقت. لا يمكنك شراء..."، كان يريد أن يقول الحب، لكنه تردد. كان ذلك يبدو صبيانيًّا.

قالت أوريكس: "لا تستطيع شراءه، لكن له ثمن. كل شىء له ثمن.

قال جيمى، محاولاً المزاح "إلا أنا، ليس لى ثمن.

خطأ، كالعادة.

قالت أوريكس إن تصوير الأفلام كان معناه أن تفعل ما يُطلب منك. إذا أرادوا منك أن تبتسم فلابد أن تبتسم، وإذا أرادوا منك أن تبكى فلابد أن تفعل ذلك أيضًا. مهما كان الأمر، كان لابد أن تفعله، وتفعله لأنك تخشى ألا تفعله. إنك تفعل ما يطلب منك أن تفعله مع الرجال الذين يأتون، ثم أحيانًا هؤلاء الرجال يفعلون أشياء معك. هذه هى الأفلام.

قال سنومان: "أى نوع من الأشياء؟"

قالت أوريكس: "أنت تعرف، لقد رأيت، ولديك صورة لتلك الأشياء".

قال سنومان: "لم أر إلا ذلك الفيلم. ذلك الفيلم فقط، وأنت فيه".

"أراهن أنك رأيت أفلامًا أكثر وأنا فيها. إنك لا تتذكر. يمكن أن أبدو مختلفة، يمكن أن أرتدى ملابس مختلفة وباروكات، يمكن أن أكون شخصية أخرى، وأفعل أشياء أخرى".

"مثل ماذا أيضًا؟ ماذا أيضًا جعلوك تفعلين؟"

قالت أوريكس: "كانت كلها الشىء نفسه، تلك الأفلام". كانت قد غسلت يديها، وتقوم الآن بطلاء أظافرها، تلك الأظافر البيضاوية الرقيقة، المرسومة بدقة. لون كلون الخوخ، ليتماشى مع الرداء المزدان بالزهور الذى كانت ترتديه. لم تلطخ أصابعها بلطخة واحدة. وفيما بعد سوف تطلى أصابع قدميها.

قالت أوريكس إن الأطفال كانوا يجدون صناعة الأفلام أقل مللاً مما يفعلونه في باقي الوقت، والذي لم يكن بالشيء الكثير. كانوا يشاهدون الكرتون على الدي ڤي دي DVD القديم في إحدى الغرف، فئران وطيور تطاردهم حيوانات لا تستطيع أبداً أن تمسك بهم؛ أو يصففن شعر بعضهن البعض، أو يأكلن وينمن. أحياناً كان أناس آخرون يأتون لاستخدام المكان، لصنع أنواع أخرى من الأفلام. كانت تأتي نساء بالغات، نساء لهن صدور، وممثلون بالغون من الرجال. وكان يمكن للبنات الصغيرات مشاهدتهم وهم يصنعون هذه الأفلام إذا لم يتسببن في أي عطلة. رغم أن الممثلين أحياناً كانوا يعترضون لأن الفتيات الصغيرات سوف يضحكن عندما يرون أعضاءهم التناسلية – كبيرة جداً، ثم أحياناً، فجأة، تصبح صغيرة جداً – ومن ثم كان على الأطفال العودة إلى غرفتهن.

كن يغسلن كثيراً – كان هذا مهماً. كن يأخذن حماماً باستخدام دلو. كان المفترض أن يبدو عليهن الطهر والبراءة. وفي الأيام السيئة عندما لا يكون هناك عمل، كن يشعرن بالتعب والقلق، وقد يتعاركن ويتنازعن. أحياناً كان يعطي لهن توكة أو مشروب لتهدئتهن – بيرة، جائز – لكن لا مخدرات قوية، فقد تجعلهن يضعفن ويذوين، ولم يكن مسموحاً لهن بالتدخين. كان الرجل المسئول عنهن – الرجل الكبير، وليس الرجل الذي يمسك بالكاميرا – يقول إنهن يجب ألا يدخنَّ لأن

التدخين سيجعل أسنانهن بنية. ولكنهن كن أحيانًا يدخنَّ على أية حال، لأن رجل الكاميرا كان يعطيهن سيجارة أحيانًا يتشاركن فيها.

كان رجل الكاميرا أبيض، وكان اسمه جاك. كان هو الذى يرينه أغلب الوقت. كان له شعر مثل حبل تفككت جديلته، وكانت رائحته قوية جداً، لأنه كان يأكل اللحم. كان يأكل لحمًا كثيراً جداًّ! لم يكن يحب السمك. لم يكن يحب الأرز أيضاً، لكنه كان يحب المعكرونة. معكرونة مع كميات من اللحم.

قال جاك إنه فى المكان الذى جاء منه كانت الأفلام أكبر وأفضل، أحسن أفلام فى العالم. ظل يقول إنه يريد أن يرجع إلى بلاده. قال إن من المصادفات الغبية بقاءه على قيد الحياة - وإن هذا البلد اللعين لم يقتله بطعامه البشع. كان يقول إنه كاد يموت من بعض الأمراض التى أصيب بها من المياه وأن الشيء الوحيد الذى أنقذه كان هو السُّكر الشديد، لأن الكحول يقتل الميكروبات. ثم كان عليه أن يشرح لهن ما هى الميكروبات. ضحكت الفتيات الصغيرات على الميكروبات، لأنهن لم يكن يصدقن فى وجودها، ولكنهن صدقن وجود المرض، لأنهن رأينه يحدث أحيانًا. والأرواح هى سبب المرض، الجميع يعرف هذا. الأرواح وسوء الحظ. لابد أن جاك لم يكن يقول الأدعية الصحيحة.

قال جاك إنه كان يمكن أن يصاب بالغثيان كثيراً بسبب الطعام المتعفن والماء الملوث، لولا أن لديه معدة قوية. قال إنك بحاجة إلى معدة

قوية فى هذا النوع من العمل. قال إن كاميرا الفيديو كانت نقاية قديمة لعروض الشوارع، والإضاءة ضعيفة جداً؛ ولهذا لا عجب من أن كل شىء يبدو مغشوشًا وبشعًا. قال إنه يتمنى لو كان يملك مليون دولار لكنه بدد نقوده كلها. قال إنه لا يستطيع أن يحتفظ بالنقود، فهى تنزلق من جيبه كما ينزلق الماء على عاهرة جسدها مدهون بالشحوم. وقد يقول "لا تكونوا مثلى عندما تكبرن". والبنات يضحكن، لأنه مهما يحدث لهن فلن يصبحن مثله أبداً، عملاق مهرج شعره كحبل محلول وله أنف يشبه جزرة قديمة متغضنة.

قالت أوريكس إنها كان لديها فرص كثيرة لرؤية هذه الجزرة القديمة عن قرب؛ لأن جاك أراد أن يؤدى أشياء الأفلام نفسها معها فى أوقات لم تكن فيها أفلام. ثم كان يشعر بالحزن ويقول لها إنه آسف. كان هذا أمراً محيراً.

قال جيمى: "وهل فعلت هذا مقابل لا شىء؟ كنت أظنك تقولين إن كل شىء له ثمن". كان يشعر بأنه لم يكسب المناقشة حول النقود، فأراد جولة أخرى.

توقفت أوريكس، رافعة فرشاة طلاء الأظافر. ونظرت إلى يدها. قالت: "لقد أجرينا مبادلة". قال جيمى: "وماذا قدم إليك كبدل؟ ماذا يستطيع هذا الخاسر أن يقدم لك؟" قالت أوريكس: "لماذا تظن أنه شخص سيئ ؟ إنه لم يفعل أبداً معى أى شىء لا تفعله أنت نفسك. بل ليس أشياء كثيرة هكذا!"

قال جيمى: "أنا لا أفعل شيئًا ضد إرادتك. كما أنك بالغة الآن".

ضحكت أوريكس: "ما هى إرادتى؟" ثم لابد أنها رأت تلك النظرة المتألمة، فتوقفت عن الضحك، وقالت بهدوء: "لقد علمنى القراءة، وعلمنى أن أتكلم الإنجليزية، وقراءة الكلمات الإنجليزية، الكلام أولاً ثم القراءة، لم أكن جيدة هكذا فى البداية، ولا يزال الكلام عندى أقل من الجيد، لكن دائمًا لابد أن تكون هناك بداية، ألا تظن ذلك يا جيمى؟"

قال جيمى: "أنت تتكلمين بكفاءة تامة".

"لا داعى لأن تكذب على. وبهذه الطريقة أجرينا التبادل. وقد استغرقت وقتًا طويلاً، لكنه كان صبوراً. كان لديه كتاب واحد، لا أعرف من أين أتى به، لكنه كان كتاباً للأطفال. كانت به فتاة ذات ضفائر طويلة، وترتدى جورباً - كانت تلك كلمة صعبة، جورب - وكانت الفتاة تقفز فى كل مكان، وتفعل ما تشاء. وكان هذا ما قرأناه. كانت تلك عملية تبادل جيدة، لأننى يا جيمى، إن لم أفعلها لما كنت أتكلم معك الآن، أليس كذلك؟"

قال جيمى: "فعلت ماذا؟" لم يكن قادراً على الاحتمال. إذا كان هذا الجاك فى متناول يده، ذلك النفاية، فى الغرفة الآن، لعصر رقبته مثل جورب بالٍ قديم. "ماذا فعلت له؟ هل مصصته؟"

قالت أوريكس ببرود: "إن كريك على حق، أنت لا تمتلك عقلاً ممتازًا".

كانت كلمة "عقل ممتاز" من الكلمات الخاصة بالرياضيات، تلك الرَّطانة التى فصلَّها المتفوقون فى الرياضيات على طريقتهم، ولكنها أشعرت جيمى بالألم. لا، لم تكن المشكلة فى هذه الكلمة. ما آلمه هو فكرة أن أوريكس وكريك يتحدثان عنه بتلك الطريقة، من خلف ظهره.

قال: "أنا آسف". ينبغى أن يكون أذكى من أن يتحدث إليها بهذا الشكل الغبى.

قالت أوريكس برقة أكثر: "ربما لم يكن ينبغى أن أفعل ذلك، لكنى كنت طفلة إذ ذاك. ما الذى يغضبك هكذا؟"

قال جيمى: "أنا لا أصدق هذا". أين غضبها، إلى أى مدى هو مدفون داخلها، ماذا يفعل لإخراجه؟

"ما الذى لا تصدقه؟"

"كل هذه القصة الغبية. كل تلك الطيبة والقيول والغائط".

قالت أوريكس: "إذا كنت لا تريد تصديق هذا يا جيمى، فما الذى تريد أن تصدق بدلاً منه؟"

كان جاك يطلق اسمًا على البناية التى تصنع فيها الأفلام. كان يسميها "بيكسى لاند"، أى أرض الجنيات العابثات. لم يكن أحد من الأطفال يعرف معنى ذلك – بيكسى لاند – لأنها كانت كلمة إنجليزية، وفكرة إنجليزية، ولم يستطع جاك أن يشرحها. كان يقول "حسنًا،

الجنيات العابثات، أى البيكسى، يظهرن ويشبرقن، هذا وقت الحلوى!"
أحيانًا كان يحضر حلوى لهن كنوع من الملاطفة. كان يقول: "تريدون بعض الحلوى، حلوى؟" وهذا أيضًا كان نوعًا من المزاح، لكنهن لم يعرفن ماذا يعنى كذلك.

كان يسمح لهن برؤية الأفلام التى ظهرن فيها إذا كان فى حالة مزاجية طيبة، أو إذا كان يتناول المخدرات.

وكان يمكن لهن أن يعرفن متى يتناولها؛ لأنه كان يبدو فى حالة سعادة حينئذ. كان يحب أن يدير موسيقى البوب وهن يعملن، أحيانًا بحيوية. كان يسميها "إديها..". إلفيس بريسلى، أشياء من هذا النوع. كان يقول إنه يحب الذهبيات القديمة، من زمن قديم عندما كانت للأغنيات كلمات. كان يقول: "يمكن أن تقولوا إننى عاطفى"، مما كان يسبب لهن الحيرة. كان يحب فرانك سيناترا أيضًا، ودوريس داى. كانت أوريكس تعرف كل كلمات أغنية "أحبنى أو اتركنى" قبل أن يكون لديها أى فكرة عن معناها. أحيانًا كان جاك يقول: "غنى لنا بعض أغنيات موسيقى الجاز فى أرض الجنيات العابثات"، ومن ثم كانت أوريكس تغنى تلك الأغنيات. وكان ذلك يسعده دائمًا.

قال جيمى: "ماذا كان اسم هذا الشخص؟" يا له من أبله، هذا الجاك. جاك الأبله، جاك العبيط.

فكر جيمى أن تلك الشتائم كانت تريحه. كان يتمنى أن يقطع رأس هذا الشخص.

"كان اسمه جاك، لقد قلت لك. وقد قال لنا قصيدة عن هذا الاسم، بالإنجليزية. تقول: كن نبيهًا يا جاك، كن سريعًا يا جاك، جاك عنده شمعدان كبير".

"أعنى اسمه الثانى".

"لم يكن له اسم ثان".

كان جاك يسمى ما يفعلونه "العمل". الفتيات العاملات، كان يدعوهن بهذا. كان يقول صفِّرى وأنت تعملين. كان يقول: اعملى بجدٍّ أكثر. كان يقول: أضيفى بعض موسيقى الجاز إلى عملك. كان يقول: تظاهرى بأنك تعنين ما تفعلين، أم تريدين أن تصابى بالأذى؟ كان يقول: هيا، يا أقزام الجنس، يمكنكن أن تعملن أفضل من هذا. كان يقول: لن تكونى صغيرة سوى مرة واحدة.

قالت أوريكس: "هذا كل شىء".

"ماذا تعنين بهذا كل شىء؟"

قالت: "كان هذا كل ما هنالك، هذا كل ما يمكن روايته عن الموضوع".

"ماذا عن، هل حدث أبدًا أنهم..."

"حدث أبدًا أنهم... ماذا؟"

"لم يفعلوا. ليس وأنت صغيرة هكذا. لا يمكن أن يكون قد حدث منهم ذلك".

"من فضلك يا جيمى، قل لى عن أى شىء تسأل". بهدوء شديد، كان يريد أن يهزها بعنف.

"هل اغتصبوك؟" استطاع بصعوبة شديدة أن ينطق بها. ما الإجابة التى كان يتوقعها، ماذا كان يريد؟

قالت: "لماذا تريد الكلام عن أشياء قبيحة؟" كان صوتها فضياً، كما لو كان فى صندوق الموسيقى. لوحت بذراعها فى الهواء لتجفيف أظافرها. "لابد أن نفكر فقط فى الأشياء الجميلة، بقدر ما نستطيع. هناك أشياء جميلة فى العالم لو نظرنا حولنا. إنك لا تنظر إلا إلى القذارة التى تحت قدميك. جيمى، هذا ليس طيباً لك".

لن تخبره أبداً. لماذا دفعه هذا إلى الغضب بهذا الجنون؟ سأل: "لم يكن جنساً حقيقياً، أليس كذلك؟ فى الأفلام، كان الأمر مجرد تمثيل، أليس كذلك؟"

"لكن يا جيمى، كان يجب أن تعرف. كل الجنس حقيقى".

(٧)

سفلتانا

يفتح سنومان عينيه، ويغلقهما، يفتحهما، يظل فاتحًا عينيه. لقد أمضى ليلة بشعة. لا يعرف ما هو الأسوأ، ماضٍ لا يستطيع استعادته، أو حاضر سوف يدمره إذا نظر إليه بإمعان تام. ثم المستقبل، دوار هائل.

الشمس فوق الأفق، ترتفع بثبات وكأنها مثبتة على بكرة، سحب منبسطة، وردية وبنفسجية عند قمتها، وذهبية من أسفل، تقف ساكنة فى السماء حولها. الأمواج تتموج، أعلى وأسفل، أعلى وأسفل. التفكير فيها يجعله يشعر بالاضطراب. إنه عطشان بعنف، ويشعر بصداع وبوجود حيز من الفراغ القطنى الخاوى بين أذنيه. يستغرق بضع لحظات لكى يتحقق من حقيقة أنه يعانى من آثار السُكْر فى الليلة الماضية.

يقول لنفسه: "إنها غلطتك". لقد تصرف بحمق فى الليلة الماضية، أسرف فى الشراب، وصرخ، وثرثر، وانهمك فى تذمر لا فائدة من ورائه.

ذات يوم لم يكن ليعانى من آثار السكر بعد هذا القدر القليل من الشرب، لكنه الآن لم يعد معتاداً، كما أنه ليس فى حالته الطبيعية.

على الأقل لم يقع من فوق الشجرة. يقول للسحب الوردية والأرجوانية: "غداً يوم آخر". لكن لو كان الغد يوماً آخر، فما هو اليوم؟ إنه اليوم نفسه كما هو دائماً، إلا أنه يشعر كما لو كان جسده كله مغطى بفرو منتفخ.

خط مبعثر من الطيور ينتشر من الأبراج الخالية – طيور النورس، والبلشون الأبيض، ومالك الحزين، تتجه لالتقاط الأسماك على طول الشاطئ. على بعد ميل أو نحوه إلى الجنوب، يتكون مستنقع ملح على ما كان يوماً أرضاً تتناثر بها بيوت المدينة نصف الغارقة بفيضان المياه. وهذا هو المكان الذى تتجه إليه الطيور كلها، مدينة الأسماك الصغيرة. يراقبها بازدراء، كل شىء تمام بالنسبة لها، لا شىء يهم فى العالم. تأكل وتتناسل وتلطم الأمواج وتصرخ، هذا كل ما تفعل. فى حياة سابقة كان يمكن أن يضحك عليها فى سره، ويتفحصها بالمنظار المكبر، متعجباً من بهائها. لا، لم يكن ليفعل ذلك أبداً، لم يكن ذلك من طبعه. كانت إحدى المعلمات، متطفلة بطبيعتها – سالى أو ماذا كان اسمها؟ – تسوقهم فيما كانت تسميه رحلات ميدانية. أرض الجولف الخاصة بالمجموعة، وبرك أزهار الليلاك، كانت هناك، أراضى الصيد. انظر! هل ترى تلك البطات الجميلة؟ إن اسمها البطة البرية! كان سنومان يجد

الطيور مثيرة للضجر حتى فى ذلك الوقت، لكنه لم يكن يريد إيذاءها. بينما الآن يتحرق شوقًا إلى مقلاع.

ينزل من فوق الشجرة، بحرص أكثر من المعتاد، فلا يزال يشعر ببعض الدوخة. يفتش على كاب البيسبول، ويضرب فراشة - اجتذبها الملح، لا شك - ويبول على الجنادب، كالعادة. يفكر أن له روتينًا يوميًّا. الروتين شيء جيد. رأسه تصبح مخبأ كبيراً لأحجار المغنطيس القديمة التى تلصق على الثلاجات.

ثم يفتح مخبأه ذو القالب الأسمنتى، ويضع نظارة الشمس ذات العدسة الوحيدة على عينيه، ويشرب ماء من زجاجة بيرة مخزنة. لو فقط كان لديه بيرة حقيقية، أو أسبرين، أو المزيد من الويسكى.

يقول لزجاجة البيرة: "يا شعر الكلب". لا يجب أن يشرب الكثير من الماء مرة واحدة، وإلا سوف يتقيأ. يصب باقى المياه على رأسه، ويأخذ زجاجة أخرى، ويجلس مستندًا بظهره على الشجرة، منتظرًا أن تهدأ معدته. يتمنى لو كان لديه ما يقرؤه. أن يقرأ، أن ينظر، أن يسمع، أن يدرس، أن يجمع المعلومات. بقايا بالية من اللغة تطفو فى رأسه: سام، مترونوم، التهاب الثدى، مشط القدم، جياش العاطفة.

يصرخ قائلاً: "كنت شخصًا واسع المعرفة". واسع المعرفة. كلمة مثيرة لليأس. ما هى كل تلك الأشياء التى ظن يومًا أنه يعرفها، وأين ذهبت؟

بعد قليل يكتشف أنه جائع. ماذا فى المخبأ، يا حكيم الطعام؟ أما كان يجب أن تكون هناك حبة مانجو؟ لا، كان هذا بالأمس. كل ما بقى منها هو كيس بلاستيك ملوث مغطى بالنمل. هناك قطعة الشوكولاتة المانحة للطاقة، لكنه لا يشعر أنه قادر على تناول ذلك، يفتح علبة "سفلتانا"، كوكتيل سجق خالى من اللحم، بفتاحته الصدئة. يمكن أن يستخدم ما هو أفضل. فالسجق من نوع خاص بالريجيم، لونه بيج وناعم بشكل يغيظ – كما لو كان غائط طفل – لكنه يتمكن من ابتلاعه. هذه السفلتانا تكون أفضل إذا لم تنظر إليها.

إنها بروتين، لكنها غير كافية بالنسبة له. ليس بها سعرات حرارية كافية. يشرب عصير السجق الدافئ الباقى بالعلبة، يقول لنفسه إنه لابد ملىء بالفيتامينات، أو المعادن، على الأقل. أو شىء ما. كان يعرف عادة. ماذا يحدث لعقله؟ إن لديه تصوراً لقمة عنقه مفتوحة على رأسه كما لو كانت بلاعة حمام. نثار كلمات تجرى إلى البلاعة، وسط سائل رمادى يكتشف أنه عقله الذى يذوب ويتحلل.

حان الوقت لمواجهة الحقيقة. الحقيقة العارية هى أنه يموت ببطء، جوعًا. سمكة فى الأسبوع هى كل ما يستطيع الاعتماد عليه، والناس يأخذون الأمر حرفيًا: يمكن أن تكون سمكة من حجم معقول أو صغيرة جداً، وكلها أشواك وعظام. وهو يعرف أنه لو لم يستطع أن يأخذ طعامًا متوازنًا من البروتين مع النشا وذلك الشىء الآخر – الكربوهيدرات، أم أن هذه هى نفسها النشا؟ – سوف يبدأ فى تذويب ما بقى فى جسده

من شحوم. وبعد ذلك عضلاته. والقلب عضلة. يتصور قلبه يتقلص وينكمش حتى يصبح فى حجم البندقة.

فى البداية كان قادراً على الحصول على فاكهة، ليس فقط من علب الفاكهة التى استطاع اختلاسها، لكن أيضًا من المزارع العلمية المهجورة والتى كانت على بعد ساعات سيراً نحو الشمال. عرف كيف يجدها، كانت لديه خريطة فى ذلك الوقت، لكنها ضاعت منذ مدة طويلة، طارت فى عاصفة رعدية. فاكهة العالم كانت هى القسم الذى اتجه إليه. كانت هناك بعض ثمار الموز الناضجة فى المنطقة الخاصة بالاستوائيات. وعدة أشياء أخرى، مستديرة، خضراء، عقدة على جذع الشجرة، وهذه لم يرد أكلها لأنها قد تكون سامة. كانت هناك أعناب أيضًا، تنمو على تعريشات، فى منطقة التمبرا. كان التكييف الشمسى لا يزال يعمل فى ذلك الوقت، داخل الصوبة، رغم أن إحدى النوافذ كانت مكسورة. كان هناك بعض المشمش أيضًا، وضعت له تعريشة مستندة على جدار، لكنه كان قليلاً، وقد بدأ يتحول إلى اللون البنى حيث أكلت منه بعض اليعاسيب، وبدأ يتعفن. ولكنه التهمه على أى حال، كذلك كان هناك بعض الليمون. كان حامضًا قوى الطعم لكنه أرغم نفسه على شرب العصير، لأنه كان يعرف ما هو الإسقربوط من الأفلام القديمة التى تتحدث عن الحياة فى البحر. نزيف فى اللثة، وخروج الأسنان فى اليد كاملة. لم يحدث هذا له بعد.

فرغت فاكهة العالم الآن تماماً. كم من الوقت باقٍ حتى تظهر فاكهة أخرى من فاكهة العالم وتنضج؟ ليس لديه أى فكرة. لابد أن هناك بعض التوت البرى. سوف يسأل الأطفال عن ذلك، فى المرة القادمة التى يأتون فيها يتسكعون حوله، سوف يعرفون أين التوت. لكن رغم أنه يسمعهم بعيداً على الشاطئ، يضحكون وينادون بعضهم البعض، لا يبدو أنهم سيأتون إلى هذه الناحية اليوم. ربما بدأوا يملونه، وتعبوا من مضايقته لاستخلاص إجابات لن يعطيها، أو لا معنى لها بالنسبة لهم. ربما هو مجرد شىء قديم، موضة انتهت، لعبة رثة. ربما فقد سحره وجاذبيته، مثل نجمة زائفة كلحت ألوانها من شجرة العام الماضى. يجب أن يعترف بإمكانية أن يترك وحده، لكن هذه الفكرة تملؤه بالكآبة.

إذا كان لديه مركب، ربما كان يجدف إلى مبانى البرج، ويتسلق، ويسرق بعض الأعشاش، أو بعض البيض، إذا كان لديه سلم. لا، تلك فكرة رديئة، فتلك الأبراج غير مستقرة نهائيًّا، حتى أثناء الأشهر التى قضاها هنا، انهار العديد منها. يمكن أن يسير إلى منطقة الأكواخ والمقطورات، ويحاول اصطياد بعض الفئران الكبيرة، ويشويها فوق الفحم الملتهب. هذا شىء يمكن التفكير فيه. أو قد يحاول الذهاب إلى أقرب مجمع سكنى، حيث يستطيع أن يجد أشياء أفضل مما فى تلك المقطورات لأن البضائع هناك كانت أكثر على الأرض. أو أحد المنتجعات، المجتمعات ذات البوابات، شىء كهذا. لكن لم يعد لديه أى خرائط، ولا يستطيع أن يخاطر بأن يضل، يسير على غير هدى فى

الظلام لا غطاء ولا شجرة مناسبة. من المؤكد أن الكلديبات سوف تكون وراءه. يمكنه أن يصنع فخًا لبيجون، ويضربه حتى الموت، ويذبحه فى السر. ويجب أن يخفى الآثار، فلديه فكرة أن مشهد الدم المباشر قد يذهب به إلى تجاوز حدود ما يخص أبناء كريك. لكن حقلة بيجون سوف تصنع له العجائب. البيجونات سمينة، والسمنة كاربوهيدرات. هل هى كذلك؟ يفتش فى عقله عن بعض الدروس أو رسم بيانى باقٍ قد يخبره، لقد عرف هذه الأشياء من قبل، لكن لا فائدة، حافظات الملفات فارغة.

يقول: "أحضر اللحم إلى البيت". يشعر بأنه يشم رائحته، هذا اللحم يتم تحميره فى طاسة مع بيضة، ليقدم مع توست وكوب من القهوة... أتريد كريمة مع القهوة؟ يهمس صوت امرأة. صوت لعوب، مضيفة لا اسم لها، خرجت من مهزلة العرى من مرايل التنظيف البيضاء وريش المنافض. يجد لعابه يسيل خارج فمه.

الدهون ليست كربوهيدرات. الدهون هى الدهون. يخبط مقدمة رأسه بقبضته، ويرفع كتفيه، ويمد يديه. ويقول: "حسنًا، أيها الفتى الحكيم، السؤال التالى؟"

لا تتجاهل مصدراً مليئًا بالغذاء يمكن أن يكون أقرب مما تتصور، يقول صوت آخر، بنغمة تعليمية مغيظة يعرفها من أحد كتيبات التعليمات الخاصة بما يمكن فعله فى الأزمات، كتيب تصفحه ذات مرة فى حمام شخص آخر. عندما تقفز من فوق كوبرى، امسك كفلك حتى لا تندفع

المياه من فتحة الشرج. إذا كنت تغرق فى رمال متحركة، خذ عصا الزحف على الجليد معك. يا لها من نصيحة عظيمة! إنه الشخص نفسه الذى قال يمكنك أن تصطاد تمساحاً بعصا مدببة. الديدان واليرقانات، هذا هو ما نصح به بين الوجبات. يمكنك أن تشويها إذا أردت.

يمكن أن يجد سنومان نفسه يقلب فروع الأشجار الساقطة، ولكن ليس بعد. لا يزال هناك ما يمكن أن يجربه أولاً: سوف يتتبع آثار أقدامه، يرجع إلى مستوطنة ريجوڤين إسنس. إنها مسافة طويلة سيراً على الأقدام، أطول من أى مسافة قطعها بعد، لكنها تستحق إذا استطاع الوصول إليها. وهو متأكد أنه سيجد هناك بقايا كثيرة، ليس فقط معلبات، بل مشروبات روحية أيضًا. فما إن عرف سكان المجموعة السكنية بما يحدث، حتى ألقوا بكل شىء وهربوا. ولا يمكن أن يكونوا قد وجدوا وقتًا كافيًا لإخلاء محلات السوبر ماركت مما فيها.

إلا أن ما يحتاجه حقا هو بندقية رش، فلو كانت معه واحدة لاستطاع أن يطلق على البيجونات، ويبعد الكلدبيات عن طريقه – و، فكرة! لمبة إضاءة! – إنه يعرف تمامًا أين يجد واحدة. إن القبة – الفقاعة، التى أقامها كريك، تحتوى على مستودع أسلحة كامل، ولابد أن يكون كل شىء هناك حيث تركه. كانوا يسمون المكان "الجنة". لقد كان أحد الملائكة التى تحرس البوابة، بطريقة ما، فهو يعرف أين كل شىء،

وسوف يتمكن من وضع يده على الأشياء الضرورية. دخول وخروج سريعين، خطف وقبض. ثم سيكون مسلحاً في مواجهة أي شيء.

لكنك لا تريد العودة إلى هناك، أليس كذلك؟ صوت ناعم يهمس في أذنه.

"ليس بالضبط".

لأن...؟

"لا لشيء".

هيا، قلها!

"نسيت"

لا، لم تنس. أنت لم تنس شيئًا.

يقول في رجاء: "أنا رجل مريض، إني أموت من الإسقربوط! اذهبي عني!"

إن ما يحتاجه هو التركيز. أن يضع الأولويات. يقصر الأشياء على الجوهري منها. والجوهري هو: إن لم تأكل فسوف تموت. لا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر جوهرية من هذا.

مستوطنة ريجوف بعيدة جدا على رحلة يوم واحد: إنها أقرب إلى رحلة استكشافية. سوف يضطر لقضاء الليل خارج المكان. وهو

لا يرحب بهذه الفكرة – أين سينام؟ – لكنه لو كان حريصًا فسوف يكون كل شيء على ما يرام.

مع علبة سجق السفلتانا فى بطنه، والهدف أمامه، يبدأ سنومان فى الشعور بأنه فى حالة طبيعية تقريبًا. إن لديه مهمة: بل إنه يتطلع إليها. قد يتمكن من إخراج كل الأشياء من كل الأنواع. كريز محفوظ من ماركة محترمة، فول سودانى محمص جاف، علبة غالية من اللحم المقلد، إذا كان حظه مرتفعًا. حمل سيارة نقل من الخمر. لم تكن المستوطنات بخيلة على نفسها، يمكن أن تجد جميع أنواع البضائع والخدمات هناك بينما كل مكان آخر يعانى من النقص فى كل شىء.

يهب واقفًا، يتمطى، ويهرش حول الجرب القديم فى ظهره – يشعر وكأن ظفر قدمه انتقل إلى هذا المكان – ثم يسير عائدًا على الطريق خلف شجرته، يلتقط زجاجة الويسكى الخاوية التى ألقاها على الكلدييات فى الليلة الماضية. ويشمها متمنيًا لو كان بها قطرة باقية، ثم يلقيها هى وعلبة السجق على كومة العبوات الخالية التى كومها بمرور الوقت؛ حيث كان سرب مزدحم من الذباب يمرح بسعادة. أحيانًا بالليل يستطيع سماع الراكوبانات تنبش بأقدامها فى هذه الكومة، باحثة عن طعام مجانى بين بقايا الفاجعة، كما فعل هو نفسه كثيرًا، ويوشك أن يفعل مرة أخرى. ثم يبدأ فى إعداد تجهيزاته. يعيد ربط ملاءته، ويرتبها على كتفيه، ويشد بقيتها بين قدميه ويربطها حول وسطه كما لو كانت حزامًا، ويعقد آخر قطعة من شيكولاتة الطاقة فى أحد أركانها. ويجد لنفسه

عصا، طويلة ومستقيمة بقدر كبير. ويقرر أن يأخذ زجاجة مياه واحدة؛ فالاحتمال الغالب أنه سيكون هناك مياه فى الطريق. فإن لم يكن، يمكنه دائمًا أن يأخذ من المياه التى تسيل من عاصفة ما بعد الظهر. وعليه إخبار أطفال كريك أنه ذاهب. فهو لا يريدهم أن يكتشفوا أنه مفقود ويخرجوا للبحث عنه. فقد يقعون فى مخاطر، أو يتوهوا. رغم صفاتهم المثيرة للتوتر - والتى يَعُدُّ أن من بينها تفاؤلهم الساذج، ومودتهم التى يبذلونها دون حد، وهدوءهم، والكلمات المحدودة التى يعرفونها - يشعر أنه يود حمايتهم. فقد تركوا لعنايته، سواء قصداً أو عن غير قصد، وهم بكل بساطة ليس لديهم أى فكرة. ليس لديهم فكرة، على سبيل المثال، عن مدى عدم كفاية عنايته فى الواقع.

العصا فى يد، يتمرن على القصة التى سيرويها لهم، يذهب متخذاً الطريق إلى مخيمهم. يسمون هذا الطريق: طريق سمكة سنومان، لأنهم يحملون السمكة إليه فى هذا الطريق كل أسبوع. وهو طريق يلف حول جوانب الشاطئ بينما يحتمى بالظل، ورغم ذلك، يجد أن الإضاءة فيه شديدة الإبهار لعينيه، ويعدل كاب البيسبول لأسفل محاولاً تفادى الأشعة. يصفر وهو يقترب منهم، كما يفعل دائمًا ليعرفوا أنه قادم. لا يريد أن يفاجئهم، أو يتصرف بشكل يسىء إلى أدبهم الزائد، أو يعبر الحدود التى جعلوها لأنفسهم دون أن يكون مدعوا - أو يظهر لهم فجأة من بين الأشجار، كما لو كان عملاقًا متباهيًا يظهر فجأة أمام أولاد فى المدرسة.

صفارته مثل جرس منبوذ: كل الذين يضايقهم المقعدين يمكن أن

يبتعدوا عن طريقه. ليس لأنه مصاب بمرض معدٍ؛ إن ما هو مصاب به لن يصيبهم أبداً. إنهم محصنون ضده.

هـريـر

الرجال يقومون بأداء شعيرة الصباح، يقف كل منهم على بعد ستة أقدام من الآخر فى صف طويل يقفون فى خطٍّ منحنٍ بين الأشجار على الجانبين – يتوجهون إلى الخارج كما فى صور ثعالب المسك، يبولون على طول الخط الوهمى الذى يحدد منطقتهم. وتعبيرات وجوههم رزينة، بما يتناسب مع خطورة مهمتهم. إنهم يذكرون سنومان بأبيه وهو يتجه خارج الباب فى الصباح، حاملاً حقيبته فى يد، واتجاه جاد إلى الهدف يظهر فى تقطيب ما بين عينيه. يفعل الرجال هذا مرتين فى اليوم، كما تعلموا: إنه لمن الضرورى أن تحفظ الكمية باستمرار، وتجديد الرائحة. وكان النموذج الذى نسج عليه كريك هو الكلبيات والخيول البرية، وعدد من العائلات والأنواع الأخرى أيضًا. قال إن استخدام الرائحة كعلامة كان من الأفكار المهيمنة المنتشرة بشدة بين الثدييات، كما لم تكن مقصورة على الثدييات وحدها. بعض الزواحف، سحالى كثيرة....

قال جيمى: "دعك من السحالى".

وفـقًا لكريك – ولم ير سنومان أى شىء منذئذ ينقض هذا – فإن

الكيماويات التى تمت برمجتها فى بول الرجال مؤثرة ضد الكلدييات والراكويانات، وبدرجة أقل ضد الكلابسة والبيجونات. أما الكلدييات والكلابسة فهى تتأثر بالرائحة الخاصة بنوعها، ولابد أن تتخيل كلدييًا أو كلبست شديد الضخامة، بحيث ترى من الحكمة أن تبتعد عنه. أما الراكويانات والبيجونات فسوف تتخيل حيوانًا مفترسًا من النوع الكبير الضارى. أو كانت هذه هى النظرية.

وجعل كريك البول المميز الرائحة من نصيب الرجال فقط؛ قال إنهم سوف يحتاجون أن يكون لهم شىء مهم يفعلونه، شىء يختلف عن الحمل والولادة، لكى يشعروا بأهميتهم. فالأعمال من نوع قطع الأخشاب والصيد، والتمويلات الكبرى، والحرب، ولعب الجولف – لن تعود لها أهمية كاختيارات متاحة، كان يمزح.

وهناك بعض العيوب فى هذه الخطة، فى التنفيذ – كان خط الحدود المكون من دائرة البول تبدو رائحته مثل رائحة حديقة حيوانات نظيفة بشكل غير معتاد – لكن الدائرة كانت كبيرة بما يكفى لكى تبقى دائرة خالية من الرائحة داخلها. على أى حال، كان سنومان قد اعتادها الآن.

ينتظر بأدب الرجال حتى ينتهوا. ولا يطلبون منه أن يلحق بهم؛ إنهم يعرفون بالفعل أن بوله لا فائدة منه. كما أنه من عادتهم ألا يقولوا شيئًا وهم يقومون بهذه المهمة: إنهم بحاجة إلى التركيز، إلى التأكد من

نزول البول فى المكان الصحيح. كل له ثلاثة أقدام من أرض الحدود، هى المنطقة التى يكون مسئولاً عنها. ويا له من منظر! هؤلاء الرجال، مثلهم مثل النساء ذوى بشرة ناعمة، لهم عضلات جيدة كما لو كانوا تماثيل، وفى جمعهم هذا يشبهون نافورة من عصر الباروك. لو أضفنا عدداً قليلاً من عرائس البحر وحيوانات الدرفيل والملائكة الجميلة سوف يكون المشهد مكتملاً. تأتى إلى رأس سنومان صور من دائرة من مواتير السيارات المنفردة، كل منهم يحمل مفتاحًا إنجليزيا. فرقة كاملة من "الأستاذ صلَّح". الصفحة المزدوجة فى مجلة للمثليين. ويكاد يتوقع، وهو يشاهد روتينهم المتزامن، أن ينفجروا فى سطر شعرى متكرر يغنيه كورس أحد النوادى الليلية الرديئة.

يهتز الرجال منتهين، يكسرون الدائرة، ينظرون إلى سنومان بعيونهم الخضراء المتشابهة، يبتسمون. إنهم دائمًا دمثون بشكل يغيظ.

يقول المسمى أبراهام لينكولن: "أهلا يا سنومان، هل ستقوم بزيارتنا داخل بيتنا؟" لقد بدأ يأخذ دوراً أشبه بدور، القائد هذا الفتى. احذر القادة. كان كريك يقول. أولاً القائد والتابعين، ثم الطاغية والعبيد، ثم المذبحة. هذا هو ما كان يحدث دائمًا.

يتخطى سنومان الخط المبلل فوق الأرض، ويسير متمهلاً مع الرجال. لقد خطرت له حالاً فكرة رائعة: ماذا لو يأخذ بعض الأرض المشبعة معه فى رحلته، كأداة حماية؟ سوف تبعد عنه الكلدبيات. لكنه

عاد وفكر أن الرجال سوف يجدون حفرة داخل دفاعاتهم وقد يعرفون أنه هو الذى فعلها. مثل هذا الفعل يمكن أن يساء فهمه، ولا يريد أن يكون هناك شك فى أنه يحاول إضعاف قلعتهم، ويعرض صغارهم للخطر. يجب أن يطبخ تعليمات جديدة من كريك، ويقدمها لهم فيما بعد. كريك قال لى إنكم يجب أن تجمعوا قربانًا من رائحتكم. ويجعلهم جميعًا يبولون فى علبة صفيح. وينثرها حول شجرته. فيصنع دائرة خيالية. يرسم خطه الخاص فى الرمل.

يصلون إلى المكان المفتوح فى وسط الدائرة الإقليمية التى يضعون علاماتهم حولها. وإلى أحد الجوانب، ثلاث من النساء ورجل يعتنون بطفل صغير، يبدو أنه قد أصيب بجرح بشكل ما. هؤلاء الناس ليسوا محصنين ضد الجروح - الأطفال يقعون أو تصطدم رءوسهم بالأشجار، والنساء يمكن أن تحرق أصابعهن وهن يشعلن النيران ويرعينها، هناك قطوع وخدوش - لكن حتى الآن كانت الجروح صغيرة، ومن السهل أن تشفى بالهرير.

كان كريك قد عمل سنوات على الهرير. وبمجرد أن اكتشف أن هرير قط العائلة له تردد الموجات الصوتية نفسها المستخدمة لعلاج كسور العظام وجروح الأنسجة ، ومن ثم كان القط مجهزًا بآلية شفاء نفسه، بهذا الاكتشاف ركز تمامًا فى محاولة إدخال هذا الملمح. كانت الفكرة هى تعديل العظم اللامى فى اللسان وجعل مسارات العصب

الإرادى تتصل وأنظمة التحكم المخية الجديدة يتم تطويعها دون أن تعوق القدرات الكلامية. والواقع أنه قام ببضع تجارب قليلة غير متقنة، على ما يذكر سنومان. وشهد أحد الأطفال الذين أجريت عليهم التجربة ميلاً لنمو شوارب طويلة كشوارب القطط، وخربشة الستائر بأظافره، واثنان آخران حدث لهما نوع من الإعاقة الصوتية فى التعبير؛ أحدهما لم يستطع أن ينطق إلا الأسماء، والأفعال، والزئير.

لكن كريك فعلها رغم كل شىء. أنجزها، رغم الصعوبة. يفكر سنومان أن نظرة واحدة إلى هؤلاء الأربعة الآن، رءوسهم لأسفل قريبة من الطفل، ويهرون كما لو كانوا مواتير سيارات.

يسأل: "ماذا حدث له؟"

يقول أبراهام: "لقد تعرض للعض. أحد أطفال أوريكس عضه".

هذا أمر جديد. "أى نوع؟"

"كلبست. بدون أى سبب".

قالت إحدى النساء: "كان خارج دائرتنا، كان فى الغابة" - أهى إليانور روزفلت؟ الإمبراطورة جوزيفين؟ - لا يستطيع سنومان أن يذكر أسماءهم دائمًا.

يقول ليوناردو دافينشى، الرجل الذى يهر مع النسوة الثلاث: "لقد اضطررنا لضربه بالطوب، لكى نجعله يبتعد".

يفكر سنومان: إذن، فالكلابسة تحاول اصطياد الأطفال الآن. ربما تشعر بالجوع، جائعة كما هو جائع. لكن لديهم كثير من الأرانب ليأكلوها، إذن الأمر ليس مجرد الجوع. ربما يرون فى أطفال كريك، خاصة الصغار منهم، نوعًا من الأرانب، لكن أسهل فى صيدها.

تقول إحدى النساء: "الليلة سنعتذر لأوريكس، بسبب ضربنا لها بالحجارة. وسوف نطلب منها أن تقول لأطفالها ألا يعضونا".

لم ير النساء يفعلن ذلك من قبل - هذا الاتصال مع أوريكس - رغم أنهن يشرن إليه كثيراً. ترى أى شكل سيأخذ؟ سوف يقيمون شكلاً من أشكال الصلاة أو الدعاء، حيث إنهم لا يصدقون أن أوريكس يمكن أن تظهر بشخصها لهم. ربما يدخلون فى حالة نشوة أو دروشة. كان كريك يظن أنه قضى على مثل هذه الأشياء، وحدَّ مما كان يسميه "الخلية راء" فى العقل. الرب عنقود من الخلايا العصبية، وقد أصلحه. ومع ذلك فقد كانت مشكلة صعبة؛ فلو انتزعنا أكثر من اللازم فى هذه المنطقة ستكون النتيجة مخلوقًا غريبًا مرعبًا أو سيكوباتيًا. لكن هؤلاء الناس ليسوا هذا ولا ذاك. مع ذلك فهم بسبيلهم لفعل شىء، شىء لم يتوقعه كريك، سوف يتحدثون مع الغيب؛ لقد نمت لديهم مشاعر التبجيل. يقول فى نفسه، مبروك عليهم. يعجبه أن يكون هناك دليل على خطأ كريك. ومع ذلك، فهو لم يضبطهم يقومون بأية أفعال تصورية فعلية بعد.

يسأل: "هل الطفل سيكون بخير؟"

تقول المرأة بهدوء: "نعم، إن آثار الأسنان قد بدأت تختفي فعلاً، أترى؟"

باقى النساء يقمن بالأعمال المعتادة لهن فى الصباح. بعضهن يتعهدن النار المركزية، والأخريات يربضن حولها، يدفئن أنفسهن. إن حرارة أجسادهن مجهزة للأحوال الاستوائية، ومن ثم أحيانًا يشعرن بأن الجو بارد قبل أن تصبح الشمس فى كبد السماء. ويتم تغذية النار بالأعشاب والأفرع الجافة، لكن أساسًا بالروث، والذى يتم صنعه على شكل أقراص فى حجم الهمبورجر، ويجفف فى شمس الظهيرة. وحيث إن أطفال كريك نباتيين ويأكلون فى الغالب الأعشاب والأوراق والجذور، فإن هذه المادة تحترق جيداً. وبقدر ما يستطيع سنومان أن يعرف، فإن تعهد النار هو تقريبًا الشىء الوحيد الذى تقوم النساء بعمله ويمكن أن يدخل فى تصنيف أداء الأعمال. هذا عدا المساعدة فى صيد السمكة الأسبوعية، وطبخها له. أما فيما يختص بهم، فهم لا يطبخون.

"تحياتى يا سنومان"، تقول المرأة التالية التى يقترب منها. فمها أخضر من الإفطار الذى كانت تمضغه. كانت ترضع طفلاً يبلغ عامًا واحداً، والذى ينظر إلى سنومان، فيترك الحلمة تخرج من فمه، ويبدأ فى البكاء. تقول له: "هذا ليس إلا سنومان! وهو لن يؤذيك".

لم يعتد سنومان بعد معدل نمو هؤلاء الأطفال. الطفل الذى يبلغ عامًا واحداً يبدو فى سن خمسة أعوام. وفى الرابعة يصبح بالغًا . كان كريك يقول إن هناك وقتًا طويلاً جدا يضيع فى تربية الأطفال. تربية الأطفال وسنوات الطفولة. لا توجد أجناس أخرى تضيع ستة عشر عاماً بهذه الطريقة.

بعض الأطفال الأكبر رأوه، يقتربون وهم يترنمون: "سنومان، سنومان!" ومن ثم فهو لم يفقد جاذبيته وسحره بعد. الآن كلهم يحدقون فيه بفضول، متعجبين ماذا يفعل هنا. إنه لا يأتى أبداً دون سبب. فى زياراته الأولى كانوا يظنون – بسبب مظهره – أنه لابد جائع، فكانوا يقدمون له طعامًا، حفنتين من الأوراق المختارة والجذور والحشائش، وعدداً من قطع "المصران" التى احتفظوا بها خصيصاً من أجله – وكان عليه أن يشرح بعناية أن طعامهم يختلف عن طعامه.

إنه يتقزز من قطع "المصران" هذه، فهى تتكون من أعشاب نصف مهضومة، تخرج من فتحة الشرج ويعاد ابتلاعها مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع. وكانت هذه أيضًا إحدى الأفكار العبقرية الصبيانية التى ابتدعها كريك. فقد استخدم الزائدة الدودية كأساس لبناء هذا العضو الضرورى، معللاً بأنه فى مرحلة تطورية مبكرة، عندما كان غذاء الأسلاف يحتوى على طعام أكثر خشونة، فلابد أن الزائدة الدودية كان لها مثل هذه الوظيفة. لكنه سرق الفكرة بالذات من الأرنبيات، التى

تعتمد على الزائدة الدودية بدلاً من أن يكون لها أكثر من معدة مثل الحيوانات المجترة. وفكر سنومان أنه ربما يكون هذا هو السبب فى أن الكلابسة بدأت تحاول اصطياد الكريكيين الصغار، فتحت تلك الرائحة الحامضية، يمكن أن تكون هناك رائحة أرنبية للزائدة الدودية.

تناقش جيمى مع كريك فى هذه الخاصية. قال له مهما كانت رؤيتك لها، النتيجة النهائية كانت أنك تأكل خراءك. لكن كريك لم يجب إلا بالابتسام. وأشار إلى أنه بالنسبة للحيوانات التى يتكون أغلب غذائها من المواد النباتية غير المعالجة، فإن مثل هذه الآلية ضرورية لهضم السليولوز، وبدونها يمكن أن يموت الناس. وأيضًا، كما يحدث فى الفصيلة الأرنبية؛ فإن نواتج الزائدة الدودية غنية بفيتامين ب١، وبفيتامينات أخرى ومعادن أيضًا، بمعدل يصل إلى أربعة أو خمسة أضعاف ما يوجد فى مواد الإخراج العادى. إخراج الزائدة الدودية هو ببساطة جزء من التغذية والهضم، طريقة للاستفادة القصوى من المواد الغذائية المتاحة. وأى اعتراض على هذه العملية هو مجرد اعتراض جمالى.

وقد قال له جيمى إن هذا هو الموضوع.

وقال كريك إنه فى هذه الحالة، فهو أمر لا أهمية له.

أحيط سنومان الآن بدائرة لطيفة منتبهة. يقول: "تحياتى يا أطفال كريك. جئت لأخبركم أننى ذاهب فى رحلة". لابد أن البالغين

قد استنتجوا ذلك بالفعل، من عصاته الطويلة، والطريقة التى ربط بها ملاءته؛ فقد خرج فى رحلات من قبل، أو هذا ما أسمى به غزواته لجلب الأسلاب والغنائم على مواقف المقطورات وأراضى السوقة المجاورة.

يسأل أحد الأطفال: "هل سترى كريك؟"

يقول سنومان: "نعم، سوف أحاول رؤيته. سأراه إذا كان موجوداً هناك".

يقول أحد الأطفال الكبار: "لماذا؟"

يقول سنومان بحذر: "هناك أشياء أريد أن أطلبها منه".

تقول الإمبراطورة جوزيفين: "لابد أن تخبره عما حدث من الكلبست، ذلك الذى عض الطفل".

تقول مدام كورى: "هذا الأمر يخص أوريكس، لا كريك".

وتهز النساء الأخريات رءوسهن موافقات.

يقول الأطفال: "إننا نريد أن نرى كريك أيضًا. نحن أيضًا. نحن أيضاً! ونحن نريد أن نرى كريك أيضاً!".

إنها إحدى أفكارهم المحببة، الذهاب لرؤية كريك. يلوم سنومان نفسه: لم يكن ينبغى أن يقول لهم كل هذه الأكاذيب المثيرة من البداية. لقد جعل كريك يبدو أشبه ببابا نويل..

تقول إليانور روزفلت برقة: "لا تزعجوا ستومان. من المؤكد أنه يقوم بهذه الرحلة لمساعدتنا. يجب أن نشكره".

يقول سنومان: "كريك ليس للأطفال". ويحاول أن يكتسب نظرة وقورة بقدر ما يستطيع.

"دعنا نأتي نحن أيضاً! إننا نريد أن نرى كريك!"

"لا يستطيع أحد أن يرى كريك سوى سنومان". كان ذلك إبراهام لنكولن، قالها بلطف. ويبدو أن ذلك أنهى المسألة.

قال سنومان: "الرحلة ستكون أطول هذه المرة. أطول من الرحلات التي قمت بها من قبل. ربما أتغيب لمدة يومين"، يرفع إصبعين، ويكمل "أو ثلاثة. فلا تقلقوا. لكن عندما أكون بعيداً، يجب أن تبقوا في بيتكم، وتفعلوا كل شيء بالطريقة التي تعلمتموها من كريك وأوريكس".

كورس من الموافقات، وهزات الموافقة من الرءوس. لا يشير سنومان إلى احتمال حدوث أخطار بالنسبة لنفسه. ربما لا يضعون مثل هذا الأمر أبداً في اعتبارهم، ولا هو موضوع يذكره - كلما ظنوا أنه غير عرضة للخطر، كلما كان ذلك أفضل.

يقول إبراهام لينكولن: "سوف نأتي معك". ينظر عدد من الرجال إليه، ثم يومئون برءوسهم.

يقول سنومان، وقد فوجئ: "لا... أعنى أنكم لا يمكنكم رؤية كريك، هذا غير مسموح". إنه لا يريد أن يصحبوه، مطلقا! إنه لا يريد أن يشهدوا أى مظاهر ضعف أو فشل من جانبه. بالإضافة إلى أن بعض المناظر فى الطريق قد تكون سيئة التأثير على اتزانهم العقلى. ومن المؤكد أنهم سوف يغرقونه بالأسئلة. بالإضافة إلى كل الأشياء التى تجعل يومًا فى صحبتهم مملاً بدرجة تجعله لا يكاد يحتمل ثيابه.

لكن ليس لك أية ثياب، يقول صوت فى رأسه - صوت صغير هذه المرة، صوت طفل صغير حزين. مزحة! مزحة! لا تقتلنى!

يفكر سنومان، آه، لا، ليس الآن، ليس وأنا معهم. فعندما يكون معهم لن يستطيع أن يرد.

يقول بنجامين فرانكلين: "سوف نأتى معك لحمايتك"، وهو ينظر إلى عصا سنومان الطويلة. "من الكلابسة التى تعض، ومن الكلدييات".

وأضاف نابليون: "إن رائحتك ليست قوية جدا".

يجد سنومان أن هذا يدل على اعتداد يغيظ بالذات. كما أنه غير صحيح تمامًا، فرائحته قوية كما يعرفون جميعًا، إلا أنها ليست نوع الرائحة المطلوب. يقول: "سأكون بخير، عليكم البقاء هنا".

بدا الشك على الرجال، لكنه يعتقد أنهم سيفعلون ما يقول. ولكى يقوى من سلطته عليهم يرفع ساعته إلى أذنه. "يقول كريك إنه سيرعاكم، ويحافظ عليكم فى أمان".

يقول صوت الطفل الصغير: يرعى، يحافظ، إنه تلاعب بالألفاظ، يا جوزة القلين.

يقول إبراهام لنكولن كنوع من أداء الواجب: "كريك يرعانا أثناء النهار، وأوريكس ترعانا أثناء الليل". ولا يبدو أنه مقتنع تماماً.

تقول سيمون دى بوفوار بجلال: "كريك يرعانا". وهى امرأة ذات بشرة بنية تميل إلى الصفار، تُذَكِّر سنومان بدولوريس، المربية الفلبينية التى ضاعت منذ زمن طويل؛ أحياناً يقاوم الرغبة فى أن ينزل على ركبتيه ويلقى ذراعيه حول خصرها.

تقول مدام كورى: "إنه يرعانا ويحافظ علينا، قل له إننا شاكرين".

يعود سنومان متخذاً طريق سمكة سنومان. ويشعر بأنه رقيق ومتطرف فى عواطفه: لا شىء يهزمه مثل كرم هؤلاء الناس، واستعدادهم للمساعدة. كذلك شعورهم بالامتنان تجاه كريك. إنه أمر مؤثر للغاية، وفى غير محله.

يقول: "كريك، يا ذا الرأس الفتى". ويشعر بأنه على وشك البكاء. ثم يسمع صوتاً – صوته نفسه! – يقول بوووووهوووو؛ إنه يراها، كما لو كانت كلمة مطبوعة فى فقاعة كلام فى إحدى مجلات القصص المصورة. ويسيل الماء على وجهه.

يقول: "ليس مرة أخرى". ما هو الاهتياج؟ ليس هو الغضب بالضبط، ولكنه اضطراب الغيظ. كلمة قديمة ولكنها مؤثرة. الغيظ بحاجة إلى ما هو أكثر من كريك، والحق أنه لماذا يلوم كريك وحده؟ ربما أنه يشعر بالحسد وحسب. يشعر بالحسد والغيرة مرة أخرى. إنه أيضًا يتمنى لو يكون خفيا ومعبوداً. هو أيضًا يتمنى لو يكون فى مكان آخر. لا أمل فى هذا؛ إنه غارق حتى رقبته فى هنا والآن.

يبطئ فى سيره، لدرجة أنه يكاد يقف. أوه، بوووهووو! لماذا لا يستطيع أن يتحكم فى نفسه؟ ومن ناحية أخرى، لماذا يتجشم التعب، وليس هناك من يراقبه؟ لكن الضوضاء التى يقوم بها تبدو له مثل الصياح المبالغ فيه الذى يقوم به المهرج - مثل تمثيل التعاسة لانتزاع التصفيق.

توقف عن التنشق يا بنى، يقول صوت أبيه. تماسك. إنك الرجل هنا.

يصيح سنومان: "صحيح!". "ماذا تقترح بالضبط؟ لقد كنت خير مثال!"

لكن المفارقة ضاعت بين الأشجار. يمسح أنفه بيده التى لا تحمل العصا، ويستمر فى السير.

أزرق

التاسعة صباحًا، حسب ما يقدره سنومان من مكان الشمس، فى الوقت الذى ترك فيه طريق السمكة ليتجه بعيداً عن الشاطئ، إلى داخل البلاد.

وبمجرد أن يبتعد عن نسيم البحر، ترتفع الرطوبة، ويجتذب حلقة من الذباب القراص الأخضر. إنه عارى القدمين – لقد تفسخ حذاؤه منذ فترة، وعلى أية حال، كان شديد الحرارة وقد أصبح مبللاً من الرطوبة – لكنه لا يحتاجه الآن لأن باطن قدميه قد أصبح قوياً كالمطاط القديم. ومع ذلك يسير بحرص؛ فقد يكون هناك زجاج مكسور، أوشظايا معدنية. أو قد يكون هناك ثعابين، أو أشياء أخرى تلدغه، وليس لديه سلاح سوى العصا.

فى البداية يسير تحت الأشجار، التى كانت قبلاً حديقة. وعلى بعد يسمع كحة نابحة لأحد حيوانات الكلابسة. إنه الصوت الذى تصدره هذه الحيوانات كتحذير: ربما يكون ذكرًا، وقد التقى بذكر آخر. سوف تكون هناك معركة، والمنتصر يأخذ كل شىء – كل الإناث فى المنطقة – ويقتل أطفالهن، إذا لم يستطع غيره أن يمنعه، ليخلى المكان لإنتاجه الجينى الخاص.

كانت هذه الحيوانات قد قُدِّمت كنوع من التحكم الشبيه بالتحكم البيئى، عندما كبرت الأرانب الخضراء وأصبحت كثيرة ومن الصعب

التحكم فيها. وهى حيوانات أصغر من الكليبست، أقل عنفًا - كانت هذه هى القصة الرسمية التى قدمت للكليبست. كان المفترض أن تقوم بالحد من القطط الضارية، ومن ثم يتحسن نسل الطائر المغرد الذى كاد ينقرض تمامًا. فالكلابسة لا تهتم إطلاقًا بالطيور، كما أنها تفتقد الخفة والرشاقة اللازمة للإمساك بها. وهكذا سارت النظرية.

وكل ذلك ظهر أنه صحيح، إلا أن الكليبست سرعان ما خرج عن التحكم بدوره. أخذت الكلاب الصغيرة تختفى من الأفنية الخلفية، والأطفال من عربات الأطفال، وتعرض قصار القامة للضرب إذا كانوا يمشون ببطء. لم يحدث ذلك فى المستوطنات، طبعًا، ونادراً فى المجموعات السكنية، لكن كان الكثير من التذمر يأتى من سكان أراضى السوقة. ينبغى أن يكون منتبهًا لآثار الأقدام، ويكون حذرًا من أفرع الأشجار القريبة المتدلية، فهو لا يحب فكرة أن يجد أحد هذه الأشياء تنزل على رأسه.

ولابد دائمًا من الحذر من الكلدييات. لكن الكلدييات تصطاد ليلاً، أما فى حرارة النهار فهى تلجأ إلى النوم، مثل معظم حيوانات الفراء.

كل مسافة يجد نفسه فى حيز مفتوح أكثر اتساعًا - بقايا مواقع مخيمات السيارات، وهناك منضدة رحلات، وإحدى الشوايات المخصصة للهواء الطلق، رغم أنه لم يكن أحد يستخدمها كثيراً عندما أصبحت الحرارة شديدة ثم بدأت السماء تمطر كل يوم بعد الظهر.

ويقترب من أحد هذه المواقع الآن، الفطريات تملأ المتضدة المتحللة، والشواء مغطى بالنباتات المعترشة.

وإلى الناحية الجانبية من المكان الذى يحتمل أنه كان الأرض الفضاء ، حيث تقف المقطورات وتضرب الخيام عادة، يمكنه سماع الضحك والغناء وصيحات الإعجاب والتشجيع. لابد أن هناك حالة تزاوج، مناسبة نادرة بين الناس؛ عمل كريك على الأرقام، وقرر أن مرة واحدة للأنثى كل ثلاث سنوات كافية جدا.

سوف يكون هناك الخماسى النموذجى: أربعة رجال وامرأة بينهم. حالتها ستكون واضحة للجميع من اللون الأزرق اللامع لردفيها وبطنها – وهى حيلة من الحيل العديدة للتلون المستوحاة من حيوانات البابون، مع مساهمة من القدرة على اكتساب طبقة غازية تكتنف الجسد وتتمدد كما يحدث مع الأخطبوط. وكما كان كريك يقول: فكر فى التكيف، أى نوع من أنواع التكيف، وستجد أن حيوانًا ما فى مكان ما قد فكر فيه قبلك.

وبما أن الموضوع لا يتعدى النسيج الأزرق، والفيرمونات(*) التى يطلقها والتى تثير الذكور، لم يعد هناك حب من طرف واحد هذه الأيام،

(*) الفيرمون : Pheromone ، أى مادة كيميائية أو مجموعة من المواد الكيميائية ينتجها كائن حى وتحمل رسالة إلى أعضاء النوع نفسه ، وهناك فيرمونات تطلق للتحذير ، أو للإخبار عن وجود طعام ، أو كنداء جنسى .

ولا إحباط للحب؛ لم يعد ثمة ظلال تفصل بين الرغبة والفعل. قال كريك إن الغزل يبدأ لدى أول إشارة، أول لمحة خاطفة من اللون الأزرق، بتقديم الذكور وروداً إلى الإناث – تماماً كما تقدم ذكور البنجوين حجارة مستديرة، أو كما تقوم ذكور السمكة الفضية بتقديم زيت العنبر. وفى الوقت نفسه ينهمكون فى انفجارات موسيقية، مثل الطيور المغردة. وتتحول الأعضاء الجنسية للذكور إلى أزرق ساطع يماثل لون بطون الإناث الزرقاء، ويقومون بنوع من رقصة الأعضاء الجنسية الزرقاء، الأعضاء المنتصبة تتماوج أماماً وخلفاً فى انسجام، مع حركة الأقدام والغناء، وهذا الملمح اقترحه كريك بناء على الإشارات الجنسية التى يقوم بها السرطان. ومن بين الزهور المقدمة كهدايا تقوم الأنثى باختيار أربع زهرات، والإثارة الجنسية لمن لم تختارهم الأنثى تبرد على الفور، دون أية ضغائن. ثم، عندما يصل لون زرقة بطنها إلى أعمق درجاته، تجد الأنثى والرباعى المختار منطقة آمنة يذهبون إليها حتى تحمل الأنثى ويبهت اللون الأزرق لديها. وهذا هو كل شيء.

كفى، لا مزيد، يفكر سنومان، لا تعنى نعم، على أية حال. لن يكون هناك أى دعارة، ولا اعتداءات جنسية على الأطفال، ولا مساومات على الأسعار، ولا قوادة، ولا عبيد الجنس. لا اغتصاب. سوف يقضى الساعات الخمس فى المجون والعربدة، ثلاثة من الرجال يقفون للحراسة ويغنون ويصيحون، بينما الرابع يتحد بالأنثى، يلف ويدور معها. كريك جهز أولئك النسوة بفرج فائق القوة – طبقات أكثر من الجلد، عضلات

أقوى – حتى يستطعن تحمل هذه المسابقات. لم يعد من المهم من هو والد الطفل الذى سيأتى حتمًا، حيث إنه ليس هناك ملكية يمكن توريثها، ولا شعور الولاء بين الأب والابن المطلوب للحرب. لم يعد الجنس شعيرة غامضة، يُنظر إليها نظرات مختلفة متناقضة، أو باحتقار واشمئزاز، يتم القيام بها فى الظلام وتلهم بالانتحار والقتل. بل إنها الآن أقرب إلى المسابقات الرياضية، لهو نابع من حرية الروح.

يفكر سنومان، ربما كان كريك محقًّا. فحسب الشريعة القديمة، كان التنافس الجنسى قاسيا ولا يرحم؛ كان كل محبين سعيدين لهما عزول، الشخص الذى أبعد عن العلاقة بأحدهما. كان الحب أشبه بالكرة البللورية الشفافة، يمكنك أن ترى الاثنان داخلها، لكن لا يمكنك الدخول إليها.

كان هذا هوالشكل المعتدل، الرجل الوحيد فى النافذة، يشرب حتى ينسى الأنغام المحزنة لرقصة التانجو. لكن مثل هذه الأشياء كان يمكن أن تنفجر فى حالات من العنف. فالعواطف المتطرفة يمكن أن تكون مهلكة. إن لم أستطع الحصول عليك فلن يستطيع غيرى، وهكذا. يمكن أن يدخل الموت إلى المشهد.

فى أحد الأيام وقت تناول وجبة الغداء الخفيفة – لابد أن ذلك حدث وهما فى أوائل العشرينات من عمرهما، وكان كريك قد التحق بمعهد واطسون/كرك – قال كريك: "كم من التعاسة، كم من اليأس الذى لا ضرورة له تسببت فيه سلسلة من عدم التناسب البيولوجى، سوء

توزيع الهورمونات والفيرمونات؟ وانتهى بحقيقة أن الإنسانة التى تكن لها كل تلك المشاعر العاطفية لا تحبك أو لن تستطيع أن تحبك. وكجنس بشرى نحن مثيرون الشفقة من هذه الناحية؛ نحن نرغب فى شريك زواج واحد، لكن بشكل غير مكتمل. لو كنا نستطيع أن نرتبط كأزواج فقط طوال الحياة، مثل حيوانات الجيبون، أو أن نكون قادرين على عدم الإحساس بالذنب حين نتصل جنسيًّا بأخرى، لن يكون ثمة عذاب جنسى. وهناك فكرة أفضل – فلنجعلها مسألة دورية وغير حتمية، كما فى الثدييات الأخرى. لا يمكنك أن ترغب فى امرأة لا تستطيع الحصول عليها".

"صحيح"، رد جيمى، أو جيم، كما كان يصر الآن، دون نتيجة: كل واحد لا يزال يناديه جيمى. "لكن فكر فيما سوف نتخلى عنه".

"مثل؟"

"السلوك الغزلى. فى خطتك سنكون مجرد ثلة من الروبوتات الهورمونية". فكر جيمى أنه يجب أن يستخدم مصطلحات كريك فى التعبير عن رأيه، وهذا هو السبب فى استخدامه تعبير "السلوك الغزلى". ولكنه كان يعنى التحدى، الإثارة، المطاردة. "لن يكون ثمة حرية فى الاختيار".

قال كريك: "إن تصميمى سيكون فيه سلوك غزلى، إلا أنه سوف ينجح دائمًا. ونحن روبوتات هورمونية على أى حال، لكنها خاطئة".

قال جيمى: "حسنًا، ماذا عن الفن؟" كان شاعرًا ببعض اليأس، فقد كان على أية حال طالبًا فى أكاديمية مارثا جراهام، ومن ثم كان يشعر بالحاجة للدفاع عن منطقة الفن والإبداع.

قال كريك وهو يبتسم ابتسامته الهادئة: "ماذا عن الفن؟"

"كل عدم التوافق الذى تتحدث عنه، كان دائمًا ملهمًا، أو هذا هو ما يقولون. فكر فى كل ذلك الشعر، فكر فى بترارك، فكر فى "جون دون"، فكر فى "الحياة الجديدة"، فكر...."

قال كريك: "الفن... أظن أنهم لا يزالون يثرثرون كثيرًا بهذا الشأن، فى المكان الذى أنت فيه. ماذا قال بايرون؟ من يمكن أن يكتب إذا كان يستطيع أن يفعل شيئًا آخر؟ شىء من هذا القبيل.."

قال جيمى: "هذا ما أعنيه". لقد أثارت الإشارة إلى بايرون حفيظته. بأى حق ينتهك كريك منطقته الرثة الزائفة؟ ينبغى أن يقصر كريك نفسه على العلم ويترك بايرون المسكين لجيمى.

قال كريك كما لو كان يلقى درسًا على شخص يتهته: "ماذا تعنى؟"

"أعنى، إذا لم يكن باستطاعتك شىء آخر، إذن...."

قال كريك: "ألا تفضل أن تمارس الجنس؟" لم يكن يشمل نفسه بهذا السؤال، كانت لهجته لهجة شخص منفصل، ولكن دون اهتمام

قوى، كما لو كان يقوم بمسح عن عادات الناس الأقل جاذبية، مثل تنظيف الأنف بالإصبع.

وجد جيمى أن وجهه يحمر، وصوته يختنق كلما أصبح كريك أكثر غضبًا. كان يكره هذا. قال: "عندما تنتهى أى حضارة وتصبح مجرد رماد، لا يبقى منها سوى الفن. الصور، الكلمات، الموسيقى، العمارة البديعة. تلك هى الأشياء التى تحدد المعنى - المعنى الإنسانى. ينبغى أن تعترف بهذا".

قال كريك: "ليس هذا فقط كل ما يبقى، فعلماء الحفريات مهتمون بالعظام المتحجرة والحجارة القديمة والخراء المتحجر هذه الأيام. هذه الأشياء تلقى أحيانًا اهتمامًا أكثر. إنهم يظنون أن المعنى الإنسانى يتحدد بهذه الأشياء أيضًا".

يتمنى جيمى لو قال له لماذا دائمًا تريد إحباطى؟ لكنه كان يخشى من الإجابات المحتملة، لأن هذا سهل جداً، بما أنه واحد منهم. وبدلاً من ذلك قال: "ماذا لديك ضد هذا؟"

"ضد ماذا؟ الخراء المتحجر؟"

"الفن!"

قال كريك بكسل: "لا شىء. يمكن للناس أن يسلوا أنفسهم بأى طريقة تعجبهم. إذا كانوا يريدون أن يلعبوا بأنفسهم فى العلن، يضيعون

وقتهم بلا جدوى، يخربشون، ويمارسون أنشطة تافهة؛ لا مشكلة عندى. على أى حال هذا يخدم غرضًا بيولوجيًّا".

"مثل؟" .. كان جيمى يعلم أن كل شىء يعتمد على احتفاظه بهدوئه. هذه المناقشات يجب أن يتم خوضها كما لو كانت لعبة؛ إذا فقد أعصابه سوف يكسب كريك.

قال كريك: "ذكر الضفدع، فى موسم التزاوج يقوم بعمل ضوضاء بقدر ما يستطيع. وتنجذب الإناث إلى الذكر الذى له أقوى وأعمق صوت، لأنه يدل على أنه ضفدع أقوى، جيناته متفوقة. أما الذكور الأصغر – وهذا أمر موثق – فيكتشفون أنهم إذا وقفوا فى مواسير الصرف الخالية، فإن الماسورة تعمل مكبرًا للصوت، ويبدو الضفدع الأصغر أكبر من حقيقته".

"ومن ثم؟"

قال كريك: "ومن ثم هذه هى حقيقة الفن بالنسبة للفنان. ماسورة صرف خالية. مكبر. طعنة من أجل أن يضع بذرته".

قال جيمى: "هذا التمثيل يسقط عندما نفكر فى الأمر بالنسبة للفنانات. فهن لا يلجأن للفن من أجل وضع البذرة. ولا يحصلن على ميزة بيولوجية من تكبير أصواتهن، حيث إن الأزواج المحتملين يمكن أن ينفروا لا أن يجذبهم هذا النوع من التكبير. البشر ليسوا ضفادع، وهم لا يريدون النساء اللائى أكبر منهم عشر مرات".

قال كريك: "الفنانات مضطربات بيولوجياً، كان لابد أن تتوصل إلى هذا الآن".

كانت هذه إشارة وضيعة إلى قصة الغرام المعقدة التى يعيشها جيمى الآن، مع شاعرة سمراء أسمت نفسها مرجانة، وترفض أن تخبره باسمها الحقيقى، وهى الآن تعيش ثمانية وعشرين يوماً من الصيام عن الجنس توقيراً لربة القمر العظمى، أويستر، راعية الأرانب وفول الصويا. كانت أكاديمية مارثا جراهام تجتذب هذا النوع من الفتيات. ومع ذلك كان من الخطأ أن وثق بكريك وأخبره عن هذه العلاقة.

يفكر سنومان، مسكينة مرجانة. ترى ماذا حدث لها. لم تعرف أبداً كم كانت مفيدة لى، هى وكلامها الفارغ. يشعر ببعض الخسة لأنه استخدم ثرثرة مرجانة كنظرية لنشأة الكون يرويها للكريكيين. لكن بدا أنها تشعرهم بالسعادة.

يميل سنومان مستنداً على شجرة، يستمع إلى الضوضاء الغائبة. حبيبى مثل زهرة زرقاء. يشرق القمر على الحصاد. ويفكر، إذن حقق كريك طريقته الآن. فليهنأ. لم تعد هناك غيرة، ولا قاتلو الزوجات، ولا واضعات السم للأزواج. كل الناس أصحاب طبائع رائعة، لا دفع ولا إكراه، أقرب إلى صور الآلهة تطفر مرحًا مع حورية لطيفة، فى أحد العصور الذهبية المحفورة على أحد الطنف الإغريقية.

فلماذا إذن يشعر بأنه بعيد هكذا، وحيد هكذا، محروم هكذا؟ ألأنه لا يفهم هذا النوع من السلوك؟ ألأنه سلوك يتجاوزه؟ ألأنه لا يستطيع الانغماس فيه؟

وماذا سيحدث لو حاول؟ لو خرج فجأة من بين الأشجار في ملاءته الرثة، قذراً، أشعث الشعر، متورماً، ينظر شزراً كماعز متكور، يفلع بأظلافه البشعة كإله الغابات الشهواني، أو كقرصان ذي عين واحدة من أحد أفلام القراصنة القديمة - يا له من مشهد! - ويحاول أن يلحق بصراع الغرام على ذوات المؤخرات الزرقاء؟ يمكنه أن يتخيل الرعب - كما لو أن حيواناً من فصيلة الأورانج أوتان اقتحم حفلاً رسميا لراقصي الفالس وبدأ يتحسس أميرة بيضاء متألقة. ويمكنه أن يتخيل رعبه هو أيضاً. بأي حق يحاول أن يقحم نفسه وروحه المتقرحتين المليئتين بالبثور على هذه المخلوقات البريئة؟

يئن: "كريك! لماذا أنا على هذه الأرض؟ كيف أصبحت وحيداً؟ أين عروسي الشبيهة بفرانكنشتاين؟"

إنه بحاجة إلى دفن هذا الشريط المنهك المتكرر، والهرب من المشهد المثير لليأس. أوه، يا حبيبي، صوت امرأة يهمس، تشجع! انظر إلى الجانب المشرق! لابد أن تفكر بطريقة إيجابية!

يسير أماماً بعناد، وهو يهمهم ويتمتم لنفسه. الغابة تنشر صوته، الكلمات تخرج منه في خيط من الفقاقيع الخالية من اللون والمنعدمة الصوت، مثل الهواء الخارج من فم الغارق. الضحك والغناء تتضاءل أصواتهما خلفه. سرعان ما سوف تختفي ولا يعود يسمع أيا منهما.

(٨)

سويومى

تخرج جيمى وكريك من مدرسة هيلثوايزر العليا فى يوم دافئ رطب فى أوائل فبراير. كان المعتاد أن يتم الاحتفال فى يونيو؛ حيث يكون الجو مشمسًا ومعتدلاً. لكن يونيو كان حينئذ فصل الأمطار على طول الساحل الشرقى، ولا يمكنك أن تقيم احتفالاً فى الهواء الطلق ، تحت العواصف الرعدية. حتى أوائل فبراير كاد يدرك هذه الأحوال؛ فقد كان هناك إعصار فى اليوم التالى للاحتفال.

كانت مدرسة هيلثوايزر العليا تحب أداء الأشياء بالأسلوب القديم؛ إقامة سرادق ومظلات والأمهات يرتدين قبعات بالزهور، والآباء قبعات القش المجدول، والمشروبات بطعم الفاكهة، بالكحول أو بدون، والقهوة التقليدية، وقليل من الأوعية البلاستيكية المليئة بأيس كريم سويومى، وهو ماركة خاصة بهيلثوايزر، يتكون من شيكولاتة الصويا، ومانجو الصويا، وهندباء مشوية، وشاى أخضر بالصويا. كان مشهداً احتفاليًا حقًا.

كان كريك الأول بين زملائه. وكانت المزايدة عليه من قبل المستوطنات التعليمية المتنافسة فى مزاد الطلبة رائعة، واختطفه معهد واطسون كرك بسعر مرتفع. وهذه المؤسسة ما إن تصبح طالباً فيها، يصبح مستقبلك مضموناً. كان ذلك أشبه بما كان من الذهاب إلى هارفارد فى الماضى، قبل أن تغرق.

أما جيمى فقد كان طالبًا متوسط المستوى، مرتفع الدرجات بالنسبة للكلمات، ومستوى متواضع فى درجات الأرقام. وحتى تلك الدرجات المتواضعة فى الأرقام كان قد حصل عليها بمساعدة كريك، الذى كان يدرب جيمى عليها فى إجازات نهاية الأسبوع، باذلاً وقته الذى يحتاجه لاستعداداته الخاصة. ولم يكن ذلك يعنى أنه بحاجة إلى مزيد من التخمة العلمية، كان طفرة من نوع ما، كان يستطيع أن يتدبر المعادلات الصعبة وهو نائم.

سأله جيمى فى وسط إحدى الجلسات الغاضبة: "لماذا تفعل ذلك؟" (يجب أن تنظر للأرقام بشكل مختلف. يجب أن ترى ما فيها من جمال. إنها مثل الشطرنج. انظر - جرب هذه. أترى؟ أترى النموذج؟ والآن ستصبح كل النماذج الأخرى واضحة. لكن جيمى لم ير، ولم تصبح كل النماذج الأخرى واضحة.) "لماذا تساعدنى؟"

قال كريك: "لأننى شخص سادى، أحب أن أشاهدك وأنت تعانى".

قال جيمى: "على أى حال أنا أقدر لك ذلك". وكان يقدر ذلك بالفعل، لأسباب عديدة، وأهمها أن والد جيمى لم يكن يجد أساسًا للانزعاج أو الشكوى، وهو يعرف أن كريك يتولى تعليمه وتوجيهه.

لو كان جيمى من مدرسة مجمع، أو – ما هو أفضل – من تلك الصناديق المقبضة التى تسمى "نظام التعليم العام"، لظهر مثل ألماسة وسط مصرف قذر. لكن مدارس المستوطنة كانت حمامًا من الجينات المتألقة الذكاء، والتى لم يكن أىٌّ منها موروثًا من الآباء المفتونين والمهووسين بأبنائهم، ومن ثم فقد تضاءلت مواهبه بالمقارنة. كما أنه لم يحصل على أية نقاط لكونه قادراً على إثارة الضحك. والآن كان قد أصبح أقل قدرة على ذلك على أية حال؛ لقد فقد الاهتمام بأن يكون له جمهور عام.

بعد انتظار مهين، بينما كانت المستوطنات التعليمية تُزايد على المتألقين، ثم نسخ وثائق المتوسطين وانزلاقها ووقوع القهوة عليها ووقوعها على الأرض خطأ، أخيراً تم إلقاء جيمى فى أكاديمية مارثا جراهام؛ وحتى ذلك كان بعد مزايدة طويلة تفتقد البريق. ولا داعى لذكر أن جيمى ارتاب فى أن والده قام ببعض الضغط، الذى كان يعرف رئيس مارثا جراهام من معسكر صيفى قديم وربما كان لديه ما يمكنه أن يؤاخذه به. مثل انتهاك الصبيان الصغار، والتورط فى السوق السوداء للأدوية. أو أن هذا هو ما ارتاب فيه جيمى، عندما تمت مصافحته بطريقة سيئة ونوع من الضغط الزائد على يده.

قال الرئيس بابتسامة مزيفة كما لو كان أحد بائعى الفيتامينات: "مرحباً بك فى مارثا جراهام، يا بنى".

فكر جيمى: متى يتوقفون عن دعوتى بيا بنى.

ليس بعد. أوه، ليس بعد. فيما بعد، فى حفلة الحديقة قال والده "تشجع يا جيمى، يا بنى"، وهو يقرصه فى ذراعه. كان قد ترك شيكولاتة الصويا تذهب فى رباط عنقه الغبى، والذى كان به نموذج لخنازير لها أجنحة. وابتهل جيمى فى نفسه، أرجوك لا تحتضنِّى.

قالت رومانا: "يا عزيزى، إننا فخورون بك"، والتى جاءت مدججة بثياب أشبه بثياب غانية لامعة بفتحة عنق واسعة وأهداب قرمزية. رأى جيمى شيئًا كهذا فى موقع هوت توتس ذات مرة، لكنه كان على فتاة فى الثامنة من العمر. كان موقع حمالة السوتيان مليئًا بالنمش من كثرة التعرض للشمس، وليس معنى هذا أن جيمى كان لا يزال شديد الاهتمام بهذا الشىء. كان فى هذا الوقت قد ألف روافع الغدد الثديية تلك، وعلى أية حال فقد وجد ذلك الجو الأمومى الجديد لرومانا منفراً. كانت قد تكونت لديها بعض التجاعيد على جانبى الفم، رغم حقن الكولاجين، كانت ساعتها البيولوجية تدق، حسب تعبيرها الذى كانت مغرمة بتكراره. سرعان ما سوف تحصل على علاج نوسكينز للتسمم الجمالى - الشلل التام الأبدى للتجاعيد، الموظفين بنصف السعر - بالإضافة إلى انفجار نافورة الشباب فى خمس سنوات، سوف يبرد

بشرتك بالكامل. قبلته بجوار أنفه، تاركة أثر أحمر شفاه بلون الكرين، وكان يشعر به على خده مثل شحم الدراجة.

كان مسموحًا لها أن تقول "تحن"، وأن تقبله، لأنها كانت الآن رسميًّا زوجة أبيه. فقد طلق أبوه أمه غيابيًّا بسبب "الهجر"، وسرعان ما احتفل بزواجه المزعوم من رومانا، لو كان يمكن تسميته هكذا. فكر جيمى أن هذا لا يعنى أن أمه الحقيقية تهتم بذلك أدنى اهتمام. إنها ما كانت لتهتم. كانت قد ذهبت وحدها لتقوم بنفسها بمغامراتها، بعيداً عن الاحتفالات المثيرة للكآبة. لم تصله بطاقة بريدية منها منذ أشهر، كان آخر هذه البطاقات صورة لتنين الكومودو، وتحمل طابع ماليزيا، وطُلب منه زيارة أخرى لمقر سلاح الشركة.

فى أثناء حفل الزواج، شرب جيمى حتى الثمالة. وارتطم بجدار، وهو يبتسم بغباء والزوجين السعيدين يقطعان التورتة السكرية. كلها مكونات حقيقية، الأمر الذى جعلته رومانا معلومًا للجميع. كثير من الثرثرة حول البيض الطازج. فى أى لحظة الآن ستكون رومانا تخطط لطفل، طفل يكون أكثر إرضاء مما كان عليه جيمى بالنسبة لأى شخص.

همس لنفسه: "من يهتم؟ لا شىء يهم". لم يكن يريد أن يحتفظ بأب على أية حال، أو أن يكون أبًا، أو أن يكون له ابن، ولا أن يكون هو ابن. كان يريد أن يكون نفسه، وحده، متفرداً، خالقًا لنفسه، ومكتفيًا بذاته. من الآن فصاعداً سيتخلى عن الخيالات، يعمل ما يريد، يقطف كرات

الحياة الناضجة من أشجار الحياة، يأخذ قضمة أو اثنتين، ويمتص العصير، ويلقى القشور بعيداً.

كان كريك هو الذى أعاده إلى غرفته. فى ذلك الوقت كان جيمى قد أصبح فى مزاج نكد، ويكاد لا يقدر على المشى. قال كريك بصوته الأنيس: "هيا نم فوراً، سأتصل بك فى الصباح."

* * *

الآن، ها هو كريك فى حفلة التخرج، يلوح من بين الحشد، يلمع بالإنجازات. ويصلح سنومان ذلك، لا، لم يكن كذلك. اعترف له بالفضل فى هذا على الأقل. فهو لم يكن أبداً شخصية تتفاخر بالانتصارات.

أرغم جيمى نفسه على القول: "مبروك". كان ذلك أسهل ؛ لأنه كان الوحيد فى هذا التجمع الذى كان يعرف كريك جيداً لوقت طويل. كان العم بيت حاضراً، لكنه لم يكن لذلك أهمية. كما أنه كان يحاول المحافظة على أبعد مسافة ممكنة بينه وبين كريك. ربما كان قد اكتشف أخيراً ماذا كان يحدث لفاتورة الإنترنت الخاصة به. أما والدة كريك، فقد ماتت قبل ذلك بشهر.

كانت حادثة، أو هكذا تم سرد القصة. (لم يكن أحد يحب كلمة "تخريب"، والتى كانت سيئة السمعة بالنسبة للبيزنس). لابد أنها جرحت

نفسـها فى المستشفى – قال كريك ذلك رغم أن عملها لم يكن يتصل بالمشارط – أو خدشت نفسـها، أو ربما لم تكن على حذر كافٍ وخلعت قفازاتها، ولمسها مريض حامل للعدوى فى منطقة جرح غير متدمل. كان هذا ممكنًا، كانت تقرض أظافرها، وربما أصيبت بما كانوا يسمونه نقطة إدخال غلافية. على أية حال كانت قد التقطت نمطاً حيوياً أخذ ينحر فى بدنها كما لو كان آلة حصاد شمسية. قال أحد المعمليين إنه كان نوعًا من البكتيريا المعدلة جينيًا، مختلطًا بجينة ذكية من عائلة الفطر الغروى؛ لكن بمرور الوقت استطاعوا أن يفصلوه وبدأوا علاجًا كانوا يأملون فى أن يكون فعالاً، كانت فى عزل صحى، وتفقد قوامها بسرعة. لم يستطع كريك أن يدخل لرؤيتها – بالطبع، لم يكن أحد يستطيع، كل شىء هناك كان يتم بواسطة الأذرع الروبوتية، كما فى إجراءات المواد النووية – لكنه كان يستطيع رؤيتها عبر نافذة المراقبة.

قال كريك لجيمى: "كان مشهداً مؤثراً، كان الرابع يخرج".

"الرابع؟"

"هل سبق لك أن وضعت ملحًا على جسد بزاقة خارج غلافها؟"

قال جيمى إنه لم يفعل.

"حسنًا. إذن هو مثل تنظيف الأسنان".

قال كريك إنه كان يفترض أن تستطيع والدته أن تتكلم معه كلماتها الأخيرة عبر نظام ميكروفونى، لكن كان هناك خطأ فى النظام

الديجيتال؛ ومن ثم فرغم أنه كان يرى شفتيها تتحركان، لم يستطع أن يسمع ما كانت تقول. قال كريك: "وبتعبير آخر، كان الأمر مثل ما يحدث دائماً، كالحياة اليومية". وقال على أى حال إنه لم يفته الكثير، لأنها فى تلك المرحلة كانت مشوشة التفكير.

لم يفهم جيمى لماذا كان بهذا البرود، كان أمراً مرعباً، فكرة أنه يراقب أمه تتحلل بهذه الطريقة. هو نفسه لم يكن ليستطيع أن يفعل هذا. لكن ربما كان ذلك مجرد فعل. كان كريك يحفظ كرامته، لأن البديل كان أن يفقدها.

هابى كوبا

فى الإجازة التالية للتخرج، دعى جيمى إلى قضاء إجازة فى مجمع فيلات هيلثوايزر الفاخرة ذات البوابة للعطلات، على الشاطئ الغربى لخليج هدسون، حيث كانت الشريحة العليا من مجتمع هيلثوايزر تذهب هرباً من الحرارة. كان العم بيت لديه مكان جميل هناك، و"مكان جميل" هو تعبيره. والواقع أنه كان أشبه بضريح فخم، ومهرب قذر لقضاء الإجازات – كثير من أعمال الحجارة، أسرة ضخمة من نوع الإصبع السحرى، وبيديه فى كل حمام – رغم أنه من الصعب تخيل العم بيت يفعل أى شىء ذا أهمية فى الحمام. كان جيمى واثقًا من أن دعوته كانت لكى لا يضطر العم بيت لأن يكون وحده مع كريك. قضى العم بيت

معظم وقته على الخليج، والباقى فى حمام ساخن، وكان جيمي وكريك يتحركان بحرية ويفعلان ما يريدان.

وكان من المحتمل أن يعودا إلى المواقع النشطة والتنشقات المدعومة من الدولة، ومواقع البورنو، كنوع من الاسترخاء بعد امتحاناتهما النهائية، لكن كان ذلك هو الصيف الذى اشتعلت فيه حروب قهوة المزاج الجينى، ومن ثم أخذا يشاهدان هذه. كانت الحروب حول حبوب القهوة المسماة "هابى كوبا"، أو الكوب السعيد، والتى طورتها المؤسسة الفرعية التابعة لهيلثوايزر. وحتى ذلك الوقت، كانت حبوب القهوة تنضج منفردة على كل شجيرة فى أوقات مختلفة، وكانت بحاجة إلى التقاطها يدويًّا وتصنيعها ونقلها بكميات صغيرة، لكن شجرة قهوة "هابى كوبا" صُممت بحيث تنضج كل حبوبها فى الوقت نفسه، وأصبح من الممكن زراعة البن فى مزارع ضخمة وجمعه آليًّا. وتسبب ذلك فى إخراج المزارعين الصغار من السوق وألقت بهم هم وعمالهم إلى مستوى الفقر المدقع.

كانت حركة المقاومة عالمية؛ انفجرت أعمال الشغب، وأُحرقت المحاصيل، ونُهبت مقاهى هابى كوبا، وفُجِّرت سيارات رؤسائها أو تم اغتيالهم على يد القناصة، أو ضُربوا حتى الموت على يد الغوغاء، ومن ناحية أخرى، أخذ الجيش يقيم المذابح للفلاحين. أو الجيوش، جيوش مختلفة؛ فقد كانت بلدان عديدة متورطة فى هذه الحرب. لكن الجنود والموتى من الفلاحين كانوا يبدون جميعًا متشابهين أيًّا كان مكانهم.

كانوا يبدون متربين. وكان المدهش كمية الأتربة التى أثيرت فى أثناء تلك الأحداث.

قال كريك: "لابد من عقاب شديد لهؤلاء الأشخاص".

"أى أشخاص؟ الفلاحون؟ أم من يقتلونهم؟"

"هؤلاء الأخيرون. ليس بسبب قتل الفلاحين، فدائمًا كان الفلاحون يقتلون. لكنهم يعتدون على الغابات المطيرة لزراعة هذا الشىء".

قال جيمى: "والفلاحون قد يفعلون ذلك أيضًا إذا كانت لديهم نصف فرصة".

"أكيد، ولكن ليس لديهم نصف فرصة".

"هل تأخذ جانبهم؟"

"ليست هناك جوانب، كما ترى".

ليس هناك الكثير مما يمكن قوله ردًا على هذا. فكر جيمى فى أن يصرخ "بُهتان"، ثم قرر أن هذه الكلمة لا تنطبق على هذه الحالة. على أى حال كانا قد استنفدا هذه الكلمة. قال: "هيا نغير القنوات".

لكن يبدو أنه كانت هناك تغطية لموضوع هابى كوبا أينما التفت. كانت هناك احتجاجات، ومظاهرات، وقنابل مسيلة للدموع، وإطلاق للنار وضرب بالهراوات. ثم مزيد من الاحتجاجات، ومزيد من المظاهرات، ومزيد من القنابل المسيلة للدموع، ومزيد من القتل، ومزيد من الهراوات.

ظل ذلك يجرى يومًا بعد يوم. لم يحدث مثل ذلك منذ أول عقد فى القرن. قال كريك : إن ذلك يعنى أن تاريخًا جديداً يصنع.

كانت الملصقات تقول: "لا تشرب الموت". نقابات عمال الموانئ فى أستراليا – حيث كان لا يزال لديهم نقابات – رفضت تفريغ حمولات "هابى كوبا"، وفى الولايات المتحدة، أقيم "حفل قهوة بوسطن". وكان حدثًا مسرحيًا مملاً للميديا ؛ لأنه لم يكن به عنف – مجرد شباب أصلع وشموا أنفسهم بطريقة قديمة مستعادة، أو رقع بيضاء حيث تم اعتقالهم، ونساء مترهلات ساذجات المنظر، ينظرن نظرات قاسية، وقليل من زائدى الوزن أو النحيلين من أعضاء الجماعات الدينية الجادة المهمشة، يرتدون تى شيرتات عليها صور ملائكة باسمة الوجوه مع طيور ، أو صورة المسيح يضع يده فى يد فلاح ، أو عبارة "الرب أخضر". وقد صُوِّروا وهم يلقون منتجات "هابى كوبا" فى مياه الميناء، لكن لم يغرق أى من الصناديق. ومن ثم كان شعار "هابى كوبا" بأعداد كبيرة يطوف على الشاشة. كان يمكن أن يكون إعلانًا(*).

(*) تشير المؤلفة هنا إلى "حفل شاى بوسطن"، والذى جرى فى ١٧٧٣، وفيه خرج عدد كبير من أبناء مدينة بوسطن مرتدين أزياء الهنود الحمر وقد دهنوا وجوههم بالسناج ، وأغرقوا حمولة ثلاث سفن من الشاى فى مياه الميناء ؛ وذلك احتجاجًا على احتكار بريطانيا للشاى فى ذلك الوقت.

قال جيمى: "هذا يشعرنى بالعطش".

قال كريك: "يا لغبائهم، لقد نسوا أن يضعوا صخوراً للصناديق لتغرق".

فى العادة كانا يشاهدان الأحداث فى ساعة حدوثها على نشرة أخبار "العراة" عبر النت، ولكن كتغيير، كانا أحياناً يشاهدان تغطيات إخبارية كاملة على شاشة البلازما التى تملأ الجدار فى غرفة تليفزيون العم بيت المزودة بالحشايا الجلدية. كانت الثياب من بدل أو قمصان أو أربطة عنق تبدو غريبة بالنسبة لجيمى، خاصة إذا كان فى حالة مزاجية معتدلة. كان من الغريب تخيل كيف تبدو كل تلك الرءوس المتحدثة ذات الوجوه الجادة إذا جُرِّدت من ملابسها الأنيقة، فى مشهد كامل مباشر على أخبار العراة.

أحياناً كان العم بيت يشاهد أيضاً، فى الأمسيات، عندما كان يعود من ملعب الجولف. كان يصب لنفسه مشروباً، ثم يلقى بتعليق عام. قال: "الضجيج المعتاد. سوف يتعبون من كل هذا. سيهدأون. كل شخص يريد كوب قهوة أرخص - لا يمكن أن تحارب هذا".

وقد يوافق كريك بلطف "لا، لا يمكن". وكان العم بيت لديه مقدار من أسهم هابى كوبا فى حافظة الأسهم الخاصة به. وليس مجرد مقدار وافر. قال كريك "كل هذه الأسهم؟"، وهو يفحص ممتلكات العم بيت على الكمبيوتر الخاص به.

قال جيمى: "يمكنك أن تبيع هذا، بع أسهم هابى كوبا، واشتر شيئًا يكرهه بشدة ، اشتر أسهم طاقة الرياح. لا، الأفضل، اشتر مزرعة حيوانات، اجعل له مستقبلاً فى تربية الماشية فى أمريكا الجنوبية".

قال كريك: "لا، لا أستطيع المخاطرة بذلك فى متاهة ندخل بها. سوف يلاحظ، وسوف يعرف أننى كنت أدخل".

تصاعدت الأمور بعد أن قامت مجموعة مجنونة من المعارضين لهابى كوبا بضرب المبنى التذكارى للينكولن بالقنابل، فقتلوا خمسة من أطفال المدارس اليابانيين الذين أتوا زائرين كجزء من "سياحة الديمقراطية" أوقفوا النفاق، كانت الملحوظة التى تركت على مسافة من المكان.

قال جيمى: "هذا شىء محزن، إنهم لا يستطيعون حتى الهجاء السليم".

قال كريك: "ومع ذلك فقد تمكنوا من توصيل ما أرادوا".

قال العم بيت: "أتمنى أن يحترقوا".

لم يجب جيمى، فالآن كانا ينظران على قوة تحاصر مبنى رئاسة مستوطنة هابى كوبا فى مريلاند. وهناك وسط الجموع الحاشدة، كانت امرأة تمسك بلافتة تقول "هابى كوبا كوب زبالة"، وقد ربطت على أنفها

وفمها عصابة خضراء، كانت - ألم تكن....؟ - أمه المختفية. للحظة انزلقت العصابة ورآها جيمى بوضوح - حاجباها العابسان، عيناها الزرقاوان الصريحتان، فمها الصارم. انفجر الحب داخله، فجأة، ومؤلمًا، ثم الغضب. كما لو كان قد تلقى ركلة، لابد أنه أفلت شهقة. ثم كان هجوم سلاح الشركة وسحابة من الغاز المسيل للدموع ونثار لما بدا كأنه نار بنادق، وعندما نظر جيمى مرة أخرى كانت أمه قد اختفت.

قال: "أوقف الصورة! ارجع!" أراد أن يتأكد. كيف يمكن أن تخاطر بنفسها هكذا؟ إذا أمسكوا بها سوف تختفى حقيقة، هذه المرة للأبد. لكن كريك، بعد أن ألقى إليه نظرة سريعة، كان قد نقل إلى قناة أخرى بالفعل.

فكر جيمى، لم يكن ينبغى أن أقول شيئًا. لم يكن ينبغى أن أجذب الانتباه. وفى هذه اللحظة كان قد تجمد من الخوف. ماذا لو فهم العم بيت واتصل برجال السلاح؟ سوف يجدون فى أثرها، وسوف تقتل فى الطريق.

لكن يبدو أن العم بيت لم يلاحظ شيئًا. كان يصب لنفسه كأسًا آخر من الويسكى. قال: "كان يجب أن يستخدموا بنادق الرش على كل هؤلاء الغوغاء. بمجرد أن يكسروا تلك الكاميرات. من صور مثل هذا الفيلم على أى حال؟ أحيانًا يعجب المرء من الذى يتولى هذا البرنامج".

وعندما أصبحا وحدهما، قال كريك: "ماذا كان الأمر؟"

قال جيمى: "لا شىء".

قال كريك: لقد جمدت الصورة بالفعل. وحصلت على المشهد بكامله".

قال جيمى: "أظن الأفضل أن تمسحه". لقد تخطى مرحلة الخوف، ودخل فى حالة اكتئاب تام. من المؤكد أنه فى هذه اللحظة يدير العم بيت موبايله ويضرب الأرقام، وفى خلال ساعات من الآن سيكون هناك استجواب سلاح الشركة مرة أخرى. أمه هذا، وأمه ذاك. سوف يضطر إلى المرور بكل هذا.

قال كريك: "لا عليك"، وهو ما فهم جيمى أنه يقصد به يمكن أن تثق بى. ثم قال: "دعنى أخمن. الشعبة أعمال المنزل، الطبقة الخضراوات، الرتبة الثدييات الأمومية، العائلة أقارب من الدرجة الأولى، الجنس الهومو، النوع سابينس سابينس، النوع الفرعى أمك".

قال جيمى بفتور: "إصابة جيدة".

قال كريك: "لا يحتاج الأمر لجهد. لقد رأيتها فوراً، تلك العينين الزرقاوين. إما هى أو مستنسخ منها".

إذا كان كريك قد عرفها، فمن أيضًا عرف؟ كل من فى مستعمرة هيلثوايزر بلا شك رأى صوراً: هل رأيت هذه المرأة؟ إن

قصة انحراف أمه تبعت جيمى فى كل مكان ككلب غير مرغوب فيه، وربما كانت هذه القصة مسئولة إلى حد ما عن ضعف أدائه فى مزاد الطلبة. لم يكن شخصًا يعتمد عليه، كان خطرًا أمنيًّا، كانت به وصمة.

قال كريك: "أبى الشىء نفسه، إنه شقى أيضًا".

قال جيمى: "كنت أظنه مات". كان هذا هو كل ما عرفه من كريك قبلاً: أبى مات، ونقطة، وتغيير للموضوع، لم يكن كريك يريد أن يتحدث فى هذا الأمر أبدًا.

"هذا هو ما أعنيه. لقد هرب إلى ممر يؤدى إلى إحدى أراضى السوقة. كان ذلك فى ساعة الذروة، وعندما وصلوا إليه كان قد أصبح طعامًا للقطط".

قال جيمى: "هل قفز أم ماذا؟" بدا أن كريك لم يذكر التسلسل الكامل لما حدث، ومن ثم شعر جيمى أنه لا غبار عليه إن سأل.

قال كريك: "كان ذلك رأيًا عامًّا؛ كان من كبار الباحثين فى هيلثوايزر الغربية، ومن ثم حظى بجنازة رائعة. كان تصرف الناس مدهشًا. لم يستخدم أحد كلمة انتحار. كانوا يقولون حادث أبيك".

قال جيمى: "أنا آسف لهذا".

"وكان العم بيت فى بيتنا طوال الوقت. قالت أمى إنه كان مسانداً حقًّا". قال كلمة مسانداً كما لو كانت اقتباساً. "قالت إنه بالإضافة إلى كونه رئيس أبى وأقرب أصدقائه، ظهر أنه صديق حقيقى للعائلة، ولا يعنى هذا أننى رأيته قبل ذلك كثيراً فى بيتنا. كان يريد أن يتم حل جميع المشاكل بالنسبة لنا، قال إنه مهتم بذلك. وظل يحاول أن يتحدث معى بود وصدق، ويقول لى كل شىء فيما يخص ما كان أبى يعانيه من مشاكل".

قال جيمى: "بما يعنى أن والدك كان حاجزًا أحمق؟"

ألقى كريك نظرة من عينيه الخضراوين المائلتين إلى جيمى. "نعم. لكنه لم يكن. كان يتصرف فى الفترة الأخيرة بقلق، لكن لم تكن لديه مشاكل. لم يكن هناك شىء من هذا القبيل فى ذهنه. لا شىء يجعله يقفز. كنت سأعرف".

"أتظن أنه وقع؟"

"وقع؟"

"وقع فوق الممر؟" كان جيمى يريد أن يسأل ماذا كان والده يفعل فى ممر لأرض السوقة أساسًا، لكن بدا أن الوقت غير مناسب. "هل كان هناك سكة حديد؟"

قال كريك وهو يبتسم ابتسامة غريبة: "كان في حالة عدم اتساق بشكل ما. لم يكن دائمًا ينتبه أين هو ذاهب. كان شارد الفكر. وكان يعتقد في المساعدة على تحسين أحوال البشر".

"هل كنت على وفاق معه؟"

توقف كريك لحظة، ثم قال: "لقد علمتني لعب الشطرنج. قبل أن يحدث هذا".

قال جيمي: "طبعًا، لا أظن أنه فعل ذلك بعد هذا"، محاولاً تخفيف الأمور، لأنه في تلك اللحظة كان يشعر بالأسف من أجل كريك، ولم يكن يحب ذلك الشعور أبداً.

يفكر ستومان: كيف حدث أن فاتني هذا. لقد كان يخبرني. كيف كنت بذلك الغباء؟

لا، ليس غباء. لا يستطيع أن يصف نفسه بذلك، مع الطريقة التي سارت بها الأمور. ليس دون أن تترك أثرًا – تركت الأحداث أثرها عليه، كان لديه جروحه الخاصة، مشاعره السوداء. الجهل، ربما. عدم التشكل، بدائي، ناقص.

رغم ذلك، كان هناك نوعٌ من القصد، في جهله. أو أنه لم يكن مقصودًا بالضبط؛ كان مضبوطًا على ذلك؛ لقد نما داخل مساحات

مسوورة، ثم كان عليه أن يصبح واحداً. لقد أغلق على الأشياء خارجه ولم يسمح لها بالدخول.

لغو تطبيقى

فى نهاية الإجازة، ذهب كريك إلى واطسون كرك، وذهب جيمى إلى مارثا جراهام. تصافحا بقوة على محطة القطار السريع.

قال جيمى: "أراك قريباً".

قال كريك: "سوف نتراسل على البريد الإلكتروني"، ولاحظ اغتمام جيمى، فقال: "هيا، كان أداؤك جيداً، والمكان مشهور".

قال جيمى: "كان مشهوراً".

"لن يكون سيئاً إلى هذه الدرجة".

كان كريك مخطئاً هذه المرة. كانت أكاديمية مارثا جراهام تنهار. لاحظ جيمى والقطار يدخل المنطقة أنها محاطة بأحقر نوع من أراضى السوقة، مستودعات خالية، مبانى محروقة، مناطق انتظار سيارات خالية، هنا وهناك أكواخ ومظلات بنيت معاً من مواد مهملة – ألواح من الصفيح، شرائح من الخشب الأبلكاش – ويسكنها بلا شك من لا يملكونها. كيف ظهر هذا النوع من البشر إلى الوجود؟ لم يكن لدى جيمى أية فكرة. إلا أنهم كانوا هناك، على الجانب الآخر

من الخيط الرقيع الفاصل. رفع اثنان منهم إصبعيهما الأوسطين إلى القطار، وصرخا بشىء جعل الزجاج الواقى من الرصاص للقطار يغلق تلقائيا.

كان الأمن على بوابة مارثا جراهام مجرد مزحة. الحراس نصف نائمين، والأسوار كلها مغطاة بكتابات رديئة الخط بطباشير حال لونه – ربما قام بها قزم بساق واحدة. وداخل هذه الأسوار، كانت المبانى المبنية من الأسمنت سابق التجهيز تبدو مرهقة ومتاكلة وراشحة، الأماكن الخضراء كانت وحلاً، إما جافًا أو طريًّا، حسب أى فصل من فصول السنة، ولم تكن ثمة وسائل ترفيه سوى حمام سباحة كان يبدو، وتبدو رائحته، كعلبة سردين عملاقة. وكان تكييف الهواء فى سكن الطلبة لا يعمل نصف الوقت، وكانت هناك مشكلة انقطاع تيار الكهرباء، وكان الطعام فى الكافيتيريا غالبًا لونه بيج، ويبدو كخراء الراكوبان. وكانت توجد حشرات مفصلية فى غرف النوم، عائلات وأنواع مختلفة، لكن تصفها من الصراصير. وجد جيمى المكان مثيراً للإحباط، كما هو الأمر – فيما يبدو – مع كل شخص هناك بقيت لديه أى طاقة عصبية أكثر مما لدى زهرة تيوليب. لكن هذا كان ما قدمته له الحياة، كما قال والده فى أثناء وداعهما الخائب، والآن على جيمى أن يصنع منه أفضل ما يستطيع.

فكر جيمى إذ ذاك، عندك حق، يا أبى. لقد عرفت دائمًا أننى أستطيع أن أعتمد عليك من أجل نصيحة حكيمة فعلاً، فعلاً.

كانت أكاديمية مارثا جراهام(*) قد سميت على اسم إلهة رقص قديمة من القرن العشرين، والتى من الواضح أنها حصدت الكثير فى أيامها. كان هناك تمثال رهيب لها أمام مبنى الإدارة، وكانت صفيحة التعريف البرونزية تحت التمثال تقول: فى دورها كجوديث تقطع رأس شخص يرتدى عباءة تاريخية يسمى هولوفيرن(**). كان الطلبة يرون بشكل عام أنه هراء النسوية القديم. ومن حين لآخر يقوم بعض الطلبة بتزيين ردفى التمثال أو إعادة طلاء منطقة العانة منه بغراء معدنى – وقد قام جيمى نفسه ببعض هذا الطلاء – ووصلت غيبوبة الإدارة لدرجة أن هذه الأشياء كانت تظل هناك لأشهر قبل أن يلاحظها أحد. وكان الآباء والأمهات دائمًا يعترضون على هذا التمثال – كانوا يقولون إنه نموذج سيئ ؛ عنف زائد، شهوة عنيفة للدماء، ومثل هذا الهراء – بينما كان الطلبة يتسابقون دفاعًا عنه. كانوا يقولون إن مارثا العجوز هى تميمة الحظ بالنسبة لهم، بكل ما فى التمثال من عبوس، ورأس تقطر دمًا، وكل شيء. كانت تمثل الحياة، أو الفن، أو شيئًا ما. ارفعوا أيديكم عن مارثا. اتركوها فى حالها.

(*) مارثا جراهام: Martha Graham (١٨٩٤ – ١٩٩١) راقصة أمريكية مشهورة عرفت بإنجازاتها فى الباليه الحديث، ومن أشهر أعمالها باليه كليمنسترا، الذى وضع موسيقاه المؤلف الموسيقى المصرى حليم الضبع.

(**) Holofernes : قائد جيش نبوخذنصر، وقد يكون رئيس الشرطة الذى جاء اسمه فى الكتاب المقدس "نبوزرادان"، وجاء فى أحد الأسفار القديمة أنه قتل على يد فتاة تدعى جوديث، والتى تقربت إليه حتى قربها منه ثم قطعت رأسه وهو فى حالة سكر.

أقيمت الأكاديمية على يد شلة من الليبراليين الأغنياء الراحلين ذوى القلوب الحزينة من نيويورك القديمة، كمعهد للفنون والإنسانيات فى وقت ما فى الثلث الأخير من القرن العشرين، مع توكيد خاص على فنون الأداء - التمثيل، الغناء، الرقص، إلخ. وأضيف إلى هذه الفروع صناعة الأفلام فى سنوات ١٩٨٠، وبعد ذلك فنون الفيديو. وتلك الأشياء كانت لا تزال تدرس فى مارثا جراهام - فلا يزالون يقومون بأداء المسرحيات، وهناك رأى جيمى "ماكبث" بلحمه وتذكر أن "أنَّا كيه" فى موقعها الإلكترونى - لمن يحبون التلصص على حياة الآخرين - قد قدمت ليدى ماكبث بأسلوب أكثر إقناعًا وهى تجلس على التواليت.

استمر طلبة الأغانى والرقص فى الغناء والرقص، رغم أن تلك الأنشطة فقدت حيويتها، وكانت المجموعات الدراسية صغيرة. كان الأداء العلنى قد عانى الكثير فى جنون التخريب الذى حدث فى أوائل القرن الحادى والعشرين - فى تلك العقود الأولى لم يكن أحد، أو لا أحد ممن له مكانة أو تميز، يريد أن يكون وسط حشد كبير لعرض عام فى حيز مظلم مغلق سهل التخريب. تحولت العروض المسرحية إلى صيغ من الغناء الجماعى أو الرمى بالطماطم أو مسابقات الفانلات المبللة. ورغم أن أشكالاً مختلفة استمرت - مواقع التليفزيون الإلكترونية، وفيديو الرقص - فإن جمهور هذه المواقع كان قديماً وكانت عروضها فى الغالب تعبر عن الحنين للماضى المسرحى.

ومن ثم فإن كثيراً مما كان يحدث فى أكاديمية مارثا جراهام كان مثل دراسة اللغة اللاتينية، أو نوعًا من تجليد الكتب. لطيف أن تتأمل بتلك الطريقة، لكن لم يعد لها أهمية لأى شىء، رغم أنه بين حين وآخر قد يعرِّضهم رئيس الكلية لبعض المحاضرات المثيرة للتثاؤب حول الفنون المهمة ومكانها الباقى فى المسرح المدرج الكبير الأحمر لقلب الإنسان النابض.

أما بالنسبة لصناعة الأفلام وفنون الفيديو، فمن بحاجة إليها؟ كل فرد لديه كمبيوتر يمكنه أن يقطع ويلصق معًا أى شىء يريد، أو يغير المواد القديمة بتكنولوجيا الديجيتال، أو يبتدع صوراً متحركة جديدة. ويمكنك أن تُنْزِل على الكمبيوتر إحدى الحبكات الأساسية النموذجية وتضيف أى وجوه حسب اختيارك، وأى أجساد أيضًا. وقد تمكن جيمى نفسه من تركيب قصة " كبرياء وهوى " (*)بممثلين عراة، كما فعل الشىء نفسه مع "إلى المنارة"، كنوع من المزاح فقط، وفى حصص السنة الثانية من الفنون البصرية فى هيلثوايزر قام بتركيب الصقر المالطى، مع استخدام ملابس من تصميم كيت جريناواى، مستخدمًا طريقة الظل والعمق لرامبرانت. وكان هذا جيداً. تونات غامقة، وتوزيع رائع للضوء والظل.

(*) "كبرياء وهوى" : من تأليف الكاتبة الإنجليزية جين أوستن، والرواية الثانية: "إلى المنارة": من تأليف الكاتبة الإنجليزية أيضًا فرجينيا وولف.

ومع الاستمرار فى هذا النوع من الاحتكاك - هذا التآكل لمنطقتها الثقافية السابقة - وجدت أكاديمية مارثا جراهام نفسها دون محتوى مقنع يمكن أن تقدمه؛ فقد توفى المولون الأوائل وضعف الحماس لتكريس أموال للفن، وبدأ البحث عن المنح فى أحياء تحت خط الفقر، ومن ثم بدأت المناهج تتجه إلى ساحات أخرى، الساحات المعاصرة، كما كانوا يسمونها. ألعاب الشبكة، على سبيل المثال؛ كان لا يزال من الممكن كسب النقود من ذلك. أو عرض الصور، والتى كانت تدرج فى البرنامج كفرع لفنون التصوير والتشكيل. فإذا حصلت على درجة فى "فنون اللعب بالصور"، كما كان يسميها الطلبة، يمكنك أن تعمل فى الإعلانات، لا كدح ولا تعب. أو "الإشكاليات". كانت الإشكاليات تعنى الناس، ولهذا تخصص جيمى فى هذا القسم. وكان الاسم الذى يطلقه الطلبة عليه هو "اعمل كالدوامة وابتسم". ومثل كل شىء فى أكاديمية مارثا جراهام كانت له أهداف نفعية. يتخرج طلبة الأكاديمية وقد حازوا مهارات للوظائف، هكذا كان يقول الشعار المكتوب تحت الشعار اللاتينى الأصل، والذى كان يقول إن "الحياة قصيرة، أما الفن فيعيش طويلاً".

كان لدى جيمى بعض التصورات. كان يعرف أى نوع من العمل سيكون متاحًا أمامه عندما ينهى دراسته فى الإشكاليات بدرجاته المضحكة. سوف يعمل فى زخرفة النوافذ، على أحسن التقديرات - تزيين العالم الحقيقى الرقمى الصعب البارد بحشو لامع براق ثنائى

الأبعاد. وبناء على مدى جودة عمله فى مقررات الإشكاليات – المنطق التطبيقى، البلاغة التطبيقية، الأخلاقيات والمصطلحات الطبية، علم الدلالات التطبيقى، النسبيات وتزييف التشخيص المتقدم، علم النفس الثقافى المقارن، والباقى – سوف يحصل على فرصة ما بين مزخرف نوافذ بأجر جيد فى إحدى الشركات الكبرى، أو عمل ردىء فى إحدى الشركات المتوسطة. كان مشهد حياته المستقبلة يمتد أمامه مثل جملة، ليست جملة محددة، ولكن جملة طويلة ملتوية تحتوى الكثير من الجمل الفرعية غير الضرورية، كما أنه سرعان ما اعتاد فى وقت ساعة الراحة أن يلقى السخريات والنكات فى البارات والحانات الموجودة فى مبانى الجامعة. لم يستطع أن يقول إنه يتطلع إلى تلك البقية من حياته.

ورغم كل شىء، فقد انغمس فى أكاديمية مارثا جراهام كما لو كان فى خندق، وأقام فيها طوال فترة الدراسة. كان يشترك فى جناح السكن – والذى يتكون من غرفتين متقابلتين ضيقتين، وحمام بلون السمك الفضى فى الوسط – مع فتاة متعصبة لحماية حقوق الحيوان اسمها برنيس، والتى كان شعرها صعب الألياف تربطه إلى الخلف بمشبك خشبى على شكل طائر التوكان، وترتدى فانلات تحمل شعار "البستانيين الربانيين"، والتى – بسبب بغضها الشديد للمركبات الكيماوية مثل مزيلات العرق وخلافه – كانت رائحتها بشعة حتى بعد غسيلها.

وقد أعلمته برنيس إلى أى مدى لا توافق على أسلوبه كآكل للحوم بخطف صندله الجلدى، وحرقه فى الفناء. وعندما اعترض قائلاً إنه لم يكن جلداً حقيقيًّا، قالت إنه كان يبدو كذلك، ولهذا يستحق هذا المصير. وبعد أن صعدت بضع فتيات إلى غرفته - وهو أمر لا يعنى برنيس، كما أنهن كن هادئات تمامًا، ولم يرتكبن أى ضحكات مستحثة بمستحضر صيدلى، ولا أنات وآهات كثيرة مفهومة - أعلنت رأيها فى الجنس المتبادل بإقامة محرقة لكل ملابس جيمى الداخلية.

قدم شكوى إلى خدمات الطلبة عن هذا الموضوع، كانت خدمات الطلبة فى مارثا جراهام سيئة السمعة بالنسبة للشكاوى؛ لأنها كانت مليئة بالممثلين الذين استنفدتهم مسلسلات التليفزيون والذين كانوا يلومون العالم بسبب خروجهم من عالم الشهرة الهامشية، وبعد عدة محاولات استطاع أن ينتقل إلى غرفة فردية. (فى البداية صندلى، ثم ملابسى الداخلية، فى المرة القادمة سأكون أنا. المرأة مصابة بهوس إشعال النيران، دعونى أعيد ذلك بتعبير آخر، إنها تتحدى الواقع بشكل رئيسى. أتريدون أن تروا دليلاً مجسداً لممارستها الإحراق على طريقة محاكم التفتيش؟ انظروا إلى هذا المظروف الصغير. أتريدون رؤيتى فى المرة القادمة رماداً فى جرة حفظ رماد الموتى، مع اثنتين من أسنانى، أتريدون المسئولية؟ انتبهوا، أنا الطالب هنا وأنتم مكتب الخدمات. ها هو على رأس المظروف، أترون؟ لقد أرسلت هذا بالبريد الإلكترونى إلى الرئيس.)

(ليس هذا ما قاله فى الواقع، طبعًا. فقد كان أكثر خبرة من ذلك. لقد ابتسم، وقدم نفسه كإنسان متعقل، واستطاع أن يستخلص تعاطفهم).

بعد ذلك، بعد أن حصل على غرفة جديدة، تحسنت الأحوال قليلاً. على الأقل كان حراً فى ممارسة حياته الاجتماعية دون معوقات. واكتشف أنه سبب شكلاً من الكآبة الجذابة بالنسبة لنوع معين من النساء، الفنانات المتوسطات، اللاتى مررن ببعض التجارب المؤلمة فأكسبتهن نوعًا من التعقل، والموجودات بكثرة فى الأكاديمية. يفكر سنومان فيهن الآن، كن كريمات، عطوفات، مثاليات. كان لكل منهن جروحها الدفينة، وكن يعملن على شفائها. فى البداية كان جيمى يندفع إلى مساعدتهن؛ فقد كان طيب القلب - هكذا قيل له - ويتسم بالشهامة. كان يستخلص منهن قصصهن الأليمة، ويقدم نفسه إليهن كنوع من رباط الجرح. ولكن سرعان ما تنقلب العملية، ويتحول جيمى من عُصابة للجرح إلى مجروح يحتاج لعُصابة. كانت أولئك النساء يبدأن فى اكتشاف كم هو ممزق، ويردن مساعدته فى الحصول على رؤية للحياة ودخول النواحى الإيجابية لروحانيته الخاصة. كن يرينه مادة خام لمشروع إبداعى. وكان جيمى فى حاضره واجم الشكل، وسيكون المنتج النهائى، جيمى السعيد.

تركهن جيمى يعملن عليه. كان ذلك يفرحهن، وكان يجعلهن يشعرن بأنهن شخصيات مفيدة. كان من المؤثر رؤية المدى الذى لديهن

استعداداً للوصول إليه. هل هذا يمكن أن يسعده؟ هل ذاك؟ حسنًا، لم لا نجرب هذا؟ ولكنه كان حريصًا على ألا ينتهى انقباضه أبداً بشكل نهائى. فلو فعل ذلك سوف يتوقعن مكافأة من نوع ما، أو نتيجة على الأقل سوف يطالبن بخطوة أخرى، ثم بوعد وعهد. ولكن لماذا يكون من الغباء بحيث يُسلِّم ما فى يومه المقبض المطير من جاذبية – اللون الشفقى، الهالة الغائمة، أليس هذا هو ما يجتذبهن إليه فى المقام الأول؟

كان يقول لهن "أنا قضية خاسرة. عواطفى صعبة القراءة". وكان أيضًا يقول لهن كم هن جميلات، وكم يؤثرن فيه. وكان هذا صحيحًا، لم يكن ثمة تصنع هنا، فهو يعنى ما يقول. وقد يقول أيضًا إن أى استثمار من جانبهن عليه ضائع، فأرضه العاطفية موقع مطمور، ولا يجب أن يلقين بالاً لغير هنا والآن .

وآجلاً أو عاجلاً كن يشتكين من أنه يرفض أخذ الأمور بجدية. ويكون ذلك بعد أن يبدأن القول إنه بحاجة إلى أن يخفف من كآبته. وعندما كانت طاقاتهن تذوى فى النهاية ويبدأ البكاء، كان يقول لهن إنه يحبهن. وكان يحرص على أن يجعل ذلك فى صوت يائس؛ فحبه وصفة ضارة، فهو ينقل عدوى روحية، سوف يجرجرهن إلى الأعماق المظلمة التى يعانى هو نفسه من سجنها، ولأنه يحبهن كثيراً؛ فهو يريدهن أن يخرجن من طريق ضار، من حياة مدمرة. بعضهن كانت ترى الحقيقة – انضج يا جيمى! – لكن بشكل عام، كان ذلك فعالاً بشدة.

كان دائمًا يشعر بالحزن عندما يرحلن عنه. كان يكره هذا الجزء الذى يعبرن فيه عن غضبهن تجاهه، كان غضب أى امرأة يحزنه، لكن ما أن يفقدن أعصابهن معه يعرف أن الأمر انتهى. كان يكره أن يتركنه، حتى رغم أنه هو نفسه خطط لهذا أن يحدث. لكن سرعان ما سيجد امرأة أخرى تتصف بالقابلية للخداعِ، كان ذلك أوان الوفرة.

ورغم ذلك فلم يكن يكذب، ليس طول الوقت. كان يحب أولئك النساء حقًا، حبًا من نوع ما. وكان يريد فعلاً أن يجعل الأحاسيس أفضل. إلا أن الأمر كان أن اهتمامه قصير الأجل.

قول سنومان بصوت مرتفع: "أيها الوغد". إنها كلمة لطيفة وغد، إحدى كلمات العهد الماضى الذهبى.

كانوا يعرفون قصة أمه النذلة، طبعًا، أولئك النسوة. تهب الرياح القاسية من بعيد وتجد ترحيبًا بانتظارها. يشعر سنومان بالخجل عندما يتذكر كم استخدم هذه القصة – إشارة هنا، تردد هناك. وسرعان ما تبدأ المرأة فى الترويح عنه، وسوف يلتف بتعاطفهن، يغرق فيه، يمسّد جسده به. كانت تلك ينبوع خبرة كاملة فى حد ذاتها.

وعندما يصل إلى تلك اللحظة، تكون أمه قد اكتسبت مكانة مخلوق أسطورى، شىء يتجاوز البشر، بأجنحة غامقة وعينان تحترقان مثل العدالة، وتحمل سيفها. عندما كان يصل إلى الجزء الذى سرقت فيه

كيلر – الراكوبان – منه كان دائمًا يستطيع استدرار دمعة أو اثنتين، ليس من عينيه هو، وإنما من عيون المستمعات.

وماذا فعلت؟ (عينان مفتوحتان على اتساعهما، وتربيت على الذراع، ونظرة متعاطفة).

أوه، كما تعلمين. (رعشة، نظرة بعيدة، تغيير الموضوع).

لم يكن تمثيلاً كله.

أوريكس الوحيدة التى لم تؤثر فيها تلك الأم الكئيبة الخيالية. إذن يا جيمى، أمك ذهبت إلى مكان آخر؟ هذا أمر سيئ للغاية. هل فكرت فى أنها قد تكون لديها أسباب قوية؟ لم تشعر أوريكس بالشفقة عليه، ولا بالشفقة على نفسها. ولم تكن خالية من المشاعر، على العكس. لكنها كانت ترفض أن تشعر كما يريدها أن تشعر. هل كانت هذه هى المصيدة – أنه لم يستطع أبدًا أن يأخذ منها ما أعطته إياه الأخريات بلا ثمن؟ هل كان هذا هو سرها؟

جامعة الأسبرجريين

ظل كريك وجيمى على اتصال عن طريق البريد الإلكترونى. وأخذ جيمى يعوى وينتحب فى روايته عن مارثا جراهام بطريقة كان يأمل أن تكون مسلية، مضيفًا صفات استخفاف لأساتذته وزملائه الطلبة.

ووصف الوجبة بأنها إعادة تدوير مواد مسممة وسالمونيلا، وأرسل قوائم بكثيرات الأرجل اللائى وجدها فى غرفته، ونعى تدنى المواد المستخدمة لتغيير الحالة المزاجية التى تباع فى مول الطلاب الكئيب. ومن باب حماية النفس، أخفى تعقيدات حياته الجنسية إلا فيما اعتبر أنه مجرد إشارات موجزة. (هؤلاء البنات قد لا يستطعن العد إلى عشرة، لكن من يحتاج إلى معرفة العدد الصحيح؟ طالما أنهن يعتقدن أنها عشرة، ها ها، نكتة) .

لم يستطع أن يتجنب بعض المبالغة؛ لأن ذلك بدا أنه - من أية دلالات ظهرت لديه حتى الآن - هو الحقل الوحيد الذى تغلب فيه على كريك؛ فى هيلثوايزر، لم يكن كريك نشيطًا من الناحية الجنسية إلى حد ما. كانت الفتيات يجدنه مخيفًا. والواقع أنه اجتذب عددًا قليلاً من الفتيات المهووسات واللائى اعتقدن أنه يستطيع أن يمشى على الماء، وتبعنه فى كل مكان وكن يرسلن له رسائل إلكترونية تافهة وشديدة الحرارة، ويهددن بقطع شرايين أيديهن على شرفه. وربما نام مع بعضهن فى مناسبة ما، لكنه لم يخرج أبدًا عن هذا الطريق. كان يعتبر أن الوقوع فى الحب، رغم ما ينتج عنه من تغيير كيمياء الجسد، وهو ما يجعله شيئًا حقيقيًّا، فهو مع ذلك حالة من الوهم بتأثير الهورمونات. بالإضافة إلى أنه مهين، لأنه يضعك فى حالة شعور بالنقص، ويعطى المحبوب قوة زائدة. أما عن الجنس فى حدِّ ذاته، فإنه ينقصه التحدى والإبداع، وهو بشكل عام حل معيب بشدة لمشكلة الانتقال الجينى عبر الأجيال.

الفتيات اللائى كن يتراكمن لدى جيمى، كن يجدن كريك مروعًا إلى حد ما، وذلك جعل جيمى يشعر بالتفوق عندما يحاول الدفاع عنه. وكان ما اعتاد أن يقوله هو "إنه لا بأس به، لكنه فقط فى كوكب آخر".

لكن كيف يعرف ظروف كريك الحالية؟ لم يكن كريك يفضى إلا بالقليل عن نفسه. هل كانت له زميلة فى الغرفة؟ أو صديقة؟ لم يشر أبدًا إلى شىء من هذا، لكن هذا لا يعنى شيئًا. كانت الرسائل التى يرسلها على البريد الإلكترونى تصف الإمكانيات الموجودة فى مساكن الطلبة، والتى كانت رهيبة – كنز من كنوز علاء الدين من الأدوات التكنولوجية المخصصة للأبحاث الحيوية – و... حسنًا، ماذا أيضًا؟ ماذا كان كريك يقول فى علاقاته الأولية الموجزة فى معهد واطسون كرك؟ لا يستطيع سنومان أن يتذكر أى شىء عن ذلك.

ومع ذلك فقد لعبا معًا مباريات شطرنج على المدى الطويل، حركتان فى اليوم. وكان جيمى قد أصبح أفضل فى الشطرنج الآن؛ كان أسهل دون وجود كريك المشوش، وطريقته فى فرقعة أصابعه والدندنة لنفسه، كما لو كان فعلاً يرى أمامه ثلاثين حركة محتملة وينتظر بصبر عقل جيمى السلحفاتى أن يتحرك للتضحية بقطعته التالية. كما أن جيمى استطاع أن يطلع على الأساتذة الكبار للشطرنج، والمباريات الشهيرة من الماضى على العديد من مواقع الشبكة، فيما بين نقلة وأخرى. ولا يعنى هذا أن كريك لم يفعل الشىء نفسه.

* * *

بعد خمسة أو ستة أشهر، بدأ كريك يتحرر قليلاً. كتب قائلاً إن عليه أن يعمل أكثر مما كان في مدرسة هيلثوايزر العليا، لأن المنافسة كانت أكثر كثيراً. كان الطلبة يطلقون على معهد واطسون كرك جامعة الأسبرجريينة(*)، بسبب النسبة الكبيرة من اللامعين ذوى الطباع الغريبة الذين يسيرون ويقفزون ويترنحون فى طرقاتها، نصف مستمعين، ومتحدثون غريبو الأطوار، ذوو عقول وحيدة المسار والرؤية، درجة مرتفعة من عدم التواؤم الاجتماعى - لم يكن هؤلاء أصحابك ذوى الملابس المتأنقة - ولحسن حظ الجميع هنا، ثمة درجة عالية من التسامح مع الانحراف المعتدل فى السلوك العام.

سأل جيمى: أكثر مما فى هيلثوايزر؟

أجاب كريك: مقارنة بهذا المكان، هيلثوايزر أرض سوقة. لقد كانت كلها من الجدار للجدار من ذوى العصبوذج.

عصبوذج؟

الأعصاب النموذجية.

بمعنى؟

ينقصها جين العبقرية.

(*) تشير المؤلفة هنا إلى مرض Asperger، والذى سُمى باسم مكتشفه، ويُقال إنه مرض النابغين والعباقرة، وأعراضه تتمثل فى غرابة الأطوار وعدم القدرة على التواؤم مع المجتمع.

إذن، هل أنت من أصحاب الأعصاب النمونجية؟ سأل جيمى ذلك فى الأسبوع التالى، بعد أن أخذ بعض الوقت للتفكير. وأيضًا لكى يقلق على نفسه حتى يعرف هل هو من أصحاب الأعصاب النموذجية، وإذا كان كذلك، فهل هذا أمر سيئ، فى هذه البنية من الظواهر السيكولوجية المتكاملة التى يراها كريك؟ كان يشك فى أنه كذلك، وأن الأمر كذلك.

لكن كريك لم يجب أبداً على هذا السؤال. وكانت هذه طريقته، عندما يكون هناك سؤال لا يريد أن يجيبه، كان يتصرف كما لو لم يُسأل أبداً.

يجب أن تأتى وترى هذه السيجارة المحشوة، قال ذلك لجيمى فى أواخر أكتوبر من سنتهما الثانية؛ لتحصل على خبرة تنفعك طوال الحياة. سوف أتظاهر بأنك ابن عمى العادى الكئيب. تعال اقض معى أسبوع عيد الشكر.

وكان البديل بالنسبة لجيمى هو تناول ديك رومى مع الديوك الرومية فى وحدة استقبال الآباء، نكتة، هاها ، قال جيمى ذلك مع إضافة أنه لا يستطيع أن يتحمل ذلك؛ ومن ثم سوف يكون من دواعى سروره أن يتقبل دعوة كريك. وقال لنفسه إنه كان صديق كريك، وأنه يسديه معروفًا، فمن يمكن أن يزوره كريك فى إجازاته، فيما عدا العم الممل العجوز المنتمى لجنس منقرض، والذى ليس عمًّا حقيقيًّا، العم بيت؟ لكنه يشتاق إلى كريك أيضًا. فلم يره الآن منذ أكثر من عام. وتساءل إن كان كريك قد تغير.

كان لدى جيمى ورقتان من المصطلحات يجب أن ينتهى منهما قبل الإجازة. كان يمكنه شراءهما من على الشبكة، طبعًا – كانت أكاديمية مارثا جراهام سيئة السمعة فى تسهيل الحصول على نتائج جيدة، وكان الانتحال صناعة صغيرة هناك – لكنه أخذ موقفًا بالنسبة لذلك. سوف يكتب أبحاثه بنفسه، مهما بدا ذلك غريبًا؛ كان ذلك يلعب دورًا جيدًا مع نوع النساء الخاص بالأكاديمية. كن يغرمن بمسحة من الأصالة وركوب الأخطار والجدية الثقافية.

وللسبب نفسه، اعتاد أن يقضى ساعات فى المناطق الأكثر إظلامًا من رفوف المكتبة، يستكشف أسرار المعرفة. وفى المؤسسات التعليمية التى تتطلب نقودًا أكثر، كانت مكتبات أفضل قد تم إحراق كتبها الأصلية وحفظ كل شىء على أسطوانات سى دى CD، لكن أكاديمية مارثا جراهام كانت متأخرة فى ذلك، كما فى كل شىء. تغذى جيمى، مرتديًا غطاء مخروطيًا للأنف؛ للوقاية ضد الفطريات والأتربة، بين أرفف الأوراق المتعفنة، يغرف كيفما اتفق من كل ما تقع عليه يده.

وكان جزءًا مما دفعه هو العناد، والغيظ. وضعه النظام بين الرافضين، وما كان يدرسه كان يعتبر – على مستوى صانعى القرار، مستويات السلطة الحقيقية – إضاعة وإهدارًا للوقت فات أوانها. حسنًا، إذن، سوف يستمر فى السعى نحو ما هو غير ضرورى كهدف فى حد ذاته. سوف يصبح بطلاً فى هذا المضمار، ومدافعًا وحافظًا له. من ذلك الذى قال إن كل الفنون لا فائدة منها على الإطلاق؟ لم يستطع جيمى أن

يتذكر، لكن مرحبًا به، أيًّا كان. كلما كانت الكتب أكثر قدمًا وإهمالاً، كلما أقبل جيمى باشتياق لإضافتها إلى مجموعته.

وجمع قوائم من الكلمات القديمة أيضًا - كلمات تتسم بدقة المعنى وبإيحاءات خاصة، بحيث لم يعد لها معنى يمكن تطبيقه على عالم اليوم، أو عالم النوم، كما كان جيمى أحيانًا يكتب هذا الخطأ عامدًا فى أوراق المصطلحات الخاصة به. (يكتب البروفيسور على ذلك ملحوظة: خطأ مطبعى، وهو ما يظهر مدى يقظتهم!). حَفِظَ تلك الأساليب القديمة وكان يلقيها على عواهنها داخل المناقشة، صانع العجلات، حجر المغناطيس، كئيب المزاج، قُدَّ من صخر. وتطور لديه نوع من المشاعر الرقيقة الغريبة تجاه مثل هذه الكلمات، كما لو كانت أطفالاً هجرهم آباؤهم فى الغابات ومن واجبه إنقاذهم.

كانت إحدى ورقتى المصطلحات - لمنهج البلاغة التطبيقية - كانت بعنوان "كتب القرن العشرين لمساعدة الذات: استثمار الأمل والخوف"، وقد أمدته بنظام عظيم يمكن استخدامه فى حانات الطلبة. كان يقتبس أجزاء من هذه وتلك - تحسين صورة الذات، خطة الخطوات الاثنتى عشرة إلى الانتحار المدعوم، كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس، اعرف اللغة فى خمسة أسابيع، يمكنك الحصول على كل هذا، الاستمتاع بدون فتاة، إدارة مريعة للأغبياء - وكان الواقفون حوله يصيبهم انهيار. والآن كان هناك من يتحلقون حوله مرة أخرى، لقد أعاد اكتشاف هذه المتعة. أوه، يا جيمى، قم بعملية جراحية كونية للجميع،

ادخل إلى طفلك الداخلى، قم بتمثيل النسوية الكاملة، قم بتمثيل رفع القيمة الغذائية للفكاهة والمكسب، قم بتمثيل كتاب البقاء لأخذ المواعيد والجنس، وهذا الكتاب لا وجود له - ويستجيب جيمى، الجاهز دائمًا للغناء والرقص. أحيانًا كان يخترع كتبًا ليس لها وجود، ولن يكتشف أحد الانتحال - ومن أفضل اختراعاته تلك: علاج الانسدادات المعوية بالغناء والدعاء.

فيما بعد، سلم تلك الورقة إلى المشرف على رسالته، وحصل على امتياز.

كان هناك قطار سريع يصل بين أكاديمية مارثا جراهام ومعهد واطسون كرك، مع تغيير القطار مرة واحدة فى الطريق. قضى جيمى معظم الرحلة التى استغرقت ثلاث ساعات ينظر من النافذة إلى أراضى السوقة التى مروا بها. صفوف من البيوت الحقيرة، عمارات ضيقة الشرفات، الغسيل منشور على الحبال، مصانع يخرج من مداخنها الدخان، مناجم للحصى. كومة ضخمة من القمامة، بجوار ما يفترض أنه موقد مرتفع الحرارة لإحراق القمامة. مول للمشتريات يشبه تلك المولات الموجودة فى هيلثوايزر، إلا أنه كانت هناك سيارات فى مواقف السيارات بدلاً من عربات الجولف الكهربائية. سلسلة من أضواء النيون، بارات وملاهى وما بدا كأنه دار سينما من نوع أثرى. ووقعت عينه على اثنين من مواقف عربات المقطورات، وتعجب كيف تكون الحياة فى مثل

هذا المكان، وجعله مجرد التفكير في ذلك يشعر ببعض الدوخة، كما لو تخيل صحراء جرداء، أو البحر. كل شيء في أراضي السوقة بدا بلا قيود، شديد التقانية، قابل بشدة للاختراق، مفتوح بلا حدود. ومن ثم معرض لأية احتمالات.

الحكمة المتلقاة في المستوطنات تقول إنه لا شيء يجري في مدن السوقة له أهمية، وفيما عدا البيع والشراء لا حياة للعقل. البيع والشراء، بالإضافة إلى الكثير من الأنشطة الإجرامية، لكن بالنسبة لجيمي بدت هذه المدن غامضة ومثيرة، هناك على الجانب الآخر من حواجز الأمان. خطيرة أيضاً. فلن يعرف كيف يتصرف هناك، لن يعرف كيف يجب أن يكون السلوك. بل إنه لن يعرف كيف يصادق البنات. سوف يقلبونه رأساً على عقب في وقت قصير، سوف يرجُّون رأسه حتى يفرغونها. سوف يضحكون عليه. سوف يكون علفاً للماشية.

* * *

كانت إجراءات الأمان في معهد واطسون كرك شاملة كاملة، على عكس التمثيلية المضحكة التي تحدث في مارثا جراهام، لابد أنهم كانوا يخشون من دخول بعض المتعصبين خلسة ليفجِّروا أفضل عقول الجيل، ومن ثم يوجِّهون ضربة تسبب الشلل لشيء أو آخر. كان هناك عشرات من رجال سلاح الشركة، مدجَّجين بالبنادق الرش والهراوات المطاطية،

ورغم أنهم كانوا يضعون شارة معهد واطسون كرك، إلا أنه من السهل معرفة من هم فى واقع الأمر. أخذوا بصمة عين جيمى، وكشفوا عنها فى نظام الكشف، ثم جرَّه اثنان شديدا الضخامة جانبًا لاستجوابه. وما أن حدث ذلك حتى خمن السبب.

"هل رأيت أمك الهاربة فى الفترة الأخيرة؟"

قال صادقًا: "لا".

"هل سمعت عنها؟ هل تلقيت مكالمة تليفونية، بطاقة بريدية أخرى؟" إذن كانوا لا يزالون يتابعون بريده العادى البطىء كالسلحفاة، والذى يسمى بين الناس بالبريد السلحفاة. لابد أن كل بطاقاته البريدية محفوظة على كمبيوتراتهم؛ بالإضافة إلى حركاته وأماكن تواجده، وهو السبب فى أنهم لم يسألوه من أين جاء.

قال لا مرة أخرى. أوصلوه بجهاز كشف النبض العصبى (جهاز كشف الكذب)، لكى يعرفوا أنه لا يكذب؛ لابد أنهم أيضًا يعرفون السؤال الذى ضايقه. كان على وشك أن يقول لو كان ذلك قد حدث لما قلت لكم، يا قرود، لكنه كبر الآن بما يكفى لأن يكتشف أنه لن يخدم شيئًا بمثل هذا التصرف، ومن المحتمل أن يضعوه فى القطار التالى العائد إلى أكاديمية مارثا جراهام، أو ما هو أسوأ.

"هل تعرف ما كانت تفعله؟ من الذى تقيم معه؟"

لم يكن جيمى يعرف، لكنه كان لديه شعور أنهم هم أنفسهم قد يكون لديهم فكرة ما. وهم مع ذلك لم يشيروا إلى مظاهرة هابى كويا فى مريلاند، إذن ربما كانوا أقل علماً مما كان يخشى.

"لماذا أنت هنا يا بنى؟" بدأ الملل يتطرق إليهم، لقد انتهى الجزء المهم.

قال جيمى: "أزور صديقًا قديمًا لمدة أسبوع إجازة عيد الشكر. صديق من مدرسة هيلثوايزر العليا. هو طالب هنا. وقد وجه لى دعوة". وأعطاهم الاسم، ورقم تصريح الزيارة الذى أمده به كريك.

"أى نوع من الطلبة؟ ماذا يدرس؟"

أخبرهم جيمى، التعديل الجينى.

أخرجوا الملف ليتحروا الأمر، وهمهموا، وبدا أنهم مقتنعون إلى حد ما. ثم اتصلوا بتليفون محمول، كما لو كانوا لم يصدقوه تمامًا. كان سلوكهم يوحى بتساؤل عما يفعل قن مثله بزيارة النبلاء. لكن فى النهاية تركوه يدخل، وكان كريك بانتظاره فى ملابسه الغامقة الخالية من التميز، يبدو أكبر وأنحف، ويبدو أيضًا أكثر ذكاء من أى يوم مضى، يميل على حاجز الخروج ويبتسم ابتسامة عريضة.

قال كريك: "هاى يا عزيزى، يا جوزة الفلين"، واجتاح الحنين جيمى كجوع مفاجىء. كانت سعادته بالغة برؤية كريك لدرجة أنه كاد يبكى.

كلدييات

كان معهد واطسون كرك قصراً إذا قارنته بأكاديمية مارثا جراهام. فى المدخل أقيم تمثال برونزى لتميمة المعهد، العنزبوت، واحدة من أوائل التهجينات الجينية نجاحًا، وتم تنفيذها فى مونتريال فى أوائل القرن، تم الجمع بين عنزة وعنكبوت لإنتاج شعيرات من حرير العنكبوت عالية الكفاءة فى اللبن. والتطبيق الرئيسى فى الوقت الراهن هو سترات مقاومة لطلقات الرصاص. كان رجال سلاح الشركة يرتدون هذا النوع من السترات.

كانت الأراضى الواسعة داخل سور الأمن منظمة بشكل جميل، قال كريك : إن العمل قامت به كلية السويقات الراقصة. الطلبة فى العقارات النباتية المعدلة جينيًّا (قسم التزيين) ابتدعوا أنواعًا استوائية جديدة مقاومة للجفاف والفيضان، ذات زهور أو أوراق ألوانها تحمل ظلالاً شاحبة من أصفر الكروم والأحمر الملتهب البراق، والأزرق الفوسفورى، والبنفسجى النيونى. وكانت الممرات واسعة ومستوية، على

عكس تلك الممرات الأسمنتية المتعرجة فى مارثا جراهام. كان الطلبة والأساتذة يعبرونها فى عرباتهم الجولف الكهربائية.

صخور صناعية ضخمة، مصنوعة من قالب ضخم من الزجاجات البلاستيكية المعادة التدوير، وتتناثر هنا وهناك مواد نباتية مأخوذة من شجرة صبار عملاقة والعديد من نباتات الليثوب - ذلك العضو الحجرى الحى من عائلة نباتات الميسمبرى أنثيماساى(*). قال كريك : إن هذا جاء نتيجة عملية اختراع مسجل، وتم التوصل إليه أصلاً فى واطسون كرك، وهو الآن يدر نقوداً لا بأس بها. بدت الصخور الصناعية شديدة الشبه بالصخور الحقيقية، ولكنها تزن أقل؛ وليس هذا وحسب، كانت تمتص المياه أثناء فترات الرطوبة، وتخرجها فى أوقات الجفاف، ومن ثم كانت تعمل كمنظم رطوبة طبيعى. وكان الاسم الذى أطلق على المنتج الذى يباع فى الأسواق منظم - صخرى. مع ذلك فينبغى أن تتجنبها أثناء الأمطار الغزيرة، فالمعروف أنها قد تنفجر.

لكن معظم المشاكل تم حلها الآن تقريباً، قال كريك ذلك، وأضاف: إن تنويعات جديدة تظهر كل شهر. ويفكر فريق الطلبة فى اختراع شىء ما يسمى نموذج موسى؛ من أجل إمداد مستمر بمياه الشرب العذبة فى أوقات الأزمات. "اضربها بسلك"، كان هذا هو الشعار المتداول.

(*) عائلة من النباتات فى جنوب إفريقيا، تزهر كل عام أو كل عامين، ولا تتفتح زهورها إلا فى ضوء الشمس الساطع.

سأل جيمى، محاولاً ألا يبدو متأثراً: "كيف تعمل هذه الأشياء؟"

قال كريك: "فتشنى! ... أنا لست فى قسم الجيولوجيين الجدد".

بعد لحظات سأل جيمى: "إذن، هل الفراشات - هل هى حديثة؟". كانت الفراشات التى ينظر إليها لها أجنحة فى حجم طاسة القلى ولها لون أحمر قانٍ مريع، وكانت تتجمع كلها فوق أحد النباتات البنفسجية.

"أتقصد، هل هى نتيجة طبيعية أم صناعة أيدى الإنسان؟ وبتعبير آخر، هل هى حقيقية أم صناعية؟"

لم يكن جيمى يريد أن يدخل إلى منطقة ما هو الشىء الحقيقى مع كريك، فقال: "مم"...

"أنت تعلم عندما يصبغ الناس شعورهم أو يصلحوا أسنانهم، أو عندما تجعل المرأة ردفيها أكبر"

"نعم؟"

"بعد أن يحدث ذلك، يصبح هذا ما يبدو عليه شكلهم فى الواقع. والعملية لم يعد لها أى أهمية".

قال جيمى: "لا يمكن أن يكون الإحساس بالأرداف الصناعية مثل الحقيقية"، وقد ظن أنه يعرف شيئاً أو اثنين عن ذلك.

قال كريك: "إذا استطعت أن تكتشف أنها صناعية، فالعمل إذن لم يكن متقنًا. هذه الفراشات تطير، وتتزاوج، وتضع بيضًا، وتخرج من البيض يرقات".

قال جيمى مرة أخرى: "ممم....."

لم يكن كريك يشترك مع أحد فى غرفته. ولكنه كان له جناح مطلى بألوان الخشب، بستائر ذات أضلاع يتم التحكم فيها عن طريق أزرار، وتكييف هواء يعمل حقًّا. وكانت تتكون من غرفة نوم كبيرة، وحمام داخلى، ووحدة دش لها وظيفة إخراج البخار، وغرفة رئيسية للمعيشة والطعام ذات أريكة يمكن فتحها وطيها - وقال كريك إن هذا هو المكان الذى سوف يقيم فيه جيمى - وغرفة مذاكرة بها نظام صوتى ونظام كامل من الأشياء الكمبيوترية. وكان لديه خدمة أيضًا، وتأتى الخادمة لأخذ الغسيل وتسليمه. (تسببت هذه الأخبار فى إشعار جيمى بالاكتئاب، فهو يغسل ثيابه بنفسه فى أكاديمية مارثا جراهام، باستخدام ماكينات الغسيل القديمة الطنانة والمجففات التى كانت تشوى الملابس. ولابد أن تضع فيها ماركات بلاستيك، لأن الماكينات كان يتم فتحها عنوة عندما كانت تعمل بالنقود.)

وكان عند كريك أيضًا مطبخ صغير لطيف. وقال "ليس معنى هذا أننى أكثر من استخدام الميكروويف. إلا من أجل الوجبات السريعة. أغلبنا يأكل فى صالات الطعام. هناك صالة لكل كلية".

وسأل جيمى: "وكيف حال الطعام؟". كان يزداد شعوره بأنه أشبه بسكان الكهوف. يعيش فى كهف، يحارب الطفيليات الجسدية، ويقرض العظام الغريبة.

قال كريك دون اهتمام: "إنه طعام".

فى اليوم الأول طافا ببعض عجائب واطسون كرك. كان كريك مهتما بكل شىء – كل المشروعات التى يتم تنفيذها. ظل يقول: "إنها موجة المستقبل"، وأصبحت هذه العبارة مثيرة للتوتر بعد المرة الثالثة.

فى البداية ذهبا إلى قسم الديكور النباتى، حيث كان فريق من خمسة من السنة الأخيرة يعملون على ورق حائطى ذكى يغير لونه وهو على الحائط حسب حالتك المزاجية. قالوا لجيمى إن هذا الورق الحائطى تم تطعيمه بشكل معدل من طحالب كيريلية حساسة للطاقة، مع طبقة تحتية من المغذيات الطحلبية، ولكن لا يزال هناك بعض المشاكل الفنية الثانوية التى يجب إصلاحها. كان الورق الحائطى قصير العمر فى الجو الرطب لأنه يأكل كل المغذيات ويستحيل إلى اللون الرمادى؛ كما أنه لا يستطيع أن يفرق بين الشهوة العنيفة والغضب القاتل، ومن المحتمل أن يحول الجدار إلى أحمر شهوانى عندما يكون ما تحتاجه فى الواقع هو أحمر مخضر قاتم.

كان هذا الفريق يعمل أيضاً على نوع من فوط الحمام التى سوف تتصرف بالطريقة نفسها تقريباً، لكنهم لم يصلوا بعد إلى حل الأشياء

الجوهرية فى الحياة البحرية: عندما تبتل الطحالب كانت تتورم وتبدأ فى النمو، والأشخاص الذين تمت التجربة عليهم لم يعجبهم منظر فوطهم التى تركوها مبللة فى الليلة الماضية تنتفخ مثل الخمائر المثلثية، وتصل أطرافها إلى أرض الحمام.

قال كريك: "موجة المستقبل".

ثم ذهبا إلى قسم الزراعات الجديدة، والذى كان الطلبة يطلقون عليه "الملابس الزراعية". واضطروا للبس بدل حيوية قبل الدخول، ونظفوا أيديهم ووضعوا فلتراً مخروطياً للأنف؛ ذلك أن ما كانوا بسبيلهم لرؤيته لم يكن قد تأكد أنه شكل حيوى بالفعل، أو لم يتأكد ذلك نهائياً. وأدخلتهم إلى الممرات امرأة لها ضحكة أشبه بضحكة نقار الخشب.

قال كريك: "هذا آخر ما عندنا".

كان ما شاهدوه هو شىء ضخم شبيه بالأبصال وبدا مغطى بجلد مرقط من لون أصفر مبيض. وتخرج منه عشرون أنبوبة لحمية سميكة، وفى نهاية كل أنبوبة كانت تنمو بصلة أخرى.

قال جيمى: "ما هذا بحق الجحيم؟"

قال كريك: "هذه دجاجات. قطع دجاج. الصدور فقط على هذه. ولديهم منها متخصصة فى الأوراك أيضاً، اثنتا عشرة فى كل مرة حصاد".

قال جيمى: "ولكن ليس هناك رءوس". لقد فهم الفكرة – لقد تربى مع "مثيرات نمو الأعضاء المتعددة"، على كل حال – لكن هذا الشىء كان زائدًا عن الحد. على الأقل لم تكن البيجونات فى طفولته تنقصها الرءوس.

قالت المرأة: "ها هى الرأس فى الوسط. هناك فم يفتح فى القمة، ومن هذا المكان يتم إدخال المغذيات. لا توجد عيون أو منقار أو أى شىء، فهى أشياء ليسوا بحاجة إليها".

قال جيمى: "هذا مريع". كان الشىء أشبه بكابوس ليلى. كان يشبه درنة البروتين الحيوانى.

قال كريك: "تصور تخطيط بدن شقائق النعمان البحرية".

قال جيمى: "ولكن ماذا يظن هو، هذا الشىء؟"

أطلقت المرأة ضحكة نقار الخشب تلك، وشرحت أنهم أزالوا كل وظائف المخ التى ليس لها علاقة بالهضم، وتمثيل الطعام، والنمو.

قال كريك: "إنه شىء يشبه دودة الأنكلوستوما الخاصة بالدجاج، نوعًا".

قالت المرأة: "لا حاجة لإضافة هرمونات النمو، فهو يحتوى فى بنيته على معدل نمو مرتفع. إنك تحصل على صدور الدجاج فى أسبوعين – وهذا أقل بثلاثة أسابيع من أكفأ مزارع للدجاج، فى

انخفاض الحرارة، وكثرة الإنتاج حتى الآن. ولن يستطيع مجانين رفاهية الحيوان أن يقولوا كلمة، لأن هذا الشىء لا يشعر بأى ألم".

قال كريك بعد أن غادروا المكان: "هؤلاء الأولاد سوف يكتسحون". كان الطلبة فى واطسون كرك يحصلون على نصف حقوق الملكية لأى شىء تم اختراعه هناك. قال كريك إن هذا باعث عنيف.

"يفكرون فى تسمية المنتج النهائى 'كيزان الدجاج'".

سأل جيمى بوهن: "هل طُرحت فى الأسواق بعد؟". لم يستطع أن يرى نفسه يأكل "كيزان الدجاج" هذه، سوف تكون كأنك تأكل بثوراً ضخمة. لكن كما فى زراعة الأرداف - الزراعة الجيدة - ربما لن يستطيع معرفة الفرق.

قال كريك: "لقد حصلوا بالفعل على تصريح الحكومة بالبيع، المستثمرون يزدحمون حول المبنى. يمكنهم أن يعرضوا بأسعار أقل كثيراً من الآخرين جميعاً".

كان جيمى قد أصبح يشعر بالضيق من طريقة كريك فى تقديمه - "هذا جيمى، النموذج النيورونى" - لكنه أذكى من أن يُظهر ضيقه. ولكن يبدو كما لو كان يناديه كروماجنون (*) أو شىء من هذا القبيل.

(*) كروماجنون: Cro-Magnon: من أوائل الصور المعروفة عن الإنسان الحديث (هومو سابينس) فى أوربا، والذى يرجع تاريخ وجوده إلى ٤٠ ألف سنة، وجاء من أجناس من الشرق الأوسط.

والخطوة التالية سيضعونه فى قفص، ويطعمونه موزًا، وينخسونه بعصى كهربائية.

كما أنه لم ير شيئًا يثير الإعجاب فى نساء واطسون كرك الموجودات. ربما أنهن لسن متاحات حتى يبدو عليهن انشغال العقول. وكانت محاولات جيمى القليلة للغزل قد جاءت ببعض النظرات المندهشة – مندهشة وليست سعيدة على الإطلاق، وكأنه خطا بحذاء قذر على سجاجيد أولئك النسوة.

واعتبارًا لقذارتهم، ومقاربتهم العرضية للصحة الشخصية أو الزينة، كان يجب أن يكونوا قد أغمى عليهن من الاهتمام. كان رداؤهم الرسمى فانلات مريعة، وتسريحة الشعر لا تناسبهن، فكثير منهن بدون كما لو كنَّ على علاقة وثيقة بمقص المطبخ. وكجماعة كن يذكرنه ببرنيس، مجنونة البستانيين الربانيين. كان موديل برنيس استثناء فى مارثا جراهام، حيث البنات يحاولن إعطاء انطباع بأنهن، أو كن، أو يمكن أن يصبحن، راقصات أو ممثلات أو مغنيات، أو فنانات أداء، أو مصورات ذوات مفاهيم، أو شيئًا آخر يتعلق بالفن. الرشاقة هدفهن، الأسلوب هو لعبتهن، سواء لعبن هذه اللعبة جيداً أم لا. لكن هنا كانت نظرة برنيس هى القاعدة، فيما عدا وجود عدد قليل من الفانلات الدينية. وكان المعتاد أكثر فتيات يرتدين فانلات عليها معادلات رياضية معقدة تسبب البحلقة بين أولئك الذين يستطيعون حلها.

سأل جيمي: "ماذا تقول القانلة؟" عندما رأى واحدة بها الكثير من تلك الخبرات – الخمسات العالية بين الأخريات، وهو نفسه واقف بتلك النظرة الغبية وكأنه شخص سرقت محفظته منذ لحظة.

قال كريك: "تلك الفتاة فيزيائية". كما لو كان ذلك يشرح كل شيء.

"ومن ثم؟"

"ومن ثم فإن قاتلاتها تدور حول البعد الحادي عشر".

"ما المضحك في الأمر؟"

قال كريك: "إنها مسألة معقدة".

"جربني...".

"لابد أن تكون لديك فكرة عن الأبعاد وكيف يفترض أنها في حالة تكور داخل الأبعاد التي نعرفها".

"ثم؟"

"إنه – نوعًا ما – كما لو كانت تقول أستطيع أن آخذك خارج هذا العالم، لكن الطريق لا يستغرق إلا بضع نانو ثانية، وطريقة قياس تلك النانوثانية ليس لها وجود في إطار حيزنا".

"كل هذا في رموز وأرقام؟"

"ليس في كلمات كثيرة هكذا".

"أوه".

قال كريك: "لم أقل إنها كانت مضحكة. هؤلاء هم الفيزيائيون، إنها مضحكة لهم فقط. لكنك سألت".

قال جيمى، وهو يفكر بعمق: "إذن كأنها تريد أن تقول إنهما يستطيعان أن يفعلا ذلك معًا، لو فقط كان عضوه الذكرى من النوع المناسب، ولكنه ليس كذلك؟"

قال كريك: "جيمى، أنت عبقرى".

* * *

قال كريك: "هذا هو مركز الدفاعات البيولوجية، آخر مكان، أعدك".
كان من الواضح أن جيمى بدأ يشعر بالوهن. والحقيقة أن كل هذا كان جالبًا للذكريات بشدة. المعامل، الأنماط البيولوجية الغريبة، العلماء المتشنجين اجتماعيًا - كان ذلك شديد الشبه بحياته السابقة، حياته كطفل. تلك الحياة التى ما كان يتمنى أبدًا العودة إليها. حتى مارثا جراهام كانت أفضل.

كانا يقفان أمام سلسلة من الأقفاص. كل قفص به كلب. كانت أنواعًا كثيرة وأحجامًا مختلفة، لكنها كانت كلها تحدق فى جيمى بأعين مليئة بالحب، كلها كانت تهز أذيالها.

قال جيمى: "إنها حظيرة للكلاب".

قال كريك: "ليس بالضبط. لا تتجاوز حاجز الحراسة، لا تضع يدك بالداخل".

قال جيمى: "إنها تبدو ودودة جداً". عاد إليه شوقه القديم لحيوان أليف. "هل هى للبيع؟"

"إنها ليست كلاب، هى تشبه الكلاب فقط. لكنها كلدييات – وقد ربيت لتكون خادعة. إذا حاولت أن تربت عليها، سوف تنتزع يدك. فمكوناتها تحتوى جزءاً كبيراً من صفات الكلب "بيت بول" المعروف بشراسته".

قال جيمى وهو يأخذ خطوة للوراء: "لماذا تصنعون كلباً كهذا؟ من يريد مثل هذه الحيوان؟"

قال جيمى: "إنه خاص بسلاح الشركة، مهمة مطلوبة. ورُصد له تمويل كبير. إنهم يريدون وضعها فى خنادق مائية أو شىء من هذا القبيل".

"خنادق مائية؟"

"نعم، أفضل من نظام التنبيه – لا سبيل لتجريد هذه الحيوانات من سلاحها. ولا سبيل لعقد صداقة معهم، ليس مثل الكلاب الحقيقية".

"وماذا لو خرجت؟ وانطلقت حرة طليقة؟ وبدأت تتوالد، ثم يخرج النسل عن التحكم - مثلما حدث مع تلك الأرانب الخضراء الكبيرة؟"

قال كريك: "تلك تكون مشكلة. لكنها لن تخرج. الطبيعة بالنسبة لحدائق الحيوان مثل الرب بالنسبة للكنائس".

قال جيمى: "ما معنى ذلك؟" لم يكن يلقى كل انتباهه إليه، كان فى حالة قلق بسبب كيزان الدجاج والكلدييات. لماذا يشعر بأن خطًّا ما قد تم تجاوزه، حدًّا ما قد تم اجتيازه؟ فما هو الكم الذى يعتبر كثيراً جداً؟ وما هو المدى الذى يعتبر متجاوزاً للحد؟

قال كريك: " هناك سبب لهذه الجدران والقضبان. ليس فقط لتحفظنا فى الخارج، ولكن لتحفظها فى الداخل. يحتاج البشر إلى الحواجز فى كلتا الحالتين".

"أى حالتين؟"

"الطبيعة والرب".

قال جيمى: "كنت أظنك لا تؤمن بالرب".

قال كريك: "أنا لا أومن أيضًا بالطبيعة، أو على الأقل لا أومن بالطبيعة كقوة خارقة".

فى اليوم الرابع، قال جيمى: "إذن لديك فتاة صديقة؟" كان يحتفظ بهذا السؤال للوقت المناسب. "أعنى، هناك فتيات كثيرات حبوبات يمكنك الاختيار من بينهن". كان يعنى أن تكون هذه العبارة نوعًا من السخرية. فهو لم يتصور نفسه مع الفتاة ذات الضحكة الشبيهة بضحكة نقار الخشب، ولا أولئك اللائى ملأن صدورهن بالأرقام، لكنه أيضًا لم يستطع أن يتصور كريك مع إحداهن. كريك كان أكثر رقة من ذلك.

قال كريك باختصار: "ليس بالضبط".

"ماذا تعنى ليس بالضبط؟ لك فتاة، لكنها ليست من البشر؟"

قال كريك: "الارتباط الثنائى فى هذه المرحلة لا يتم تشجيعه" وبدا كما لو كان يقرأ من كتاب إرشادات. "إننا من المفترض أن نركز على العمل".

قال جيمى: "لكن ذلك ضار بصحتك. ينبغى أن تهتم بنفسك".

قال كريك: "هذا كلام سهل. أنت الجندب الذى يقفز بحرية بين الأعشاب، أما أنا فنملة. لا أستطيع إضاعة وقتى فى بحث عشوائى غير منتج".

لأول مرة فى حياتيهما، تعجب جيمى، هل هذا معقول؟ – هل يمكن أن يكون كريك يشعر بالغيرة منه؟ ومع ذلك، ربما كان كريك مجرد

حيوان مغرور؛ ربما كان معهد واطسون كرك له تأثير سيئ عليه. شعر جيمى أنه يريد أن يقول: وإذن، ما هى مهمة الحياة العليا للمخيخ المتفوق ثلاثى القوى؟ أهو سر لا يمكن إفشاؤه؟ لكنه بدلاً من ذلك قال، محاولاً أن يبهج كريك: "أنا ما كنت أقول إنه تضييع للوقت، إلا إن فشلت فى الوصول إلى الهدف".

قال كريك، بطريقة جافة نوعًا: "إن كنت تريد ذلك حقًّا، يمكنك ترتيب هذا الشىء من خلال خدمات الطلبة. وهم يخصمون الثمن من منحتك الدراسية، الشىء نفسه مع تكاليف الغرفة والإقامة. والعاملون فى هذه الخدمة يأتون من أراضى السوقة، وهم ماهرون مدربون. وبالطبع يتم فحصهم بعناية بالنسبة للأمراض".

"خدمات الطلبة؟ هذا فى الأحلام! ويفعلون... ماذا؟"

قال كريك: "إنه أمر منطقى، كنظام يحاول تبديد الطاقات فى قنوات غير منتجة، ودوائر قصيرة المدى من الانحرافات فى الصحة أو التوعكات. وللطالبات خدمة مقابلة، طبعًا. يمكنك أن تحصل على أى لون، أى عمر – تقريبًا. نوع الجسد. إنهم يمدونك بكل شىء. وإذا كان أحد الطلبة من المثليين أو ممن يميلون إلى الولع بطقوس خاصة، سوف يلبون هذا الطلب أيضًا".

فى البداية ظن جيمى أن كريك يمزح، لكنه لم يكن. وشعر جيمى بأنه يتوق لسؤاله ما الذى جربه – هل جرب فتاة مقطوعة الأطراف، على

سبيل المثال؟ ولكن فجأة بدا مثل هذا السؤال تطفلاً زائدًا. كما أنه من الجائز أن يساء فهمه على أنه سخرية.

كان الطعام فى قاعة طعام كلية كريك رائعًا - جمبرى حقيقى بدلاً من جمبرى الصويا الذى يأكلونه فى مارثا جراهام، ودجاج حقيقى، رغم أن جيمى ارتاب فيه نوعًا، ولكنه تفادى ذلك ، لأنه لم يستطع نسيان "كيزان الدجاج" التى رآها؛ وكان هناك شىء يشبه الجبن كثيراً، رغم أن كريك قال إنه منتج نباتى، نوع جديد من القرع كانوا يجربونه.

وكانت الحلوى مليئة بالشيكولاتة، شيكولاتة حقيقية. وكانت القهوة مثقلة بالقهوة. لم تخلط بمنتجات حبوب محروقة، أو سكر كراميل. كانت قهوة "هابى كوبا"، ولكن من يهتم؟ وبيرة حقيقية. البيرة كانت حقيقية بكل تأكيد.

وهكذا كان كل ذلك تغييراً أفضل عما فى مارثا جراهام، رغم أن زملاء كريك كانوا يميلون إلى نسيان أدوات المائدة ويستخدمون أيديهم فى الأكل، ثم يمسحون أفواههم فى أكمامهم. ولم يكن جيمى صعب الإرضاء، لكن ذلك كان يقترب من الفظاظة. كما أنهم كانوا يتكلمون طوال الوقت، سواء كان هناك من يستمع أم لا، دائمًا يتكلمون عن الأفكار التى يعملون عليها. وما إن اكتشفوا أن جيمى لا يعمل على حيز ما - وأنه فى الواقع يذهب إلى معهد ينظرون له كمستنقع وحل - حتى فقدوا أى اهتمام به. كانوا يشيرون إلى الطلبة الآخرين فى معاهدهم

نفسها باعتبارهم شركاءهم من المتخصصين، وإلى كل البشر الآخرين باعتبارهم غير متخصصين. كانت تلك مزحة منتشرة بينهم.

ومن ثم لم يكن لدى جيمى دافع للاختلاط بعد تلك المقابلات. كان كافيًا بالنسبة له أن يكون موجوداً مع كريك، تاركًا كريك يهزمه فى الشطرنج أو فى لعبة الواكو ثلاثية الأبعاد، أو محاولاً أن يفقد مغناطيسات ثلاجة كريك مغنطتها، تلك التى لم تكن عليها أرقام ورموز. كانت ثقافة معهد واطسون كرك هى مغنطة الثلاجات: كان الناس يشترونها، ويبيعونها، ويصنعون بعضها بأنفسهم.

لا عقل، لا ألم (مع رسم للمخ من لون أخضر مشع).

الوعى الغبى.

أهيم من حيز إلى آخر.

هل تريد لقاء ماكينة لحمة؟

خذ وقتك، واترك وقتى فى حاله.

أيتها العنزبوت الصغيرة، من صنعك؟

تجارب الحياة مثل الراكوبان أثناء اللعب.

أنا أفكر، ولهذا فإننى موجود فى البريد

الإلـــكـــتـــــــــــــــــــرونـــي.

الدراسة الجيدة للجنس البشرى هى كل شىء.

أحيانًا كانا يتفرجان على التليفزيون أو على الشبكة، كما فى الأيام الخوالى. أخبار العراة، تجميد المخ، أليبوبو، طعام لراحة العين من هذا النوع. كانا يضعان ذرة الفشار فى الميكروويف، ويدخنان بعض الأعشاب المحسنة على يد طلبة العقارات النباتية المعدلة جينيًا والتى كانوا يزرعونها فى إحدى الصوبات الزراعية، ثم يمكن لجيمى أن ينام على الأريكة. وبعد أن اعتاد مكانته فى هذه البحيرة العقلية، والتى كانت تساوى مكانة النباتات المنزلية، وجد أن الأمر ليس سيئًا جدًا. كل ما عليك أن تسترخى وتتنفس داخل الحيز المتمدد، كما فى التجارب العملية. سوف يترك هذا المكان فى خلال أيام قليلة. وفى الأثناء، كان من الممتع دائمًا أن تستمع إلى كريك، عندما يكون كريك وحده، وعندما يكون فى حالة مزاجية للكلام.

وفى المساء قبل الأخير، قال كريك: "دعنى أسير معك خلال سيناريو افتراضى".

قال جيمى: "أنا لعبة". فى الواقع أنه كان يشعر بالنعاس – لقد تناول كمية كبيرة من الفيشار والبيرة – لكنه جلس، ووضع على وجهه تلك النظرة التى توحى بالانتباه، وهى النظرة التى أتقنها فى المدرسة الثانوية. كان كريك مغرمًا بالسيناريوهات الافتراضية.

"مقدمة بديهية: المرض ليس منتجًا. فهو فى حد ذاته لا يتولد عنه بضاعة قابلة للبيع، ومن ثم لا تتولد عنه نقود. ورغم ذلك فهو مبرر لكثير من الأنشطة، كل ما يفعله فى الواقع بالنسبة للأنشطة المالية هو أنه يسبب انتقال الثروة من أيدى المرضى إلى أيدى الأصحاء. من المرضى إلى الأطباء، من الزبائن إلى بائعى الأدوية. يمكن أن تسمى هذه العملية انتقال أسموزى للأموال".

قال جيمى: "هذه مسلَّمة".

"والآن، افترض أنك مؤسسة تسمى هيلثوايزر، وافترض أنك تكسب نقودك من الأدوية والإجراءات العلاجية التى تشفى المرضى، أو – ما هو أفضل – ما يجعل من المستحيل أن يمرضوا من الأساس".

قال جيمى: "نعم؟". فلا شىء افتراضى هنا، هذا هو ما تفعله هيلثوايزر فى الواقع.

"إذن، ما الذى سوف تكون بحاجة إليه، إن آجلاً أو عاجلاً؟"

"مزيد من العلاجات؟"

"بعد ذلك".

"ماذا تعنى 'بعد ذلك'؟"

"بعد أن تكون قد شفيت كل ما يحتاج إلى الشفاء".

تظاهر جيمى بأنه يفكر. فلا فائدة من التفكير الفعلى، إنه استنتاج مسبق ذلك الذى سوف يقوم كريك بقفزة تالية كحل لسؤاله.

"هل تذكر مؤامرة أطباء الأسنان، بعد أن بدأ استعمال ذلك الغسول الجديد للفم؟ ذلك النوع الذى يستبدل بكتريا طبقة البِلَك بنوع من البكتريا الصديقة التى تملأ نفس الموضع البيئى، أى الفم؟ لم يعد أحد بحاجة إلى حشو الأسنان بعدها، وكثير من أطباء الأسنان أفلسوا".

"ثم؟"

"ثم، سوف تكون بحاجة إلى مزيد من المرضى. وإلا – وهو ما يؤدى إلى النتيجة نفسها – مزيد من الأمراض. أمراض جديدة ومختلفة. أليس كذلك؟"

قال جيمى بعد لحظة: "هذا أمر يتماشى مع المنطق". فهو كذلك بالفعل. "لكن ألا يكتشفون أمراضًا جديدة باستمرار؟"

قال كريك: "لا يكتشفون. إنهم يخلقونها".

قال جيمى: "من يفعل هذا؟" المخربون؟ الإرهابيون؟ هل هذا ما عناه كريك؟ كان من المعروف جيداً أنهم سعوا لمثل هذا الشىء، أو حاولوا. وحتى الآن لم يصلوا إلى نجاح كبير: فأمراضهم الصغيرة التافهة كانت بسيطة العقل، بتعبيرات المستوطنة، ومن السهل احتواؤها بكل بساطة.

قال كريك: "هيلثوايزر. إنهم يقومون بذلك منذ سنوات. هناك وحدة سرية كاملة تعمل على هذا الأمر وحده. ثم هناك الطرف الذى يقوم بالتوزيع. اسمع، هذا أمر شديد الذكاء، فهم يضعون النمط الحيوى المُعادى داخل حبوب الفيتامينات التى ينتجونها - ماركة هيلثوايزر المباعة من الطراز الأول، هل تعرف؟ إن لديهم نظام توزيع رائعًا بالفعل - إنهم يدخلون فيروسًا إلى حامل بكتيرى، تهجينة جينية من بعض أنواع البكتيريا التى تعيش فى الجهاز الهضمى السفلى، ولا يتم هضمه، وإنما ينفجر فى البوَّاب الذى يفصِل بين المعدة والأمعاء، ثم.... بانج! دخول عشوائى، بالطبع، وليس عليهم أن يستمروا فى فعل ذلك - إذ لو فعلوا يخاطرون باكتشاف الأمر، لأنه حتى فى أراضى السوقة، هناك أشخاص يستطيعون اكتشاف الأمر. لكن مجرد أن يبدأ الشكل الحيوى العدائى بين سكان السوقة، فإن الطريقة التى يعيش بها الناس هناك تجعل المسألة تنتشر بنفسها. وطبيعى أنهم يصنعون العلاجات فى وقت صنع الجرثومة نفسه ، لكنهم يمسكونها عن السوق، ويبدأون فى ممارسة اقتصاديات الندرة، لكى يضمنوا أرباحًا مرتفعة".

قال جيمى: "هل تختلق هذا الكلام؟"

قال كريك: "أفضل الأمراض، من وجهة نظر البيزنس، ستكون تلك التى تسبب أمراضًا يطول علاجها. وإذا تم الأمر بطريقة مثالية - أى من أجل أعلى الأرباح - فإن المريض إما أن يشفى أو يموت قبيل إفلاسه مباشرة. وهذه مسألة حسابية جيدةٌ".

قال جيمى: "سيكون هذا شرًا حقيقيًا".

قال كريك: "كان هذا هو رأى أبى".

"أكان يعرف؟". كان جيمى منتبهًا تمامًا الآن.

"لقد اكتشف الأمر. ولهذا دفعوه من فوق الجسر".

قال جيمى: "من فعل ذلك؟"

"إلى الطريق المزدحم بالسيارات".

"هل أصبت بالجنون، أم ماذا؟"

قال كريك: "إطلاقًا. هذه هى الحقيقة العارية. لقد استطعت الدخول خلسة إلى البريد الإلكترونى لوالدى قبل أن يقوموا بإزالة كاملة وشاملة لكل ما على جهاز الكمبيوتر الخاص به. والدليل على ما كان يقوم بجمعه كان هناك. الاختبارات التى كان يجريها على أقراص الفيتامين، كل شىء".

شعر جيمى ببرودة تجمد عموده الفقرى. "من أيضًا يعرف أنك تعرف؟"

قال كريك: "خمن من الذى أخبره أيضًا؟ أمى والعم بيت. كان على وشك تفجير فضيحة على أحد مواقع الإنترنت المتشردة – تلك المواقع لها جمهور واسع، وكان يمكن أن تحطم مبيعات أراضى السوقة من كل

منتج من فيتامينات هيلثوايزر، بالإضافة إلى أنها كان يمكن أن تلقى الضوء على المخطط كله، وتدمره. وكان يمكن أن تسبب فوضى ودماراً ماليا شديداً. فكر فى خسائر العمل. كان يريد أن يحذرهم أولاً". توقف كريك للحظة، ثم أكمل: "كان يظن أن العم بيت لا يعلم شيئًا".

قال جيمى: "واو، إذن أحدهما...."

قال كريك: "يمكن أن يكونا كلاهما، ما كان العم بيت ليقبل تهديد الخطة الأساسية. وأمى ربما فقط أصابها الرعب، وشعرت أنه إذا سقط أبى، فسوف تسقط أيضًا. أو ربما كان هم رجال سلاح الشركة. ربما كان يتصرف بشكل غريب فى مكان عمله. ربما كانوا يفتشون. كان قد قام بتشفير كل شيء، لكن إذًا كان بإمكانى اختلاس الدخول، فلابد أنهم استطاعوا ذلك أيضًا".

قال جيمى: "هذا غريب جداً. إذن فقد قتلوا والدك؟"

قال كريك: "أعدموه. هذا هو ما أطلقوه على ما فعلوا. قالوا إنه كان على وشك تدمير مفهوم شديد الأهمية. وقالوا إنهم تصرفوا بهذه الطريقة من أجل الصالح العام".

جلس كلاهما هناك. كريك ينظر إلى السقف، وكأنما هو معجب به. وجيمى لم يعرف ماذا يقول أيضًا. إن أى كلمات طيبة لا ضرورة لها.

وأخيراً، قال كريك: "كيف حدث أن هربت أمك بالطريقة التى فعلتها؟"

قال جيمى: "لا أعرف. أسباب كثيرة. لا أريد أن أتكلم فى هذا الموضوع".

"أراهن أن والدك كان يعمل فى شىء كهذا. نوع من الاحتيال مثل ذلك الخاص بهيلثوايزر. أراهن أنها اكتشفت".

قال جيمى: "أوه، لا أظن ذلك. أظن أنها تورطت مع بعض المتعصبين من نوع البستانيين الربانيين - شىء من هذا القبيل. عصابة ما من الحمقى. على أى حال، من الصعب أن يكون أبى...".

"أراهن أنها كانت تعرف أنهم بدأوا يعرفون أنها تعرف".

قال جيمى: "أنا متعب حقًا". وتثاءب، وفجأة أصبح النوم حقيقة. "أظن أننى سآوى إلى الفراش".

الانقراضية

فى المساء، قال كريك: "أتريد أن تلعب 'الانقراضية'؟"

قال جيمى: "الانقراضية؟" استغرق لحظة، لكنه تذكرها: تلك اللعبة المملة على الشبكة المليئة بكل تلك الحيوانات والنباتات المنقرضة. "متى كنا نلعبها؟ لا يمكن أن تكون لا تزال موجودة".

قال كريك: "إنها لم تتوقف أبدًا". وفهم جيمى مضمون ذلك: إن

كريك لم يتوقف أبداً عن لعبها. لابد أنه كان يلعبها بنفسه طوال هذه السنوات. حسنًا، مكره أخاك لا بطل، فلا جديد هناك.

"إذن، كيف حال درجاتك التراكمية في هذه اللعبة"، سأل هذا السؤال كنوع من التهذيب.

قال كريك: "متى ما وصلت إلى ثلاثة آلاف، تصبح جراند ماستر، أي 'معلمًا كبيرًا'". وهذا يعني أن كريك أصبح كذلك، وإلا ما أشار إليه.

قال جيمى: "حسنًا، هل تأخذ جائزة إذن؟ الذيل والأذنين؟"

قال كريك: "دعنى أريك شيئًا". دخل على الشبكة، ووجد الموقع، وفتحه. ظهرت البوابة المألوفة: الانقراضية، تحت إشراف آدم المجنون. آدم أنبأ بأسماء الحيوانات الحية، وآدم المجنون يتنبأ بأسماء الحيوانات الميتة. هل تريد أن تلعب؟

نقر كريك على "نعم"، وأدخل الاسم الكودى: كريك أحمر الرقبة. ظهر الرمز الصغير الذى يمثل سمكة ال"كولاكانث" فوق اسمه، بما يعنى أنه "جراند ماستر". ثم ظهر شيء جديد، رسالة لم يرها جيمى من قبل أبدًا: مرحبًا بالمعلم الكبير كريك أحمر الرقبة. هل تريد أن تلعب دورًا عامًا أو تريد أن تلعب مسابقة جراند ماستر جديدة؟

نقر كريك على الثانية. حسنًا، ابحث عن غرفة اللعب الخاصة بك. سوف يلقاك آدم المجنون هناك.

سأل جيمى: "هل آدم المجنون شخص؟"

قال كريك: "إنها جماعة، أو جماعات".

"إذن ماذا يفعلون، هؤلاء الآدم المجنون؟"، كان جيمى يشعر بالسخافة. إنه أشبه بمشاهدة إحدى أسطوانات الدى فى دى DVD التجسسية القديمة السخيفة، جيمس بوند أو شىء من هذا القبيل. "أعنى بمعزل عن حساب أعداد الجماجم والجلود".

ترك كريك اللعبة قائلاً: "انظر إلى هذا". ثم دخل إلى بنك من بنوك السوقة المحلية، ومن هناك دخل إلى ما بدا أنه صانع قطع غيار السيارات الشمسية. ثم ذهب إلى صورة لغطاء عجلة، "وش عجلة"، والذى فتح على مغلف – معلقات "جرعات حامية" (هوت توتس)، هكذا كان العنوان. كانت الملفات مؤرخة، وليس لها أسماء، اختار واحداً منها، ونقله إلى إحدى بتلات الليلك، واستخدمه لينتقل إلى آخر، ومسح آثار نقلاته، وفتح الملف هناك، وحمّل صورة.

كانت صورة أوريكس، فى السابعة أو الثامنة من عمرها، عارية إلا من شرائطها، وزهورها. كانت تلك الصورة التى تظهر النظرة التى وجهتها إليه، تلك النظرة المباشرة، المحتقرة، العارفة، التى وجهت له ضربة قوية عندما كان – ماذا؟ فى الرابعة عشرة؟ لا يزال يحتفظ بالورقة المطبوعة مطوية، مخبأة. كانت تلك الصورة شيئًا خاصاً. كانت شيئًا خاصاً به: ذنبه الشخصى، عاره الشخصى، رغبته الخاصة. لماذا احتفظ بها كريك؟ لماذا سرقها؟

شعر جيمى بأنه وقع فى كمين. أراد أن يصيح: ماذا تفعل هذه هنا؟ إنها لى! أعدها لى! كان يقف فى طابور، الأصابع تشير إليه، الوجوه تعبس فى وجهه، بينما مستنسخة برنيس المتطرفة تشعل النار فى ملابسه الداخلية. وجد نفسه قاب قوسين أو أدنى من العقاب، ولكن على أى شىء؟ ماذا فعل؟ لا شىء. لا شىء إلا النظر.

حرك كريك إشارة الفأرة إلى عين الفتاة اليسرى، ونقر على البؤبؤ. كانت هذه نافذة: فتحت غرفة اللعب.

أهلا جراند ماستر كريك. أدخل رقم المرور الآن.

أدخل كريك الرقم. وظهرت عبارة جديدة: آدم أنبأ بأسماء الحيوانات. آدم المجنون يقوم بتعديلها.

ثم كان خيط من البلاغات الإلكترونية، عليها الأماكن والتواريخ – قضية سلاح الشركة، بالشكل نفسه، عليها علامة تقول "للأغراض الأمنية فقط".

غزا دبور طفيلى العديد من منشآت كيزان الدجاج، يحمل نمطًا معدلاً من مرض الجديرى، المتخصص فى كيزان الدجاج وقاتل لها. وكان يجب إعدام المنشآت حرقًا قبل أن يتم السيطرة على الداء.

شكل جديد من فأر المنزل العادى مدمن للمواد العازلة للأسلاك الكهربائية غزا كليفلاند، مسببًا عدداً غير مسبوق من حرائق المنازل. وما زالت إجراءات الوقاية تحت التجربة.

محاصيل حبوب قهوة هابى كوبا مهددة بسوسة جديدة وجد أنها مقاومة لكل المبيدات المعروفة.

فأر صغير يحوى عناصر من كل من الصنوبر وحيوان السمور ظهر فى الشمال الغربى، يزحف تحت أغطية السيارات الواقفة ويدمر سيور المراوح وأنظمة نقل الحركة.

ميكروب يأكل القار الموجود فى الإسفلت، حوَّل العديد من الطرق السريعة بين الولايات إلى رمال. كل الولايات فى حالة حذر، وتتخذ الآن احتياطات العزل الصحى فى حزام حول الولايات.

قال جيمى: "ماذا يجرى؟ من الذى يضع هذه الأشياء هناك؟"

اختفت البلاغات، وظهر مدخل جديد. آدم المجنون يريد مبادرات جديدة. هل لديك فكرة مبتكرة تشاركنا فيها؟

وكتب كريك: آسف، ثمة مقاطعة. لابد أن أذهب.

حسنًا، يا جراند ماستر كريك. سوف نتحدث لاحقًا. وأغلق كريك الجهاز.

شعر جيمى ببرودة تغزو جسده، إحساس ذكره بالوقت الذى تركت فيه أمه المنزل، نفس إحساس الممنوع بباب كان ينبغى أن يظل مغلقًا وإذا به مفتوحًا على مصراعيه، بسيل من الحيوات السرية، تجرى تحت الأرض، فى الظلام تحت قدميه مباشرة. قال: "عم يدور كل هذا؟" وقال لنفسه ربما لا يدور حول أى شىء. ربما يكون كريك يستعرض. وربما

يكون نوعًا من الأساليب الكمبيوترية المتقنة، اختراع من اختراعات كريك، نكتة عملية لإخافته.

قال كريك: "لست متأكداً. فى البداية ظننت أنها مجرد منظمة أخرى من المنظمات المجنونة بتحرير الحيوان. لكن هناك ما هو أكثر. أظن أنهم يسعون خلف الآلية، خلف النظام بكامله، إنهم يريدون القضاء عليه. حتى الآن لم يفعلوا أى شىء للناس، لكن من الواضح أنهم يستطيعون".

قال جيمى: "لا يجب أن تعبث. لا داعى لأن تكون لك أى صلة! فقد يظن أحد أنك جزء من ذلك. ماذا لو اكتشفت؟ سوف تنتهى فى تجميد المخ!" لقد كان الآن يشعر بالخوف.

قال كريك: "لن أُكتشف. إننى أطوف وأتصفح فقط. لكن من فضلك لا تذكر شيئًا عن ذلك فى رسائلك لى على البريد الإلكترونى".

قال جيمى: "بكل تأكيد. لكن حتى لماذا المخاطرة؟"

قال كريك: "إننى فى غاية الفضول، هذا كل شىء. لقد أدخلونى فى غرفة الانتظار، لكن ليس أكثر. لابد أن يكونوا مستوطنة، أو مدربين فى إحدى المستوطنات. فهذه أنماط حيوية معقدة يركبونها معًا، لا أظن أيّاً من سكان السوقة سيكون قادراً على فعل شىء كهذا". ونظر لجيمى تلك النظرة الجانبية من عينيه الخضراوين - تلك النظرة (يفكر فى ذلك الآن

سنومان) كانت تعنى الثقة. لقد وثق به كريك. وإلا ما أطلعه على غرفة اللعب المخبأة تلك.

قال جيمي: "قد يكون هذا فخًا من صنع سلاح الشركة". كان رجال الشركة معتادون نصب خطط من هذا النوع، للقبض على المخربين وهم يقومون بالتخطيط. يزيلون الأعشاب الضارة من الحقل، سمع أن هذا هو العنوان الذى يطلق على هذه العملية. قيل إن المستوطنات يتم تلغيمها بمثل تلك القنوات التى يمكن أن تكون قاتلة. "يجب أن تحذر أين تضع قدميك".

قال كريك: "بكل تأكيد".

ما أراد جيمى أن يعرفه حقًا هو: من بين كل الاحتمالات التى كانت لديك، من بين كل البوابات الإلكترونية، لماذا اخترتها؟

لكنه لم يستطع أن يسأل. لم يستطع أن يسلم نفسه.

وحدث شىء آخر فى أثناء تلك الزيارة؛ شىء مهم، رغم أن جيمى لم يتبين أهميته فى وقته.

فى الليلة الأولى، كان نائمًا على الأريكة التى تفرد إلى سرير، وسمع زعيقًا. وظن أنه يأتى من الخارج - فى أكاديمية مارثا جراهام، كان يمكن أن يكون بعض الطلبة يمزحون - لكن الواقع أن الصوت كان يأتى من غرفة كريك. كان يصدر عن كريك. ولم يكن مجرد صياح؛ كان صراخًا. لم تكن هناك كلمات. وحدث ذلك كل ليلة وهو هناك.

وفى صباح أول ليلة قال جيمى: "لقد كان حلماً سيئاً ذلك الذى كنت تحلم به".

قال كريك: "أنا لا أحلم أبداً". كان فمه مليئاً وينظر خارج النافذة. والحق أنه كان يأكل كثيراً رغم نحافته. كان السبب هو السرعة، معدل التفاعل الحيوى المرتفع؛ كان كريك يحرق السعرات بسرعة.

قال جيمى: "كل إنسان يحلم. هل تذكر حصة النوم التذكرى فى مدرسة هيلثوايزر العليا؟"

"تلك التى كنا فيها نعذب القطط؟"

"القطط الافتراضية، نعم. وتلك القطط التى لم تستطع أن تحلم كانت تجن".

قال كريك: "إننى لا أتذكر أحلامى أبداً. خذ مزيداً من الخبز".

"لكنك لابد أن تحلم على أية حال".

"حسناً، فهمت، لكن التعبير خطأ. لم أكن أعنى أننى لا أحلم أبداً. فأنا لست مجنوناً، ولهذا لابد أننى أحلم. فرضية، برهان، نتيجة، إذا كانت أ، فهى إذن ليست ب. هل يكفى هذا؟" ابتسم كريك، وصب لنفسه بعض القهوة.

إذن لم يكن كريك يتذكر أحلامه أبداً. إنما هو سنومان الذى يتذكرها بدلاً منه. أسوأ من التذكر: إنه مغمور بها، يخوضها، مغروز فيها. كل لحظة عاشها فى الشهور القليلة الماضية كان كريك قد حلم بها أولاً. لا عجب أن كريك كان يصرخ كل هذا الصراخ.

(٩)

تجوال

بعد ساعة من المشى، يخرج سنومان من الحديقة السابقة. ويتجه فى طريقه بعيداً عن الشاطئ، متجهًا بمحاذاة أرض السوقة ذات الطرقات والشوارع والحوارى والأزقة المليئة بالنفايات. السيارات الشمسية المحطمة كثيرة، بعضها مكومة فى حوادث مركّبة من عدة سيارات، ومنها سيارات محترقة تمامًا، وبعضها واقفة لم تلمسها يد كما أوقفها أصحابها فى وقفة تبدو مؤقتة. هناك سيارات نقل وسيارات ڤان، أنواع من السيارات التى تعمل بالطاقة الكهربائية والشمسية، والنوع القديم الذى كان يعمل بالغاز أو البنزين، وأتوبيسات كبيرة. وبعض الدراجات، وقليل من الموتوسيكلات - لم تكن الموتوسيكلات سيئة فى أزمة المرور التى استمرت أيامًا. فعلى وسيلة مواصلات من عجلتين فقط كان يصبح ممكنًا التحرك بين المركبات الكبرى حتى يرميك أحدهم بالرصاص، أو يصطدم بك، أو تقع أنت.

كان هذا المكان فى يوم من الأيام قطاعًا نصف سكنى - محلات فى الطوابق الأرضية، وقد نهبت الآن وأخرجت محتوياتها، وشقق

صغيرة بالأعلى. معظم العلامات لا تزال فى مكانها رغم ثقوب الطلقات الموجودة فيها. كان الناس يحتفظون بطلقات من الرصاص منذ ما قبل البنادق الرش، رغم منع السوقة من امتلاك أى نوع من الأسلحة على الإطلاق. لم يستطع سنومان أن يجد أية طلقات، ولم يكن معنى ذلك أن لديه سلاحًا ناريًا صدئًا قديمًا يمكن أن توضع فيه هذه الرصاصات.

المبانى التى لم تحرق أو تنفجر لا تزال واقفة، رغم أن النباتات ظاهرة من كل شق. وبمرور الوقت سوف تصدع الأسفلت، وتقلب الجدران، وتدفع الأسقف. ينمو نوع ما من النباتات المتسلقة فى كل مكان، يكسو النوافذ، ويتسلق من خلال النوافذ المكسورة وعلى القضبان وأشغال الحديد الشبكية. سرعان ما سوف تصبح هذه المنطقة مكانًا كثيف النباتات. وإذا كان قد أجل الرحلة أكثر من ذلك لكان طريق العودة قد أصبح مستحيلاً. ولن يمر وقت طويل قبل أن تنمحى أية آثار ظاهرة لسكنى الإنسان.

لكن افترض – يفكر سنومان، مجرد افتراض – أنه ليس الوحيد الأخير من الجنس البشرى. افترض أن هناك آخرين. إنه يرغب فى وجودهم، هؤلاء الباقون المحتملون الذين يمكن أن يكونوا قد عاشوا فى جيوب منعزلة، مقطوعين بسبب انقطاع شبكات الاتصالات، محافظين على حياتهم بشكل ما. الرهبان فى مخابئ فى الصحراء، بعيداً عن انتقال العدوى، بعض رعاة الأغنام فى الجبال الذين لم يختلطوا أبداً بأهل الوادى، بعض القبائل المفقودة فى الغابات، بعض الأحياء الذين

أغلقوا على أنفسهم مبكرًا، وقتلوا كل من يقترب منهم، وأغلقوا على أنفسهم في أقبيتهم. ساكنو الجبال، النساك المنعزلون، المجانين المتشردون، يلفون في هلاوس حامية. قبائل من البدو، السائرون على أساليبهم القديمة.

كيف حدث هذا؟ سوف يسألهم أسلافهم، وهم يتعثرون في بعض الأدلة، في الأطلال. الدليل المدمر. من صنع هذه الأشياء؟ من كان يعيش فيها؟ من الذي دمرها؟ تاج محل، متحف اللوفر، الأهرامات، مبنى الإمباير ستيت - أشياء رآها في التليفزيون، وفي الكتب القديمة، وفي البطاقات البريدية، في لعبة دماء وزهور. تخيل أنك تمر عليها، ثلاثية الأبعاد، في حجمها الطبيعي، دون استعداد - سوف تصاب بالذهول، ربما تجري هاربًا، وبعد ذلك سوف تحتاج من يشرح لك. في البداية سيقولون إنها العمالقة أو الآلهة، لكن إن آجلاً أو عاجلاً سوف يرغبون في معرفة الحقيقة. سيكون لديهم مخ القرد الفضولي، مثله. ربما سيقولون، هذه الأشياء ليست حقيقية. إنها شبحية. لقد صنعتها الأحلام، والآن لم يعد هناك من يحلم بها، ولذلك تنهار وتتفتت.

قال كريك في إحدى الأمسيات: "هيا نفترض، من أجل المناقشة فقط، أن الحضارة كما نعرفها قد دُمرت. هل تريد بعض الفيشار؟"

قال جيمي: "هل هذه زبدة حقيقية؟"

قال كريك: "ليست إلا أفضل نوع فى واطسون كرك. بمجرد أن يتم تفتتها، لا يمكن أن يعاد بناؤها؟"

"لماذا؟ هل لديك ملح؟"

قال كريك: "لأن كل الأسطح المعدنية المتاحة قد تم تعدينها بالفعل. وبدونها، لن يكون هناك عصر الحديد، ولا عصر البرونز، ولا عصر الصلب، إلى آخر تلك العصور. هناك المزيد من المعادن ولكن مدفونة على أعماق بعيدة، والتكنولوجيا المتقدمة التى نحتاجها لاستخراج هذه المعادن ستكون قد انمحت".

قال جيمى، وهو يمضغ: "يمكن إعادة استخدامها". كان قد مضى وقت طويل منذ ذاق فيشاراً بهذه الجودة. "وسوف تكون لديهم التعليمات".

قال كريك: "فى الواقع لا. ليس ذلك مثلما حدث مع اكتشاف العجلة، فالأمر شديد التعقيد الآن. ولنفترض أن التعليمات قد عاشت، افترض أنه لا يزال هناك من الناس من لا تزال لديه المعرفة التى تمكنه من قراءتها. هؤلاء الناس سيكونون قليلين، وبعيدين عن بعضهم البعض، ولن تكون لديهم الأدوات. وتذكر، لا كهرباء. إذن فبمجرد أن يموت هؤلاء سوف ينتهى الأمر. لن يكون لديهم صبيان يتعلمون على أيديهم، لن يكون هناك من يرثون منهم هذا العلم. هل تريد بيرة؟"

"هل هى مثلجة؟"

قال كريك: "كل ما يتطلبه الأمر هو انقراض جيل واحد. جيل واحد من أى شىء. الخنافس، الأشجار، الميكروبات، العلماء، المتكلمين بالفرنسية، أى شىء. اقطع الصلة فى الزمن بين جيل واحد والجيل الذى يليه، وتنتهى اللعبة إلى الأبد".

قال جيمى: "بمناسبة الحديث عن الألعاب. الدور عليك".

أصبح المشى عقبة بالنسبة لسنومان: فى أماكن عديدة اضطر للف حول أشياء. والآن هو فى شارع جانبى ضيق، مسدود بالنباتات المتسلقة؛ لقد تقدمت عبر الطريق، وتواصلت من سقف لآخر. عبر الصدوع فى الخضرة التى تعلو رأسه يستطيع أن يرى عدداً من النسور، يلفون بلا هدف فى السماء. وهم يستطيعون رؤيته كما يراهم، فلديهم أعين مثل عدسات مكبرة عشر مرات، هذه الأشياء تستطيع أن تعد الفكة الموجودة فى جيبك. وهو يعرف شيئًا أو اثنين عن النسور. ينادى عليهم: "ليس بعد".

لكن لماذا يصيبهم بالإحباط؟ إذا حدث أن وقع أو تعثر، وأصيب بجرح، أو أصبح غير قادر على المشى، سوف تهاجمه الكلديبات أو البيجونات، ما الفرق الذى سيحدثه مثل هذا الحدث لأى شخص إلا نفسه؟ الكريكيون سوف يعيشون فى أمان، فلم يعودوا بحاجة إليه. ولفترة سوف يتساءلون أين ذهب، لكنه قد أمدهم بالإجابة على هذا بالفعل؛ فقد ذهب ليكون مع كريك. سوف يصبح لاعباً من الدرجة الثانية

فى الميثولوجيا، كما هو الواقع – نوعًا من الدعم الخلفى للقوة الخلاقة. سوف يتم تذكره زيفًا. ولن يحزن عليه أحد.

تعلو الشمس فى السماء وتتكثف أشعتها. ويشعر برأسه خفيفة. جذر هوائى من جذور النبات المتسلق ينزلق، يسعى كالحية، يضطرب لسانه، عندما تأتى قدمه إلى جواره. يجب أن ينتبه أكثر. هل هناك أية ثعابين سامة؟ هل كان هذا الذيل الطويل الذى كاد يخطو عليه له فرو على مقدمة جسده؟ لم يره جيداً. ويأمل ألا يكون كذلك. كانت هناك ادعاءات بأن الفربانات قد تم تدميرها جميعًا، لكن الأمر لا يحتاج أكثر من زوج واحد منها. زوج واحد، آدم وحواء الفربانات، وبعض الحظ العاثر المختلط بالضغينة، يساعدهم على الاستمرار والتكاثر، ويضيف طَعْمًا إلى فكرة تلك الأشياء التى تبرم فى مواسير الصرف. فئران لها ذيول طويلة خضراء ذات حراشف، وشوكة الثعبان ذى الجرس. ويقرر أن يتوقف عن التفكير فى ذلك.

وبدلاً من ذلك يبدأ فى الهمهمة، ليبهج نفسه. ما هى الأغنية؟ "أرض العجائب الشتوية". كانوا يديرونها فى المولات فى كل كريسماس، رغم مرور فترة طويلة منذ توقف الثلج تماماً عن الهطول. نغمة ما حول تزيين أحد رجال الجليد، قبل أن يتحطم.

ربما يكون هو رجل الثلج البغيض على أى حال. ربما هو النوع الآخر من رجل الثلج، المغفل المبتسم، يقام كنكتة، ثم يتم دفعه ليتفتت

كنوع من التسلية، ابتسامته المعوجة وأنفه الجزرة دعوة للسخرية والاستهزاء. ربما هذا هو فى الحقيقة، آخر هومو سابينس - وهم أبيض لإنسان، هنا، اليوم، ذهب الغد، بمنتهى السهولة دُفع ليقع، وتُرك ليذوب فى الشمس، يزداد نحولاً حتى يسيل ويتبدد كله. كما يفعل سنومان الآن. يقف، يمسح العرق عن وجهه، يشرب نصف زجاجة الماء. ويتمنى لو يجد المزيد فى مكان ما، بسرعة.

وأمامه، تظهر البيوت وتختفى، متباعدة متفرقة. هناك فراغات بينية من مواقف انتظار السيارات والمتاجر، ثم سلك شائك ممدود بين الأعمدة الأسمنتية، وبوابة واسعة منحرفة عن مفصلاتها. نهاية الفوضى المدنية وحدود مدينة السوقة، بداية أراضى المستوطنات. هنا المحطة الأخيرة للقطار السريع المحكم الإغلاق، بألوان ألعاب الغابة البلاستيكية التى تغلب عليها. لا مخاطر هنا، هكذا تقول الألوان. فقط لهو الأولاد.

لكن هذا هو الجزء الخطر. حتى هنا كان دائمًا هناك شىء يمكن أن يقفز عليه أو يعتليه أو يلف حوله مراوغًا لو تعرض لهجوم جانبى، لكن الآن يأتى حيزًا مفتوحًا دون ملجأ وبضعة أعمدة قائمة. يجذب الملاءة فوق قبعة البيسبول لحماية نفسه من وهج الشمس، مغطيًا نفسه كعربى، ويشق طريقه متثاقلاً، محاولاً الإسراع قدر ما يستطيع. إنه يعرف أنه سيحترق حتى تحت الملاءة إذا بقى هنا فترة طويلة، وأمله هو السرعة. لابد أن يصل إلى ملجأ قبل الظهر، عندما يكون الأسفلت ساخنًا بحيث لا يستطيع المشى عليه.

وها هو قد وصل إلى المستوطنات. يعبر الطريق الموصل إلى كريوجينيوس، إحدى المؤسسات الصغيرة - يتمنى لو كان ذبابة على الجدار عندما انطفأت الأضواء وبدأ ألفان من رءوس المليونيرات المتجمدة بانتظار إحيائها مرة أخرى تذوب فى الظلام. ثم تأتى العفاريت الخرافية التى تحرس كنوز باطن الأرض، تحمل شارة الحظ تدفع رءوسها ذات الآذان المدببة داخل وخارج أنبوبة الاختبار. لاحظ أن أضواء النيون مفتوحة، لابد أن الوصلات الشمسية لا تزال تعمل، حتى وإن لم يكن بكفاءة تامة. فهذه الإشارات كان المفترض أن تضىء فقط فى الليل.

وأخيراً، ها هى ريجوڤين إسنس. حيث ارتكب أخطاء كثيرة، وأساء فهم الكثير، وعاش آخر بهجة فى حياته. كانت أكبر من مزارع أورجان، وأكبر من هيلثوايزر. أكبر المستوطنات كلها.

يعبر أول حاجز، بشاشاته المعطلة، وكشافاته المطفأة، ثم بوابة التفتيش. حارس راقد نصفه بالداخل ونصفه بالخارج. ولم يدهش سنومان عندما لاحظ غياب رأسه، فى أوقات الأزمة انفجرت المشاعر. يبحث عما إذا كانت بندقيته الرش لا تزال موجودة، لكن لا فائدة.

ثم تأتى قطعة أرض تركت خالية من المبانى. كان كريك يدعوها: أرض اللاإنسان. لا أشجار هنا، لقد أزالوا أى شىء يمكن الاختباء خلفه، وقسموا المنطقة إلى مربعات، بها خطوط حساسة للحركة

والحرارة. وقد ذهب تأثير رقعة الشطرنج المخيف؛ فالأعشاب تشق طريقها كشوارب تملأ سطح الأرض الخالى. يأخذ ستومان بضع دقائق ليفحص الحقل، لكن فيما عدا مجموعة من الطيور السوداء تتعب فوق شىء ما على الأرض، لا شىء يتحرك. بعد ذلك يتقدم إلى الأمام.

وها هو الآن يقترب بالفعل. على الطريق سلسلة من الأشياء التى يبدو أنها وقعت من الناس وهم يهربون، حالة أشبه بالسباق إلى الكنز، ولكن معكوسة. حقيبة، حقيبة ظهر والملابس والأشياء خارجة منها، حقيبة نوم ليلية مفتوحة، وإلى جانبها فرشاة أسنان حمراء فى حالة بائسة. سوار، حلية شعر نسائية على شكل فراشة، كراسة، صفحاتها مشبعة بالمياه، والكتابة اليدوية غير مقروءة.

لابد أن الهاربين كان لديهم أمل فى الأساس. لابد أنهم اعتقدوا أنهم قد يستخدمون هذه الأشياء فيما بعد. ثم غيروا رأيهم وتخلوا عنها.

ريجوڤين إسنس

يصل إلى جدار مستوطنة ريجوڤين إستس وقد تقطعت أنفاسه وتصبب عرقًا، لا يزال هذا الجدار الضخم قائمًا، والذى يصل بين أبراج المراقبة، بارتفاع اثنى عشر قدمًا، ولكنه لم يعد مكهربًا، وأسياجه الحديدية قد صدئت. يدخل من البوابة الخارجية، التى تبدو كأن شخصًا قد فجرها، وقف لحظات فى ظلها ليأكل قطعة الشيكولاتة الجالبة للطاقة،

ويشرب باقي المياه التي معه. ثم يستمر، عبر مقاصير الحراسة حيث كان يقف حرس سلاح الشركة المسلحون في الكبائن ذات الحاجز الزجاجي حيث يقومون بتشغيل أجهزة المراقبة، ثم عبر برج المراقبة المستحكم ذا الباب الصلب - والذي يقف مفتوحًا إلى الأبد الآن - وحيث طلب منه يومًا تقديم بصمات أصابعه وبصمة عينه.

وخلف ذلك المدخل الضيق الذي يتذكره جيدًا، كانت المساكن منظمة كحديقة ضاحية بها بيوت كبيرة مبنية على طرز جورجية وتيودورية وعلى طراز الريف الفرنسي، الشوارع المتعرجة التي تؤدي إلى الخدمات الخاصة بموظفي المستوطنة: أرض الجولف والمطاعم والملاهي الليلية والعيادات الطبية ومباني التسوق وملاعب التنس الداخلية، والمستشفيات. وإلى اليمين مباني العزل الحراري الحيوي، بلون برتقالي زاهٍ، والقلاع ذات الزجاج الأسود المبنية على شكل مكعبات، حيث كان طرف البيزنس الخاص بكل شيء. وعلى مسافة بعيدة، يرى المكان الذي يقصد إليه - الحديقة المركزية، وعلى قمتها القبة الساحرة التي صنعها كريك، ظاهرة فوق الأشجار، دائرية وبيضاء ولامعة، مثل فقاعة من الثلج. وعندما ينظر إليها، تسري في جسده قشعريرة.

لكن لا وقت لندم لا فائدة من ورائه. يسرع في خطوه في الشارع الرئيسي، يخطو بين أكوام الثياب والهياكل العظمية البشرية. لم يبق أكثر من العظام: لقد فعل الكناسون عملهم. في الوقت الذي خرج فيه

من هنا، كان هذا المكان يبدو مشهداً صاخباً، تتصاعد روائحه النتنة كما لو كان مجزراً، أما الآن فكل شيء هادئ، والرائحة النتنة قد ذهبت تقريبًا. وقد خلعت البيجونات جذور الحشائش، آثار حوافرهم في كل مكان، لكنها لحسن الحظ تبدو قديمة.

إن هدفه الأول هو الطعام. من المعقول أن يقطع الطريق إلى مباني التسوق – حيث تكون هناك فرصة أكبر لوجبة قوية – لكنه في حالة جوع شديد لا تحتمل الانتظار حتى يصل هناك. كما أنه بحاجة للابتعاد عن الشمس الآن.

ومن ثم يدلف إلى الملف الثاني على اليسار، إلى أحد الأقسام السكنية. كانت الحشائش قد تكاثفت على الأفاريز. والشارع دائري، وبه جزيرة في منتصفه، حيث تتكاثف الآن الشجيرات وتتشابك، مهزولة وغير مشذبة، تلمع بأزهار حمراء وأرجوانية. نوع من النبات المهندس وراثيًا بشكل غريب، وفي بضع سنوات ستتنسحق وتذبل. أو أنها سوف تنتشر، وتجد لنفسها طريقًا إلى الحياة النباتية، وتخنق النباتات الأصلية. من يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث؟ إن العالم الآن كله تجربة هائلة الاتساع لا أحد يتحكم فيها – كما كان الأمر دائماً، كان يمكن أن يقول كريك هذا – وشريعة العواقب غير المقصودة في أقصى تجلياتها الفياضة.

يختار بيتًا متوسط الحجم، على طراز الملكة آن. الباب الأمامي موصد، لكن نافذة ذات زجاج ألماسي مكسورة؛ لابد أن أحد السلابين

المحكوم عليهم بالفناء كان هنا قبله. ويتساءل ما الذى كان المسكين يبحث عنه، طعام؟ نقود لا طائل منها، أو مجرد مكان ينام فيه؟ أيًّا كان الأمر، ما كان ليفيده بأى شىء.

يشرب ملء يده من حوض حجرى لشرب الطيور، مزين بضفادع غبية الشكل، ولا يزال مليئًا غالبًا من سيل الأمس، ويبدو أن الطيور لم تكدره كثيراً حيث لا يزال الماء رائقًا نوعًا. أى أمراض تحملها الطيور، وماذا يوجد فى فضلاتها؟ إنه مضطر لترك المسألة للصدفة. بعد أن يغسل وجهه ورقبته يعيد ملء زجاجته. ثم يدرس المنزل من أجل أية علامات، أى حركات. لا يستطيع أن يخلص نفسه من فكرة أن شخصاً ما - شخصاً مثله - يختبئ منتظراً، خلف ركن ما، خلف باب نصف مفتوح.

يخلع نظارة الشمس، ويربطها فى ملاءته. ثم يتسلق ويدخل من الشباك المكسور، رجل ثم أخرى، بعد أن ألقى عصاه بالداخل أولاً. الآن هو فى العتمة. يحس أن شعر ذراعه يقف حتى يوخزه؛ خوفه من الأماكن الضيقة وضعف طاقته يضغطان عليه. الهواء ثقيل، وكأن الرعب قد تكثف هنا ولم يجد وقتًا للتبدد بعد. رائحة المكان مثل ألف مصرف عكر.

ينادى: "مساء الخير! أى أحد هنا؟" لا يستطيع أن يمنع نفسه، أى بيت يوحى إليه باحتمال وجود سكان. يشعر بأنه يريد أن يستدير عائداً، ويحس بغثيان فى حلقه. لكنه يضع طرف ملاءته فوق أنفه - فهذه

رائحته هو على الأقل – ويشق طريقه عبر المكان المترب، عبر الأنماط الكئيبة للأثاث الضخم المصنوع على طراز قديم. يسمع صوت صرير، وجرى سريع، لقد فوجئت الفئران. يمضى بحذر لموضع قدميه. إنه يعلم كيف يبدو الآن للفئران: إنه جيفة تمشى على حوافر. يبدو أنها فئران بالفعل، وليست فيربانات، الفيربانات لا تصدر صريراً، وإنما تصدر حفيفًا.

كانت تصدر حفيفًا، كانت تصدر صريراً. يكرر ليصلح عبارته. لقد تم تسييلها، لقد انقرضت، لابد أن يصر على هذا.

الأشياء الأهم أولاً. يحدد موقع الخمر فى غرفة الطعام، ويذهب إليه سريعًا. وجد نصف زجاجة من البوربون لا غير، إلا كمية من الزجاجات الفارغة. لا سجائر. لابد أن أهل البيت لم يكونوا من المدخنين، أو أن السلابين الذين سبقوه أخذوها. "تبًّا لك"، يقول ذلك للدولاب المصنوع من خشب البلوط المدخن.

ثم يصعد على أطراف أصابعه على السلالم المفروشة بالسجاد إلى الطابق الثانى. لماذا كل هذا الحرص، وكأنه سارق حقيقى؟ لا يستطيع أن يمنع نفسه من ذلك. من المؤكد أن هناك أشخاصًا هنا، نائمين. من المؤكد أنهم سوف يسمعونه ويستيقظون. لكنه يعلم أن هذا هراء.

هناك رجل فى الحمام، منبطح على الأرضية – يرتدى – أو ما تبقى منه – بيجامة مقلمة باللونين الأزرق والكستنائى. يفكر سنومان،

غريب، كيف حدث فى حالة الطوارئ أن كثيراً من الناس اتجهوا للحمامات؛ الحمامات هى أقرب الأماكن كملجأ فى هذه البيوت، أماكن يمكن أن تختلى فيها بنفسك للتأمل. وأيضًا للتقيؤ، وعندما تدمى العينان، ولتخلى أمعاءك، ولتبحث عبثًا فى خزانة الدواء عن قرص ما يمكن أن ينقذك.

إنه حمام لطيف. به جاكوزى، وعلى الجدران سيراميك مكسيكى عليه صور عرائس البحر، رءوسهن متوجة بالأزهار، شعرهن الأشقر متموج، أثداؤهن صغيرة ولكن كروية، بحلمات وردية. إنه قد يكون بحاجة إلى دش - هذا المكان ربما يكون فيه تانك تتدفق مياهه بفعل الجاذبية - لكن هناك نوع ما من الصدأ المتراكم فى الصنبور قد سده. يأخذ قطعة صابون، لاستخدامها فيما بعد، ويبحث فى الخزانة عن كريم للشمس، لكن لم يجد. هناك علبة من أقراص "بليس بلاس" نصف ممتلئة، وزجاجة من الأسبرين، يختطفها. ويفكر فى أخذ فرشاة أسنان، ولكنه يكره وضع فرشاة شخص ميت فى فمه، ومن ثم يأخذ معجون الأسنان فقط. يقرأ فى عقله: من أجل ابتسامة أكثر بياضًا. حسنًا، إنه بحاجة لابتسامة أكثر بياضًا، رغم أنه لا يستطيع فى هذه اللحظة أن يفكر لماذا.

كانت المرآة التى فى واجهة الخزانة مكسورة، عمل أخير من أعمال الغضب المنفلت، من الاحتجاج الكونى - لماذا يحدث ذلك؟ ولماذا أنا؟ هذا أمر مفهوم، لقد فعل الشىء نفسه. كسر شيئًا ما، حول آخر لمحة

لصورته فى المرآة إلى شظايا. معظم الزجاج فى الحوض، لكنه حريص أين يضع قدمه، إنه الآن مثل الجواد؛ كل حياته تعتمد على قدميه. لو لم يستطع السير لأصبح طعاماً للفئران.

يستمر عابراً الصالة. سيدة البيت فى غرفة النوم، مختفية تحت الغطاء المخملى من اللونين الأحمر والذهبى، كتفها وأحد ذراعيها خارج الغطاء، عظام ترتدى رداء نوم مطبوع بألوان جلد النمر. وجهها متجه للناحية الأخرى بعيداً عنه، وهذا أفضل، لكن شعرها كما هو، كامل، وكأنه شعر مستعار، جذور غامقة، وخصلات متجمعة، كأنه شعر جنية. لو كان هذا الشعر على امرأة مناسبة لبدا جذاباً.

فى بعض مراحل حياته كان معتاداً – لو أتيحت له نصف فرصة – أن يفتش أدراج مكتب الآخرين، لكن فى هذه الغرفة لا يريد أن يفعل شيئاً من ذلك. على أى حال سوف تكون نفس الأشياء. ملابس داخلية، أدوية وأدوات خاصة بالجنس، مجوهرات معتادة، مختلطة بأقلام، وغيارات، ودبابيس، وربما مفكرة يومية لو كان محظوظاً. عندما كان لا يزال فى المدرسة العليا كان يحب قراءة يوميات البنات، بحروفها الأنيقة وما تحتويه من علامات التعجب الكثيرة والعبارات المبالغ فيها – أحب أحب، أكره أكره – والخطوط الملونة تحت الكلمات، مثل الرسائل الغرامية التى كانت تأتيه، فيما بعد، فى العمل. كان ينتظر حتى تدخل الفتاة إلى الحمام، ويقوم بتفتيش سريع خفيف. وطبعاً كان يبحث عن اسمه، رغم أنه لم يكن دائماً يحب ما يجده.

ذات مرة قرأ: جيمى، أيها الكذاب الذى يتدخل فيما لا يعنيه، أعرف أنك تقرأ هذا، أكره هذا، وليس معنى أنتى مارست الجنس معك أننى أحبك، فاخرج من حياتى!!! وكان هناك خطان أحمران تحت كلمة أكره، وثلاثة تحت اخرج من حياتى. كان اسمها بريندا. وكانت لطيفة، تحب مضغ اللبان، وتجلس أمامه فى حصة مهارات الحياة. وكان لديها كلب روبوت يعمل ببطارية شمسية وكان ينبح، ويبحث عن عظمة من البلاستيك، ويرفع رجله الخلفية ليبول ماء أصفر. طالما أدهشه كيف أن أكثر الفتيات صلابة وأكثرهن ميوعة كن يحتفظن فى غرف نومهن بتلك الأشياء اللينة الناعمة والتافهة.

كانت منضدة الزينة تحمل المجموعة المعتادة من الكريمات والعلاجات الهورمونية، والأمبولات والحقن، وأدوات الزينة، والبارفانات. وفى الإضاءة الضعيفة الآتية من الستائر المضلعة على النافذة، تومض هذه الأشياء بوميض مظلم، مثل حياة ساكنة أسكنتها لمعة خادعة. يرش نفسه ببعض الروائح الموجودة فى إحدى الزجاجات، رائحة مسك يتمنى أن تبعد عنه الروائح الأخرى الموجودة هنا. البطاقة على الزجاجة تقول "كوكايين ممتاز"، بحروف ذهبية مجسدة. يفكر فى شربها، لكن يتذكر أن لديه البوربون.

ثم يميل لأخذ نظرة إلى نفسه فى المرآة البيضاوية. لا يمكنه مقاومة المرايا فى الأماكن التى يقتحمها، يختلس نظرة من نفسه فى كل فرصة تقابله. وكل مرة تكون الصدمة أعنف. شخص غريب يحدق فيه، عيناه

غائمتان، خداه مصفران، تملؤهما بثور من لسع الحشرات. ويبدو أكبر عشرين سنة منه. يبربش ويكشر لنفسه، ويخرج لسانه، والنتيجة حقًا منحوسة. خلفه فى الزجاج هيكل امرأة فى السرير، تبدو مثل امرأة حقيقية؛ كما لو كانت ستستدير إليه فى أية لحظة، تفتح ذراعيها، وتهمس له أن تعال، خذنى. هى وشعرها الجنى.

كان لأوريكس شعر مستعار كهذا. كانت تحب أن ترتدى ثيابها، وتغير مظهرها، وتتظاهر بأنها امرأة أخرى. كانت تتبختر وهى تسير داخل الغرفة، ثم تخلع ثيابها، وتضحك، وتتخذ وضعًا وكأنها أمام كاميرا. كانت تقول إن الرجال يحبون التغيير.

سألها جيمى: "من قال لك هذا؟"

"آه، شخص ما". ثم ضحكت. كان ذلك قبيل أن يلتقطها بسرعة، وسقطت الباروكة .... جيميييى..! لكنه لا يستطيع أن يفكر فى أوريكس الآن.

يجد نفسه واقفًا فى وسط الغرفة، يداه مدليتان، فمه مفتوح. يقول بصوت مرتفع: "لقد كنت غبيًا".

الباب التالى لغرفة طفل، وبها كمبيوتر مغطى بغطاء بلاستيك أحمر فاقع، ورف رصت عليه عرائس الدببة، وورق حائط عليه صور زرافات، وحامل لأسطوانات السى دى CD تحتوى – بنظرة إلى الصور التى عليها – بعض ألعاب الكمبيوتر العنيفة جدًا. لكن لا طفل هناك، لا يوجد

جسد طفل. ربما مات ودفن فى تلك الأيام القليلة الأولى عندما كانوا لا يزالون يقومون بالمراسم المعهودة، أو ربما أصابه الرعب عندما بدأ والداه يقعان ويتقيآن دماً، وجرى بعيداً إلى مكان آخر. ربما كان بعض أكوام الثياب والعظام التى مر بها فى الطريق بالخارج. بعض هذه العظام صغيرة للغاية.

يجد دولاب المفروشات فى الصالة ويغير ملاءته القذرة بأخرى نظيفة، وهذه المرة لم تكن ملاءة سادة، ولكن ملونة بأزهار ولفائف من الأوراق النباتية. سوف تترك انطباعاً بين الأطفال الكريكيين. سيقولون: "انظروا، سنومان تنمو له أوراق كالأشجار!" وربما لا يقولون ذلك أمامه. هناك صف كامل من الملاءات النظيفة فى الدولاب، مطوية بعناية، لكنه لا يأخذ إلا هذه فقط. فهو لا يريد أن يثقل نفسه بأشياء لا يحتاجها فعلياً. إذا حدث واحتاجها يمكنه العودة لأخذ المزيد.

يسمع صوت أمه تقول له أن يضع الملاءة القذرة فى سلة الغسيل - تلك العادات القديمة القائمة داخل نفوسنا يصعب أن تموت - لكنه يلقيها على الأرض ويعود إلى الطابق السفلى، إلى المطبخ. ويأمل أن يجد بعض الطعام المعلب هناك، بعض مصنوعات الصويا أو البقوليات، أو علبة سوسيس تقليد، أى شىء به بروتين - حتى لو بعض الخضر سوف يكون طيباً، صناعى أو طبيعى، سيرضى بأى شىء - لكن من كسر النافذة أيضاً نظف دواليب المطبخ. وهناك حفنة من الحبوب المعالجة فى علبة بلاستيك غطاؤها منزوع، يأكل هذا، كان قديماً وجافاً

واضطر لمضغه كثيراً ثم شرب بعض الماء لينزله إلى جوفه. ويجد ثلاثة أكياس من الكاشو، أكياس صغيرة من النوع الذى كان يوزع فى القطارات السريعة، يأكل أحدها فوراً؛ لم تكن سيئة جداً. كما وجد علبة من سردين الصوَيا. وفيما عدا ذلك هناك نصف زجاجة من الكاتشاب الذى اسود لونه وتعفن.

وقد علمته التجربة ألا يفتح الثلاجة. بعض الرائحة النتنة فى المطبخ قادمة منها.

فى أحد الأدراج يجد كشافًا يعمل. يأخذه، وشمعتان قصيرتان، وبعض الكبريت. ويجد كيس قمامة من البلاستيك، فى المكان الذى يجب أن يكون فيه، ويضع كل شىء فيه، بما فيه السردين وكيسى الكاشو الآخرين، والبوربون والصابون والأسبرين. هناك بعض السكاكين، ليست حادة جداً؛ يختار منها اثنتين، وحلة صغيرة للطبخ. سوف يستفيد منها إذا وجد شيئًا يمكن طبخه.

وفى مروره بالصالة، وجد غرفة مكتب صغيرة بين المطبخ وغرفة المعيشة. كان بها مكتب وكمبيوتر ميت، وفاكس، وطابعة؛ وكذلك علبة بها أقلام بلاستيك، ورف عليه بعض الكتب المرجعية – قاموس، ومعجم مترادفات، ومعجم بارتليت الذى يجمع أشهر الاقتباسات وأشهر أقوال شكسبير، ومجموعة نورتون للشعر الحديث. لابد أن ذلك الرجل الذى يرتدى البيجاما المقلمة كان رجلاً من أهل الكلمات، ثم كاتب خطب

ريجوڤين إسنس، سمكرى أيديولوجى، أستاذ دوار عقلى، مجادلاً تافهًا للإيجار. يفكر سنومان، شخص تافه.

بجوار إناء زهور تناثرت زهوره وصورة لأب وابنه - إذن كان الطفل ولداً، فى السابعة أو الثامنة - هناك لوحة لأرقام التليفون. وعلى الصفحة الأولى كُتبت بخط اليد كلمات طلب جزازة العشب. ثم بحروف أصغر ومهزوزة، اطلب العيادة.... لا يزال القلم ذو الرأس الدوارة على الورق، كما لو كان قد وقع من يد مرتعشة: لابد أن هذا حدث فجأة، فى اللحظة نفسها، المرض واكتشافه معًا. يستطيع سنومان أن يتصور الرجل فى لحظة اكتشافه للأمر وهو ينظر إلى يده تتحرك على الورق. لابد أنه كان حالة مبكرة، وإلا لما كان لا يزال يفكر فى جزازة الأعشاب.

يشعر بالوخز مرة أخرى خلف رقبته. لماذا يشعر بأنه اقتحم بيته نفسه؟ بيته الفعلى منذ خمس وعشرين سنة، وأنه هو نفسه الطفل المفقود.

إعصار

يأخذ سنومان طريقه خلال الضوء الخابى القادم من خلف ستارة الشباك فى غرفة المعيشة إلى مقدمة البيت، وهو يتدبر مساره المقبل. عليه أن يحاول فى بيت أكثر غنىً بالبضائع المعلبة، أو حتى أحد مبانى التسوق. ويمكن أن يقضى ليله هناك، على أحد الأرفف العليا؛ بهذه

الطريقة يمكن أن يأخذ وقته، ويضع أفضل الأشياء فقط فى حقيبة أو كيس. من يعلم؟ ربما لا تزال هناك بعض أصابع الشيكولاته. ثم، عندما يعرف أنه قد غطى جانب الغذاء، يمكنه أن يقصد إلى القبة البللورية، يأخذ ما يريد من ترسانة الأسلحة. فإذا وجد بندقية رش فى يده سوف يشعر بأمان أكثر كثيراً.

يلقى عصاه خارج النافذة المكسورة، ثم يتسلق خارجًا، محاذراً ألا يلمس الزجاج المكسور لئلا تنقطع ملاءته الجديدة المزدانة بالورود، أو يجرح نفسه، أو يشق الكيس البلاستيك. وأمامه مباشرة عبر الشارع، على العشب النامى، يغلق الطريق خمسة بيجونات، تبحث فى كومة صغيرة من القمامة، ويتمنى أن تكون ملابس فقط. ذكر كبير، وأنثيان، وصغيران. عندما تسمع الحيوانات صوت حركته تتوقف عن الأكل وترفع رءوسها: يرونه، حسنًا. يرفع عصاه، ويهزها تجاهها. فى العادة تقفز البيجونات عندما يفعل ذلك؛ ذلك أن لديها ذاكرة جيدة، والعصا تبدو مثل الهراوات الكهربائية* - لكن فى هذه المرة يقفون دون حركة. ويتشممون فى اتجاهه، كما لو كانوا فى حالة حيرة؛ ربما يشمون رائحة البارفان التى رشها على نفسه. من الممكن أن تكون المادة بها شىء من فيرمونات الجنس عند الثدييات، وسيكون هذا حظه ونصيبه. الموت تحت أقدام البيجونات المستثارة جنسياً. يا لها من نهاية بلهاء.

ماذا يفعل لو هاجموه؟ ليس لديه إلا اختيار واحد: يقفز عائداً من النافذة. هل لديه الوقت لفعل ذلك؟ رغم الأرجل النحيفة التى تحمل

أجسادها الضخمة، فإن هذه الحيوانات الملعونة تستطيع الجرى بسرعة شديدة. لديه سكينتا المطبخ فى كيس القمامة الذى يحمله؛ لكنهما على أية حال قصيرتان جداً وواهيتان ولن تسببا مشكلة كبيرة لبيجون بالغ. سيكون مثل محاولة طعن إطار سيارة نقل كبيرة بسكين تشذيب الأظافر.

يحنى الذكر رأسه، ويقوس رقبته وكتفيه الضخمين، ويتأرجح بصعوبة أمامًا وخلفًا، يحاول أن يقرر ماذا يفعل. لكن الآخرين بدأوا يبتعدون بالفعل، ومن ثم يعيد الذكر التفكير ويتبعهم، مع إعلان ازدرائه بإسقاط كومة من الروث وهو يذهب. يقف سنومان ساكنًا حتى يغيبون عن ناظره، ثم يتقدم بحذر، ناظراً خلفه من حين لآخر. ثمة آثار كثيرة للبيجونات هنا. هذه الحيوانات ذكية لدرجة أنها قد تتظاهر بالانسحاب، ثم تختفى بانتظاره عند أحد الأركان. سوف تهجم عليه، وتسحقه، ثم تقطعه إربًا، وتأكل الأعضاء الداخلية أولاً. هو يعلم ما يحبون من الطعام. إن البيجون حيوان يقتات بالمواد الحيوانية والنباتية معًا. وربما يحتوى جسد بعضها على أنسجة أعضاء بشرية تنمو داخلها، رءوس شريرة.

نعم: ها هم، أمامه مباشرة. يأتون من خلف شجيرة، الخمسة كلهم؛ أوه، لا، إنهم سبعة. يحدقون فى اتجاهه. سوف يكون من الخطأ أن يعطيهم ظهره، أو يجرى. يرفع عصاه، ويسير فى طرق جانبية، ويعود فى الاتجاه الذى جاء منه. لو كان ضرورياً يمكن أن يلجأ داخل

بوابة نقطة التفتيش ويبقى هناك حتى يذهبوا. ثم عليه أن يجد طريقًا ملتويًا ليصل إلى القبة البللورية، ويلتزم بالشوارع الجانبية، حيث تسهل المراوغة.

لكن فى الوقتِ الذى يستغرقه لقطع هذه المسافة، سائرًا بحذر كما لو كان فى رقصة غريبة بشعة، والبيجونات لا تزال تحدق فيه، تتجمع سحب داكنة عاصفة من الجنوب، حاجبة الشمس. ليست هذه عاصفة ما بعد الظهر العادية؛ إنها مبكرة جدًا، والسماء ذات لون أصفر مخضر منذر. إنه إعصار، وإعصار كبير. اختفت البيجونات الآن، ذهبت للبحث عن ملجأ.

يقف خارج المبنى المكعب لنقطة التفتيش، مراقبًا العاصفة وهى تتدحرج أمامًا. إنها منظر هائل. ذات مرة رأى أحد هواة التوثيق يحمل كاميرا وابتلعته عاصفة كهذه هو والكاميرا. ويتساءل ترى هل أطفال كريك الآن قادرون على التصرف، هناك عند الشاطئ. سيكون من السيئ بالنسبة لكريك إذا عصفت الرياح بالنتائج الحية لنظرياته إلى السماء أو أزاحتها إلى البحر فى موجة كبيرة عنيفة. لكن هذا لن يحدث؛ فى حالة الأمواج العالية، فإن حائل الأمواج الذى تكون بسبب الحجارة المتساقطة سوف يحميهم. أما بالنسبة للإعصار، فقد واجهوا أحد هذه الأعاصير من قبل. سوف يلجأون إلى التجويف الموجود داخل تل القوالب الأسمنتية والذى يسمونه منزل الرعد، وينتظرون حتى تمر العاصفة.

الرياح القادمة تصل، تحرك الحطام فى الأرض المفتوحة. ويبرق البرق بين السحب. يستطيع أن يرى المخروط الداكن النحيف، يتحرك مترنحاً؛ ثم يهبط الظلام. من حسن الحظ أن نقطة التفتيش مبنية داخل مبانى الأمن، وهذه الأشياء أشبه بالتلال، كثيفة وقوية. يدلف إلى الداخل بمجرد بدء هطول المطر.

الرياح تصرخ، وينفجر رعد، وصوت ذبذبة مرتفع بينما كل شيء متصل بالأرض يدمدم مثل صندوق تروس فى موتور عملاق. شيء كبير الحجم يضرب الجدار الخارجى. ينتقل للداخل، من خلال أحد مجازات الأبواب، ثم آخر، وهو يبحث فى كيس القمامة بحثًا عن الكشاف. أخرجه، ويتعثر به عندما يسمع صوت صدمة كبيرة أخرى، وتتذبذب أضواء السقف فوقه. لابد أن بعض دوائر الكهرباء الشمسية قد شحنتها العاصفة.

وكاد يتمنى لو لم تُفتح الأنوار: هناك بدلتان من البدل الحيوية عند الركن، وبهما ما بهما من بقايا فى حالة سيئة. كبائن الملفات مفتوحة على مصراعيها، والأوراق مبعثرة فى كل مكان. يبدو كما لو كان الحراس قد غمرتهم حالة من الارتباك. ربما كانوا يحاولون منع الناس من الخروج من البوابات؛ يتذكر أنه كانت هناك محاولة لفرض عزل صحى. فلابد أن العناصر المعادية للمجتمع، التى كانت تشمل فى ذلك الوقت كل الناس جميعاً، قد هاجموا المكان ومزقوا الملفات السرية. يا له

من تفاؤل، أن يعتقدوا أن أيًّا من الأوراق أو أسطوانات تخزين المعلومات قد تكون ذات فائدة لأى شخص.

يجبر نفسه على الذهاب ناحية البدلتين، وينخسهما بعصاه، ويقلبهما. ليس الأمر بالسوء الذى ظنه، لم تعد هناك رائحة شديدة، بضع خنافس ليس إلا؛ لقد ذهب أى شيء ناعم. لكنه لا يستطيع أن يجد أية أسلحة. لابد أن أعداء المجتمع قد أخذوا كل هذا، كما كان سيفعل لو كان مكانهم. بل كما فعل بالفعل.

يترك الغرف الداخلية، ويعود إلى منطقة الاستقبال، الجزء الذى به طاولة التعامل مع الناس، والمكتب. فجأة يشعر بتعب شديد. يجلس فى المقعد الدوار القائم أمام المكتب. لقد مر وقت طويل منذ جلس فى مقعد، ويشعر بأن الأمر غريب. يقرر أن يجهز الكبريت والشمعتين لاستخدامها فى حال انطفاء النور مرة أخرى، وبينما هو يفعل ذلك يشرب بعض الماء الذى أخذه من حوض سقاية الطيور، ويأكل الكيس الثانى من الكاشو. من الخارج يأتى عويل الرياح، صوت ضجة لا تنتمى للأرض مثل حيوان هائل أطلق من عقاله ويفور بالغضب. تأتى عصفات الريح من خلال الباب الذى أغلقه، فتثير التراب، وتهز كل شيء. يداه ترتعشان. هذا سينال منه بشدة لن يستطيع أن يعترف بها بينه وبين نفسه.

ماذا لو كانت هناك فئران هنا؟ لابد أن هناك فئران. ماذا لو بدأ فيضان؟ سوف تجرى الفئران صاعدة على قدميه! يجذب قدميه إلى

أعلى فوق الكرسى، يطويهما فوق أحد ذراعى المقعد، ويثبت الملاءة ذات الورود حولهما. لا أمل من سماع أى أصوات لأى مخلوقات من هذا النوع، فصوت عربدة العاصفة شديد الارتفاع.

الرجل العظيم لابد أن يقف ويواجه التحديات التى تقابله فى الحياة، صوت يقول فى أذنه. صوت من هذه المرة؟ محاضرة فى تليفزيون ريجوف، شخص أحمق ممل يرتدى بدلة. مخرف للإيجار. هذا بكل تأكيد هو الدرس الذى نتعلمه من التاريخ. كلما كان الحاجز أعلى، كلما كانت القفزة أعظم. إن مواجهة الأزمة تمنحك نمواً فى شخصيتك.

يصرخ سنومان: "أنا لم تنمُ شخصيتى، يا معتل العقل. انظر إلىَّ! لقد انكمشت! عقلى فى حجم حبة عنب!"

لكنه لا يعرف هل كبر عقله أم صغر؛ لأنه ليس هناك من يقيس نفسه به. لقد ضاع فى الضباب. لم تعد هناك علامات تفاضلية بينه وبين غيره.

تنطفئ الأنوار، والآن هو وحده فى الظلام.

يقول لنفسه: "وماذا فى ذلك؟ إنك وحدك فى النور. لا فرق كبير". لكن هناك فرق.

ومع ذلك فهو مستعد. يضع الكشاف واقفًا على نهايته. ويشعل عود ثقاب فى ضوئه الضعيف، ويتمكن من إشعال شمعة. تهتز ذؤابتها

فى التيار الهوائى ، لكنها تشتعل، وترسل دائرة براقة صغيرة من الضوء الأصفر الناعم على المكتب، وتحول الغرفة حوله إلى كهف من كهوف العصور القديمة، مظلم، لكنه آمن.

يبحث فى الكيس البلاستيك، ويجد الكيس الثالث من الكاشو، يفتحه، ويأكل محتوياته. يأخذ زجاجة البوربون، ويفكر قليلاً، ثم يفتحها ويشرب. جلوك جلوك جلوك، تدور الصور المتحركة فى رأسه.

ماء نارى.

آه يا حبيبى، صوت امرأة يقول من ركن الغرفة. إنك على ما يرام.

يقول: "لا، لست على ما يرام".

دفقة من الهواء تضرب أذنيه، وتطفئ الشمعة. لا يمكنه أن يتعب نفسه الآن لإعادة إشعالها؛ لأن البوربون يسيطر عليه الآن. وهو يفضل البقاء فى الظلام. يستطيع أن يحس بأوريكس تتهادى نحوه على جناحيها الناعمين المكسوين بالريش. فى أية لحظة الآن ستكون معه. يجلس منحنياً فى المقعد ورأسه على المكتب وعيناه مغلقتان، فى حالة من البؤس والسلام.

(١٠)

نسرنة

بعد أربع سنوات من التشوش، تخرج جيمى من أكاديمية مارثا جراهام بدرجة ضعيفة كالعادة فى "الإشكاليات". لم يتوقع أن يحصل على عمل فوراً، وفى هذا الأمر لم يكن مخدوعاً. ظل أسابيع يعد أوراقه الهزيلة، ويرسلها، ثم تعود إليه بسرعة كبيرة، أحياناً ملوثة ببقع دهنية وبصمات أصابع موظف تافه كان يقلب فيها وهو يتناول غداءه الخفيف. ثم يقوم جيمى بتغيير الصفحات الملوثة، ويرسلها إلى مكان آخر.

وقد استطاع أن يتصيد عملاً صيفيًّا فى مكتبة مارثا جراهام، يخوض فى الكتب القديمة، ويضع علامات عليها للتدمير بينما يقرر أيها يبقى على الأرض بعد تسجيله بنظام ديجيتال، ولكنه فقد هذا المنصب فى منتصفه لأسباب ترجع لشروط العمل، لأنه لم يستطع أن يتحمل التخلص من أى شىء. بعد ذلك أقام مع فتاته فى ذلك الوقت، والتى كانت فنانة مفاهيمية، طويلة الشعر، سمراء، واسمها أماندا باينى. كان هذا الاسم مبتدعاً، مثل أشياء كثيرة فيها. كان اسمها الحقيقى بارب

جونز. وجدت أنها لابد أن تعيد ابتداع نفسها، كذا قالت لجيمى، فبارب الأصلية كانت منسحقة بسبب عائلتها التافهة التى كانت تتعاطى السموم البيضاء، مثل السكر والدقيق، بشراهة، وتسىء معاملتها حتى تركزت مشاعرها كلها فى أنها شخص منبوذ، مثل يد جرس مصنوعة من شوكة مثنية أو مقعد بثلاثة أرجل.

كان هذا هو ما أعجب جيمى فيها، والذى رأى هذا التصوير لها فكرة غريبة فى حد ذاته، وأراد أن يعالجها، أن يقوم بالإصلاحات، أن ينعشها ويجددها، يجعلها كالجديدة تماماً. قالت له: "إن لك قلباً طيباً"، فى أول مرة سمحت له بالدخول عبر دفاعاتها. مراجعة : عبر كل دفاعاتها.

كان لأماندا فى إحدى المستوطنات مكان صغير تشترك فى ملكيته مع فنانين آخرين، رجلين. كان الثلاثة من أراضى السوقة، وذهبوا إلى مارثا جراهام فى منحة دراسية، وعدُّوا أنفسهم متفوقين على أبناء المستوطنات المتفسخين ضعاف العود، والذين يحظون بالتميُّز، مثل جيمى. كان عليهم أن يكونوا أقوياء، ذوى عود صلب، ويشقوا طريقهم. كانوا يدعون أن لديهم رؤية واضحة لا يمكن أن تأتى إلا ممن خبر صعوبات الواقع. حاول أحد الرجلين الانتحار، وأوحى بأن هذه التجربة منحته حالة أفضلية خاصة. والآخر كان قد تناول الكثير من الهيروين، بل كان يبيعه أيضاً، قبل أن يتحول عنه إلى الفن، أو من المحتمل أنه اتخذ الفن بالإضافة إلى ذلك. بعد الأسابيع الأولى، التى كان مأخوذاً

يشخصياتهم فى أثنائها، قرر جيمى أن هذين الاثنين مجرد حرفيين فارغين، بالإضافة إلى أنهما مغروران ومنفوخان على الفاضى.

تحمل الاثنان الآخران جيمى، ولكن بشكل هامشى. ولكى يفوز بالحظوة عندهما كان يقوم بجولة فى المطبخ من حين لآخر - كان الفنانون الثلاثة يسخرون من أجهزة الميكروويف ويلجأون إلى سلق المكرونة - لكنه لم يكن طاهياً ماهراً. وارتكب خطأ إحضار "وجبة كيزان الدجاج الجاهزة" ذات ليلة - كان امتياز إعدادها قد منح لمحل قريب، ولم يكن المنتج سيئًا جداً لو استطعت أن تنسى كل ما تعرفه عن مصدرها - وبعد ذلك أصبح الاثنان لا يتحدثان معه إلا لماماً.

لكن هذا لم يمنعهم من التحادث مع بعضهم البعض. كان لديهم الكثير ليقولوه عن كل أنواع الخردة التى ادعوا أنهم يعرفون شيئًا عنها، ويمكن أن يديروا عنها حديثًا مملاً بطريقة تحريضية، مقدمين أنفسهم بخطب رنانة، وعظات ملتوية هى فى الواقع - كما أحس جيمى - كانت موجهة إليه شخصيا. ووفقًا لهم، فإن اللعبة انتهت بمجرد أن عُرِفَت الزراعة، منذ ستة أو سبعة آلاف عام. وبعد ذلك، أصبح محكومًا على التجربة الإنسانية بالفناء، أولاً نتيجة التضخم الهائل فى كمية الطعام، ثم بالفناء، متى تم الاستهلاك الكامل لكل الأغذية المتاحة.

قال جيمى: "هل لديكم الحلول؟" لقد أصبح يستمتع بنخسهم، فمن هم لكى يحكموا على الحياة؟ قال الفنانون الذين لم تكن لديهم حساسية

للمفارقات: إن التحليل الصحيح كان شيئًا، لكن الحلول الصحيحة شيء آخر، وأن عدم وجود الحلول لا يعني أن التحليل خطأ.

على أي حال، ربما لم تكن هناك أية حلول. لقد ادعوا أن المجتمع الإنساني كان نوعًا من الوحوش، وأن محصلته الثانوية هي الجثث والهدم. لم يتعلم هذا المجتمع أبدًا، كان دائمًا يرتكب الأخطاء القميئة نفسها مرة بعد الأخرى، ويفضل الكسب القريب رغم علمه بأن نتيجته ألم بعيد. كان هذا المجتمع أشبه بحيوان بطيء يأكل في طريقه بلا هوادة كل الأنماط الحيوية الأخرى على الكوكب، يمضغ الحياة على الأرض ويتبرزها على الجانب الخلفي في شكل قطع من المصنوعات، والتي سرعان ما ستتحول إلى قمامة من البلاستيك لا فائدة منها.

غمغم جيمي: "مثل كمبيوتراتكم؟ تلك التي تتفننون فنونكم عليها؟"

ورد الفنانون، متجاهلين ما قاله، بأنه سرعان ما لن يكون شيء باقيًا سوى سلسلة من الأنابيب السفلية تغطي وجه الكوكب. وسيكون الهواء والضوء داخلها صناعيين، وسوف تكون طبقتا الأوزون والأوكسجين قد دمرتا تمامًا. وسيزحف الناس داخل هذه الأنابيب الصناعية، في طابور واحد، عراة تمامًا، لا يرى كل منهم إلا عورة الشخص الواقف أمامه في الصف، وسيتدفق بولهم وبرازهم تحتهم من خلال مصارف في الأرضية، حتى يتم اختيار من منهم سيتم سحبه إلى نفق جانبي، عشوائيًا عن طريق آلية ديجيتالية، حيث يتم طحنه ليصبح

طعامًا للآخرين من خلال سلسلة من الأجزاء الملحقة على شكل حلمة الثدى على جانبى الأنبوب. وسيكون هذا النظام نظامًا يدعم نفسه بنفسه ومستمراً إلى الأبد، وسوف يكون مناسباً للجميع.

قال جيمى: "وهكذا فى ظنى ستنتهى تمامًا الحروب، وستكون ركبنا كلنا ذات عظام متضخمة. لكن ماذا عن الجنس؟ سيكون صعباً، إذا كنا مغلفين داخل أنبوب كهذا". ألقت عليه أماندا نظرة غاضبة. غاضبة، لكن متواطئة، يمكن أن تقول إن السؤال نفسه خطر لها.

أماندا نفسها لم تكن كثيرة الكلام. كانت من أهل الصور، ولم تكن من أهل الكلام. هكذا قالت، وادعت أنها تفكر بالصور. وكان الأمر لا بأس به بالنسبة لجيمى، لأن قليلاً من الحس التزامنى بينهما لم يكن أبداً يثير الاستياء.

كان يسألها، فى أيامهما الأولى، شديدة التوهج: "ما رأيك عندما أفعل هذا؟"

كانت تقول: "زهور، اثنتان أو ثلاثة وردية".

"وماذا عن ذلك؟ ما رأيك؟"

"زهور حمراء، حمراء وقرمزية. خمس أو ست".

"وماذا عن ذلك؟ آه يا حبيبتى، أحبك!".

"أضواء!" بعد ذلك تتنهد، وتقول: "كانت هذه الباقة كلها".

كان حساسًا لزهورها تلك؛ فهي على الأقل تعبير عن الإعجاب بمواهبه. وكان لديها مؤخرة جميلة جدًّا أيضًا، وردفيها كانا حقيقيين، لكن عينيها - وقد لاحظ هذا مبكرًا - كانت بهما بعض القسوة.

كانت أماندا من تكساس أصلاً، وكانت تدعى أنها قادرة على تذكر المكان قبل أن يجف تمامًا وينتهى إلى الكارثة، وفكر جيمى أن ذلك معناه أنها أكبر عشر سنوات مما تدعى. كانت تعمل لبعض الوقت فى مشروع يسمى تماثيل النسور؛ كانت الفكرة هى أخذ حمولة سيارة نقل من الأجزاء الكبيرة من الحيوانات الميتة إلى حقول خالية أو ساحات انتظار السيارات الخاصة بالمصانع المهجورة وتقوم بترتيبها على شكل كلمات، وتنتظر إلى أن تنزل النسور وتمزق هذه الأجزاء، ثم تقوم بتصوير المشهد كله من طائرة هليكوبتر. وقد اجتذبت كثيراً من النظارة فى البداية، وكذلك عدة حقائب مليئة بالبريد المعبر عن الكراهية، وتهديدات بالموت من قبل البستانيين الربانيين، ومن بعض المجانين المنعزلين. كانت إحدى الرسائل من شريكة جيمى القديمة فى الغرفة، برنيس، والتى ارتفع مقدار الهوس فى أسلوبها اللغوى كثيراً.

ثم قام صاحب مؤسسة عجوز فاسد، جعد الوجه، جمَع بضع ثروات من سلسلة مزارع سلسلة لأجزاء القلب، بإعطائها منحة سخية، تحت وهم أن ما كانت تفعله كان حدًّا قاطعًا كحد الموسى. وقالت أماندا إن هذا كان جيداً؛ لأنه دون هذا القدر من النقود كانت ستضطر للتخلى عن أعمالها الفنية؛ فطائرات الهليكوبتر تكلف نقوداً كثيرة، ثم بالطبع

كان هناك الحصول على التصريحات الأمنية؛ فقد كان رجال السلاح يتوترون بشدة من أى نشاط فى الجو، وكانوا يرتابون فى أى شخص يريد أن يصور شيئًا من أعلى، وعمليًّا، كان عليك أن تتركهم يدخلون إلى أشد مناطق جسدك حساسية قبل أن يسمحوا لك بالطيران فى أى مكان على ظهر طائرة مستأجرة، إلا إذا كنت أميرًا مهندسًا وراثيًّا من إحدى المستوطنات.

الكلمات التى كانت "تنسرنها" – كان هذا هو المصطلح الذى اخترعته لهذه العملية – كانت يجب أن تتكون من أربعة أحرف. وقد كانت تفكر فيها كثيرًا؛ كل حرف من حروف الهجاء له ذبذبة، شحنة موجبة أو سالبة، ومن ثم كان ينبغى اختيار الكلمات بحرص شديد. كانت فكرتها أن "النسرنة" تجلب الحياة لتلك الكلمات، ثم تقتلها. كانت عملية قوية – "مثل مشاهدة الرب وهو يفكر"، كان هذا ما قالته على إحدى قنوات الشبكة. وحتى ذلك الوقت، كانت تصنع كلمة "الألم" – باين، وهى تورية عن اسمها الثانى، كما أشارت فى أحد اللقاءات على غرفة من غرفات الدردشة – وكلمة "الذى"، ثم كلمة "الشجاعة". وفى الصيف الذى عرفت فيه جيمى قضت وقتًا عصيبًا؛ لأنها كانت غير قادرة على أن تستقر على الكلمة التالية.

أخيرًا،عندما وجد جيمى أنه لا يستطيع احتمال المكرونة المسلوقة أكثر من ذلك، وعندما أصبحت رؤية أماندا تحدق فى الفراغ وهى تمضغ خصلة من شعرها لا تجلب إليه الشهوة والنشوة، وجد عملاً. كان

مع شركة تسمى أنووييوو، وهى مستوطنة صغيرة تقع قريبًا جداً من إحدى أراضى السوقة الأكثر خرابًا، بل تكاد تكون داخلها. عندما ذهب هناك لإجراء المقابلة الشخصية شعر بأن كثيرين ما كانوا ليقبلوا العمل هناك إذا كان لديهم فرصة أخرى؛ وهو ما يفسر التعامل الردىء نوعًا من قبل من يجرون المقابلات مع طالبى العمل. ويمكنه أن يؤكد أن عشرة أو عشرين من طالبى العمل قبله قد رفضوا هذا العمل. حسنًا، لقد أوصل إليهم رسالته عن طريق التواصل التخاطرى، ربما لا أكون ما تريدون بالضبط، ولكنى على الأقل رخيـ[illegible] التكا[illegible]

قال من يجرون المقابلة – وكانوا اثنين، امرأة ورجل – إنه أثر فيهم بسبب البحث الذى أجراه فى السنة النهائية حول " كتب القرن العشرين لمساعدة الذات". وأخبروه أن واحداً من منتجاتهم الأساسية هو الأشياء التى تساعد على التحسين – لم تعد هى الكتب أبداً، بالطبع، لكن اسطوانات الدى فى دى DVD ، واسطوانات السى دى روم CD، ومواقع الشبكة، وما إلى ذلك. وشرحوا له أن [illegible] لا تعنى أن هذه الأشياء يمكن أن تأتى بالمال الكثير فى حد ذاتها، لكنها هى المعدات اللازمة والأدوية البديلة التى تعطى التأثير الأفضل. فالعقل والجسد متلازمان، ودور جيمى هو أن يعمل على الجانب العقلى من الأشياء. وبتعبير آخر، المساعدة على الترقى.

قال الرجل: "إن ما يريده الناس هو الكمال فى أنفسهم".

قالت المرأة: "لكنهم بحاجة إلى معرفة الخطوات المؤدية إلى ذلك".

وقال الرجل: "فى نظام بسيط".

وقالت المرأة: "بالتشجيع، والمواقف الإيجابية".

وقال الرجل: "إنهم يحبون أن يسمعوا ماذا قبل وماذا بعد. إنه فن الممكن. لكن دون ضمانات، بالطبع".

وقالت المرأة: "لقد أظهرت أن لديك نفاذ البصيرة فى هذه العملية، فى رسالتك. لقد وجدنا أنها شديدة النضج".

وقال الرجل: إذا كنت تعرف قرنًا واحدًا، فأنت تعرف التاريخ كله".

قال جيمى: "ولكن النعوت تتغير، لا شىء أسوأ من نعوت العام الماضى".

قال الرجل: "بالضبط!"، وكأن جيمى قد قام لتوه بحل لغز الكون فى لمحة ضوء خاطفة واحدة. وتلقى مصافحة قوية كادت تكسر أصابعه من الرجل، وابتسامة مليئة بالدفء من المرأة، ولكنها توحى بالإغراء حتى أنه ساءل نفسه إن كانت متزوجة. لم يكن المرتب فى أنووييوو جيداً جداًّ، ولكن ربما كانت هناك مميزات أخرى.

فى ذلك المساء أخبر أماندا باين عن حسن الحظ الذى صادفه. كانت فى الفترة الأخيرة تنتقده بسبب النقود - أو لم تكن تنتقد، لكنها أدلت بعدة ملاحظات موجهة حول أن يساند بكل قوته فترات الصمت

المقصودة والمطولة والتى كانت متخصصة فيها - ومن ثم ظن أنها سوف تُسر. فالأحوال لم تكن جيدة فى الفترة الأخيرة، والواقع أنها لم تكن جيدة منذ يوم ارتكابه للخطأ الفادح الخاص بكيزان الدجاج. ربما سوف يجدان الآن طريقة لوضع نهاية عاطفية، كئيبة، ومليئة بالإثارة. وقد أجرى عدة بروفات على السطور التى سيلقيها لخروجه؛ أنا لست كفئًا لك، أنت تستحقين من هو أفضل منى، فسوف أدمر حياتك، وهكذا. لكن كان الأفضل هو بذل مجهود هنا، ومن ثم فقد تحدث بالتفصيل عن عمله الجديد.

"الآن سيكون بمقدورى أن أشترى اللحم بنفسى للبيت"، قال ذلك فى النهاية بأمل أن يبدو صوته مرحًا، ولكن مسئولاً فى الوقت نفسه.

لم يؤثر ذلك فى أماندا. كان تعليقها هو: "أين؟ تقول أنك ستعمل أين؟"؛ كان الموضوع، كما تبين له، أن أنوويوو كانت بالوعة لبعض المتجنسين الذين لا هدف لهم إلا افتراس المهووسين والتهام الحسابات البنكية للقلقين والسذج. ويبدو أن أماندا، حتى وقت قريب، كان لها صديقة اشتركت فى خطة على مدى خمسة أشهر مع أنوويوو، قالوا لها إنها قادرة على علاج الاكتئاب والأرق والتجاعيد فى وقت واحد، وانتهت بها إلى أن ألقت نفسها من شباك شقتها فى الطابق العاشر - على لحاء نوع من أشجار أمريكا الجنوبية.

قال جيمى عندما قيلت له هذه القصة: "يمكن فى أى وقت أن أتركهم، ويمكن أن ألتحق بالمناصب العليا للمتبطلين إلى الأبد. أو يمكن أن أظل رجلاً محفوظًا، مثلما أنا الآن. إنها مزحة، مزحة! لا تقتلينى!".

ظلت أماندا تلتزم صمتًا أشد من المعتاد فى الأيام القليلة التالية! ثم قالت له إنها أخيراً تخلصت من حالة الفجوة الفنية التى مرت بها، لقد أُلهمت بالكلمة التالية للتمثال "النسرى".

قال جيمى، محاولاً إبداء الاهتمام: "وما هى؟"

نظرت إليه بتمعن، وقالت: "الحب".

أنوويوو

انتقل جيمى إلى الشقة الصغيرة التى قدمت له فى مستوطنة أنوويوو؛ غرفة نوم فى الأعلى، مطبخ ضيق، أثاث على طراز سنة ١٩٥٠ كانت هذه الشقة كمكان للإقامة تُعَدُّ خطوة صغيرة للأعلى من غرفته فى مارثا جراهام، لكن على الأقل كانت الحياة الحشرية أقل. وسرعان ما اكتشف أنه، فى وضعه الوظيفى، كان عبداً كادحًا. كان عليه أن يقدح عقله ويقضى عشر ساعات يوميًا فى متاهات معاجم المترادفات وإصلاح الكلمات. ثم هؤلاء الأعلى منه يُقَيِّمون ما يقدمه، ويعيدونها للمراجعة، المرة تلو الأخرى. إن ما نريده هو أكثر... هو أقل... ليس هذا بالضبط. لكنه كان يتقدم بمرور الوقت، أيًّا كان معنى ذلك.

كريمات للتجميل، أدوات للتحسين، منتجات شيكولاتة الطاقة لتبنى عضلاتك وتصل إلى معجزة تقطع النفس أشبه بالجرانيت المنحوت. أقراص تجعلك أسمن، أنحف، أكثر شعرًا، أكثر صلعًا، أكثر بياضًا، أكثر دكنة، أكثر سوادًا، أكثر اصفرارًا، أكثر قدرة جنسيًّا، وأكثر سعادة. كانت مهمته أن يصف ويمجد، أن يقدم الرؤية التى تجعل الناس يعتقدون فيما يمكن أن يؤدى إليه هذا المنتج: ياه، ما أسهل هذا! الأمل والخوف، الرغبة والتحول، تلك كانت هى أدوات مهنته، وعليها كان يضع تغييراته. وبين فترة وأخرى كان يخترع كلمة: التوترية، الليفانية، الفيرمونونية – لكن لم يحدث أبدًا أن اكتشف أنه كان يخترع كلمات لا وجود لها. كان أصحاب المؤسسة يحبون هذا النوع من الكلمات عندما يطبع ببنط صغير على علب المنتجات، لأنها كانت تعطى انطباعًا علميًّا ولها تأثير مقنع.

كان ينبغى أن يسعده هذا النجاح مع هذه الفبركات الاصطلاحية، لكن على العكس، تسببت له فى الاكتئاب. الملاحظات التى جاءته من أعلى لتخبره أنه يقوم بعمل جيد كانت لا تعنى شيئًا له، لأن من كتبوها نصف أميين؛ كل ما كانت تثبته هى أنه لا أحد فى أنوويوو كان قادرًا على تقدير مدى ذكائه. وأصبح يفهم لماذا يقوم القتلة فى المسلسلات بإرسال بعض الأشياء التى تساعد البوليس فى حل اللغز.

كانت حياته الاجتماعية – لأول مرة خلال سنوات طويلة – قد أصبحت صفرًا. لم يحدث أن انقطع فى صحراء جنسية كهذه منذ كان

فى الثامنة. وأخذت أماندا باين تومض فى الماضى مثل بحيرة ضحلة مفقودة، وقد نسى تماسيحها فى حالته هذه. لماذا تخلىَ عنها بهذه الطريقة العشوائية؟ لأنه كان يأمل فى وجود الشخصية التالية. لكن المرأة التى كانت فى المقابلة الشخصية فى أنوويوو، والتى لاحت له بعض الآمال نحوها، لم يرها مرة أخرى أبداً، والنساء الأخيرات اللائى قابلهن فى المكتب، أو فى بارات أنوويوو، كن إما قروشًا مفترسة تضع عيونها على الهدف، وعقول تافهة، أو يعانين من جوع عاطفى هائل حتى أن جيمى كان يتجنبهن كما لو كانت أى علاقة بهن لابد أن تؤدى إلى ورطة. وانحصر الأمر معه فى مغازلة النادلات، وحتى هؤلاء كن ينظرن نحوه ببرود. لقد رأين شبابًا سريعى الكلام هكذا من قبل، كن يعرفن أنه ليس لديه وضع فى المكان.

فى قهوة الشركة كان فتى جديداً، وحيداً مرة أخرى، يبدأ من جديد. اعتاد أن يأكل همبورجر الصويا فى مبنى التسوق، أو يأخذ علبة من كيزان الدجاج يأكلها وهو يعمل فى الوقت الإضافى على الكمبيوتر الخاص به. وكان يُقام حفل شواء اجتماعى فى المستوطنة كل أسبوع، حفل شامل ممل ينتظر من جميع الموظفين حضوره. كانت هذه مناسبات رهيبة بالنسبة لجيمى؛ فقد كان يفتقد الطاقة للتواصل فى الازدحام، كان قد خرج للتوّ من حالة الحمق الصبيانى؛ وأخذ يتسكع على الأطراف يقرض فى هامبورجر صويا محترق وهو يمزق فى صمت كل شخص يقع تحت ناظره. معتوهون، واهنون، تتوارد الكلمات على

خاطره: عقل غبي ووجه سمج. صبي لصق البوسترات الذي يمص إصبعه. امرأة هامشية. يبيع جدته. ثور ردىء مرتعش. غبي عقله هواء.

كانت تصله رسالة بالبريد الإلكتروني من والده من حين لآخر، بطاقة إلكترونية للتهنئة بعيد ميلاده، بعد عيد ميلاده بعدة أيام، شيء ما عليه بيجونات راقصة، كما لو كان لا يزال في الحادية عشرة من عمره. عيد ميلاد سعيد يا جيمي، أتمنى أن تتحقق كل أحلامك. وقد ترسل له روماتا رسائل وكأنها تؤدي واجبًا؛ تقول إنه لم يحظ بعد بأخ طفل، لكنهما لا يزالان "يعملان على ذلك". لم يكن يريد أن يتصور تفاصيل مثل هذا العمل المليء بتفاصيل الغباء الهورموني والجرعات الدوائية البروتينية، وطبقات الكريمات. قالت إنه إن لم يحدث شيء بشكل "طبيعي" سريعًا، ربما يجربان "شيئًا آخر" من إحدى الوكالات – محث الحمل، جتيني، اصنع طفلاً، أحد هذه الأشياء. لقد تغيرت الأشياء كثيرًا في هذا الحقل منذ جاء جيمي، (جاء جيمي، وكأنه لم يأت بالولادة في الواقع، ولكن كأنه شخص جاء للزيارة.) كانت تقوم "يبحث الأمر"، لأنهما بالطبع كانا يريدان أفضل ما يمكن تقديمه مقابل النقود التي سوف يدفعانها.

فكر جيمي، رائع. لقد قاموا ببعض المحاولات، وإذا جاء الأطفال من هذه التجارب أقل من المواصفات القياسية، فقد يعيدان تدويرهم لاستخدامهم كقطع غيار، حتى يمكن أن يتوصلا أخيرًا لشيء يناسب كل توقعاتهما – طفل يبلغ حد الكمال من كل النواحي، ليس فقط بارعًا

فى الرياضيات، ولكن أيضًا جميلاً كالفجر. ثم يحشوان هذا الطفل المعجزة الافتراضية بكل توقعاتهما المرسومة حتى ينفجر المسكين تحت الضغط. لم يكن جيمى يحسده.

(لقد كان يحسده).

كانت رومانا تدعو جيمى لقضاء الإجازات، لكنه لم يكن يرغب فى الذهاب؛ فكان يتعلل بالعمل الزائد. وقد كان ذلك حقيقة، بشكل ما، كما أنه بدأ يرى فى عمله نوعًا من التحدى، إلى أى مدى من الغضب يمكن أن يصل فى حقل اختراع تعبيرات أو ألفاظ جديدة سخيفة، ويظل يحصل على امتداحهم؟

بعد قليل حصل على ترقية. وهكذا أصبح يمكن له شراء لعب جديدة. فاشترى لنفسه جهازًا جديدًا لتشغيل أسطوانات الدى فى دى DVD، وبدلة رياضية تقوم بتنظيف نفسها أثناء الليل؛ نتيجة بكتريا تأكل العرق، وفانلة يظهر على كمها كلمة "رسالة إلكترونية" وتنغزه كلما جاءته رسالة، وحذاء يتغير لونه ليتناسب مع لون الزى، وتوستر تتكلم. حسنًا، هذه التوستر أشعرته بالصحبة، جيمى، الخبز جاهز. وغير إقامته إلى شقة أفضل.

وإذ هو الآن يصعد السلم الوظيفى، وجد امرأة، ثم أخرى، وأخرى بعد ذلك. ولم يعد يفكر فى هؤلاء النسوة كصديقات: إنهن عشيقات؛ فقد كن كلهن متزوجات أو شبه متزوجات، يبحثن عن فرصة للتسكع بعيدًا

عن أزواجهن أو شركائهن؛ ليؤكدن لأنفسهن أنهن لا زلن صغيرات، أو لا زلن مرغوبات، أو كانت بعضهن جريحات وبحاجة للسلوى. أو كن يشعرن بالتجاهل وحسب.

لم يكن هناك ما يمنعه من أن تكون له علاقة بعدة نساء من هؤلاء في الوقت نفسه، طالما أنه كان حذراً في تنظيم مواعيده. في البداية كان يستمتع بالزيارات المرتجلة، والسرية، والتدحرج البطيء على الأرض، رغم أنه سرعان ما اكتشف أنه كان مجرد شيء إضافي بالنسبة لهؤلاء العشيقات - لا يؤخذ بجدية، ولكنهن يحتفظن به كهدية مجانية لطفل وجدها وهو يفتح علبة الكورن فليكس، ملونة ومبهجة ولكن لا فائدة منها: كان مجرد إزجاء للوقت من جانبهن، كما كن بالنسبة له، رغم أنه بالنسبة لهن كانت المخاطر أكبر؛ فلو ضبطت إحداهن يمكن أن يحدث طلاق، أو انفجار لعنف غير معتاد، أو على الأقل، بعض الصُّراخ بالشتائم. وهناك شيء واحد طيب، لم يطلبن منه أبداً أن ينضج. حتى أنه ارتاب في أنهن يحببن تلك الحالة الطفولية.

لم تكن واحدة منهن تريد ترك زوجها أو الاستقرار معه، أو أن تهرب معه إلى أراضي السوقة، ولا يعني هذا أن ذلك كان ممكناً على أية حال؛ فأراضي السوقة قيل إنها أصبحت أكثر خطراً بالنسبة لهؤلاء الذين لا يعرفون طريقهم هناك، وكانت إجراءات أمن سلاح الشركة عند بوابات المستوطنة أشد إحكاماً عن ذي قبل.

جراج

إذن كان هذا هو ما تبقى من حياته. شعر بأن ذلك أشبه بحفلة دُعى إليها، لكنه لا يستطيع الوصول إلى العنوان. لابد أن شخصًا ما يستمتع بذلك، بحياته تلك، لكن فى ذلك الوقت، لم يكن هو هذا الشخص.

كان من السهل العناية بجسده دائمًا، لكن الآن عليه أن يقوم بالكثير من العمل من أجل ذلك. لو أهمل الذهاب إلى الجيمنيزيوم سوف يصبح مترهلاً فى ليلة واحدة، وهو أمر لم يكن يحدث من قبل. كان مستوى الطاقة عنه يتضاءل، وعليه أن يلاحظ معدل تناول منتجات الطاقة؛ فإن كثرة الإستيرويدات الشحمية يمكن أن تجعل قضيبك أصغر، ورغم أنه مكتوب على العلبة أن هذه المشكلة تم حلها نتيجة إضافة مركب يستحيل نطق اسمه، لكنه يعرف ما يجعله لا يصدق هذا، فهو نفسه كتب ما يكفى من الكلمات التى تكتب على هذه الأغلفة. وكان شعره يقل حول صدغيه، رغم العلاج الذى قدمته أنوويوو لإعادة نمو الشعر والذى اتبعه لمدة ستة أسابيع. كان المفروض أن يعرف أن هذا ضرب من الاحتيال - فهو بنفسه قد وضع الإعلانات عنه - لكن هذه الإعلانات كانت جيدة جدًا حتى أقنعته هو نفسه. ووجد نفسه يتساءل أى شكل يتخذه شعر كريك الآن.

كان كريك قد تخرج مبكراً، وقام بالعمل المطلوب بعد التخرج، ثم كتب بطاقته بنفسه. كان الآن فى ريجوڤين إسنس، التى اصبحت الآن أقوى مستوطنة على الإطلاق - وكانت تصعد بسرعة. فى البداية كانا يتراسلان بالبريد الإلكترونى باستمرار. وكان كريك يتحدث بشكل مبهم عن مشروع خاص يقوم به، شيء جديد تماماً ومهم جداً. وقد أعطى "كارت بلانش"، هكذا قال؛ فهو الآن يحظى بإعجاب شديد من الجميع، بالنسبة للشريحة العليا اللامعة. وينبغى أن يأتى جيمى ويزوره فى وقت ما، وسوف يأخذه فى جولة فى المكان. ثم، ماذا يفعل جيمى عنده، مرة أخرى؟

وتخطى جيمى ذلك باقتراح أن يلعبا شطرنج.

كانت أخبار جيمى التالية هى أن العم بيت مات فجأة. أصيب بفيروس ما. وأياً كان هذا الفيروس فقد تمكن منه بسرعة كما لو كان إوزة. كان ذلك أشبه بمراقبة نقطة غليان حمراء على شواء فى لحظة ذوبان سريع. وقد كان ثمة شك فى حدوث تخريب، لكن لم يتم إثبات شيء.

سأل جيمى: هل كنت هناك؟

قال كريك: إلى حد ما.

فكر جيمى ملياً فى ذلك، ثم سأل إذا كان أى شخص آخر قد أصيب بنفس الفيروس. قال كريك لا.

ويمرور الوقت كانت الفترات الفاصلة بين رسالة وأخرى تطول أكثر وأكثر، وأصبح الخيط الذى يربطهما أكثر وهنًا. فأى شىء لدى أى منهما ليقوله للآخر؟ كان عمل جيمى فى البحث فى الكلمات عملاً يحتقره كريك بكل تأكيد - وإن بدماثة - ومجهودات كريك ربما لم تعد شيئًا يفهمه جيمى تمامًا الآن. واكتشف أنه كان يفكر فى كريك كشخص كان يعرفه.

ويمرور الوقت أصبح لا يجد راحة. حتى الجنس لم يعد كما كان فى الماضى، رغم أنه كان لا يزال مدمنًا عليه كما كان دائمًا. وشعر وكأنه يتم تلقفه من يد ليد بسبب قضيبه، وكأنما باقى جسده لم يكن إلا كتلة غير منطقية تصادف أن كانت متصلة بأحد أطرافها. ربما كان الأمر باعثًا على سعادة أكبر لو استطاع أن يتسكع حوله على هواه.

فى الأمسيات التى لا تستطيع فيها إحدى عشيقاته أن تجد كذبة على زوجها أو شريكها بحيث تقضى الوقت معه، ربما يذهب لمشاهدة أحد الأفلام فى بناية التسوق؛ لمجرد أن يقنع نفسه بأنه جزء من جماعة من الناس. وقد يشاهد الأخبار: المزيد من الأوبئة، المزيد من المجاعات، المزيد من الفيضانات، المزيد من أخبار حشرة ما أو ميكروب أو انفجارات صغيرة بين الثدييات، المزيد من حالات الجفاف، وكثير من الكلام الفارغ حول حروب الجنود الأطفال فى بلاد بعيدة. لماذا يبدو كل شىء هو هو، ولا جديد؟

كانت هناك الاغتيالات السياسية العادية نفسها هناك فى أراضى السوقة، الحوادث الغريبة المعتادة نفسها ، والاختفاءات غير المفهومة نفسها. أو أن هناك فضائح جنسية؛ كانت الفضائح الجنسية دائمًا تثير اهتمام وكالات الأنباء. ولبعض الوقت كان الأمر خاصًا بالرياضيين والصبيان الصغار، ثم كانت موجة من البنات البالغات وجدن محبوسات فى جراجات. قيل إن هؤلاء البنات - كان القائلون هم الذين أغلقوا عليهن - يعملن خامات، وأنهن جيء بهن من بلادهن الأصلية الحقيرة لصلحتهن. وكان الإغلاق عليهن فى الجراج لحمايتهن، كذلك قال الرجال - رجال محترمون، محاسبون، محامون، تجار يعملون فى الأثاث الخاص بالأفنية الخارجية - والذين تم جرهم إلى ساحة القضاء للدفاع عن أنفسهم. وكثيراً ما كانت زوجاتهم يدعمن أقوالهم. قالت الزوجات إن هؤلاء البنات تم تبنيهن عمليًا، وكن يعاملن كفرد من أفراد العائلة تقريبًا. أحب جيمى هاتين الكلمتين: عمليًا، وتقريبًا.

أما البنات أنفسهن فقد روين قصصًا أخرى، لم تكن كلها قابلة للتصديق. قالت البعض إنهم كانوا يخدرونهن. وأنهن أجبروهن على أداء حركات والتواءات داعرة فاحشة فى مواقع لا يمكن تصورها، مثل محلات بيع الحيوانات الأليفة. وقد أحضروهن عبر المحيط الأطلسى فى مراكب مطاطية، وأنهم هربوهن فى سفن عملاقة، بتخبئتهن فى أكوام منتجات الصويا. وأنهن أجبرن على ارتكاب أفعال مدنسة للمقدسات وخسيسة. ومن ناحية أخرى، بعض هؤلاء البنات كان يبدو عليهن الرضا

بأوضاعهن. قالت بعضهن إن الجراجات كانت جيدة، أفضل مما كان لديهن فى بلادهن. والوجبات كانت منتظمة. والعمل لم يكن شاقًا جداً. وصحيح أنهن لا يُدفع لهن أجر، وأنهن لا يستطعن الذهاب إلى أى مكان، لكن ليس فى ذلك ما هو مختلف أو مثير للدهشة.

إحدى هؤلاء البنات - والتى وجدت مغلقًا عليها فى جراج فى سان فرنسيسكو، فى منزل صيدلى ثرى - قالت إنها معتادة على أن تكون فى الأفلام، لكنها سعيدة لأنها بيعت إلى سيدها، الذى رآها على الشبكة، وشعر بالأسف من أجلها، وأنه جاء شخصياً ليحضرها، ودفع الكثير لإنقاذها، وأخذها فى الطائرة عبر المحيط، ووعد بإرسالها إلى المدرسة بمجرد أن تتحسن لغتها الإنجليزية، ورفضت أن تقول أى شىء ضد الرجل، وبدت شخصية بسيطة، صادقة، ومخلصة. وعندما سئلت لماذا كان الجراج موصداً، قالت إن هذا من أجل ألا يدخل شخص شرير. وعندما سُئلت ماذا كانت تفعل هناك، قالت إنها كانت تذاكر الإنجليزية وتشاهد التليفزيون. وعندما سئلت عن شعورها نحو سيدها، قالت إنها ستكون دائمًا ممتنة له. وفشل الادعاء فى جعلها تهتز فى شهادتها، وخرج الرجل سالمًا حراً، رغم أنهم أمروه بإرسالها إلى المدرسة فوراً. وقالت إنها تريد أن تدرس علم نفس الأطفال.

وكان هناك تصوير مقرب لها، لوجهها الصغير اللطيف الشبيه بوجه القطة، وابتسامتها الرقيقة. وفكر جيمى أنه قد تعرف عليها. فجمد الصورة، ثم أحضر الصورة المطبوعة القديمة، تلك الصورة التى احتفظ

بها منذ كان فى الرابعة عشرة، فى كل انتقالاته، وكأنها صورة عائلية، بعيداً عن العيون، لكن فى أمان دائمًا، مخفية بين مخطوطاته من أكاديمية مارثا جراهام. قارن بين الوجهين، ولكن كان قد مر وقت طويل. تلك الفتاة، الفتاة ذات الثمانى سنوات فى الصورة القديمة، لابد أنها الآن فى السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة، أو التاسعة عشرة، أما الفتاة التى كانت على الأخبار المذاعة فكانت تبدو أصغر كثيراً. لكن النظرة كانت هى نفسها: النظرة نفسها التى تجمع بين البراءة والازدراء والفهم. وقد جعلته يشعر بالدوار، وبأنه غير قادر على حفظ توازنه، كما لو كان يقف على حافة هاوية فوق صخرة مجوفة مليئة بصخور غير ثابتة، ومن الخطورة بمكان أن ينظر إلى أسفل.

فقدان السيطرة

لم يترك سلاح الشركة جيمى يغيب عن ناظرهم أبداً. فى أثناء الوقت الذى قضاه فى مارثا جراهام كانوا يستدعونه بانتظام، أربع مرات فى السنة؛ بدعوى أنهم يريدون تبادل بعض الكلام معه. وكانوا يسألونه الأسئلة نفسها التى سألوها قبل ذلك أكثر من عشر مرات؛ ليروا فقط إن كان سيجيب الإجابات نفسها . وكانت لا أعرف هى أكثر ما استطاع جيمى أن يفكر فى أنه مدعاة للأمان، وفى معظم المرات كانت دقيقة بما يكفى.

بعد قليل لجأوا إلى إطلاعه على صور - صور ساكنة من كاميرات
طفلة فى مواقع خفية، أو صور أسود وأبيض بدت كما لو كانت
ؤذة من كاميرات الفيديو الخاصة بالأمن لدى إحدى ماكينات سحب
وال الخاصة ببنوك أراضى السوقة، أو بعض شرائط قنوات الأخبار
ا أو ذاك: مظاهرات، مشاغبات، إعدامات. كانت اللعبة هى رؤية ما
كان يتعرف على أى وجه من الوجوه، وقد يضعونه على جهاز كشف
ذب حتى إذا ادعى الجهل سوف يكتشفون الذبذبات الكهربائية
صبية التى لن يكون بإمكانه التحكم فيها. وظل ينتظر ظهور صور من
اهرة هابى كوبا فى مريلاند، تلك التى كانت أمه فيها - كان يخشى
ا - لكنها لم تظهر أبداً.

ولم يتسلم أية بطاقات بريدية أجنبية منذ وقت طويل.

وبعد أن ذهب للعمل فى أنوويوو، بدا أن رجال الشركة قد نسوه.
ن لا، لقد كانوا فقط يرخون الحبل له ؛ ليروا إن كان هو أو الجانب
خر - أى أمه - قد يحاول الاستفادة من وضعه الجديد، شعوره
يد من الحرية؛ ليحاول الاتصال مرة أخرى. بعد سنة أو نحو ذلك،
ن ذلك الطرق المألوف على الباب. كان يعرف طريقتهم دائماً لأنهم لم
تخدموا جهاز الرنين الخارجى أبداً قبل الدخول، لابد أن لديهم دائماً
ماً من البطاقات التى تسهل الدخول إلى أى مكان، فضلاً عن معرفتهم
فرة الباب. هاللو يا جيمى، كيف حالك، نريدك فقط من أجل بعض
سئلة، فهل يا ترى يمكنك مساعدتنا قليلاً هنا.

أكيد، سوف يسعدنى ذلك.

هذا هو الفتى.

وهكذا تمضى المسألة.

فى – متى؟ – خامس عام له فى أنوويوو، أخيراً ضربوا ضربة قذرة. كان ينظر إلى صورهم لساعتين. لقطات لحرب تجرى فى منطقة جبلية قاحلة عبر المحيط، مع صور مقربة لبعض المرتزقة، رجالاً ونساء، ومجموعة من العمال يضربهم الجوع فى واحدة من تلك المجاعات البشعة البعيدة، وصف من الرءوس محمولة على قوائم – قال رجال سلاح الشركة إن ذلك كان فى الأرجنتين السابقة، لكنهم لم يقولوا من أصحاب هذه الرءوس أو كيف وضعت على القوائم. كان عدد من النساء يدخلن قادمات من نقطة تفتيش سوبرماركت، وكلهن يضعن نظارات شمسية. ودستة سيدات منبطحات على الأرض بعد "كبسة" على أحد بيوت جماعة البستانيين الربانيين – وكانت هذه الجماعة تعتبر الآن خارجة على القانون – وإحداهن كانت تبدو شبيهة جداً بزميلته السابقة فى الغرفة – برنيس – المغرمة بإضرام النار. قال لهم هذا، لأنه فتى طيب، وتلقى تربيتة على ظهره، لكن من الواضح أنهم كانوا يعرفون هذا بالفعل ، لأنهم لم يهتموا كثيراً. وشعر بالأسى على برنيس؛ لقد كانت مجنونة ومزعجة، لكنها بكل تأكيد لم تكن تستحق أن تموت بهذه الطريقة.

صف من لقطات فوتوغرافية من سجن سكرامنتو. صورة لرخصة سائقين من تفجير انتحارى لسيارة. (لكن إذا كانت السيارة قد انفجرت، فكيف استطاعوا الحصول على الرخصة؟) ثلاث نادلات عاريات الأرجل من بار فى إحدى أراضى السوقة، ألقوا بهذه الصورة كنوع من التسلية، وقد سببت حركة على مونيتور جهاز قياس الأعصاب، ولو لم يحدث لكان الأمر غير طبيعى، وانطلقت الابتسامات والضحكات حوله. مشهد شغب تعرف جيمى عليه من أحد الأفلام التى أعادت تصوير قصة فرانكنشتاين. كانوا دائماً يضعون بضع صور خادعة مثل هذه ليظل فى حالة توتر.

ثم لقطات أخرى. قال جيمى: لا، لا. لا شىء.

ثم جاء ما بدا أنه إعدام روتينى. لا حركات إنقاذ على الجياد السريعة، لا هروب لأحد السجناء، لا كلمات غبية، هنا عرف جيمى قبل أن يراها أنها كانت امرأة يتم إعدامها. ثم جاءت صورة لشخصية فى ملابس سجن رمادية واسعة تمشى متثاقلة، شعرها مربوط من الخلف، ورسغاها فى الأغلال، وحارستان تسيران إلى جانبيها، والعصابة على عينيها. كان المفروض أنه إعدام بالبندقية الرش. لا داعى لإطلاق النار، بندقية رش تقوم بالمهمة، لكنهم احتفظوا بالعادات القديمة، خمسة فى صف، فلا يشعر منفذ الإعدام بأنه لا يستطيع النوم بسبب قيامه برمى رصاصته الافتراضية وتنفيذ القتل.

لم يكن يُحكم بالإعدام بالبندقية إلا فى حالة الخيانة. وإلا فهناك غرفة الغاز، أو الشنق، أو تجميد المخ. صوت رجل، كلمات تأتى من خارج اللقطة، خفض رجال الشركة الصوت ؛ لكى يستطيع جيمى أن يركز على المرئيات، لكن لابد أنه كان أمراً، لأن الحراس الآن يأخذون المرأة المعصوبة العينين لقطة عامة ثم لقطة مقربة، كانت المرأة تنظر إليه مباشرة، تنظر إليه من داخل الإطار: نظرة من عينين زرقاوين، مباشرة، متحدية، صبورة، جريحة. لكن لم تكن هناك دموع. ثم ارتفع الصوت فجأة. وداعاً. تذكر يا كيلر. أحبك. لا تخذلنى.

لا شك هناك، لقد كانت أمه. شعر جيمى بالصدمة لدى رؤيتها كم تقدمت فى السن؛ كانت بشرتها تنتشر بها الخطوط، وفمها ذابل. أكانت الحياة الصعبة التى عاشتها أثناء فترة الهرب هى السبب، هل كانت المعاملة السيئة؟ كم من الوقت قضته فى السجن تحت قبضتهم؟ ماذا فعلوا بها؟

أراد أن يصرخ : انتظروا، لكن كان هذا كل شىء، لقطة أخرى متراجعة، عُصبت عيناها بالغمامة مرة أخرى، تصويب سيئ، لون أحمر ينبثق ، لقد كادوا يقطعون رأسها. لقطة كاملة لها وهى تنهار على الأرض.

"هل هناك شىء، يا جيمى؟"

"لا. آسف. لا شىء". كيف حدست أنه سيراها؟

لابد أنهم قد التقطوا صوت ضربات القلب، دفقة الطاقة. بعد بضعة أسئلة عصبية – "هل تريد قهوة؟ هل تريد أن ترتاح؟" – وقال واحد منهم: "إذن، من هو كيلر؟"

قال جيمي: "كيلر..."، ويبدأ يضحك. "كيلر كان ظربان". ها هو قد فعلها. خيانة أخرى. لم يستطع أن يمنع نفسه.

"أليس شخصًا لطيفًا؟ هه؟ أحد راكبي الدراجات مثلاً؟"

قال جيمي وهو يضحك أكثر: "لا، أنتم لا تفهمون الأمر. إنه ظربان، راكويان، حيوان". وضع رأسه على قبضتيه، يبكي ويضحك. ما الذى جعلها تجرجر كيلر فى ذلك؟ لكى يعرف أنها هى بكل تأكيد، هذا هو السبب. لكى يصدقها. لكن ماذا كانت تعنى بعدم خذلانها؟

قال أكبر رجال السلاح سنًا: "إننى آسف لهذا يا بنى". "لقد كنا نريد أن نتأكد فقط".

لم يخطر لجيمى أن يسأل متى حدث الإعدام. وفيما بعد اكتشف أن ذلك قد يكون قبل عام. ماذا لو كان كل شىء مزيفًا؟ كان يمكن حتى أن يكون صورة ديجيتال، على الأقل الطلقات، وانبثاق الدم، والوقوع أرضًا. ربما كانت أمه لا تزال حية، ربما كانت حتى لا تزال مطلقة السراح. ولو كان الأمر كذلك، فما الذى قاله وكان خيانة لها؟

* * *

كانت الأسابيع القليلة التالية هى أسوأ ما يمكن أن يتذكره. كثير من الأشياء كانت تعود إلى ذاكرته، كثير مما فقده، أو أسوأ، ما لم يكن لديه أبداً. كل ذلك الوقت المهدر، ولم يعلم حتى كيف أهدره.

كان غاضبًا فى معظم الأيام. فى البداية كان يسعى إلى عشيقاته العديدات، لكنه كان عكر المزاج معهن، وفشل فى أن يكون مسليًّا لهن، وأسوأ من هذا، لقد فقد الرغبة فى الجنس. وتوقف عن الرد على رسائلهن الإلكترونية – هل هناك مشكلة؟ هل هو شيء فعلته؟ كيف يمكننى أن أساعد – ولم يرد على مكالماتهن، لم يكن الأمر يستحق الشرح. فى الأيام السابقة كان يمكن أن يحول وفاة أمه إلى سيكودراما، ويحصد الكثير من التعاطف، لكن هذا لم يكن ما يريده الآن.

ماذا كان يريد؟

ذهب إلى بار المستوطنة الخاص بالعزاب؛ لا بهجة هناك، كان يعرف بالفعل معظم أولئك النساء، ولم يكن بحاجة إلى حاجتهن. عاد إلى مواقع البورنو على الإنترنت، ووجد أنها فقدت زهوتها؛ كانت تكرارية، آلية، مجردة من الإغواء القديم. بحث على الإنترنت عن موقع الهوت توتس، على أمل أن شيئًا مألوفًا قد يساعده على الشعور بأنه أقل عزلة، لكنه كان ميتًا.

كان يشرب وحده الآن – فى الليل – هذه علامة سيئة. يجب ألا يفعل هذا، لم يكن له من فائدة إلا المزيد من الاكتئاب، لكنه كان عليه أن

يخفف الألم. أى ألم؟ ألم الأماكن التى اقتلعت بقسوة، الأغشية المدمرة التى ضربها بعنف فى عدم التحيز العظيم للكون. هذا الكون الذى هو فم سمكة قرش هائلة. صف بعد صف من الأسنان الحادة كالموسى.

كان يعرف أنه كان يتداعى، محاولاً الحفاظ على ثبات خطواته. كل شىء فى حياته كان مؤقتًا، غير مستقر. اللغة نفسها فقدت تماسكها؛ أصبحت نحيفة، عارضة، مراوغة، فيلم لزج يتزحلق عليه كما لو كان مقلة عين موضوعة فى طبق. مقلة عين لا تزال - رغم ذلك - قادرة على الرؤية. وكانت تلك هى المشكلة.

تذكر نفسه عندما كان خاليًا من الهموم - قبلاً - فى أيام شبابه. كان خلى البال، جامد المشاعر، يتوثب خفيف القدمين على الأسطح، يصفر فى الظلام، قادراً على النفاذ إلى أى شىء. وها هو يتحول إلى أعمى العينين. الآن يجد نفسه يجفل بعيداً. أصغر المشكلات يشعر بها كبيرة جدا - فردة شراب ضائعة، فرشاة أسنان كهربائية معطلة. حتى طلوع الشمس كان يعميه. كان جسده ملتهبًا وكأنه قد حك بورق صنفرة. "تماسك"، أخذ يقول لنفسه. "امسك نفسك، ضع ذلك خلف ظهرك. تحرك إلى الأمام. اصنع نفسك من جديد".

مثل هذه الشعارات الإيجابية. مثل هذه التعبيرات الملهمة تجعله يكاد يتقيأ. إن ما كان يريده فى الحقيقة هو الانتقام. ولكن ممن ينتقم؟

ولأى شىء؟ حتى لو كانت لديه الطاقة لينتقم، حتى لو كان يستطيع التركيز والتصويب، مثل هذا سيكون شيئًا عقيمًا، وبلا جدوى.

فى أسوأ لياليه كان ينادى الببغاء ألكس، والذى مات منذ زمن طويل قبل ذلك، ولكن لا يزال يسير ويتكلم على الشبكة، ويراقبه خلال حركاته. يقول المذيع ما لون الكرة المدورة، يا اليكس؟ رأس أليكس تميل إلى جانب واحد، يفكر الكرة المدورة؟ زرقاء. المذيع: فتى طيب! أليكس: جوزة الفلين، جوزة الفلين! المذيع: إليك ذا! ثم يعطى أليكس كوزاً صغيراً من الذرة، ولم يكن هذا هو ما يريد ألكس، فقد طلب لوزاً. كانت رؤية هذا تجلب الدموع إلى عينى جيمى.

ثم يظل ساهراً إلى وقت متأخر جداً، وبمجرد أن يدلف إلى الفراش، يحدق فى السقف، وهو يكرر قوائم الكلمات العتيقة لما كان يجده فيها من ارتياح. الحفار، فقدان القدرة على الكلام، أمراض الثدى، لغز، قناة. لو كان الببغاء ألكس ملكه، لكانا صديقين، لكانا أخوين. لعلمه كلمات كثيرة. قرع الناقوس، حرف مطبعة.

لكن الكلمات لم تعد تمنحه أى راحة. لم يكن فيها أى شىء. لم تعد تمنح جيمى بهجة امتلاك هذه المجموعات الصغيرة من الحروف التى نسى أمرها بقية البشر. كان ذلك مثل امتلاك سن من أسنان ابنه اللبنية فى صندوق.

على حافة النوم، ينبثق مشهد أمام عينيه، يتحرك من الظلال باتجاه اليسار، يمر أمام حقل رؤيته. فتيات صغيرات نحيلات لهن أيادٍ صغيرة، وشرائط في شعورهن، على رءوسهن أكاليل زهور كثيرة الألوان، وقد يكون الحقل أخضر، لكنه لم يكن مشهداً من مشاهد الرعاة، فهؤلاء الفتيات في خطر، بحاجة لمن ينقذهن. هناك شيء – خطر حاضر – يتهددهن من خلف الأشجار.

أو ربما كان الخطر يكمن فيه. ربما هو نفسه الخطر، حيوان نافذ الرائحة يحدق من الكهف الظليل للحيز الموجود داخل جمجمته.

أو ربما تكون الفتيات أنفسهن خطيرات. تلك احتمالية كانت موجودة دائمًا. ربما كُنَّ شركًا، مصيدة. كان يعرف أنهن أكبر كثيراً مما يبدو عليهن، وأقوى كثيراً أيضًا. وعلى العكس منه، كانت لديهن حكمة قاسية.

كانت الفتيات هادئات، كُنَّ حزينات وفي حالة طقوسية. كن ينظرن إليه، كن ينظرن داخله، كن يتعرفن عليه ويقبلن به، يقبلن ظلامه. ثم قد يبتسمن.

أوه، يا عزيزي، إنني أعرفك. إنني أراك، إنني أعرف ما تريد.

(١١)

بيجونات

جيمى فى مطبخ البيت الذى كانوا يعيشون فيه وهو فى الخامسة من عمره، جالس إلى المنضدة. إنه موعد الوجبة الخفيفة لمنتصف اليوم. على طبق أمامه رغيف مستدير من الخبز – وقد طلى وجهه بطبقة من زبد الفول السودانى، وابتسامة لامعة من الجيلى، وزبيب يمثل الأسنان. هذا يملؤه بالرعب. فى أى لحظة الآن سوف تدخل أمه الغرفة. لكن لا، لن تأتى، فمقعدها خالٍ. لابد أنها أعدت له الساندويتش وتركته له. لكن أين ذهبت، أين هى؟

هناك صوت خربشة، يأتى من الجدار. هناك شخص فى الجانب الآخر، يحفر فتحة ليدخل، يحاول اقتحام المكان. ينظر إلى ذلك الجزء من الجدار، تحت الساعة الجدارية ذات الطيور المختلفة كل طائر علامة على ساعة معينة. هوت هوت هوت، هذا صوت أبى الحناء. وقد فعل هذا، غيَّر الساعة – تقول البومة كاو كاو، ويقول الغراب، تشيمب تشير أب. لكن هذه الساعة لم تكن موجودة عندما كان فى

الخامسة من عمره، لقد أحضروها فيما بعد. هناك خطأ ما، الوقت خطأ، لا يستطيع أن يعرف الوقت بالضبط، الخوف يشل حركته. بدأ الجدار ينهار، ويستيقظ.

يكره هذه الأحلام. الحاضر فيه ما يكفى من السوء، دون أن يختلط به الماضى. عش فى الحاضر. لقد كتب ذلك مرة فى إحدى اليوميات لتوضع على منتج من منتجات مستحثات الجنس الخادع للنساء. لماذا تربطين جسدك إلى ساعة، يمكنك أن تكسرى أصفاد الزمن، وهكذا، وما إلى ذلك. كانت الصورة لامرأة لها أجنحة، تطير من كومة من الملابس القديمة المتغضنة القذرة، أو ربما هى بشر.

فها هى إذن، اللحظة – هذه اللحظة – اللحظة التى يفترض أنه يعيش فيها. رأسه على سطح صلب، جسده متكوم فى مقعد، فى حالة تشنج لا إرادى. يتمدد، يعوى من الألم.

ويستغرق دقيقة ليعدل من جلسته. آه، نعم، الإعصار، مبنى البوابة. كل شىء هادئ، لم تعد الريح تصرخ، لم تعد تولول. هل نحن فى اليوم نفسه بعد الظهر، أم هو الليل، أم الصباح التالى؟ هناك ضوء فى الغرفة – ضوء النهار – يأتى من النافذة الواقعة فوق الطاولة، النافذة المضادة للطلقات وجهاز التخاطب، والذى حدث ذات مرة، منذ زمن بعيد جداً، أنك وقفت أمامه لتقول ما هو عملك، وتقدم الشريحة التى وضعت وثائقك عليها بطريقة الشفرة الميكروية، وكاميرات

الفيديو التى تعمل طوال الساعات الأربع والعشرين، والصندوق المتكلم ذو الوجه المبتسم الذى سيوصلك من خلال السؤال والإجابة – كل الميكانيزم قد تم تدميره حرفيًّا. قنابل يدوية، محتمل. هناك الكثير من كسور الحجارة المتساقطة.

يستمر فى سماع صوت الخربشة: هناك شىء فى ركن الغرفة. لا يستطيع أن يحدد ماهيته فى البداية، يبدو وكأنه جمجمة. ثم يرى أنه سرطان برى، ذا صدفة دائرية بيضاء – صفراء، كبيرة مثل رأس منكمشة، وله كلابة عملاقة واحدة. وهو يعمل فى توسيع حفرة فى الحجارة المتساقطة. يسأله "أى هراء تفعل هنا؟ المفروض أن تكون بالخارج، تخرب الحدائق". ويلقى زجاجة البوربون الفارغة عليه، ولكنه يخطئ الهدف، وتتناثر الزجاجة. كان هذا فعلاً أحمق، والآن هناك زجاج مكسور. وسرطان الأرض يستدير ليواجهه، وقد رفع كلابته الكبيرة، ثم يعود إلى حفرته، النصف محفورة، ويجلس يراقبه. لابد أنه دخل هنا هربًا من الإعصار، مثلما فعل هو، والآن لا يستطيع أن يجد طريق الخروج.

يرفع نفسه من المقعد، بعد أن ينظر بحثًا عن أية ثعابين أو فئران أو أشياء أخرى لا يحب أن يدوس عليها. ثم يلقى بعقب الشمعة والكبريت فى الكيس البلاستيك، ويسير بحرص إلى الباب المؤدى إلى منطقة الاستقبال الخارجية. يشد الباب ليغلقه خلفه؛ فهو لا يريد أن يهجم السرطان عليه من الخلف.

على الباب الخارجى يتوقف ليستطلع المكان. لا أثر لحيوانات، فيما عدا ثلاثة من الغربان حطت على السور المستحكم. وهى تتبادل فيما بينها بعض الصيحات، ومن المحتمل أن يكون هو موضوعها. السماء ينتشر فيها اللون الرمادى المحمر للصباح الباكر، وتقريبًا لا توجد أية سحب. المنظر الطبيعى اختلف منذ الأمس، الألواح المعدنية أكثر تناثرًا عن ذى قبل، عدد أكبر من الأشجار المقتلعة. الأوراق والأغصان الممزقة مبعثرة فى الأرض الموحلة.

إذا بدأ رحلته الآن سوف تكون لديه فرصة جيدة للوصول إلى مبنى التسوق المركزى قبل أن ينتصف الصباح. ورغم أن بطنه تعوى، فإنه مضطر للانتظار حتى يصل إلى هناك ليتناول الإفطار. ويتمنى لو كان قد بقى لديه بعض الكاشو، لكن لم يعد لديه إلا سردين الصويا، والذى يحتفظ به كملجأ أخير.

الهواء بارد ومنعش، رائحة الأوراق الممزقة تبدو ترفيهًا بعد رائحة مبنى البوابة المليئة بالرطوبة والتحلل. يستنشق بسعادة، ثم ينطلق فى اتجاه مبنى التسوق. بعد أن يتجاوز ثلاثة مربعات سكنية، يقف؛ تظهر سبعة بيجونات فجأة من لا مكان. تحدق فيه، وآذانها موجهة ناحيته. هل هى حيوانات الأمس نفسها؟ وبينما يراقبها، بدأت تسير متمهلة فى اتجاهه.

إنهم ينوون على شىء، حسنًا. يستدير، ويتوجه نحو مبنى البوابة مرة أخرى، ويسرع فى سيره. إنها بعيدة بما يكفى لأن يجرى إذا

اضطر. ينظر من فوق كتفه: إنها تسرع الآن. يسرع، وينطلق فى خطوة هرولة. ثم يرى مجموعة أخرى من خلال مبنى البوابة أمامه، ثمانية أو تسعة تأتى ناحيته عبر أرض اللاإنسان. لقد وصلت تقريباً إلى البوابة الرئيسية، تقطع عليه الطريق فى هذا الاتجاه: يبدو الأمر وكأنها خطة مدبرة بين المجموعتين؛ وكأنما كانوا يعرفون من قبل أنه فى مبنى البوابة، وكانوا بانتظار أن يخرج، انتظروه على مسافة بعيدة بما يكفى لمحاصرته.

يصل إلى مبنى البوابة، ويدخل من الباب، ويشده الباب ليغلقه. لكنه لا يعلق بالقفل. فالقفل الكهربى لا يعمل، بالطبع.

"بالطبع!" يصرخ. سوف يستطيعون أن يرفعوا اليد، سوف يحركونها بأقدامهم الأمامية أو بأرنبة الأنف. لقد كانت البيجونات دائماً تتقن فن الهروب. ولو كان لديها أصابع لحكمت العالم. يجرى من خلال الباب التالى إلى منطقة الاستقبال، ويصفق الباب خلفه. مصراعه لا يعمل أيضاً، طبيعى. يدفع المكتب الذى كان نائماً عليه إلى الباب، وينظر من النافذة المضادة للطلقات: ها هم يأتون. لقد فتحوا الباب، وهم فى الغرفة الأولى الآن، عشرون أو ثلاثون منهم، ذكور وإناث، لكن الذكور فى المقدمة، تتزاحم للدخول، وتصيح بلهفة، تتشمم آثار أقدامه. ويراه أحدها الآن من خلال النافذة. يزداد قباعهم، والآن ينظرون كلهم إليه، إن ما يرونه هو رأسه متصلاً بما يعرفون أنه فطيرة تحتوى على لحم لذيذ بانتظار فتحها لالتهامه. أكبر اثنين منهم، ذكران، لهما أنياب حادة،

يتحركان جنبًا إلى جنب نحو الباب، ويدفعانه بأكتافهما. إنها ماهرة فى ألعاب الفريق – تلك البيجونات – ولديها الكثير من العضلات.

إذا لم يستطيعوا دفع الباب سوف ينتظرونه بالخارج. سوف يتبادلون الانتظار، بعضهم يذهب للأكل بالخارج، والبعض يراقب. ويمكنهم أن يظلوا على هذا المنوال إلى الأبد، سوف يقتلونه من الجوع. وهم يستطيعون أن يشموا رائحته بالداخل، يستطيعون أن يشموا لحمه.

يتذكر الآن أن ينظر بحثًا عن السرطان البرى، لقد اختفى. لابد أنه رجع إلى جحره. هذا هو ما يحتاجه نفسه، جحر خاص به. جحر، صدفة، بعض الكلابات.

يقول بصوت مرتفع: "وماذا بعد ذلك أيضًا؟"

يا عزيزى، لقد هزمت.

راديو

بعد فاصل من الفراغ لا يحدث فى أثنائه شىء له. يقوم سنومان من المقعد. وهو لا يذكر جلوسه فى المقعد، لكن لابد أنه فعل ذلك. شجاعته تخونه، لابد أنه فى حالة رعب حقيقى، رغم أنه لا يشعر به؛ فهو فى حالة هدوء تام. الباب يتحرك استجابة للدفع من الناحية الأخرى، لن

يمر وقت طويل قبل أن تتمكن البيجونات من اقتحام المكان. يخرج الكشاف من الكيس البلاستيك، ويضيئه، ويتجه خلفًا إلى الغرفة الداخلية حيث الشخصين داخل البدلتين الحيويتين راقدين على الأرض. يحرك الكشاف فى كل مكان حوله. هناك ثلاثة أبواب مغلقة، كان يجب أن يراها فى الليلة الماضية، لكن فى الليلة الماضية لم يكن يحاول الخروج.

بابان لا يتحركان عندما يجرب فتحهما؛ لابد أنهما موصدان بشكل ما، أو أن شيئًا ما يعوق حركتهما فى الجانب الآخر. الثالث ينفتح بسهولة. وهناك، مثل أمل مفاجئ، هناك درجات سلم. درجات شديدة الانحدار. ويخطر له أن البيجونات لها أقدام قصيرة وبطون سمينة، عكسه تمامًا.

يصعد السلالم بسرعة حتى أنه يزل ويتعثر فى ملاءته ذات الورود. ومن خلفه يأتى صوت قباع صارخ مثير، ثم انهيار عندما ينقلب المكتب.

يدخل فى مكان مضىء مستطيل الشكل. ما هذا؟ إنه برج الحراسة. طبعًا. كان يجب أن يعرف هذا. هناك برج حراسة على كل جانب من جوانب البوابة الرئيسية، وأبراج أخرى على طول الطريق حول السور المستحكم. داخل الأبراج توجد كشافات الضوء، والأجهزة الكاشفة المتصلة بكاميرات الفيديو، والميكروفونات، وأجهزة التحكم فى إغلاق البوابات، وفتحات إطلاق الغاز المسيل للدموع، والبندقيات الرش

بعيدة المدى. نعم، هنا الشاشات، هنا مفاتيح التحكم، ابحث عن الهدف، العلامة صفر على الهدف، اضغط الزر. لن تحتاج أبداً لرؤية النتائج الفعلية، الطرطشة والأزيز، ولن ترى اللحم. من المحتمل أنه أثناء فترة الفوضى أطلق الحراس النار على الناس المزدحمين هنا فى الوقت الذى كان لا يزال بمقدورهم ذلك، وعندما كان لا يزال هناك ازدحام.

لا شىء من هذه التكنولوجيا الفائقة يعمل الآن، طبعًا. ينظر بحثًا عن أدوات تعمل باليد – سيكون من الأفضل أن يتمكن من قتل البيجونات من أعلى، ولكن لا، لا شىء هناك.

إلى جوار الجدار الذى يحتوى الشاشات الميتة هناك نافذة صغيرة، يمكن له منها أن يرى – من اتجاه عين الطائر – منظر جماعة من البيجونات، الجماعة التى تقف خارج باب نقطة التفتيش. ويبدو عليهم الاسترخاء. لو كانوا رجالاً لكانوا الآن يدخنون ويشتمون. وحذراً من النظر خارجًا، يتراجع: إنه لا يريد أن يروه هنا بالأعلى.

لا يعنى ذلك أنهم لا يعرفون بالفعل. لابد أنهم فهموا الآن أنه طلع على السلالم. لكن هل يعرفون أيضًا أنه محبوس هنا؟ لأنه لا يبدو أن هناك أى مخرج من هنا.

وهو ليس مهدداً بخطر مباشر – فهم لا يستطيعون طلوع السلالم، وإلا لكانوا قد فعلوا ذلك الآن. هناك وقت للاستكشاف والتجمع. إعادة التجمع، يا لها من فكرة، فليس هناك إلا هو.

لابد أن الحراس كانوا يخطفون بعض النوم هنا، قلّب وابحث: هناك سريران نقالان فى غرفة جانبية. لا أحد فيهما، لا جثث. ربما حاول الحراس أن يخرجوا من ريجوڤين إسنس مثلهم مثل أى شخص آخر. ربما هم أيضًا كان لديهم أمل بأن يتمكنوا من الابتعاد عن العدوى.

أحد السريرين مرتب، والآخر لا. وهناك منبه ديجيتال يعمل بالصوت لا يزال يومَض بجوار السرير غير المرتب. يسأله: "كم الساعة؟"، لكنه لا يحصل على إجابة. يجب أن يعيدَ برمجته، وضبطه على صوته هو.

كان الفتية على أتم التجهيز: مراكز تسلية مزدوجة، مع الشاشات، واللاعبين، والتليفونات اليدوية موصلة بها. الملابس معلقة على مشجب، ثياب وقت الراحة ومن النوع المناسب للمناطق الحارة. وهناك منشفة مستخدمة على الأرض، وكذلك جورب. وهناك دستة من الصور المطبوعة التى يتم إنزالها من الشبكة على قطعتى الكومودينو المجاورتين للسريرين. فتاة نحيفة لا ترتدى شيئًا سوى صندل يرتفع إلى الركبة، وتقف على رأسها، شقراء تتدلى من مشجب فى السقف فى شىء يشبه الحزام الممزق المزدوج المصنوع من الجلد الأسود، على عينيها عصابة لكن فمها يرتخى مفتوحًا فى صرخة هراء من نوع اضربنى ثانية، امرأة كبيرة الحجم لها ثديين ضخمين مزروعين وأحمر شفاه أحمر رطب، تنحنى وتخرج لسانها. الأشياء القديمة نفسها.

لابد أن الرجال تركوا المكان فى عجلة. ربما كانوا هم الاثنين الموجودين بالأسفل، فى البدلتين الحيويتين. هذا هو المعقول. لا يبدو أن أحداً قد صعد إلى هنا بعد ذهابهما، أو لو كان ذلك قد حدث، لما كان هناك شىء يستحق أخذه.

فى أحد أدراج قطعتى الكومودينو توجد علبة سجائر، لم ينقص منها سوى اثنتين. يخرج سنومان واحدة – إنها رطبة، لكن الآن لو وجد نثارة الدخان الباقية فى جيب من الجيوب لدخنها – وينظر حوله بحثًا عن طريقة لإشعالها. كان معه كبريت فى الكيس البلاستيك، لكن أين هو؟ لابد أنه وقع منه على السلم وهو يندفع للصعود إلى هنا. يعود إلى السلالم، وينظر لأسفل. ها هوالكيس بالفعل، على الدرجة الرابعة من السلم. يبدأ فى النزول بحرص، وهو يمد يده. شىء ما يندفع، فيقفز بعيداً عن متناوله، ويراقب البيجون وهو ينزلق إلى الأسفل، ثم ينطلق مرة أخرى. عيناه تلمعان فى الضوء الخابى، ويشعر سنومان بأنه يبتسم ابتسامة ساخرة.

إنهم بانتظاره، ويستخدمون الكيس البلاستيك كطُعْم لاستدراجه. لابد أنهم استطاعوا أن يعرفوا أن بالكيس شيئًا سوف يحتاجه، وأنه سوف ينزل ليأخذه. حيوانات ماكرة، شديدة المكر. عندما وصل إلى الطابق الأعلى مرة أخرى كانت رجلاه ترتعشان.

خارج غرفة الراحة يوجد حمام صغير، وبه تواليت حقيقى. وهو المطلوب حالاً، فالخوف قد حرك أمعاءه. يأخذ وقته فى الحمام – وهناك

ورق تواليت أيضًا - رحمة - لا داعى لأوراق الأشجار - وقبل أن يشد السيفون يفكر أن خزان السيفون قد يكون مليئًا بالماء، وهو ماء سوف يحتاجه. يرفع الغطاء: بالفعل، كان ممتلئًا، يا لها من واحة صغيرة. الماء محمر اللون، لكن رائحته لا بأس بها، ينزل برأسه ويشرب مثل الكلب. بعد كل الأدرينالين الذى أفرزه جسده يشعر بظمأ شديد.

والآن يشعر بأنه أفضل. لا حاجة للذعر، لا حاجة للذعر بعد. فى المطبخ الصغير يجد كبريتًا ويشعل السيجارة. بعد أن شد نفسين منها يشعر ببعض الدوخة، لكنها لا تزال رائعة.

ذات مرة سأله كريك: "لو وصلت إلى التسعين من عمرك، وجاءتك الفرصة لممارسة الجنس لمرة واحدة أخيرة، لكنك تعرف أنها قد تقتلك، فهل تفعل؟"

قال جيمى: "بكل تأكيد".

قال كريك: "أنت مدمن".

يجد سنومان نفسه يهمهم وهو يذهب لفتح دواليب المطبخ. قوالب شيكولاتة، شيكولاتة حقيقية. برطمان قهوة سريعة الذوبان، وكذلك برطمان من مبيِّض القهوة، وآخر سكر. كريم جمبرى ليوضع على قطع الخبز المحمصة، صناعى، ولكن قابل للأكل.

جبنة في أنبوبة، وكذلك مايونيز. شوربة نودلز بالخضر، شوربة دجاج. قطع الخبز المحمص فى كيس بلاستيك. ومخبأ ملىء بقطع الجيلى الجالبة للطاقة. يا له من حظ سعيد.

يستجمع قواه، ثم يفتح الثلاجة، معتمداً على حقيقة أن من المستبعد احتفاظ هؤلاء الأشخاص بطعام حقيقى فيها، ومن ثم لن تكون الرائحة شديدة البشاعة. أسوأ ما يمكن هو اللحم المجمد الفاسد فى الفريزر المتوقف عن العمل؛ وقد صادف الكثير من ذلك فى الأيام الأولى من البحث فى أراضى السوقة.

لا يوجد شىء له رائحة شديدة؛ مجرد تفاحة متغضنة، وبرتقالة مغطاة بفرو رمادى، وزجاجتان من البيرة، لم تفتحا - بيرة حقيقية! والزجاجتان بنيتا اللون، بعنق سهل الفتح.

يفتح إحداهما، ويبتلع نصفها. دافئة، ولكن من يهتم؟ ثم يجلس على المنضدة ويأكل معجون الجمبرى، وقطع الخبز المحمص، والجبن والمايونيز، ويختم بملعقة ممتلئة من بودرة القهوة بعد خلطها بالمبيض والسكر. ويحتفظ بشوربة النودلز والشيكولاتة وقطع الجيلى للاستخدام فيما بعد.

فى أحد دواليب المطبخ يوجد راديو هوائى. كان يذكر عندما بدأت هذه الأشياء توزع بحرص، على أساس الاستخدام فى حالات الأعاصير أو الفيضانات أو أى شىء آخر من الممكن أن يعطل عمل الأجهزة

الإلكترونية. كان والداه لديهما واحد عندما كانا لا يزالان والديه. وكان معتاداً على اللعب به سراً. كانت له يد يتم لفها لإعادة شحن البطاريات، والتى كانت تستغرق نصف ساعة.

ويبدو هذا الجهاز غير متعطل، ومن ثم يلف هذا الشىء. وهو لا يتوقع أن يسمع شيئًا، لكن التوقعات ليست دائمًا كالأمنيات.

ضوضاء فارغة، ومزيد من الضوضاء الفارغة، وضوضاء فارغة أكثر. يحاول على موجة الإيه إم **AM**، ثم الإف إم **FM**. لا شىء. لا شىء إلا هذا الصوت، الشبيه بصوت ضوء النجوم يشق طريقه فى الفضاء الخارجى؛ ششششششششش. ثم يحاول الموجة القصيرة. يحرك المؤشر ببطء وحرص. ربما لا تزال هناك بلدان أخرى، بلدان بعيدة، تمكن أهلها من النجاة – نيوزيلاند، مدغشقر، بتاجونيا – أماكن كهذه.

لكن ما كانوا يستطيعون النجاة. أو معظمهم لن ينجو. فبمجرد أن بدأ هذا الشىء، كان ينتقل فى الهواء. الرغبة والخوف كانا فى العالم كله، بينهما لم يكن إلا حفارو القبور.

شششششش، شششششش، شششششش.

آه، حدثنى – يتضرع – قل شيئًا، قل أى شىء.

فجأة، كانت هناك إجابة. إنه صوت، صوت آدمى. ولسوء الحظ يتكلم لغة تبدو روسية.

لا يستطيع ستومان تصديق أذنيه. إذن، فهو ليس الوحيد – هناك شخص آخر قد نجا، شخص من نوعه نفسه. شخص يعرف كيف يتم تشغيل جهاز إرسال الموجات القصيرة. وإذا كان واحد قد نجا، فربما هناك آخرون. لكن هذا الشخص لن يكون مفيداً كثيراً لستومان، فهو بعيد جداً.

يا لغباء العقل! لقد نسي وظيفة الإرسال. كان ذلك ما طُلب منهم استخدامه في الطوارئ. إذا كان ثمة شخص قريب فإن الإرسال هو ما يحاول أن يجربه.

يفتح زر الإرسال. استقبال، هو ما سوف يحاوله.

ششششش.

ثم، بصوت واهن، صوت رجل: "هل هناك من يسمعني؟ هل هناك أحد؟ هل تسمعني؟ حوِّل".

يتعثر ستومان في الأزرار، كيف يمكنه الإرسال؟ لقد نسي. أين ذلك اللعين؟

يزعق: "أنا هنا! أنا هنا!"

يعود إلى زر استقبال. لا شيء.

ويأتيه خاطر آخر. هل كان ذلك استعجالاً منه؟ من أين له أن يعرف من الموجود عند الطرف الآخر؟ من الممكن أن يكون شخصاً لا

يهتم بأن يتناول الغداء معه. ولكن، يشعر بأنه يطفو، بل إنه تقريبًا مبتهج. فالاحتمالات الآن أكثر.

السور المستحكم

شعر سنومان بأنه مسلوب اللُّب - بسبب الإثارة، والطعام، والأصوات التى سمعها على الراديو - حتى أنه نسى الجرح الموجود فى قدمه. والآن الجرح يذكره بنفسه: ثمة شعور بوخز، وكأنها شوكة. يجلس أمام منضدة المطبخ، ويشد قدمه لأعلى، إلى أعلى ما يستطيع لكى يفحصها. ويبدو أن هناك شظية من زجاجة البوربون لا تزال هناك. يشد ويعصر ويتمنى لو كان لديه ملقاط، أو أظافر أطول. أخيرًا يتمكن من الإمساك بالشظية الصغيرة جداً، ويشدها. هناك ألم، ولكن لم ينزل دم كثير.

وما إن يخرج قطعة الزجاج، يغسل الجرح بقليل من البيرة، ثم يعرج إلى الحمام، ويبحث فى خزانة الأدوية. لا شىء مفيد، فيما عدا أنبوبة من كريم الحماية من الشمس - لا فائدة له بالنسبة للجروح - هناك مرهم أنتى بيوتك قد انتهى تاريخ صلاحيته، ويضعه على الجرح، وبقية من زجاجة لوسيون بعد الحلاقة، تبدو رائحتها كرائحة ليمون اصطناعى. يصب بعضها على الجرح أيضًا، فلابد أنها تحتوى على بعض الكحول. ربما يجب أن يبحث عن مطهر للحمامات أو شىء من

هذا القبيل، لكنه لا يريد أن يبالغ فى الأمر، ويشوى باطن قدمه كله. كل ما عليه فعله هو أن يعقد إصبعيه، ويتمنى حظًّا طيبًا، فقدم مصابة سوف تبطئ من حركته. ما كان يجب أن يهمل القطع كل هذا الوقت، لابد أن الأرض فى الطابق الأسفل مليئة بالجراثيم.

فى المساء يراقب غروب الشمس، من خلال الفرجة الضيقة لنافذة البرج. لابد أنها كانت رائعة عندما كانت كل شاشات الكاميرات العشر تعمل، ويمكنك أن تحصل على منظر بانورامى كامل، وتزيد من إضاءة الصورة، وتزيد من التونات الحمراء. انفخ، اجلس معتدلاً، انتقل على السحابة التاسعة. أما الآن فالشاشات تحول أعينها العمياء نحوه، ومن ثم عليه أن يستفيد من الشىء الحقيقى، مجرد شريحة منه، لون برتقالى غامق، ثم لون متوهج، ثم دم مغسول، ثم آيس كريم فراولة، حتى الجانب الذى ينبغى أن تكون فيه الشمس.

وفى الضوء الوردى المتلاشى، تبدو البيجونات المنتظرة هناك بالأسفل كأشكال بلاستيكية مرسومة بطريقة النمنمة، صور متكررة من صندوق ألعاب طفل. ويبدو لونهم به مسحة وردية كلون البراءة، كما تبدو أشياء كثيرة عن بعد. من الصعب تخيل أنهم يريدون به الشر.

ينزل الليل. يرقد على أحد السريرين فى غرفة النوم – السرير المرتب – ويفكر: حيث أرقد الآن، كان ينام رجل ميت. لم يستبق رؤية شىء. لم يكن يعلم. على عكس جيمى، الذى كانت لديه إشارات، والذى

كان يجب أن يرى ما سيحدث، لكنه لم يرَ. يفكر سنومان، لو كنت قتلت كريك قبل ذلك، فهل كان ذلك يغير من أى شىء؟

المكان شديد الحرارة وفاسد الهواء، رغم أنه استطاع أن يفتح مداخل التهوية الخاصة بالطوارئ. لا يستطيع أن يعمد إلى النوم فوراً، ومن ثم يشعل أحد القنديلين – وهو فى وعاء صفيح له غطاء، إنه من إمدادات الإعاشة فى حالات الطوارئ، من المفترض أن هذا الشىء يمكنه تسخين شوربة – ويدخن سيجارة أخرى. هذه المرة لا تجعله يشعر بدوخة شديدة. كل عادة من العادات التى تعلق بها كانت لا تزال موجودة فى جسده، ترقد نائمة كالزهور فى الصحراء. ولو توفرت لها الأحوال المناسبة، فإن كل إدماناته السابقة قد تنفجر إلى أقصى ازدهارها وترفها.

يتصفح صور الموقع الجنسى. النساء لسن من النوع الذى يعجبه – منتفخات جداً، متبدلات جداً، واضحات جدا. يضعن الكثير من الماكياج والماسكرا، ونظراتهن شبقية أكثر مما يجب، لسان أشبه بلسان البقرة. إن ما يشعر به هو الرعب، لا الشهوة.

مراجعة: شهوة مليئة بالرعب.

غمغم لنفسه: "كيف فعلت ذلك". ولم يكن هذا لأول مرة، وهو يجتمع فى عقله بغانية مستأجرة، ترتدى صديرية حريرية صينية، وكعب ارتفاعه ستة بوصات، وعلى عجيزتها رسم لتنين.

آه، يا حبيبى.

فى الغرفة الصغيرة الحارة يحلم؛ مرة أخرى، إنها أمه. لا، إنه لا يحلم بأمه أبدًا، وإنما يحلم بغيابها. هو فى المطبخ. تصرخ الرياح فى أذنه، باب يغلق. عباءتها معلقة على مشجب، بلون أحمر عميق، خالية، مخيفة.

يستيقظ وقلبه يدق. يتذكر الآن أنه بعد رحيلها ارتدى هذه العباءة. كانت رائحتها فيها، رائحة الياسمين التى كانت تضعها دائمًا. نظر إلى نفسه فى المرآة، ورأسه الصبيانية بتحديقته الباردة التى تدرب عليها فوق رقبته وتحتها هذا القماش الحريمى اللون يلفّه. كم كرهها فى تلك اللحظة. كان يكاد لا يستطيع التنفس، كانت الكراهية تكاد تخنقه، دموع الكراهية كانت تتدحرج على خديه. لكنه لف ذراعيه داخل أكمامها يحتضن نفسه مع كل هذا.

ذراعاها.

* * *

كان قد ضبط المنبه الصوتى الديچيتال على ما قبل الفجر بساعة، مخمنًا متى سيكون ذلك. قال المنبه بصوت حريمى ملىء بالإغراء: "قم وكن مشرقًا". ثم كرر: "قم وكن مشرقًا، قم وكن مشرقًا".

قال: "كفى". فتوقف المنبه.

"هل تريد موسيقى؟"

قال: "لا". لأنه رغم إغراء الرقاد فى السرير والتخاطب مع المرأة داخل المنبه – وسيكون ذلك أشبه بتبادل حوار – فإنه يجب أن يقوم بحركة اليوم. كم مضى من الوقت وهو بعيد عن الشاطئ، عن الكريكيين؟ يعد على أصابعه: اليوم الأول خرج ماشيًا إلى ريجوفين إسنس، والإعصار، اليوم الثانى، حصار البيجونات. إذن لابد أن هذا هو اليوم الثالث.

خارج النافذة يوجد ضوء رمادى. يبول فى بالوعة المطبخ، ويرش بعض الماء على وجهه من خزان الحمام. لم يكن ينبغى أن يشرب من هذا الشىء بالأمس دون غليه. يغلى ملء إناء الآن. لا يزال هناك غاز فى موقد الغاز – ويغسل قدمه، هناك حمرة خفيفة حول الجرح، لكن لا شىء يثير الهلع، ويصنع لنفسه كوبًا من القهوة سريعة الذوبان مع كثير من السكر ومبيض القهوة. ويمضغ ثلاث قطع من الجيلى بالفواكه، متلذذًا بالرائحة المألوفة لزيت الموز والطبقة الخارجية المحلاة، ويشعر بدفقة من الطاقة.

فى مكان ما فى كل ما جرى بالأمس، فقد زجاجة الماء، هى وما كان بداخلها. روث الطيور، يرقات الناموس، والدود. يملأ زجاجة بيرة من الماء المغلى، ثم يأتى بكيس غسيل مصنوع من الألياف الدقيقة من

غرفـة النوم، ويضـع فـيـه الماء، وكل السـكر الذى يمكن أن يجـده، ونصف دسـتـة "الجـيلى. ويضـع على جلده بعض الكريم المضـاد للشـمس، ويضـع الأنبوبة بما تبقى فيها فى الكيس، ويرتدى قميصـًا خفيفا بلون كاكى. هناك نظارة شـمـسـيـة أيضـًا، ومن ثم يتـخلص من نظارته القـديمة ذات العدسة الواحدة. ويختار شورتين، ولكنـهما كبيران جدًّا على وسطه، ولن يحميا ظهر رجليه، ومن ثم يتمسك بملاءته ذات الزهور، بعد أن يطويها، ويربطها فوق كتفه. ثم يعيد التفكير فيخلعها ويضعها فى حقيبة الغسيل؛ فقد تشتبك بشىء ما وهو يمر، ويمكن أن يضعها حول جسده فيما بعد. ويأخذ أسبرين وشمع بدلاً مما ضـاع منه، ويلقى فيها ست علب صغيرة من الكبريت، وسكين صـغيرة، وكابه البيسبول الأحمر التقليد الأصلى. إنه لا يريد أن يضيع منه أثناء الهروب الكبير.

هيا، ليست ثقيلة جدًّا. إلى الخروج.

يحاول كسر شـبـاك المطبخ – يمكنه أن ينزل على سور المسـتوطنة باسـتـخـدام ملاءة السـرير التى قطعـهـا إلى شرائط وبرمـهـا كـالحبل – لكن الحظ ليس مـعه هنا؛ الزجـاج ضد أى هـجـوم. والنافذة الضـيقـة التى تطـل على البـوابة لا يمكن التـفكير فـيـه، فـحـتى لو اسـتطاع أن يخـرج منها، فسوف تكون سقطة مروعة على قطيع من البيجونات تنتظره على أحر من الجمر. هناك نافذة صغيرة فى الحمام، عاليـة، لكنهـا أيضـًا ناحية البيجونات.

بعد ثلاث ساعات من العمل المؤلم، وبمساعدة – أولاً – أداة من أدوات المطبخ، نازعة السدادات اللولبية، وسكين مطبخ – وأخيراً – مطرقة ومفك يعمل بالبطارية وجده خلف دولاب الأدوات، استطاع أن يفكّ المرَوحة الموجودة فى مخرج تهوية الطوارئ ويتخلص من مكوناتها. والمخرج يؤدى إلى مدخنة، ثم هناك انحناءة إلى الجانب. يفكر أنه نحيل بما يكفى للمرور منه – فالجوع له فوائده – رغم أنه إذا انحشر داخله فسوف يموت ميتة مؤلمة وجديرة بالسخرية. قضى عليه فى مصرف هواء، شىء مضحك جداً. يربط أحد طرفى الحبل الذى صنعه من الملاءة فى أحد أرجل منضدة المطبخ، لحسن الحظ أنها مثبتة فى الأرض – ويربط الباقى حول وسطه. ويربط الحقيبة التى بها الأشياء إلى طرف حبل آخر. يضغط نفسه داخل الماسورة وهو يمسك أنفاسه، ويلف جسده، ويتلوى. من حسن حظه أنه ليس امرأة، فالمؤخرة العريضة قد تحبطه. لا مكان فارغ، لكن الآن رأسه فى الهواء الخارجى – ثم مع لفة يخرج كتفاه. إنها مسافة ثمانية أقدام نزولاً إلى السور المستحكم. سوف يضطر إلى القفز برأسه أولاً، ويتمنى أن يتمكن الحبل من تحمله.

أخيراً، دفعة، لية، واستطاع أن يخرج، وهو الآن يتدلى بانحراف. يمسك بالحبل، يوازن نفسه، يفك الطرف من على وسطه، ينزل يداً بيد، ثم يشد الحقيبة. لا مشكلة.

اللعنة، لقد نسى أن يحضر الراديو. حسناً، لا رجعة إلى الوراء.

السور باتساع ستة أقدام، وله جدار على الجانبين. وكل عشرة أقدام هناك فتحتان طوليتان، وليستا متقابلتين، ولكن متتاليتين. كانت هذه الفتحات للمراقبة، ولكنها أيضًا مفيدة لوضع أسلحة للخندق الأخير. ويرتفع السور عشرين قدمًا، وسبعة وعشرين إذا حسبنا الجدارين. ويلف حول المستوطنة كلها، وتقطعه فى فواصل أبراج الحراسة كذلك الذى غادره لتوه.

والمستوطنة على شكل مستطيل، وهناك خمس بوابات أخرى. إنه يعرف التصميم، حيث إنه درسه جيداً أيام وجوده فى الجنة، والتى هى المكان الذى يقصده الآن. يستطيع رؤية القبة ترتفع من خلال الأشجار، تلمع كقمر نصفى. كانت خطته هى أن يأتى بما يحتاجه من هناك، ثم يلف عن طريق السور - أو إذا كانت الأحوال جيدة، يمكنه أن يقطع طريقه عبر المستوطنة على مستوى الأرض - ويأخذ طريقه للخارج من إحدى البوابات الجانبية.

أشرقت الشمس تمامًا. الأفضل له أن يسرع، وإلا فسوف يُشوى. كم يحب أن يظهر للبيجونات الآن، ويسخر منها، لكنه يقاوم هذا الدافع، فسوف يتبعونه بجوار السور، ويمنعونه من النزول. ومن ثم ففى كل مرة يصل إلى إحدى فتحات المراقبة ينحنى، محاولاً أن يظل تحت خط الرؤية.

لدى وصوله إلى ثالث أبراج الحراسة يتوقف. من فوق قمة جدار السور يمكنه أن يرى شيئًا أبيض - أبيض يميل إلى الرمادى ويشبه

السحاب – لكنه فى مكان أدنى من أن يكون سحابة. كما أنه لا يأخذ شكل السحاب. إنه رفيع، كعمود متذبذب. لابد أنه قريب من شاطئ البحر، على بعد أميال قليلة شمال معسكر الكريكيين. فى البداية يظنه ضباباً، لكن الضباب لا يرتفع فى عمود طولى منفصل كهذا، كما أنه لا يتبدد. لا شك الآن، إنه دخان.

عادة يحتفظ الكريكيون بنار موقدة، لكنها لا تكون كبيرة أبداً، ولا يمكن أن تسبب دخاناً كهذا. ربما كان هذا الدخان نتيجة عاصفة الأمس، من الممكن أن تحدث نيران نتيجة صاعقة أشعلت ناراً ثم تضاءلت بسبب الأمطار لكنها بدأت تلتهب مرة أخرى. أو ربما يكون الكريكيون قد خالفوا الأوامر وخرجوا يبحثون عنه، وقد أشعلوا ناراً لإعطائه إشارة ترشده إلى المكان. هذا غير محتمل – فهم لا يفكرون بهذه الطريقة – لكن لو حدث هذا، فسوف يكون معناه أنهم خرجوا على المسار كثيراً.

يأكل نصف قطعة من الجيلى، ويبتلع بعض الماء، ويستمر سائراً على السور. وهو يعرج قليلاً الآن، ويشعر بقدمه، لكنه لا يستطيع أن يتوقف ويحاول العناية بها، يجب أن يستمر بأسرع ما يستطيع. إنه بحاجة لتلك البندقية الرش، وليس فقط من أجل الكلدييات والبيجونات. ومن حين لآخر ينظر خلف كتفيه. الدخان لا يزال هناك، عمود واحد منه، ولم ينتشر، بل يستمر فى التصاعد.

(١٢)

زحف السوقة

يعرج سنومان في مشيته على السور، نحو القبة البيضاء الزجاجية، والتي ترتد مبتعدة عنه مثل السراب. وهو يتحرك ببطء بسبب قدمه، وفي حوالي الحادية عشرة يصبح الأسمنت شديد السخونة بالنسبة له حتى أنه يسير عليه بصعوبة بالغة. يضع الملاءة على رأسه، مظللاً نفسه قدر ما يستطيع، فوق كاب البيسبول، وفوق القميص الخفيف، لكنه ظل يشعر بالحرارة الشديدة، رغم كريم الحماية من الشمس وطبقات القماش. ويشعر بالامتنان لهذه النظارة الشمسية الجديدة ذات العدستين.

ينحني جالسًا في ظل برج المراقبة التالي لينتظر مرور الظهيرة، ويشرب بعض الماء من الزجاجة. بعد مرور أسوأ فترة من الشمس الحارقة والتوهج، وبعد مرور العاصفة الرعدية اليومية، سوف يكون أمامه ثلاث ساعات. فإن سار كل شيء باعتدال، يمكن أن يكون هناك قبل الليل.

الحرارة تشتد، تنبعث من الأسمنت. وهو يسترخى فيها، يتنفسها، يشعر بالعرق يتصبب، وكأنه ديدان تسير على جسده. يرتعش جفناه وتغلق عيناه، الأفلام القديمة تتحرك وتمور داخل رأسه. يقول: "فى أى شىء لعين كان يحتاج وجودى؟ لماذا لم يتركنى فى حالى؟"

لا فائدة من التفكير فى ذلك، ليس فى هذه الحرارة، ومخه يكاد يتحول إلى جبن سايح. ليس الجبن السايح، الأفضل له أن يتفادى صور الطعام. يعجن، يلصق، منتج للشعر، على شكل كريم، فى أنبوبة. لقد استخدم هذا الشىء يومًا. يمكنه أن يتصور وضعه بالضبط على الرف، إلى جوار آلة الحلاقة، كان يحب الرفوف المرتبة. وفجأة يرى صورة صافية لنفسه، وقد أخذ حمامًا لتوه، يضع كريم الشعر على شعره المبلل بيديه. فى الجنة، وهو ينتظر أوريكس.

كان يقصد خيرًا، أو على الأقل لم يكن يقصد شرًّا. لم يكن يريد إيذاء أحد أبدًا، ليس بشكل جدّى، وليس فى الحيز الزمنى الحقيقى. التخيلات لا اعتبار لها.

إنه يوم سبت. كان جيمى راقدًا فى الفراش. كان يجد من الصعب أن يقوم من الفراش فى تلك الأيام؛ كان قد تأخر فى الذهاب إلى العمل مرتين فى الأسبوع الماضى، وإذا أضيف هذا التأخير إلى المرات التى كانت فى الأسبوع الأسبق، وتلك التى كانت فى الأسبوع الذى قبله، كان يبدو أن الأمر سيتحول إلى مشكلة له فى وقت قريب. ولا يعنى هذا أنه

كـان يخـرج ويسـرف فـى شرب الخـمـر، وإنما العكس. لقـد كـان يتـجنب الاتصـال بالبشـر. ولم يكن الموظفون الكبار فى أنوويوو قد تحدثوا معه بعد؛ ربما كانوا يعلمون ما حدث لأمه وموتها كخائنة. حسنًا، بالطبع كـانوا يعلمـون، رغم أنه كـان نوعًا من السر العـميق المفتـوح، والذى لا يُشـار إليـه أبدًا فى المسـتـوطنات - حظ سـيئ، عين شـريرة، قـد يكون مـعـديًا، والأفـضل أن تتـعـامل وكـأنك غـبى أخـرس، ومـا إلى ذلك. من المحتمل أنهم كانوا يحاولون تجاهل الأمر إلى حد ما.

كـان هناك شـىء واحـد طيب على أية حـال؛ إن مـحـو أمـه من على قوائمهم أخيرًا قد يجعل رجال السلاح يتركونه فى حاله.

"افهمها، افـهمها، افهمها"، كان منبـهه الصـوتى يقول هذا. كان لونه ورديًّا، على شكل عضـو التناسل الذكرى: منبـه ذكر، أعطتـه إياه إحدى عشيقاته، كمزحة. وكان يظن أنه أمر مضـحك وقتها، لكن هذا الصباح اكتشف أنه إهانة. هذا ما يعنيه بالنسبة لها، بالنسبة لهن جميعًا، مجرد مزحة آلية. وفكر جيمى، أوه، نعم يا سيدى. لغز بشرى آخر.

قال للمنبه: "كم الساعة؟". فخفض قمته، ثم رفعها ثانية.

"إنه الظهر. إنه الظهر. إنه الظهر. إنه....".

قال جيمى: "اخرس". سكن المنبه. كان مبرمجًا على الاستجابة إلى النبرات المزعجة.

فكر جيمى فى القيام من الفراش، والذهاب إلى المطبخ الصغير، وفتح علبة بيرة. كانت تلك فكرة جيدة. كانت عنده فى الليلة الماضية إحدى عشيقاته، الواقع أنها كانت تلك المرأة التى أهدته المنبه، وقد اقتحمت جدار الصمت الذى ضربه حول نفسه. ظهرت حوالى الساعة العاشرة، مع بعض الطعام الجاهز – ذرة وبطاطس مقلية، كانت تعرف ما يحبه – وزجاجة من الويسكى.

قالت: "إننى قلقة عليك". ما أرادته فى الواقع هو جنس مختلس سريع، ففعل قدر ما يستطيع، وتمتعت هى بوقتها، لكنه لم يكن فى حالته الطبيعية، ولابد أن هذا كان واضحًا. ثم كان عليهما أن يخوضا فى: ما الموضوع؟ هل مللتنى؟ إننى أهتم بأمرك فعلاً، ومثل هذا الكلام الفارغ.

قال جيمى ليختصر الأمر: "اتركى زوجك، هيا نهرب إلى أراضى السوقة ونعيش فى موقف مقطورات".

"أوه، لا أعتقد... أنت لا تعنى هذا بالفعل".

"ماذا لو كنت أعنى ذلك؟"

"أنت تعرف أننى أهتم بأمرك. لكنى أهتم بأمره أيضًا، و..."

"من الوسط إلى أسفل".

"معذرة؟" كانت امرأة مهذبة، قالت معذرة؟ بدلاً من أن تقول ماذا؟

"قلت من الخصر إلى أسفل. هذا هو ما يهمك فى الواقع من ناحيتى. هل تريدين أن أتهجاها لك؟"

"لا أعرف ماذا حدث لك، إنك شديد الوضاعة فى الفترة الأخيرة".

"لا متعة على الإطلاق".

"حسنًا، فى الواقع، لا".

"إذن، اغربى عن وجهى".

بعد ذلك تشاجرا، وبكت، ومن الغريب أن ذلك جعل جيمى يشعر ببعض الارتياح. بعد ذلك شربا بقية الويسكى. وبعد ذلك مارسا الجنس مرة أخرى، وهذه المرة استمتع جيمى لكن عشيقته لم تستمتع؛ لأنه كان شديد الخشونة والسرعة ولم يقل أى شىء يعتبر مديحًا لها كما اعتاد. مؤخرة عظيمة، وما إلى ذلك، وهكذا.

لم يكن ينبغى أن يكون سيئ الطبع هكذا. كانت امرأة لطيفة ولها أرداف حقيقية ومشاكل خاصة بها. كان يتساءل إن كان سوف يراها مرة أخرى. وكان الاحتمال الأغلب بالإيجاب، لأنها كانت فى عينيها تلك النظرة التى تقول أستطيع أن أعالجك، عندما غادرت.

بعد أن أخذ جيمى حمامًا خفيفًا، وكان بسبيله لإحضار البيرة من الثلاجة، سمع صوت جهاز النداء الخارجى. ها قد عادت، فور أن تذكرها. وشعر فوراً بالثقة مرة أخرى. ذهب إلى جهاز التخاطب، وقال: "اذهبى من هنا".

"أنا كريك، أنا هنا أسفل البيت".

قال جيمى: "غير معقول!" داس على الأرقام التى تظهر صورة الفيديو كاميرا الموجودة فى مدخل البيت، إنه كريك بالفعل، يشير له بإصبعه مغتاظًا ويبتسم ابتسامة عريضة.

قال كريك: "افتح لى"، وفتح له جيمى، لأنه فى هذه اللحظة كان كريك هو الشخص الوحيد الذى يريد أن يراه.

كان كريك كما هو. كان يرتدى الملابس نفسها الداكنة. ولم يكن به صلع.

قال جيمى: "أى هراء تفعل هنا؟" بعد الدفقة الأولى من السعادة، شعر بالحرج ؛ لأنه لم يرتد ثيابه بعد، ولأن شقته كانت مليئة بأتربة شديدة وأعقاب سجائر وزجاج قذر وأوعية فارغة، لكن كريك لم يبد عليه أنه يلاحظ شيئًا من ذلك.

قال كريك: "من الجميل أن أشعر بالترحاب".

قال جيمى: "آسف. لم تكن الأحوال جيدة فى الفترة الأخيرة".

"نعم، لقد رأيت هذا. والدتك. لقد أرسلت لك رسالة إلكترونية لكنك لم ترد".

قال جيمى: "لم أكن أنظر إلى بريدى الإلكترونى".

"هذا مفهوم. كان ذلك على تجميد المخ، التحريض على العنف، عضوية منظمة ممنوعة، إعاقة توزيع المنتجات التجارية، جرائم خيانة ضد المجتمع. أظن أن ذلك كان العرض الأخير لها، إلقاء أحجار أو شيء كهذا. شيء سيئ للغاية، لقد كانت سيدة لطيفة جداً".

لم تكن كلمتي سيدة، ولطيفة تنطبقان عليها من وجهة نظر جيمي، لكنه لم يكن يريد المجادلة في ذلك، ليس في هذا الوقت المبكر من اليوم. قال: "هل تريد بيرة؟"

قال كريك: "لا، شكراً. لقد جئت فقط لرؤيتك. وللاطمئنان عليك".

قال جيمي: "أنا بخير".

نظر كريك إليه. "هيا نذهب إلى أراضي السوقة، ندخل إلى بضعة بارات".

قال جيمي: "هذه مزحة، أليس كذلك؟"

"لا، حقًا. إن معي تصريحين بالمرور. تصريحي المعتاد، وواحد آخر لك".

وهذا الأمر هو ما جعل جيمي يعرف أن كريك شخصية بالفعل. وقد أثر فيه ذلك. لكن الأكثر من ذلك، لقد تأثر بأن كريك مستعد من أجله أن يخوض تلك التجربة، أن يأتي كل هذا الطريق لرؤيته. حتى رغم

أنهما لم يكونا على صلة وثيقة فى الفترة الأخيرة – وكان هذا خطأ جيمى – كان كريك لا يزال صديقه.

* * *

بعد خمس ساعات كانا يجوبان أراضى السوقة فى شمال نيويورك الجديدة. وقد استغرقا ساعتين فقط للوصول هناك – استقلا القطار السريع إلى أقرب مستوطنة، ثم سيارة رسمية خاصة بالسلاح يقودها سائق مسلح، عينه له الشخص الذى يمنح كريك الدعوة. أخذتهما السيارة إلى قلب ما كان يسميه كريك المعركة، وأنزلتهما هناك. وقال كريك إنهما سوف يتم تغطيتهما على أية حال، سوف تكون هناك حماية لهما، ومن ثم لن يلقيا أى إيذاء.

قبل الانطلاق، أدخل كريك إبرة فى ذراع جيمى – حقنة تحتوى فاكسين قصير المدى مضاد لكل الأشياء هو الذى أعده بنفسه. قال إن أراضى السوقة كانت طبق ميكروبات عملاق؛ كثير من الميكروبات والفيروسات المعدية تنتشر هناك بشدة. ولو كنت قد تربيت محاطًا بها فربما تكون محصنًا إلى حد ما، إلا إذا ظهر شكل حيوى جديد يستطيع الاختراق، لكن إذا كنت من المستوطنات، ووضعت قدمًا فى السوقة، ستكون فرصة احتفالية للميكروبات. وكأنك وضعت على رأسك لافتة كبيرة تقول: أنا طعام لكم.

وكان مع كريك أغطية مخروطية للأنف أيضًا – آخر موديل – لفلترة الميكروبات، لكن أيضًا لمنع الجزيئات الدقيقة. قال إن الهواء أسوأ فى أراضى السوقة؛ فكثير من البقايا تهب مع الريح، وأبراج تطهير الهواء أقل عدداً وأكثر تباعداً.

لم يكن جيمى قد ذهب إلى أراضى السوقة من قبل، لكنه نظر إليها فقط من فوق السور. وكان شديد الانفعال لأنه أخيراً هناك، رغم أنه لم يكن مستعداً لكل هذا العدد من الناس قريبين من بعضهم البعض إلى هذه الدرجة، يسيرون، يتكلمون، يسرعون كل إلى مكان ما. كان البصق على الأرض ملمحًا يستطيع هو شخصيًّا أن يتغاضى عنه. أهالى السوقة الأغنياء فى سيارات فارهة، والفقراء على دراجات تسير بالطاقة الشمسية، العاهرات فى ثياب لامعة تلتصق بأجسادهن، أو فى شورتات قصيرة للغاية، أو على دراجات نارية – بطريقة رياضية، لإظهار أردافهن المتينة – يتحركن فى سبل متعرجة خلال المرور. كل ألوان البشرة، كل المقاسات. قال كريك ولكن ليس كل الأسعار، كانت هذه هى أرخصها. ومن ثم يستطيع جيمى أن يتفرج، لكن لا يجب أن يشترى. وإنما ينبغى أن يوفر النقود لما بعد.

لم يكن سكان أراضى السوقة يبدون بتلك المشاكل العقلية التى كان أهالى المستوطنات مغرمين بوصفها، أو لم يكن معظمهم كذلك. بعد قليل بدأ جيمى يسترخى، ويستمتع بالتجربة. كان هناك الكثير مما يمكن رؤيته – كثير من الباعة المتجولين الذين ينادون على بضاعتهم،

كثير من المعروضات. شعارات مضيئة بأنوار النيون، لوحات إعلانات، الإعلانات فى كل مكان. وكان هناك متشردون حقيقيون، ونساء شحاذات حقيقيات، مثلما فى الأفلام الغنائية على أسطوانات الدى فى دى "DVD" القديمة، ظل جيمى يتوقع أن يتعارك بعض السكيرين منهم، أو ينفجروا فى الغناء. كان هناك موسيقيون حقيقيون على أركان الشارع، وفرق عزف حقيقية من أولاد الشوارع. وهناك لا تماثل، وتشوهات جسدية: الوجوه صرخة بعيدة تمامًا عما فى المستوطنات من انتظام. حتى أن هناك بعض الأسنان السيئة. كان يحدق حوله فى بلاهة.

قال كريك: "احرص على محفظتك، ولا يعنى ذلك أنك ستحتاج للنقود".

"ولم لا؟"

قال كريك: "هذه دعوتى لك".

"لا يمكن أن أتركك تفعل ذلك".

"سيكون الدور عليك فى المرة القادمة"

قال جيمى: "حسنًا، هذا عدل".

"ها نحن هنا – هذا ما يسمونه شارع الأحلام".

كانت المحلات هنا تقدم منتجات كاملة أو نصف كاملة، كما يوضح العرض. يوم البلوجينز؟ قرأ جيمى. جرب القص والإصلاح! هنا يتم

إزالة الأمراض. "لماذا تكون قصيراً؟ يمكنك أن تصبح عملاقًا! أحلام صغيرة. عالج انحناء جسدك. شركة ملء مهد الطفل ليمتد. صغير صغير؟ الطويل هو الطويل!

قال كريك: "إذن هذا هو المكان الذى تتحول فيه منتجاتنا إلى ذهب".

"منتجاتنا؟"

"ما نقوم بعمله فى ريجوفين. نحن، والمستوطنات الأخرى الموجهة إلى الجسد".

"هل كل شىء يأتى بنتيجة؟" لقد تأثر جيمى، ليس بالوعود كما بالشعارات، عقول كهذه قد تخطت هذا الطريق. واختفت حالة الاكتئاب التى كانت تتملكه فى الصباح، كان يشعر الآن بابتهاج كبير. كانت أشياء كثيرة تلوح له، معلومات كثيرة، وقد ملأت كل رأسه.

قال كريك: "كثير منها. بالطبع، ليس ثمة شىء كامل كمالاً مطلقًا. لكن المنافسة ضارية، خاصة ما يفعله الروس، واليابانيون، والألمان، بالطبع. والسويديون. لكننا لدينا منتجاتنا الخاصة، ولدينا سمعة جيدة بأن منتجاتنا يعتمد عليها. الناس يأتون هنا من جميع أنحاء العالم - ليشتروا. تكيف النوع الجنسى، الطول، لون البشرة والعينين - كل هذا يمكن طلبه، ويمكن عمله وكذلك الرجوع فيه. ليس لديك فكرة كم قدر النقود التى تنتقل بين الأيدى فى هذا الشارع وحده".

قال جيمى: "هيا نتناول مشروبًا". كان يفكر فى أخيه المفترض، ذلك الذى لم يكن قد ولد بعد. أكان هذا هو المكان الذى ذهب أبوه وروماتا للتسوق فيه؟

تناولا مشروبًا، ثم تناولا بعض الطعام - قال كريك هذا محار حقيقى، ولحم يابانى حقيقى، نادر كالألماس. لابد أنه كلف ثروة. ثم ذهبا إلى بضعة أماكن أخرى، وانتهيا فى أحد البارات يقدم عرضًا للجنس الفمى على أرجوحة البهلوان، وشرب جيمى شيئًا برتقالى اللون يلمع فى الظلام، ثم شرب الشىء نفسه مرتين أخريين. بعد ذلك كان يقص على كريك قصة حياته - لا، قصة حياة والدته - فى عبارة واحدة طويلة مشوشة، كخيط من اللبان الممطوط خرج لتوه من فمه. ثم كانا فى مكان آخر، على سرير من الساتان الأخضر لا نهاية له، تتعامل معهما فتاتان قد غطيتا من قمة الرأس إلى أخمص القدم بزينة معدنية لامعة ملتصقة ببشرتهما وتومض كقشور سمكة افتراضية. لم يعرف جيمى أبدًا فتاة يمكنها أن تتلوى وتتموج إلى هذه الدرجة.

أكان هناك، أم فى أحد البارات قبل ذلك، عندما جاء ذكر موضوع الوظيفة؟ فى الصباح التالى لم يستطع أن يتذكر، قال كريك، عمل، أنت، ريجوڤين، وقال جيمى، أى عمل؟ أنظف التواليتات؟ وضحك كريك وقال: بل أفضل من هذا. لم يستطع جيمى أن يتذكر أنه قال نعم، لكن لابد أنه فعل. فقد كان سيقبل بأى عمل، أيًا كان. كان يريد أن ينتقل، يغير المكان. كان مستعدًا لفصل كامل جديد فى حياته.

بليس بلاس

في يوم الاثنين التالي لقضائه عطلة الأسبوع مع كريك، ذهب جيمى إلى أنووييوو ليوم آخر من أيام المتاجرة بالكلمات. كان يشعر بأنه في حالة تشتت كامل، لكنه كان يأمل ألا يبدو ذلك عليه. ورغم أن أنووييوو كانت تشجع كل أنواع التجارب الكيميائية لزبائنها الذين يدفعون، فإنها كانت تعبس لأى شىء مشابه بين موظفيها. وفكر جيمى أنها اكتشفت، فى الأيام القديمة، أن بائعى الخمور نادراً ما يكونون سكارى. أو هذا ما قرأه فى مكان ما.

قبل أن يذهب إلى مكتبه دخل إلى الحمام، ونظر إلى نفسه فى المرآة: كان يبدو مثل قىء البيتزا. بالإضافة إلى أنه كان متأخراً، ولكن لأول مرة لم يلحظ أحد. وفجأة وجد رئيسه أمامه، وبعض الموظفين الكبار الآخرين الذين لم يرهم جيمى قبل ذلك أبداً. كانوا يصافحونه بحرارة، ويربتون برقة على ظهره، ودسوا فى يده كوباً من الشمبانيا. طرأت على ذهنه فقاعة كلمات آه، رائع! شعر الكلب! جلو جلو جلو، لكنه احترس وأخذ مجرد رشفة صغيرة.

ثم قيل له كم كانت سعادتهم بوجوده معهم فى أنووييوو، وكم أنه أثبت جدارته وأنه مكسب، وكم هى الأمنيات الحارة التى ستصحبه حيث سيذهب، وبالمناسبة، ألف ألف مبروك! سوف يتم إيداع مكافأة نهاية خدمته على الفور فى حسابه فى بنك الشركات. وسوف تكون مكافأة

سخية، أكثر سخاء مما يُستحق له فى فترة عمله؛ لأنه، فلنكن صرحاء، يريد أصدقاؤه فى أنووييوو أن يتذكرهم بأسلوب إيجابى فى موقعه الرائع الجديد.

فكر جيمى، وهو يجلس فى القطار السريع، فليكن ما يكون. تم إعداد رحلة القطار له، وكذلك الانتقال، سيصل فريق، وسيقومون بحزم كل أشيائه، وهم متخصصون، فليس عليه أن يخشى شيئًا . لم يكن لديه أى وقت للاتصال بعشيقاته العديدات، وعندما اتصل بهن اكتشف أن كل واحدة منهن قد تم إخبارها بالفعل بشكل حكيم عن طريق كريك شخصيًّا، ويبدو أنه كانت له مجساته الخاصة الواسعة المدى. كيف عرف علاقته بهؤلاء؟ ربما كان يختلس الدخول إلى بريده الإلكترونى، وهو أمر سهل بالنسبة له. لكن لماذا يتجشم هذه المشقة؟

سأفتقدك يا جيمىّ، جاء ذلك فى رسالة إلكترونية من إحداهن.

أوه يا جيمى، لقد كنت مرحًا جدًّا .

"كنت"، كانت كلمة غير مقصودة. ولم تكن وكأنه مات أو شىء من هذا القبيل.

قضى جيمى ليلته الأولى فى ريجوڤين إسنس فى فندق الضيوف المهمين جداً. صب لنفسه مشروبًا من البار الصغير، ويسكى صرف، حقيقى كما أُنزل، ثم قضى هنيهة ينظر من النافذة الأنيقة إلى المنظر، ولم يكن ذلك يعنى أنه يستطيع رؤية شىء فيما عدا الأضواء.

كـان يسـتطيع رؤية قـبـة "الجنة"، نصـف دائرة هـائلة فـى المسـاحـة، يغـمـرها الضـوء من أسـفـل، لكـنه لم يعـرف مـا هـى بعـد. فكـر أنهـا كـانت سـاحـة تزلج.

فى الصبـاح التـالى أخذه كريك فى جولة أولية لمستوطنة ريجوفين إسنس، فى سيارة الجولف الكهربائية الخاصة به. واضطر جيمى لأن يعترف أنها كـانت رائعة بكل المقـاييس؛ كل شىء كان يلمع بالنظافة، المنظـر الطبيـعى يحتفظ بنقـائه البيئى الأصيل، وباهظ التكلفة. كـان الهـواء خـاليًـا من الجزيئات، نتـيجـة أبراج التنقيـة التى تدار بالطاقـة الشمسية، والموضوعة بعناية وتم تمويهها كنوع من الفن الحديث. كانت المنظمـات الصـخرية تعنى بالمناخ المحلى، فـراشـات كـبيـرة كالأطبـاق تتهادى بين الشجيرات ذات الألوان الزاهية. لقد جعلت كل المستوطنات الأخرى التى سبق أن رآها جيمى، ومن ضـمنهـا مـسـتوطنة واطسـون كرك، تبدو متخلفة وبالية.

وسأل كـريك: "من يدفـع ثمن كل هذا؟"، وهمـا يمران بمبنى تسـوق وسـائل الترف الفنية – الرخام فى كل مكان، أعـمـدة، مقـاهى، نباتات السرخس، كبائن بيع ما يمكن اصطحابه للبيت، طريق للتزلج على أحذية العجلات، بارات عصائر، جيمنيزيوم لاكتساب الطاقة حيث الجرى على الدواسـة تمد لمبات الإضـاءة بالكهرباء، ونافورات على الطراز الرومـانى بالحوريات وآلهة البحر.

قال كريك: "الحزن فى مواجهة موت محتوم. الرغبة فى إيقاف الزمن. الحالة الإنسانية".

قال جيمى : إنها إجابة لا تعطى معلومات كثيرة.

قال كريك: "سوف ترى".

تناولا الغداء فى أحد مطاعم المستوطنة من ذات النجوم الخمسة، فى شرفة مقلدة، مكيفة الهواء، تشرف على الصوبة الرئيسية التى تزرع فيها النباتات الحيوية للمستوطنة. وطلب كريك حمل الكنجا، وهو تهجينة وراثية أسترالية جديدة، يجمع بين الشخصية الهادئة ونسبة البروتين العالية للخروف، ومقاومة الكنجارو للأمراض، وغير منتج للميثان، ذلك الغاز المدمر لطبقة الأوزون. وطلب جيمى ديكًا محشوًّا بالزبيب – أكد كريك أنه كان ديكًا حقيقيًّا، ومحشوًّا بزبيب حقيقى مجفف فى الشمس. وكان جيمى الآن قد أصبح معتادًا على كيزان الدجاج، ولحمها المتماسك الشبيه بنسيج الحلوى الدبقة، وطعمها المستساغ، حتى أن الديك بدا طعمه غريبًا جدًّا.

قال كريك: "الوحدات التى أعمل عليها اسمها 'الجنة'، وهما يتناولان الحلوى من الموز بصلصة الصويا المتوهجة. "إن ما نعمل عليه هو الخلود".

قال جيمى: "الجميع يعملون على ذلك. وقد فعلوا ما يشبه ذلك فى الفئران".

قال كريك: "ما يشبه ذلك مسألة حاسمة".

قال جيمى: "ماذا عن الأشخاص الكريوجينيين؟ جمِّد رأسك، واجعل جسدك يعاد تشكيله بمجرد أن تعرف الطريقة، إنهم يقومون بعمل ممتاز، وأسهمهم مرتفعة".

"مؤكد، وبعد عامين يلقون بك إلى الخارج من الباب الخلفى ويقولون لأقاربك إن فشلاً حدث فى الطاقة الكهربية. على أى حال إننا نقضى على التجميد العميق".

"ماذا تعنى؟"

قال كريك: "معنا، لن تضطر إلى الموت أولاً".

"هل فعلتم هذا بالفعل؟"

قال كريك: "ليس بعد، لكن فكر فى ميزانية البحث والتطوير"

"ملايين؟"

قال كريك: "ميجا – ملايين".

قال جيمى: "هل يمكن أن أتناول مشروباً آخر". وكان هذا كثيراً.

"لا، أريدك أن تسمع".

"أستطيع أن أستمع وأشرب أيضاً".

"لن تستمع جيداً".

قال جيمى: "جربنى".

قال كريك : إنه داخل باراديس - وقد زارا المكان بعد الغداء - كان هناك مسعيان رئيسيان. الأول - أقراص السعادة المضاعفة (بليس بلاس) - وهى عقار واقٍ بطبيعته، والمنطق الذى يعمل به بسيط: القضاء على الأسباب الخارجية للموت، وسوف تكون قد قطعت نصف الطريق.

قال جيمى: "الأسباب الخارجية؟"

"الحرب، والتى هى فى الواقع طاقة جنسية وضعت فى غير موضعها، والتى تعدُّها عاملاً أكبر من الاقتصاد، والتى تقوم عادة لأسباب عنصرية ودينية. الأمراض المعدية، خاصة الأمراض التى يتم نقلها عن طريق الجنس. الانفجار السكانى، والذى يؤدى - كما رأينا - إلى تدهور البيئة وسوء التغذية".

قال جيمى : إن هذا يبدو كأمر يطول شرحه ؛ كثير من التجارب أجريت فى تلك المناطق، وكثير منها فشل. ابتسم كريك. وقال: "لو لم تنجح أول مرة، اقرأ التعليمات".

"بمعنى؟"

"أفضل دراسة للجنس البشرى هى الإنسان".

"بمعنى؟"

"يجب أن تعمل بما هو موجود أمامك".

كان قرص بليس بلاس مصممًا على أن تكون له مجموعة من المعطيات، وبالتحديد طبيعة الطبيعة البشرية، ويحرك هذه المعطيات فى عدد من الاتجاهات الأكثر فائدة من تلك التى اتبعت من قبل. وهذا مؤسس على دراسات لشمبانزى البونوبو أو الشمبانزى القزم الذى انقرض الآن بكل أسف، وهو أحد الأقارب القريبين من الهومو سابينس سابينس. وعلى عكس الأنواع الأخيرة، لم يكن البونوبو أحادى الزواج جزئيًّا مع اتجاه لتعدد الزوجات والأزواج. وبالعكس، كان لا يلجأ إلى التمييز بين الأزواج والزوجات، لم يكن يرتبط زواجيًّا، وكان يقضى معظم أوقات اليقظة من حياته - فى غير أوقات تناول الطعام - مشغولاً بعمليات الجماع. وكان دَفع العدوان بين الجماعة ضعيف جداً. وهو ما أدى إلى فكرة قرص بليس بلاس. والهدف هو إنتاج حبة واحدة، يمكنها، فى وقت واحد، وفى الوقت نفسه:

(أ) أن تحمى المستخدم ضد كل أنواع الأمراض التى تنتقل جنسيًّا، سواء كانت قاتلة، أو متعبة، أو مجرد غير لطيفة.

(ب) أن تقدم ذخيرة لا حدود لها من الشهوة والقدرة الجنسية، مقترنة بإحساس عام بالطاقة والرفاهية، ومن ثم تقلل الإحباط وتمنع إفراز التستوستيرون الذى يؤدى إلى الغيرة والعنف، وتمنع الأحاسيس التى تقلل من تقدير الذات.

(ج) أن تطيل الشباب.

قال كريك : إن هذه المزايا الثلاث ستكون هى أهداف البيع، لكن ستكون هناك مزية رابعة، لن يتم الإعلان عنها؛ فأقراص بليس بلاس سوف تقوم أيضًا بالتحكم فى إنجاب مؤكد لمرة واحدة للجميع، للذكر وللأنثى معًا، ومن ثم سوف يقلل من تعداد السكان بشكل آلى. وهذه الخاصية يمكن الرجوع عنها - رغم أن ذلك لن يحدث فى أفراد بأعينهم، بتغيير مكونات الحبة حسب الحاجة، مثلاً إذا كانت منطقة ما يقل تعدادها أكثر من اللازم.

"إذن فأساسًا ستقوم بتعقيم الناس دون أن يعلموا ذلك تحت مظهر أنك تعطيهم الجرعة الكبيرة من النشوة".

قال كريك: "هذه طريقة خشنة للتعبير عن الموضوع".

قال إن مثل هذا القرص سوف يوفر فوائد واسعة المدى، ليس فقط بالنسبة للمستخدمين الأفراد - رغم أنه يجب أن يعجب هؤلاء وإلا سيكون فشلاً ذريعًا فى السوق - ولكن على المجتمع ككل، وليس فقط على المجتمع، وإنما على الكوكب كله. والمستثمرون متحمسون له جداً، سوف يصبح عالميًّا. فالمسألة كلها فى ارتفاع، وليس لها أى جانب قابل للانخفاض على الإطلاق. كان كريك شديد الحماس لهذا الموضوع.

قال جيمى: "لم أكن أعلم أنك محب للغير هكذا". منذ متى كان كريك رائداً هتافًا للجنس البشرى؟

قال كريك: "ليس الأمر هو حب الغير بالضبط، إنه أكثر شبهًا بالقول السائر: اسبح مع التيار أو الغرق. لقد رأيت آخر تقارير السكان السرية الخاصة بالشركات. نحن جنس بشرى نواجه بلية كبرى، أسوأ مما يقول أى شخص. إنهم يخشون الإفراج عن الأرقام خشية أن يشعر الناس باليأس، لكن خذها منى، إننا على وشك أن نفقد أى حيز ممكن. لقد تجاوز الطلب على المصادر ما هو متاح منها منذ عقود فى المناطق الجغرافية الهامشية، ومن ثم تحدث المجاعات والجفاف؛ لكن سريعًا جداً، سيتجاوز الطلب على المصادر المتاح منها للجميع. ولكن مع حبة بليس بلاس، سوف يكون للجنس البشرى فرصة أفضل للبقاء".

"كيف تعرف ذلك؟" ربما كان يجب ألا يتناول جيمى هذا المشروب الأخير. فقد كان قد بدأ يشعر بالتشتت.

"عندما يكون الناس أقل عدداً، فسوف يكون نصيب الفرد أكبر".

قال جيمى: "وماذا لو كان الناس الأقل عدداً شديدى الجشع ومبددين؟ هذه مسألة ممكنة"

قال كريك: "لن يحدث ذلك".

قال جيمى: "هل هذا الشىء لديك الآن بالفعل؟" كان قد بدأ ينظر إلى الاحتمالات. جنس على أعلى مستوى وبلا نهاية، ولا عواقب. وبمجرد تفكيره فى ذلك، شعر بأن شهوته الجنسية يمكن أن تزداد.. "هل

هذه الحبة تساعد الشعر على أن ينمو؟" كاد يسأل من أين يمكنني أن أحصل على بعضها، لكنه أوقف نفسه في الوقت المناسب.

قال كريك إنها فكرة رائعة، لكنها لا تزال بحاجة إلى بعض التعديلات؛ لم يستطيعوا أن يأخذوا منها نتائج بلا أعراض جانبية بعد، وليس في كل الجبهات؛ لا زالت في مرحلة التجربة الإكلينيكية. فاثنين ممن تجرى التجارب عليهم قد لجآ إلى ممارسة الجنس مع أنفسهما - حرفيًّا - حتى الموت، وعدد آخر اغتصبوا سيدات عجائز وبعض الحيوانات المنزلية، وكانت هناك حالات سيئة الحظ من انفجار الأعضاء التناسلية. وكذلك، في البداية، فشلت آلية الحماية ضد الأمراض الجنسية المعدية بطريقة ملفتة للنظر . وواحدة ممن يتم التجربة عليهم نما لها عضو تناسلي ضخم على كل بشرتها، كريه المنظر للغاية، لكنهم عالجوا ذلك بالليزر والتقشير الجلدي، على الأقل مؤقتًا. باختصار، كانت ثمة أخطاء، واتخذت مسارات مضللة، لكنهم قريبون جداً من التوصل إلى حل.

واستمر كريك قائلاً إنه غني عن القول أن الشيء سيكون جالبًا لأموال هائلة. ويمكن أن يكون هذا القرص هو القرص الذي سيأخذه الأغلبية - في كل بلد - في كل مجتمع في هذا العالم. ومن الطبيعي أن الديانات الغريبة لن تحب هذا؛ نظراً لحقيقة أن مبرر وجودها قائم على البؤس والتعاسة، وإرجاء الإشباع إلى مدى لا نهاية له، والإحباط الجنسي، لكنهم لن يستطيعوا الصمود طويلاً. فالمد الذي تقوده الرغبة

الإنسانية - الرغبة لما هو أكثر وأفضل - سوف تهزمهم. سوف تحكم الأحداث وتقودها، كما حدث فى كل تغيير كبير فى التاريخ.

قال جيمى إن هذا الشىء يبدو مثيراً للاهتمام جداً. ولكن بشرط أن يمكن علاج عيوبه. والاسم جيد أيضًا، - بليس بلاس. اسم له صوت هامس ومغوٍ. أحب الاسم. لكنه لم يكن يرغب فى تجربته بنفسه، فلديه ما يكفى من المتاعب دون أن ينفجر عضوه التناسلى.

قال: "من أين تأتى بالناس؟ أولئك الذين يخضعون للتجارب الإكلينيكية؟"

ابتسم كريك. "من البلاد الفقيرة. ادفع لهم بضع دولارات، إنهم حتى لا يعرفون ما يأخذونه، ومن العيادات الجنسية - بالطبع - ويساعدون بكل سرور. وبيوت الدعارة، والسجون، ومن طبقات اليائسين، كالعادة".

"وأين تضعنى فى كل هذا؟"

قال كريك: "أنت ستقوم بحملة الدعاية".

آدم المجنون

كانت مجموعة مبانى القبة فى الجانب الواقع إلى أقصى يمين مستوطنة ريجوف. وكان يحيط بها حديقتها الخاصة، منطقة مكيفة

المناخ كثيفة بالنباتات الاستوائية المهندسة وراثيًّا، وفوقها ترتفع هذه القبة كمقلة عين عمياء. وكانت هناك منشأة أمنية تحيط بالحديقة، قال كريك إنها محكمة تمامًا؛ حتى رجال الشركات لم يكن يسمح لهم بالدخول. كانت الجنة هى فكرته، وقد جعل ذلك شرطًا عندما وافق على تنفيذها؛ فلم يكن يريد عدداً كبيراً من المجهولين المتسمين بالخرق يدسون أنوفهم فى أشياء لا يفهمونها.

كان تصريح المرور الخاص بكريك مفيداً لكليهما، بالطبع. وتدحرجا داخلين من خلال البوابة الأولى، وعبرا طريقًا يمر بين الأشجار. ثم كانت نقطة تفتيش أخرى، عليها حراس - وأوضح كريك أنهم يرتدون الزى الخاص بالجنة، وليس زى سلاح الشركات - وبدا هذا الزى وكأنه مستمد من الشجيرات. ثم مرا عبر أشجار أخرى. ثم الجدار المنحنى للقبة نفسها. قال كريك إنه قد يبدو رقيقًا، لكنه مصنوع من خليط جديد يمتزج فيه صمغ نوع من الرخويات هو بلح البحر، والسيليكون، فى تشكيل أشبه بتفرعات الخلايا العصبية، شديد المقاومة للغاية. فلكى تستطيع إحداث قطع فيه ينبغى أن تكون لديك أداة متقدمة جداً، كما أنه يمكن أن يعيد تشكيل نفسه حسب الضغط، ويصلح أية خدوش بشكل أتوماتيكى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن لديه القدرة على الفلترة والتنفس، مثل غشاء البيضة، رغم أنه يتطلب تياراً كهربائيًّا من مصدر توليد شمسى للقيام بذلك.

تركا عربة الجولف لأحد الحراس، ودخلا باستخدام الشفرة من الباب الخارجى للقبة، والذى أغلق خلفهما بصوت كصوت دفقة هواء.

قال جيمى بعصبية: "لماذا أصدر الباب هذا الصوت؟"

قال كريك: "إن له مصراع هوائى، محبس هوائى كما فى سفن الفضاء".

"وما فائدته؟"

قال كريك: "فى حالة ما إذا احتاج هذا المكان إلى الإغلاق التام، خشية هجوم من أنماط حيوية، أو سموم، أو مجانين... العادى!"

فى هذا الوقت كان جيمى قد بدأ يشعر ببعض الغرابة. لم يخبره كريك ما هى حقيقة ما يجرى هنا، ليس بتفاصيل دقيقة. كل ما قاله هو: "انتظر وسوف ترى".

بمجرد أن عبرا الباب الداخلى كانا داخل مجموعة سكنية مألوفة الشكل. صالات، أبواب، موظفون على لوحات ديجيتال، وآخرون منكبون أمام الشاشات؛ كان المكان أشبه بمزارع أورجانيك، كانت تشبه هيلثوايزر، كانت مثل واطسون كرك، لكنها تبدو أحدث فقط. وقال كريك إن النباتات العضوية كانت مجرد طبقة خارجية، ما يهم حقيقة فى منشأة خاصة بالأبحاث هو نوعية العقول.

وقال وهو يومئ يسارًا ويمينًا "هؤلاء هم القمة". وفى المقابل كانت هناك كثير من الابتسامات المجاملة، و – لم يكن هذا مزيفًا – كثير من

الرهبة. لم يكن جيمى على معرفة تامة أبدًا بمكانة كريك بالضبطً، لكن أيًا كان لقبه الاسمى - وكان غامضًا فى ذلك - فقد كان من الواضح أنه أكبر نملة فى تل النمل.

كان كل موظف يحمل لافتة صغيرة باسمه مكتوبة بحروف واضحة - كلمة واحدة أو اثنتان فقط، مثل بلاك رينو (الكركدن الأسود)، هوايت سدج (البردى الأبيض)، أيفورى بيلد(ذو المنقار العاجى)، وود بيكر (نقار الخشب)، بولار بير (الدب القطبى)، إنديان تيجر (النمر الهندى)، لوتيس بلو (خنفساء لوتيس الزرقاء)، سويفت فوكس (الثعلب الرشيق).

قال لكريك: "هذه الأسماء. لقد قمت بغارة على موقع الانقراضية".

قال كريك: "الأمر أكبر من الأسماء، هؤلاء الناس هم هذا الموقع. إنهم جميعًا جراند ماسترز. إن ما تراه هنا هو آدم المجنون، قمة المحصول".

قال جيمى: "لابد أنك تمزح! كيف جاءوا هنا؟"

قال كريك: "إنهم عباقرة التهجين بالهندسة الوراثية، الذين كانوا يقومون بتلك الحيل، الميكروبات آكلة الأسفلت، ظهور أعشاب النيون الملونة على الساحل الغربى، نباتات كيزان الدجاج، وإلى آخره".

قال جيمى: "أعشاب النيون؟ لم أسمع بهذا". شىء مضحك. "وكيف توصلت إليهم؟"

"لم أكن وحدى الذى يسعى خلفهم. لقد كانوا يحاولون جعل أنفسهم غير معروفين فى بعض الأحياء. لقد وصلت إليهم قبل الشركات، هذا كل شىء. أو وصلت إلى معظمهم، على أى حال".

كان جيمى على وشك أن يسأل وماذا حدث للآخرين، لكنه تراجع بعد تفكير.

"إذن فقد اختطفتهم، أم ماذا؟" لن يدهش هذا جيمى، كان خطف العقول أمراً معتاداً؛ رغم أنه فى العادة كان هذا الخطف يتم بين البلدان، وليس داخلها.

"لقد أقنعتهم فقط بأنهم سيكونون أكثر سعادة وأماناً بكثير بالداخل هنا عما هم بالخارج هناك".

"أكثر أماناً؟ فى منطقة خاصة بالشركات؟"

"لقد حصلت لهم على أوراق أمنية. معظمهم اتفق معى، خاصة عندما عرضت أن أدمر ما يسمى بشخصياتهم الحقيقية وكل ما يختص بأى وجود سابق لهم فى السجلات".

قال جيمى: "كنت أظن هؤلاء الأشخاص ضد المستوطنات. فالشىء الذى كان آدم المجنون يفعله شديد العداء، هذا ما رأيته مما أظهرته لى فى هذا الموقع".

"إنهم ضد المستوطنات. وربما لا يزالون. لكن بعد الحرب العالمية الثانية فى القرن العشرين، دعا الحلفاء الكثير من كبار العلماء الألمان للمجىء والعمل معهم، ولا أذكر أن أحداً قال لا. عندما تكون لعبتك الأساسية قد انتهت، يمكنك دائماً أن تحرك رقعة الشطرنج إلى مكان آخر".

"ماذا لو حاولوا التخريب، أو...."

قال كريك: "الهرب؟ نعم، كان اثنان منهم يفكران فى ذلك فى البداية. لكن ليس من لاعبى الفريق. فكرا أنهما سيأخذان ما فعلاه هنا ويحملانه إلى الخارج. ويذهبان إلى ما تحت الأرض أو يبدآن فى مكان آخر"

"وماذا فعلت؟"

قال كريك: "لقد وقعا فى الممرات المؤدية إلى أراضى السوقة".

"هل هذه نكتة؟"

قال كريك: "إذا جاز أن نقول ذلك. سوف تكون بحاجة لاسم آخر، اسم من أسماء آدم المجنون، لتكون جاهزاً للمكان. وقد فكرت، حيث إننى هنا كريك، يمكن أن تكون أنت ثيكنى، كما كنت عندما كنا – كم كان عمرنا فى ذلك الوقت؟"

"كنا فى الرابعة عشرة"

قال كريك: "كانت تلك أوقات حاسمة".

كان جيمى يريد أن يتباطأ، لكن كريك كان يستعجله. كان يريد أن يتحدث مع بعض هؤلاء الناس، ويسمع قصصهم - هل عرف واحد منهم أمه، على سبيل المثال؟ - ولكن ربما يمكنه أن يفعل ذلك فيما بعد. ومن ناحية أخرى، ربما لن يستطيع؛ لقد شوهد مع كريك، الذئب الألفا، الغوريلا ذات الظهر الفضى، كبير الأسود. فلن يرغب أحد أن يقترب منه كثيراً. سوف يرون أنه فى موضع الخادم الوضيع.

الجنة

ومرا بمكتب كريك؛ لكى يشعر جيمى بأنه لم يفقد الاتجاه، هكذا قال كريك. كان مساحة واسعة بها الكثير من الأدوات التكنولوجية، كما توقع جيمى. كانت هناك لوحة على الجدار: باذنجانة على طبق برتقالى. كانت تلك أول صورة يتذكر جيمى رؤيتها فى مكان خاص بكريك. فكر فى أن يسأل لو كانت تلك هى فتاة كريك، لكنه تراجع عن ذلك.

اتجه مباشرة نحو البار الصغير. "هل فى هذا شىء؟"

قال كريك: "فيما بعد".

كان كريك لا يزال لديه مجموعة من مغناطيسات الثلاجات، لكنها كانت مختلفة. ليست مواربات علمية.

حيثما الرب، لا يكون الإنسان.

هناك قمران، القمر الذى يمكنك أن تراه، والآخر الذى لا تستطيع رؤيته.

لابد أن تغيِّر حياتك. (كان هذا بالألمانية).

نحن نفهم أكثر مما نعرف.

أنا أظن، ولذلك...

أن تظل إنسانًا هو أن تكسر قيداً.

الحلم يسرق من مخبئه ليعطى فريسته.

قال جيمى: "ما الذى تنوى عمله هنا حقًا؟"

ابتسم كريك. "ماذا تقصد بكلمةً حقًا؟"

قال جيمى: "بهتان!" لكنه كان قد فقد توازنه.

قال كريك الآن، حان أوان الجد. وأنه على وشك أن يُرى جيمى الشىء الآخر الذى يصنعونه - الشىء الأساسى، هنا فى الجنة. ما كان جيمى بسبيله لأن يراه هو ..... حسنًا، شىء لا يمكن وصفه. إنه ببساطة، العمل الذى وضع كريك فيه حياته.

وضع جيمى على وجهه نظرة وقورة. وماذا سيتلو؟ نوع آخر من الطعام الجديد الخطير، لا شك. شجرة ينبت عليها الكبد، أو نبات

متسلق يثمر سجقًا. أو نوع من نبات القرع يحصد منه الصوف. استجمع قواه.

أخذ كريك جيمى فى جولة؛ ثم إذا بهما واقفين أمام نافذة أنيقة كبيرة. لا: إنها مرآة ذات اتجاه واحد. نظر جيمى داخلها. كانت هناك مساحة كبيرة مليئة بالأشجار والنباتات، وفوقها السماء الزرقاء. (ليست سماء زرقاء حقيقية، ولكنها السقف المقبب للقبة الفقاعة، مع أداة بث ذكية تحاكى الفجر، ونور الشمس، والمساء، والليل. كان هناك قمر مزيف يمر بكل مراحل القمر، وقد اكتشف ذلك فيما بعد. وكانت هناك أمطار مزيفة).

وهنا وقع نظره لأول مرة على أطفال كريك. كانوا عرايا، لكن ليس مثل من كانوا فى أخبار العرايا: لم يكن هنا وعى بالعرى، على الإطلاق. فى البداية لم يصدق، كانوا رائعى الجمال. من كل ألوان البشرة الممكنة: الأسود، الأصفر، الأبيض، البنى. وكل فرد منهم كان فاتنًا. قال: "هل هم روبوتات، أم ماذا؟"

قال كريك: "أنت تعرف كيف يكون لديهم نماذج أساسية، فى محلات الأثاث؟"

"نعم؟"

"هؤلاء نماذج أساسية".

* * *

فى تلك الأمسية، قال له كريك إن ذلك جاء نتيجة سلسلة منطقية من الخطوات المتعاقبة. كانا يتناولان مشروباً فى غرفة جلوس الجنة (نخيل مقلَّد، موسيقى مسجلة، مشروب كامبارى حقيقى، وصودا حقيقية). وبمجرد أن تم تحليل البروتونوم تحليلاً كاملاً وأصبح التهجين بين الجينة الأصلية والجينة الجزئية وشيكًا، فإن مشروع الجنة أو شىء شبيه به يكون مسألة وقت. ما رآه جيمى هو أقرب النتائج إلى النتيجة النهائية لسبع سنوات من الأبحاث المكثفة والمحاولة والخطأ.

قال كريك: "فى البداية كان علينا أن نعدِّل أجنة بشرية عادية، أخذناها من - لا يهم من أين أتينا بها. لكن هؤلاء الناس من نوع خاص. وهم يتكاثرون بأنفسهم الآن".

قال جيمى: "إنهم يبدون أكبر من سبع سنوات من العمر".

شرح كريك مسألة عوامل النمو السريع التى أدخلها عليهم، وقال: "وهم أيضًا مبرمجون على الموت فوراً فى سن الثلاثين - فجأة، دون مرض. لن يكون هناك تقدم فى العمر، لا شىء من تلك المتاعب. سوف ينقلبون بكل بساطة. وهم لا يعرفون ذلك بعد، لم يمت أى منهم بعد".

"كنت أظنك تعمل على الخلود".

قال كريك: "الخلود هو فكرة مفهومية. إذا فكرت فى "الفناء" كشىء حى، وليس الموت، لكن معرفته مسبقًا والخوف منه، فإن "الخلود" هو

غياب هذا الخوف. الأطفال الصغار جداً خالدون. أخرج الخوف من الموضوع، وسوف تكون...."

قال جيمى: "هذا أشبه باللغو التطبيقى ١٠١".

"ماذا؟"

"لا عليك. هذا من مواد الدراسة فى مارثا جراهام".

"أوه. حسنًا".

قال كريك إن مستوطنات أخرى فى بلدان أخرى تفكر بنفس الطريقة وتستنتج النتائج نفسها من تلك المقدمات، وهم يطورون نماذجهم التطبيقية الخاصة، ومن ثم فإن سكان القبة الفقاعة على أعلى مستوى من السرية. الجميع أقسم على الصمت، البريد مغلق الدائرة وداخلى فقط إلا إن كان لديك إذن خاص، الأحياء السكنية داخل منطقة الأمن ولكن خارج دائرة المحبس الهوائى. هذا سوف يقلل من فرص التلوث فى حالة إصابة أحد العاملين بمرض؛ نماذج الجنة يحظون بوظائف مناعة عالية، ومن ثم فإن إمكانية انتشار أمراض معدية بينهم ضئيلة.

لم يكن يُسمح لأحد بالخروج من المجمع السكنى، تقريبًا. فكريك يستطيع الخروج، بالطبع. وكان هو الصلة بين الجنة وكبار موظفى ريجوڤين، رغم أنه لم يُسمح لهم بالدخول بعد، كان يتركهم ينتظرون. لقد كانوا مجموعة جشعة، شديدى التوتر والقلق على استثماراتهم؛ يريدون

أن يقفزوا إلى إشارة البدء، ويبدأوا بالتسويق أسرع مما يجب. كما أنهم يتكلمون كثيراً، مما قد يؤذى موقفهم فى المنافسة. كلهم يكثرون من الكلام، هؤلاء الأشخاص.

قال جيمى: "وإذن، ما دمت أنا هنا، لا يمكننى أن أخرج أبداً، أنت لم تقل لى هذا".

قال كريك: "سوف يكون لك استثناء. فلن يختطفك أحد بسبب ما داخل جمجمتك. إنك لا تفعل شيئاً أكثر من الإعلانات، أتذكر؟" لكن باقى الفريق – الفريق الذى يمثل آدم المجنون – كانت حركتهم مقصورة على القاعدة طوال الفترة.

"الفترة؟"

قال كريك: "حتى نخرج إلى العلن". وفى وقت قريب جداً، كما يأمل رجال ريجوڤين إسنس، سوف يضربون السوق بعرض أنواع مختلفة. سوف يكون بمقدورهم أن يخلقوا أطفالاً مختارين تماماً ، يمكن أن تكون فيهم أية ملامح، عضوية أو عقلية أو روحية، يرغب المشترى فى اختيارها. قال كريك إن المناهج المتبعة فى السوق حالياً اعتباطية، لا تعطى تصميماً محدداً، صحيح من الممكن منع أمراض وراثية معينة، لكن فيما عدا ذلك هناك الكثير من الفساد، وكثير من التبديد. لا يعرف الزبائن أبداً إذا ما كانوا سيأخذون بالضبط ما يدفعون من أجله؛ وبالإضافة إلى ذلك هناك عواقب كثيرة غير مقصودة.

لكن مع المنهج المتبع فى الجنة، من الممكن أن تصل الدقة إلى تسعة وتسعين بالمائة. فكل الإنتاج الذى يمكن خلقه سيكون له صفات مختارة مسبقًا. الجمال بالطبع؛ فهذا سيكون الطلب عليه مرتفعًا. وسهولة التعلم والانقياد؛ كثير من قادة العالم عبروا عن اهتمامهم بذلك. وقد تمكنت الجنة بالفعل من تطوير جلد قادر على مقاومة الفيروسات، ومقاومة داخلية طاردة للحشرات، وقدرة غير مسبوقة على هضم مواد نباتية غير مطبوخة أو معالجة. وبالنسبة للمناعة ضد الميكروبات، فما تم إنجازه حتى الآن بالأدوية سوف يكون متأصلاً فى الإنسان الجديد.

ومقارنة بمشروع الجنة، حتى أقراص بليس بلاس كانت أداة بسيطة، رغم أنها ستكون حلا مربحًا مؤقتًا. أما على المدى البعيد، فإن الفوائد التى سيجنيها الجنس البشرى فى المستقبل من الاثنين معًا ستكون مذهلة؛ فسوف يتم الوصل بينهما وصلاً لا سبيل إلى الرجوع عنه – الحبة والمشروع. الحبة ستضع نهاية للتكاثر بشكل اتفاقى وعبثى، والمشروع سوف يكون بديلاً بمنهج فائق التفوق. يمكنك أن تقول إنهما مرحلتان من خطة واحدة.

وقال كريك إنه من المدهش أن الأشياء التى لم يكن من الممكن تخيلها قد تم إنجازها على يد الفريق الموجود هنا. وما تم تغييره هو: المخ البدائى القديم، لا أقل. كان "الماضى" هو ملامحه المدمرة، الملامح المسئولة عن أمراض العالم الحالية. فمثلاً، العنصرية – أو كما يسمونها

فى الجنة، التمييز التطورى الزائف – تم القضاء عليها فى مجموعة النموذج، بمجرد فتح آلية الترابط، فأهل الجنة ببساطة لا يسجلون لونًا للجلد. ومن غير الممكن أن تكون بينهم تراتبية؛ لأنهم يفتقدون التركيبة العصبية المعقدة التى يمكن أن تخلق التراتبية. وحيث إنهم لا يلجأون للصيد، ولا هم زارعون جائعون للأرض، فلن يلتزموا بمناطق نفوذ. الشبكة التى تجمع سكان القلعة وملك القلعة، تلك التى كانت وباء على البشرية، قد تم تفكيكها لديهم. وهم لا يأكلون إلا أوراق الأشجار والحشائش والجذور وتوتة أو اثنتين؛ ومن ثم فإن طعامهم متوافر بكثرة، ومتاح دائمًا. الرغبة الجنسية لا تمثل لهم عذابًا مستمراً، ليس لديهم سحابة من الهورمونات المثيرة للقلق والأرق، فهم يشعرون بالرغبة الجنسية فى أوقات منتظمة، كما يحدث مع الثدييات الأخرى غير الإنسان.

والواقع أنه، إذ لن يكون هناك أى شىء يرثه هؤلاء الناس، فلن تكون هناك شجرة عائلية، لا زواج، ولا طلاق. سوف يتأقلمون بشكل رائع مع أماكن توطنهم، ومن ثم فلن يضطروا أبداً لاختراع بيوت أو أدوات أو أسلحة، أو – بالنسبة لهذا الأمر – لن يحتاجوا الملابس. لن تكون لديهم حاجة لاختراع أية رموز ضارة، مثل الممالك، والأيقونات، والآلهة، أو النقود. وأحسن ما فى الأمر، فهم يعيدون تدوير إخراجاتهم نفسها. فبوسائل فائقة من مدخلات الهندسة الوراثية تتضمن مواد جينية من....

قال جيمى: "اسمح لى، لكن كثيراً من هذه الأشياء ليست هى ما ينتظره الأبوان العاديان فى طفلهما. ألا تجد أنك قد تركت لنفسك العنان أكثر مما يجب؟"

قال كريك بصبر: "لقد قلت لك. هذه نماذج الأرضية. إنهم يمثلون فن الممكن. ويمكننا أن تسجل الملامح الفردية التى يود المشترون الحصول عليها، ثم يمكننا أن نعدِّل ما تريد. لن يكون كل شخص راغباً فى كل الأجراس والصفافير، نحن نعرف هذا. ورغم ذلك، سيدهشك كم من الناس يحبون جسداً جميلاً جداً وذكيًّا جداً لا يأكل إلا الحشائش. إن جماعات النباتيين المغالين مهتمون للغاية بهذا الجانب وحده. لقد أجرينا أبحاثًا خاصة بالسوق".

وفكر جيمى، أوه، حسنًا، سيكون طفلك بديلاً عن حصادة الحشائش.

وسأل: "هل سيمكنهم الكلام؟"

قال كريك: "طبعًا يمكنهم الكلام. عندما يكون لديهم ما يريدون قوله".

"هل يقولون نكاتًا؟ هل يمزحون؟"

قال كريك: "ليس بالضبط. فلكى تقول نكاتًا ستكون بحاجة إلى خاصية معينة، إلى بعض الخبث. وقد بذلنا الكثير من التجربة والخطأ،

ولا نزال نجـرب، لكنى أظن أننا اسـتطعنا التـخلص من النكات". ورفع كأسه، وابتسم لجيمي. وقال: "أنا سعيد بوجودك معى يا جوزة الفلين، كنت بحاجة إلى شخص أستطيع أن أتكلم معه".

حصل جيمى على بذلته الخاصة داخل قبة الجنة. وكانت متعلقاته موجودة هناك قبل وصوله، كل شيء فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه – ملابسه الداخلية فى الدرج المخصص لها، قمصانه مرتبة جيداً، وفرشاة أسنانه الكهربائية متصلة بالكهرباء وقد أعيد شحنها – إلا أنه وجد أن أشياءه تبدو أكثر مما يتذكر أنه يمتلك. القمصان أكثر، الملابس الداخلية أكثر، فرش أسنان أكثر. وكان الهواء المكيف مضبوطاً على الدرجة التى يحبها، وبعض الأكلات الخفيفة (بطيخ، نوع من البسكويت الذى يحبه، جبن أبيض طرى فرنسى وعليه بطاقة النوع التى تبين أنه أصلى)، موضوعة على منضدة غرفة الطعام. منضدة غرفة الطعام! لم يكن لديه منضدة غرفة طعام أبداً من قبل.

كريك فى حالة حب

يومض البرق، ويرعد الرعد، ويسقط المطر كالوابل، ثقيلاً حتى يصبح لون الهواء أبيض، أبيض حوله فى كل مكان، ضباب كثيف؛ أشبه بزجاج فى حالة حركة. سنومان – الأحمق، المهرج، الرعديد – يجثم على السور المستحكم، ذراعاه فوق رأسه، ترشقه الأمطار من أعلى

وكأنه موضع سخرية عامة من الكون. إنه شبيه بالإنسان، إنه من فصيلة البشر، إنه شخص ضال، شنيع، وسوف يصبح أسطورة، لو بقى أى أحد ليروى الأساطير. لو كان لديه فقط أى مستمع آخر سواه، فأى قصة يمكن أن يغزلها، أى تهويمات يمكن أن يهيم فيها. شكوى المحب إلى محبوبته، أو شىء من هذا القبيل. الكثير من الاختيارات يمكن أن تجدها هنا.

ولأنه الآن قد وصل إلى العقدة الحاسمة، إلى مكان فى المسرحية المأساوية حيث تقول: ادخلى يا أوريكس. لحظة قاتلة. ولكن أى اللحظات القاتلة؟ ادخلى يا أوريكس كفتاة صغيرة على موقع جنسى لأطفال عراة، الزهور فى شعرها، والكريم المخفوق على ذقنها، أو: ادخلى يا أوريكس، كفتاة مراهقة فى أحد الأخبار المذاعة، بازغة من جراج أحد المنحرفين؛ أم: ادخلى يا أوريكس، عارية تمامًا وقد تعلمت الكثير فى حرم الكريكيين الداخلى؛ أم: ادخلى يا أوريكس، والفوطة حول شعرها، خارجة من الحمام؛ أو: ادخلى يا أوريكس فى بنطلون من الحرير الرمادى. واحتشام يصل إلى منتصف العقبين، حاملة حقيبة، فى شكل بائعة محترفة فى مستوطنة عالمية؟ أى من هذه الصور ستكون، وكيف يمكنه أبدًا أن يكون واثقًا من وجود خط يصل الصورة الأولى بالأخيرة؟ هل كانت أوريكس واحدة؟ أم كانت كثيرات؟

يفكر سنومان والأمطار تهطل على وجهه: أيًّا ما كانت... فإنها حاضرة فى جميع الأزمنة؛ لأنهن جميعًا هنا معى الآن.

أوه جيمى! هذا إيجابى جداً. إنك تسعدنى عندما تفهم هذا. الجنة ضائعة، لكن لديك جنة داخلك، أكثر سعادة بكثير. ثم تلك الضحكة الفضية، فى أذنه مباشرة.

لم ير جيمى أوريكس فور قدومه مباشرة، رغم أنه لابد رآها فى ذلك المساء الأول عندما كان يحدق فى المرآة ذات الاتجاه الواحد. كانت مثلها مثل الكريكيين لا ترتدى ثياباً، ومثل الكريكيين، كانت جميلة، لذا لم يكن من الممكن تمييزها عن بُعد. كان شعرها الأسود الطويل لا تتخلله أية قطعة من الزينة، وكان ظهرها إليه، وكانت محاطة بمجموعة من أناس آخرين؛ مجرد جزء من المنظر.

بعد بضعة أيام، عندما كان كريك يريه كيف يتم تشغيل شاشات المونيتور الذى يلتقط الصور من الكاميرات الصغيرة المخبأة بين الأشجار، رأى جيمى وجهها. التفتت إلى الكاميرا وإذا بتلك النظرة مرة أخرى، تلك النظرة، تلك التحديقة، التحديقة التى نفذت مباشرة داخله ورأته على حقيقته. والشىء الوحيد المختلف فيها كان عينيها، اللتين كانتا بالأخضر المضىء نفسه كعيون الكريكيين.

محملقاً فى هاتين العينين، عاش جيمى لحظة من السعادة الصافية، والرعب الصافى؛ لأنها الآن لم تعد صورة - لم تعد مجرد صورة، مخبأة فى مكان سرى ومظلم فى تلك الورقة المطبوعة المخبأة الآن بين حشيته والأضلاع المعدنية لسريره الجديد فى جناحه بريجوف. فجأة هى حقيقية، ثلاثية الأبعاد. شعر وكأنه كان يحلم بها. كيف يمكن

لشخص أن يؤخذ هكذا فجأة، فى لحظة، فى لمحة، فى رفعة الحاجب، ولفة الذراع؟ لكن ذلك حدث له.

سأل كريك: "من هذه؟". كانت تحمل راكوبان صغيراً، تمسك بالحيوان الصغير لمن حولها، كان الآخرون يلمسونه برقة. "إنها ليست واحدة منهم. ماذا تفعل هناك؟"

قال كريك: "إنها معلمتهم. إننا بحاجة لشخص يستطيع الدخول بينهم، شخص يكون قادراً على التواصل على مستواهم. أفكار بسيطة، خالية من الميتافيزيقيات".

"ماذا تعلمهم؟" قال جيمى هذا بطريقة تبدو حيادية، فليس من الجيد له أن يظهر أى اهتمام زائد بأى امرأة فى وجود كريك، فلسوف يتلو ذلك سخرية مرة.

قال كريك مبتسماً: "الحياة النباتية والحيوانية". ثم أضاف: "بتعبير آخر، ما الذى ليس للأكل، وما يمكن أن يعض. وما الذى يؤذى، وما الذى يجب ألا نؤذيه".

"ولهذا يجب أن تكون عارية؟"

"إنهم لم يروا الملابس أبداً. فالملابس يمكن أن تشوشهم".

كانت الدروس التى تعلمها لهم أوريكس بسيطة، قال كريك ينبغى أن تكون شيئاً واحداً كل مرة. لم يكن نماذج الجنة أغبياء، لكنهم يبدأون

من المتناثرات، ومن ثم فهم يحبون التكرار. وقد يذهب عضو آخر من الفريق، متخصص ما في الحقل، مع أوريكس في الأيام التي تحدثهم فيها عن موضوع معين - الورقة النباتية، الحشرة، الثدييات، أو الزواحف، الشيء الذي تكون بسبيلها إلى شرحه. ثم ترش نفسها بمركب مادة كيماوية مستخلصة من فاكهة حمضية لكي تخفي فيرموناتها البشرية - فإن لم تفعل ذلك يمكن أن تحدث متاعب، فالرجال سيشمون رائحتها ويظنون أن هذا وقت التزاوج. وعندما تكون مستعدة، تدخل من خلال مدخل يختفي خلف نباتات كثيفة.

وبهذه الطريقة يمكنها أن تظهر وتختفي في وطن الكريكيين دون أن تثير أسئلة لا لزوم لها في عقولهم.

قال كريك: "وهم يثقون بها، إنها قادرة على التعامل معهم بطريقة رائعة".

وشعر جيمي بقلبه يغوص في صدره، إن كريك واقع في الحب، لأول مرة في حياته. لم يكن ذلك مفهوماً فقط من ثنائه عليها، ولكن أيضاً في نبرات صوته.

سأله: "أين وجدتها؟"

"لقد عرفتها منذ فترة. عندما كنت في واطسون كرك بعد التخرج بفترة وجيزة".

"هل كانت تدرس هناك؟" وفكر جيمى، لو كان الأمر كذلك، فماذا كانت تدرس؟

قال كريك: "ليس بالضبط. لقد قابلتها من خلال خدمات الطلبة".

قال جيمى، محاولاً أن يبدو خفيفًا: "كنت أنت الطالب، وكانت هى الخدمات".

"بالضبط. قلت لهم إنتنى أبحث عن – يمكنك أن تكون محدداً بدقة هناك، وربما تريهم صورة أو محاكاة بالفيديو، شىء من هذا النوع، وسوف يحاولون جهدهم أن يلبوا ما طلبت تمامًا. ما أردته هو شىء يبدو مثل – هل تذكر العرض الذى كان على الشبكة؟...."

"أى عرض؟"

لقد أعطيتك صورة مطبوعة منه. من هوت توتس – أنت تعرف".

قال جيمى "لا أذكر شيئًا من ذلك"

"ذلك العرض الذى كنا نراه. هل تذكر؟"

قال جيمى: "أظن، نوعًا ما".

"استخدمت الفتاة لبوابة الانقراضية الخاصة بى. تلك الفتاة".

قال جيمى: "آه، حسنًا. كل يغنى على ليلاه. هل أردت النظرة الجنسية الطفولية؟"

"الفتاة التى أحضروها لى لم تكن فى سن أقل من القانونى".

"بالطبع لا".

"ثم قمت ببعض الترتيبات الخاصة. وهذا غير مسموح به، لكننا كلنا كنا نخرج على القواعد بعض الشىء".

قال جيمي: "القواعد موجودة لكى نخرج عليها". كانت مشاعره تزداد اضطرابًا.

"ثم، عندما جئت هنا لأرأس هذا المكان، كان بمقدورى أن أقدم لها وظيفة رسمية. وقد أسعدها أن تقبلها، فقد كان راتبها ثلاثة أضعاف ما تحصل عليه، مع كثير من المزايا؛ لكنها قالت أيضًا إن العمل يثير فضولها. ويجب أن أعترف أنها موظفة شديدة الكفاءة والتكريس لعملها".

وحاول كريك أن يظهر على وجهه تعبيرًا أشبه بالابتسام، ابتسامة النجم الكبير، وشعر جيمى برغبة فى أن يلكمه.

وقال: "عظيم". كان يشعر بسكاكين تطعنه. ما إن وجدها حتى فقدها مرة أخرى. كان كريك هو أقرب أصدقائه. مراجعة: كان كريك هو صديقه الوحيد. ولن يمكنه أن يلمسها. كيف يجرؤ؟

انتظرا أوريكس لتخرج من حمامها، حيث كانت تزيل الرائحة الحامية، وأضاف كريك قائلاً إنها تزيل أيضًا عدسات عينيها

اللتان تعطيانهما اللون الأخضر المضىء: فالكريكيون سوف يجدون عينيها البنيتين غريبتين. وأخيراً ظهرت، شعرها مجدول الآن ولا يزال مبللاً، وتم تقديمها، وهزت يد جيمى بيدها الصغيرة. (فكر جيمى، لقد لمستها، كما لو كان لا يزال فى العاشرة من عمره. لقد لمستها فعلاً!)

كانت ترتدى ثيابها الآن، كانت ترتدى الرداء القياسى الخاص بالمعمل، الجاكيت والبنطلون. وبدا هذا الزى عليها كأنه بيجاما منزلية. وكان اسمها على البطاقة الملصقة بجيبها: أوريكس بيسا (مهاة شرق إفريقيا). اختارته بنفسها من قائمة قدمها لها كريك. أحبت فكرة أن تكون حيوانًا رقيقًا عشبيًّا قادراً على توفير المياه من شرق إفريقيا، لكنها كانت أقل سروراً عندما قيل لها إن الحيوان الذى اختارته قد انقرض. وكان على كريك أن يشرح لها أن تلك هى الطريقة المتبعة فى الجنة.

شرب ثلاثتهم القهوة فى كافيتيريا العاملين فى الجنة. ودار الحديث عن الكريكيين - كان هذا الاسم هو ما أطلقته أوريكس عليهم - وعما يفعلونه. قالت أوريكس إنه الأمر نفسه كل يوم. كانوا دائمًا راضين تمامًا. وهم يعرفون الآن كيف يشعلون ناراً. وقد أعجبهم الراكوبان. وقد وجدتهم يقضون الوقت مع هذا الحيوان وهم فى حالة ارتياح واسترخاء.

قال جيمى: "ألم يسألوا ابداً من أين جاءوا؟ أو ماذا يفعلون هنا؟" فى تلك اللحظة كان اهتمامه أقل ما يكون، لكنه أراد أن يشترك فى الحوار، ومن ثم يستطيع أن ينظر إلى أوريكس دون أن يكون ذلك واضحاً.

قال كريك، بصوته الذى يقول أنت مغفل: "إنك لا تفهم بعد. هذه الأشياء تم حذفها".

قالت أوريكس: "حسناً، الواقع أنهم سألوا. اليوم سألوا من صنعهم".

"وماذا قلت لهم؟"

"قلت لهم الحقيقة، قلت لهم إنه كريك". ووجهت ابتسامة إعجاب إلى كريك، وشعر جيمى بأن ذلك ما كان ينقصه. "قلت لهم إنه ذكى جداً وطيب".

سأل كريك: "هل سألوا من هو كريك هذا؟ هل أرادوا رؤيته؟"

"لم يبد عليهم اهتمام".

عاش جيمى فى عذاب ليل نهار. كان يريد أن يلمس أوريكس، يعبدها، يفتحها كما لو كانت هدية مغلفة بشكل جميل، حتى لو كان ثمة شك فى أن شيئاً ما تم إخفاؤه داخلها - أفعى سامة أو قنبلة يدوية أو مسحوق قاتل. ليس داخلها هى، بالطبع. ولكن داخل الحالة. كانت منطقة محظورة، ظل يكرر ذلك لنفسه المرة بعد المرة.

كان يتصرف بقدر ما يستطيع من الاحترام والشرف؛ أظهر أنه غير مهتم بها، أو حاول أن يخفى أى اهتمام. وجعل يزور أراضى السوقة، ويدفع للفتيات فى البارات. فتيات ذوات ثياب مزركشة، وزينة لامعة، ودانتيلا، أى شىء متاح. وكان يأخذ إبرة الفاكسين سريع المفعول التى صنعها كريك، ويكون معه حارس الشركات الخاص به، فكان فى أمان تام. فى المرتين الأوليين كان يشعر بالإثارة، ثم أصبح الأمر تسلية، ثم أصبح مجرد عادة. ولكن لا شىء من ذلك كان ترياقًا ضد أوريكس.

ركز فى عمله، ولم يكن هناك الكثير من التحدى فى هذا العمل. فحبة بليس بلاس ستبيع نفسها، وليست بحاجة إلى مساعدته. لكن بداية الحملة الرسمية كانت تقترب، ومن ثم فقد راح مع موظفيه يجرب بعض المشاهد، بعض الشعارات البراقة: ارم العازل خلف ظهرك! بليس بلاس، من أجل تجربة جسدية كاملة! لا تعش قليلاً، عش كثيراً! مع محاكاة لرجل وامرأة، يتخلصان من ثيابهما، ويبتسمان بولع بالغ. ثم رجل ورجل. ثم امرأة وامرأة، لكنه لم يستخدم الشعار الخاص بالعازل مع هاتين. ثم ثلاثة معًا. كان يستطيع أن يتمخض عن كل هذه التفاهات وهو نائم.

هذا طبعًا مع فرضية أنه يستطيع النوم. فى الليل كان يرقد متيقظًا، يعنف نفسه، متحسراً على قدره. معنفًا، متحسراً، كلمات مفيدة. فاتر الهمة، محروم من الحب، عاشق، مهجور، غريب الأطوار.

ولكن حينئذ، بدأت أوريكس تغويه. وأى شىء آخر يمكن أن يُقال عن ذلك؟ جاءت إلى جناحه عامدة، ودخلت مباشرة، وأخرجته من قوقعته فى دقيقتين بالتحديد. وجعلته يشعر أنه فى الثانية عشرة من عمره. كانت بكل وضوح خبيرة تماماً بهذا، وكانت شديدة التلقائية فى تلك المرة الأولى حتى أذهلته.

قالت شارحة: "لم أكن أريد أن أراك بهذا القدر من التعاسة يا جيمى، ليس بسببى".

"كيف عرفت أننى تعيس؟"

"أوه، أنا أعرف دائماً".

وبعد أن اصطادته، ورفعته، وأنزلته، وتركته غير قادر على التنفس، قال: "ماذا عن كريك؟".

"إنك صديق كريك. ومن غير المعقول أنه يريدك تعيساً".

لم يكن جيمى متأكداً من ذلك، لكنه قال: "لا أشعر أن الأمر بهذه السهولة".

"ماذا تقول يا جيمى؟"

"ألست أنت... أليس هو...". يا لها من حالة بلهاء.

قالت: "كريك يعيش فى عالم أعلى يا جيمى. يعيش فى عالم من الأفكار. يقوم بأعمال مهمة. ليس لديه وقت للعب. على أى حال، كريك هو رئيسى، أما أنت فمن أجل المتعة".

"نعم، ولكن...."

"لن يعرف كريك".

وبدا وكأن ذلك حقيقة. لم يعرف كريك. ربما كان شديد الانشغال بها إلى درجة أنه لم يلحظ شيئًا؛ أو ربما... فكر جيمى أن الحب دائمًا أعمى. أو يجعل المحبين عميانًا. وقد أحب كريك أوريكس، لا شك فى ذلك؛ لقد كان تقريبًا مجنونًا بها. حتى أنه كان يمكن أن يضع يده عليها فى العلن. لم يكن كريك أبدًا ممن يلمسون الناس، لقد كان دائمًا بعيدًا عضويًّا، ولكنه الآن يحب أن يضع يده على أوريكس: على كتفها، على ذراعها، حول وسطها الصغير، على كفلها البديع. كانت تلك اليد تقول هذا ملكى، هذا ملكى.

وبالإضافة إلى ذلك، كان يبدو أنه يثق بها، ربما أكثر مما كان يثق بجيمى. قال إنها كانت امرأة خبيرة بالمال والأعمال. كان يعطيها شريحة من تجارب بليس بلاس: كانت لها اتصالات مفيدة فى أراضى السوقة، من خلال أصدقائها القدامى الذين كانوا يعملون معها فى خدمات الطلبة. ولهذا السبب كان عليها عمل رحلات كثيرة، هنا وهناك حول العالم. قال كريك، إنها كانت تذهب إلى عيادات الجنس. أما أوريكس فقالت إنها بيوت الدعارة، فأيها أفضل فى إجراء التجارب؟

قال جيمى: "لا يهم ما دمت لا تقومى بالتجربة على نفسك".

"أوه، لا يا جيمى. كريك قال ألا أفعل ذلك".

"أنت دائمًا تفعلين ما يقول كريك؟"

"إنه رئيسى".

"وهل هو يطلب منك أن تفعلى هذا؟"

عيناها كبيرتان: "أفعل أى شىء، يا جيمى؟"

"ما تفعلينه الآن."

"أوه يا جيمى، أنت دائمًا تمزح".

كانت الأوقات التى تبتعد فيها صعبة بالنسبة لجيمى. كان يقلق عليها، كان يشتاق إليها، كان يغضب منها لأنها ليست هناك. عندما كانت تعود من إحدى رحلاتها، كانت تدخل إلى غرفته، تظهر فجأة فى منتصف الليل، كانت تستطيع أن تفعل هذا مهما كان على أجندة كريك. فى البداية كانت تعطى كريك تقريرًا مختصرًا، تمده بمعلومات عن أنشطتها ونجاحها – كم قرصًا من بليس بلاس، أين وضعتها، أى نتائج حتى الآن: تقرير مفصل ودقيق؛ لأنه كان شديد الاهتمام بذلك. ثم تلتفت إلى ما كانت تدعوه المساحة الشخصية.

كانت احتياجات كريك الجنسية مباشرة وبسيطة، وفقًا لأوريكس؛ لم يكن شديد الإثارة مثلما كان الأمر مع جيمى. لا متعة، مجرد عمل – رغم أنها تحترم كريك، وكانت كذلك بالفعل؛، لأنه كان عبقريًّا لامعًا. لكن

إذا كان كريك يريد منها أن تبقى وقتًا أطول فى أية ليلة، وربما يفعلها مرة أخرى، فلسوف تجد أى عذر - متعبة من الرحلة، صداع، شىء يمكن قبوله وتصديقه. وكانت اختراعاتها تبدو صادقة؛ فقد كانت أحسن كذابة فى العالم، بوجه لا يمكن أن ينم عن مشاعرها الحقيقية، وهكذا ستكون هناك قبلة وداع لكريك الغبى، ابتسامة، تلويحة، وإغلاق باب، وفى الدقيقة التالية تكون مع جيمى.

يا لها من كلمة قاصرة، كلمة مع.

لم يكن يستطيع أبدًا الاعتياد عليها، كانت جديدة كل مرة، كانت قبعة مليئة بالأسرار. أى لحظة الآن سوف تفتح نفسها كاملة، وتكشف له الشىء الأساسى، الشىء المخبأ فى قلب الحياة، أو حياتها، أو حياته، الشىء الذى كان يتوق لمعرفته. الشىء الذى كان يريده دائمًا. تُرى ما هو؟

سأل جيمى: "ماذا كان يحدث فى ذلك الجراج، على أى حال؟" لم يستطع أن يتركها فى حالها فيما يختص بحياتها السابقة، كان منساقًا لأن يكتشف. لم تكن ثمة تفاصيل تعتبر تافهة بالنسبة له فى تلك الأيام، لم يكن يعتبر أى لمحة مؤلمة من ماضيها صغيرة جدًّا. ربما كان يريد لغضبها أن ينفجر، لكنه لم يجده أبدًا. إما أنه كان مدفونًا فى أعمق أعماقها، أو أنه لم يكن له وجود على الإطلاق. لكنه لم يستطع أن يصدق هذا. فلم تكن شخصية تهوى تعذيب ذاتها، ولم تكن قديسة.

كانا فى غرفة نوم جيمى، يرقدان على الفراش معًا والتليفزيون الديجيتال مفتوح، موصلاً بشاشة الكمبيوتر الخاص به، كان موقع شبكة عن جماع الحيوانات، وكان هناك اثنان من الرعاة الألمان المدربين جيداً وحيوانان متصلان قد حلق شعرهما جيداً ورُسمت على جسميهما أشكال أشبه بالأفاعى. وكان الصوت مغلقًا، الصور فقط، كورق حائط جنسى.

كانا يأكلان كوز ذرة من أحد أكواخ الوجبات الخفيفة التى تؤخذ إلى البيت فى مبنى التسوق القريب، مع مقليات الصويا والسلاطة. بعض أوراق السلاطة كانت سبانخ، من صوبة ريجوڤين، خالية من المبيدات، أو لا مبيدات غير مسموح بها. والأوراق الأخرى كانت نوعاً من الكرنب الذى تمت هندسته - أشجار كرنب عملاقة، تنتج باستمرار، ومنتجة بكثافة. كانت هذه الأوراق ذات رائحة كريهة إلى حد ما، لكن التوابل المخصوصة أخفت هذا.

قالت أوريكس: "أى جراج، يا جيمى؟" لم تكن منتبهة. كانت تحب أن تأكل بأصابعها، تكره أدوات المائدة. لماذا تضع شيئًا معدنيًّا كبيراً حاد الحافة فى فمك؟ قالت إن ذلك يجعل طعم الطعام أشبه بطعم الصفيح.

قال: "تعلمين أى جراج، ذلك الذى كان فى سان فرنسيسكو. ذلك الشخص البغيض، الأحمق الذى اشتراك، وعاملك معاملة سيئة، وجعل زوجته تقول إنك كنت الخادمة".

"جيمى، لماذا تحلم بهذه الأشياء؟ لم أكن فى جراج أبدًا". ولعقت أصابعها، وقطعت كوز ذرة إلى قطع صغيرة، وأطعمت جيمى إحدى هذه القطع الصغيرة. ثم جعلته يلعق أصابعها نيابة عنها. أجرى لسانه حول الاستدارات الصغيرة لأظافرها. وكان هذا أقرب ما استطاعت أن تفعله له دون أن تصبح طعامًا، لقد كانت داخله، أو كان جزءًا منها داخل جزء منه. كان الجنس هو الطريقة العكسية لذلك، فهو يصبح داخلها. كان المحبون فى الكتب القديمة يقولون سأجعلك ملكًا لى. ولم يقولوا أبدًا سأجعلك أنا.

قال جيمى: "أعرف أنها كانت أنت، لقد رأيت الصور".

"أية صور؟"

"ما أسموه فضيحة الخادمات. فى سان فرنسيسكو. هل أجبرك هذا المتسلق اللزج العجوز على ممارسة الجنس؟"

تنهدت: "آه يا جيمى. إذن هذا ما كان فى رأسك. أنا رأيت ذلك على التليفزيون. لماذا يقلقك رجل كهذا؟ لقد كان عجوزًا حتى يكاد يقع ميتًا".

"لا، لكن هل فعل؟"

"لم يجبرنى أحد على ممارسة الجنس فى جراج. لقد قلت لك".

وهو كذلك: مراجعة: لم يجبرك أحد، لكن هل حدث على أى حال؟"

"إنك لا تفهمنى يا جيمى".

"لكنى أريد أن أفهمك".

"هل تريد ذلك حقًا؟" وتوقف قصير. "مقليات الصويا هذه ممتازة فعلاً. تخيل يا جيمى – ملايين الناس فى العالم لا يأكلون أبداً مقليات كهذه! إننا محظوظون جداًّ!"

"قولى لى". لابد أنها كانت هى. "لا أريد أن أجن".

تنهدت أوريكس قائلة: "لقد كان رجلاً طيبًا". كان صوتها أشبه بمن يحكى قصة. أحيانًا كان يرتاب فى أنها تقوم بالتحسين والتوضيب، لمجرد أن تسليه؛ أحيانًا كان يشعر أن ماضيها كلها – كل شىء قالته له – كان من اختراعه هو. "لقد كان ينقذ الفتيات الصغيرات. وقد دفع أجرة تذكرة الطائرة لى، كما قيل تمامًا. لو لم يكن هو، لما كنت أنا هنا الآن. المفروض أن تحبه!"

"لماذ أحب مثل هذا النذل الكاذب المنافق؟ إنك لم تجيبى على سؤالى".

"بل أجبتك يا جيمى. والآن دعك من هذا".

"كم من الوقت ظل يحبسك فى الجراج؟"

قالت أوريكس: "هذا الجراج كان أشبه بشقة، لم يكن لديهم مكان آخر فى منزلهم. ولم أكن الفتاة الوحيدة التى استضافاها".

"من هما؟"

هو وزوجته. لقد كانا يحاولان المساعدة"

"وهى كانت تكره الجنس، أهذا هو الأمر؟ أهذا هو السبب الذى جعلها تقبل وجودك؟ أم كان هذا الجدى العجوز يمارس معك الجنس من وراء ظهرها؟".

تنهدت أوريكس: "إنك يا جيمى دائمًا تظن أسوأ الأمور بالناس. لقد كانت شخصية روحانية للغاية".

"بل كانت ملعونة".

"لا تشتم يا جيمى. أريد أن أستمتع بوجودى معك. ليس لدى وقت كثير، فلابد أن أذهب سريعًا، لدى عمل لأؤديه. لماذا تهتم بأشياء حدثت منذ زمن بعيد؟" ومالت عليه، قبلته بفمها الملوث بالذرة. انطلقت الكلمات فى رأس جيمى: مرهم، أملس، سخى، مثير، شهى، فاجر، لذيذ. وغرق فى كلماته، وأحاسيسه. بعد قليل قال: "إلى أين تذهبين؟" "أوه، إلى مكان ما. سأتصل بك عندما أصل هناك". لم تكن تقول له أبداً.

خذ معك

والآن يأتى الجزء الذى أعاده سنومان فى رأسه وكرره المرة بعد المرة. تطارده عبارة لو فقط. ولكن لو فقط ماذا؟ ماذا كان يمكن له أن

يقول أو يفعل غير ما قال وفعل؟ أى تغيير كان يمكن أن يغير مسار الأحداث؟ فى الصورة الكبيرة، لا شىء. فى الصورة الصغيرة، الكثير.

لا تذهبى. ابقى هنا. على الأقل كان يمكن بهذه الطريقة أن يظلا معًا. ربما كانت عاشت – لم لا؟ ولكانت فى تلك الحالة معه الآن، هنا.

أنا لا أريد إلا بعض الطعام الذى يؤخذ إلى البيت. سوف أذهب فقط إلى مبنى التسوق. أريد بعض الهواء. أريد أن أتمشى قليلاً.

دعينى آتى معك. المكان ليس آمنًا.

لا تكن سخيفًا! هناك حراس فى كل مكان. وهم جميعًا يعرفون من أنا. من أكثر أمانًا منى؟

لدى شعور داخلى.

لكن جيمى لم يكن لديه شعور داخلى. لقد كان يشعر بالسعادة ذلك المساء، كان سعيدًا وكسولاً. كانت قد وصلت إلى بابه مبكرة ساعة. كانت قد جاءت لتوها من لقائها مع الكريكيين، تعلمهم بعض الأوراق والحشائش الأخرى، ومن ثم كانت خارجة لتوها من الحمام. كانت ترتدى نوعًا من الكيمونو مغطى بفراشات حمراء وبرتقالية، كان شعرها الداكن مضفرًا بشريط وردى، ملفوفًا ومربوطًا دون إحكام. أول ما فعله حين وصلت إلى بابه، أن أسرع، فاقد الأنفاس، يصيح بفرحة أو مقلدًا صيحة الفرح جيدًا، يفك شعرها. لفت ضفائرها حول يديه ثلاث مرات.

همس: "أين كريك؟". كانت رائحتها كرائحة الليمون، كرائحة أعشاب مسحوقة.

"لا تقلق، يا جيمى".

"لكن أين هو؟"

"إنه خارج الجنة، لقد خرج. كانت لديه مقابلة. وهو لا يريد أن يرانى عندما يعود، قال إنه سوف يفكر الليلة. وهو لا يريد الجنس أبداً وهو يفكر".

"هل تحبيننى؟"

ضحكتها تلك. ماذا كانت تعنى؟ سؤال غبى. لماذا تسأل؟ إنك تتكلم كثيراً. أو: ما هو الحب؟ أو ربما: هذا فى الأحلام.

ثم مر الوقت. ثم كانت تلم شعرها ثانية لأعلى، ثم تضع الكيمونو، ثم تربطه بالحزام. وقف خلفها، يراقبها فى المرآة. أراد أن يضع ذراعيه حولها، ويخلع الثوب الذى ارتدته لتوها، ويبدأ كل شىء ثانية.

قال: "لا تذهبى الآن"، لكن لم يكن هذا القول ذا فائدة من أى نوع لها. لقد قررت شيئًا، وهى فى طريقها لفعله. أحيانًا كان يشعر أنه مجرد نداء لأحد البيوت على خط تجوالها السرى – وأن لديها قائمة بالآخرين الذين سوف تتعامل معهم قبل أن ينتهى الليل. أفكار لا قيمة لها، لكنها ليست بلا سبب. لم يعرف أبداً ماذا كانت تفعل عندما لا تكون معه.

قالت: "سأعود سريعًا". وهى تضع قدميها فى صندلها ذى اللونين الأحمر والوردى. "سأحضر بيتزا. هل تريد شيئًا آخر يا جيمى؟"

قال فجأة: "لماذا لا نترك كل هذا الهراء، ونذهب بعيداً إلى مكان ما".

"بعيداً عن هنا؟ عن الجنة؟ لماذا؟"

"لنكون معًا".

"جيمى، أنت مضحك! إننا معًا الآن!"

قال جيمى: "يمكننا أن نبتعد عن كريك، ولا نضطر إلى اختلاس اللقاء بهذه الطريقة، يمكننا..."

اتسعت عيناها: "لكن يا جيمى، كريك بحاجة إلينا!"

قال جيمى: "أعتقد أنه يعرف. أعنى عنا". لم يكن يصدق هذا، أو كان يصدقه ولا يصدقه، الأمرين معًا. من المؤكد أنهما كانا أقل احتراساً فى الفترة الأخيرة. كيف يمكن أن يفوت ذلك على كريك؟ هل من الممكن بالنسبة لرجل بهذا الذكاء وفى مناحى عديدة، أن يكون ضائع العقل فى نواحٍ أخرى؟ أو هل كان كريك أكثر مخادعة من جيمى؟ ولو كان الأمر كذلك، فلم تكن هناك أية علامات تدل عليه.

لقد اعتاد جيمى أن يبحث عن الأشياء الصغيرة فى غرفته: ميكروفونات صغيرة مخبأة، كاميرات دقيقة. كان يعرف ما الذى يبحث عنه، أو هكذا كان يظن. ولم يكن هناك شىء من ذلك.

يفكر سنومان، بل كانت هناك علامات. كانت هناك علامات وقد فاتتنى.

ومثلاً، ذات مرة قال كريك: "هل يمكن أن تقتل شخصًا تحبه لتحميه من الألم؟"

قال جيمى: "هل تعنى القتل الرحيم؟ مثل قتل سلحفاتك الأليفة؟"

قال كريك: "أجبنى فقط".

"لا أعرف. أى نوع من الحب، وأى نوع من الألم؟"

لكن كريك غيَّر الموضوع.

ثم، ذات مرة على الغداء، قال: إذا حدث لى أى شىء، فأنا أعتمد عليك فى العناية بمشروع الجنة. فى أى وقت أكون فيه بعيداً عن هنا، أريدك أن تتولى أنت المسئولية. لقد جعلت ذلك أمرًا رسميًا".

قال جيمى: "ماذا تعنى بأى شىء؟ ما الذى يمكن أن يحدث؟"

"أنت تعرف".

ظن جيمى أنه يقصد الاختطاف، أو أن تسدد المعارضة ضربة له: كان هذا يحدث كثيراً لعقول المستوطنات. قال: "مؤكد سأفعل، ولكن، أولاً، إن الأمن الخاص بك هو أفضل وسائل الأمن، وثانيًا، هناك أناس هنا مجهزون أفضل منى. ولا يمكننى أن أرأس شيئًا كهذا، ليس لدى العلم اللازم".

قال كريك: "هؤلاء الناس إخصائيون. لن تكون لديهم القدرة للتعامل مع نماذج الجنة، لن يكونوا بالكفاءة اللازمة أبدًا، سيفقدون صبرهم. حتى أنا يمكن أن أفقد الصبر. لا أستطيع أبدًا أن أكون على موجتهم. لكنك أكثر قدرة على التعامل بشكل عام".

"بمعنى؟"

"إن لديك قدرة كبيرة للجلوس دون أن تفعل الكثير، مثلهم تمامًا".

قال جيمى: "أشكرك".

"لا، أنا جاد فى هذا. أريد، أريدك أنت أن تفعل هذا".

قال جيمى: "ولكن ماذا عن أوريكس، إنها تعرف الكريكيين أكثر كثيرًا منى". كان جيمى وأوريكس يقولان "الكريكيين"، لكن كريك لم يقل ذلك أبدًا.

قال كريك: "إذا لم أكن هنا، فلن تكون أوريكس أيضًا".

"هل سوف تقتل نفسها معك؟ لا، هراء! تضحى بنفسها على مذبح جنازتك؟"

قال كريك، مبتسمًا: "شىء من هذا النوع". وهو الأمر الذى ظنه جيمى فى ذلك الوقت مزحة، وفى الوقت نفسه علامة على أن كريك لديه بالفعل ذات متضخمة.

- وفى تلك الليلة الأخيرة، قال جيمى: "أظن أن كريك يتجسس علينا". وما إن قالها حتى رأى أنها يمكن أن تكون حقيقة، رغم أنه ربما قالها ليخيف أوريكس. ربما ليحملها على الفرار؛ رغم أنه لم تكن لديه خطة متماسكة. فلنفترض أنهما هربا، أين يمكنهما أن يعيشا، كيف يمكن أن يمنعا كريك من أن يجدهما، وماذا سيفعلان من أجل النقود؟ هل سيضطر جيمى أن يتحول إلى قواد، ويعيش على عملها فى الدعارة؟ لأنه من المؤكد لم تكن لديه أية مهارات تصلح للتسويق، لا شىء يستطيع أن يعمل به فى أراضى السوقة، ليس إذا ذهبا للحياة تحت الأرض. وقد يضطران إلى فعل هذا. "أظن أنه يشعر بالغيرة".

"أوه يا جيمى! لماذا يشعر كريك بالغيرة؟ إنه لا يوافق على الغيرة. وهو يعتقد أنها خطأ".

قال جيمى: "لكنه بشر. وما يوافق أو لا يوافق عليه لا علاقة له بالموضوع؟"

"جيمى، أعتقد أنك أنت الذى تشعر بالغيرة". ابتسمت أوريكس، ووقفت على طرف قدميها، وقبلت أنفه. "إنك ولد لطيف. لكنى لن أترك كريك أبدًا. إننى أؤمن بكريك، أؤمن بـ..." - بحثت لحظات عن الكلمة المناسبة - "أؤمن برؤيته. إنه يريد أن يجعل العالم مكانًا أفضل. هذا هو ما يقوله لى دائمًا. وأعتقد أن هذا شىء رائع، ألا تعتقد ذلك يا جيمى؟"

قال جيمى: "أنا لا أعتقد ذلك. أنا أعرف ما يقوله، لكنى لم أصدقه ابداً. إنه لا يهتم أبداً بأى شيء كهذا. إن اهتماماته تنحصر فى...."

"أوه، أنت مخطئ يا جيمى. لقد وضع يده على المشكلات، وأعتقد أنه محق. هناك أناس كثيرون جداً وأكثر من اللازم، وهذا يجعل الناس فى حالة سيئة. أعرف ذلك من حياتى نفسها، يا جيمى. كريك رجل ذكى جداً!"

كان جيمى ينبغى أن يكون أكثر ذكاء من التحدث عن كريك بهذه الطريقة السيئة. لقد كان كريك هو بطلها، بشكل ما. كان شيئاً مهماً. كما أنه هو - جيمى - لم يكن كذلك.

"حسناً. عندك حق". على الأقل، لم يفسد الأمر بالكامل؛ لم تكن غاضبة منه. وكان هذا هو المهم.

يفكر سنومان، كم كنت غبياً. كم كنت مسلوب اللب، معتوهاً. ليس "كنت"، بل أنا كذلك بالفعل.

"جيمى، أريدك أن تعدنى بشيء".

"طبعاً، ما هو؟"

"إن لم يكن كريك هنا، إذا ذهب بعيداً إلى أى مكان، وإن لم أكن أنا أيضاً هنا، أريدك أن تعتنى بالكريكيين".

"لستما هنا؟ لماذا لا تكونان هنا؟" القلق مرة أخرى، الريبة: أين يخططان للذهاب معًا، مع تركه هنا؟ أهذا هو الأمر؟ هل كان نوعًا من اللعبة بالنسبة لأوريكس، ونوعًا من مهرج البلاط بالنسبة لكريك؟ "هل أنتما ذاهبان إلى شهر عسل أم ماذا؟"

"لا تكن سخيفًا يا جيمى. إنهم مجرد أطفال، وهم بحاجة إلى أحد. لابد أن تكون لطيفًا معهم".

قال جيمى: "لقد اخترت الرجل الخطأ. إذا كان لى أن أقضى أكثر من خمس دقائق معهم سوف أجن".

"أعرف أنك تستطيع أن تفعل هذا. إننى جادة يا جيمى. قل إنك سوف تفعل، لا تخذلنى، هل تعدنى؟" كانت تمسده، وتجرى فمها بخط من القبلات على ذراعه.

"حسنا، سوف أفعل. أقسم من كل قلبى، وأتمنى أن أموت. هل أنت سعيدة الآن؟" لم يكلفه هذا شيئًا، كان كل ذلك مجرد نظرية.

"نعم، أنا سعيدة. سأذهب بسرعة جدًا يا جيمى، ثم يمكن أن نأكل، هل تريد أنوشجة؟"

ما الذى كانت تنويه؟ يتساءل سنومان، للمرة المليون. ما مدى ما استطاعت أن تخمنه؟

محبس هوائى

انتظرها، فى البداية كان فاقداً صبره، ثم أصابه القلق، ثم اشتد قلقه حتى كاد يجن. إن إعداد اثنتين من البيتزا لا يفترض أن يستغرق كل هذا الوقت.

فى البداية جاءت نشرة فى الساعة التاسعة وخمس وأربعين. لأن كريك لم يكن فى المكان، وكان جيمى هو نائبه، فقد أرسلوا أحد أعضاء الإدارة من غرفة شاشة الفيديو لإحضاره.

فى البداية ظن جيمى أن الأمر لا يتعدى نوعًا من الروتين، وباء صغير آخر أو بقعة من الإرهاب الحيوى، لا شىء يزيد عن إحدى المواد الإخبارية. كان الأولاد والبنات يرتدون الزى الحيوى المضاد للحرارة، وكان يحدث المعتاد ممن يلقون الحرائق ووضع خيام العزل وأقفاص التبييض وحفر الجير. على أى حال، كان ذلك فى البرازيل. بعيداً بما يكفى. لكن أوامر كريك تقول إنه يجب الإبلاغ عن حدوث أى شىء غير عادى، لأى شىء، وفى أى مكان، ومن ثم ذهب جيمى ليرى المسألة.

ثم، الضربة التالية، والتالية، والتالية، نار تنتشر سريعًا. تايوان، بانكوك، السعودية، بومباى، باريس، برلين. أراضى السوقة فى غرب شيكاجو. كانت الخرائط على شاشة المونيتور تشتعل تباعًا، تظهر النقاط الحمراء كما لو كان شخص ما يحمل فرشاة مليئة بالألوان

ويرش منها عليها. كان هذا أكثر من مجرد بضع مواقع منفصلة لأحد الأوبئة. كان الأمر كبيراً.

حاول جيمى أن يتصل بكريك على تليفونه المحمول، لكنه لم يتلق رداً. قال لفريق المونيتور أن ينقلوا إلى قنوات الأخبار. قال المعلقون إنه كان نزيفًا دمويًا بشعًا، والأعراض حمى مرتفعة الحرارة، ونزيف من العينين والجلد، وتشنجات، ثم انفجار الأعضاء الداخلية، ويلى ذلك الموت. وكان الوقت الذى يفصل بين ظهور الأعراض إلى اللحظة الأخيرة قصيراً بشكل مذهل. وظهر أن الميكروب ينتقل فى الهواء، لكن ربما يكون هناك عامل مائى أيضًا.

رن محمول جيمى، كانت أوريكس. صرخ: "أين أنت؟ ارجعى هنا، هل رأيت....."

كانت أوريكس تبكى. وكان هذا غير معتاد حتى أن جيمى اضطرب. قالت: "أوه يا جيمى، أنا آسفة جداً. لم أكن أعلم".

قال ليهدئها: "لا مشكلة"، ثم انتبه: "ماذا تقصدين؟"

"لقد كان ذلك فى الأقراص، تلك الأقراص التى كنت أوزعها، الأقراص التى كنت أبيعها. إنها المدن نفسها، لقد ذهبت هناك. تلك الأقراص كان يفترض أن تساعد الناس! لقد قال كريك....".

انقطعت المكالمة. حاول أن يتصل بها مرة أخرى: ورن الجرس رنيناً متواصلاً. ثم صوت كليك، ثم لا شىء.

ماذا لو كان هذا الشيء داخل ريجوڤين بالفعل؟ ماذا لو كانت معرضة له؟ عندما ظهرت عند الباب لم يستطع أن يمنعها من الدخول. لم يحتمل أن يفعل ذلك، حتى لو كانت تنزف من كل بثرة في جسدها.

وبحلول منتصف الليل، كانت أخبار ظهور المرض تأتي تقريبًا متزامنة. دالاس، سياتل، نيويورك الجديدة. هذا الشيء لم يكن يبدو أنه ينتقل من مدينة إلى أخرى: بل كان ينفجر في عدد من المدن في وقت واحد.

كان هناك ثلاثة من الإدارة في الغرفة الآن: رينو، وبيلوجا، وهوايت سيدج. أحدهم كان يغمغم، وآخر كان يصفر، والثالث – هوايت سيدج – كان يبكي. هذا هو الهجوم الأكبر. قال ذلك اثنان منهم في صوت واحد.

"ما هي احتياطاتنا؟"

"ماذا نفعل؟"

قال جيمي، محاولاً ألا يفقد أعصابه: "لا شيء، إننا بأمان هنا. يمكن أن ننتظر أن ينتهي الأمر. إن لدينا ما يكفي من الإمدادات في غرفة الخزين". ونظر إلى الوجوه الثلاثة العصبية. "ينبغي أن نحمي نماذج الجنة. نحن لا نعرف كم تبلغ فترة الحضانة، ولا نعرف من يمكن أن يكون حاملاً للميكروب. لا يمكن أن ندخل أحداً".

هذا التوكيد طمأنهم قليلاً. خرج من غرفة المونيتور، وأعاد تشفير الأبواب الداخلية، وكذلك المداخل التى تؤدى إلى محبس الهواء. وبينما كان يفعل ذلك، رن جرس تليفونه الفيديو. كان كريك. كان وجهه على الشاشة الصغيرة يبدو كالمعتاد دائماً؛ وظهر أنه فى أحد البارات.

صرخ جيمى: "أين أنت؟ ألا تعرف ماذا يحدث؟"

قال كريك: "لا تقلق. كل شىء تحت السيطرة". كان يبدو ثملاً، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لكريك.

"ما هذا الهراء المسمى كل شىء؟ إنه وباء على مستوى العالم كله! إنه الموت الأحمر! ماذا فى تلك الأقراص المسماة ببليس بلاس؟"

قال كريك: "من قال لك هذا؟ طائر صغير؟". من المؤكد أنه كان ثملاً، ثملاً، أو تناول بعض المستحضرات الصيدلية.

"لا يهم من، لكنه صحيح، أليس كذلك؟"

قال كريك: "أنا موجود فى مبنى التسوق، فى دكان البيتزا. سوف آتى فوراً. قم بتأمين القلعة".

أغلق كريك الخط. فكر جيمى أنه ربما التقى بأوريكس. وربما سوف يعيدها بأمان. ثم فكر، أيها الأبله.

ذهب ليطمئن على مشروع الجنة. كانت محاكاة سماء الليل تعمل، القمر المزيف بازغ، والكريكيون – بقدر ما يستطيع أن يعرف – كانوا

نائمين فى أمان. همس لهم عبر الزجاج "أحلاماً سعيدة. ناموا جيداً. لن يستطيع النوم الآن إلا أنتم".

ما حدث بعد ذلك كان تتابعًا بالحركة البطيئة. كان مشاهد عرى مع إسكات الصوت، كان تجميد المخ بدون الإعلانات. كان ميلودراما مبالغًا فيها، ميلودراما لو تفرج عليها هو وكريك لضحكا حتى انفجرا من الضحك، لو كانا فى الرابعة عشرة من عمرهما ويشاهدانها على الدى فى دى DVD .

فى البداية كان الانتظار. جلس فى مقعد فى مكتبه، وأخذ يقول لنفسه إنه يجب أن يهدأ. كانت قوائم الكلمات القديمة تنهال متتابعة داخل رأسه: منقولات، يتبرعم، أكفان، بنت هوى. وبعد قليل وقف. ثرثرة، هذيان، التعلم فى الكبر. فتح جهاز الكمبيوتر الخاص به، ودخل إلى مواقع الأخبار. كان الكثير من الهلع والرعب هناك بالخارج، ويبدو أن سيارات الإسعاف لم تكن كافية. وظلت الخطب السياسية التى تحاول طمأنة الناس تتابع، وتعليمات بـ "التزموا بالبقاء فى بيوتكم"، يتم إذاعتها بالميكروفونات العملاقة التى تسير فى الشوارع. وانفجر الناس فى الدعاء والصلوات.

تسلسل، فتيل فرعى، ضغينة.

ذهب إلى مخزن الطوارئ، وأخذ بندقية رش، وجهزها، وغطاها بجاكيت من النوع الاستوائى. وعاد إلى غرفة المونيتور، وأخبر الأعضاء

الثـلاثة الذين كـانوا هنـاك أنه تحـدث مـع أمن سـلاح الشـركـة الخـاص بالمستـوطنة – كذبة – وأنـهم ليـسوا معـرضين لخطر مباشـر هنا؛ وهـى كذبة أخـرى؛ لأنه كـان يشك فى ذلك. وأضـاف أن كـريك تحادث مـعـه تليـفونيًّا، وكـانت أوامره هـى أنهـم ينبـغى أن يعـودوا إلى غرفـهم وينالوا قـسطًا من النوم؛ لأنهم سـيكونون بحـاجـة إلى كل طاقـاتهم فى الأيام المقبلة. وبدا عليهم الارتياح، والسعادة بتنفيذ هذه الأوامر.

صحبهم جيمى إلى محبس الهواء، وأدخل الشفرة إلى الممر المؤدى إلى أجنحة نومهم. وأخذ ينظر إلى ظهورهم وهم يسيرون أمامه، ورآهم مـوتى بالفـعل. وكـان آسـفًـا لهـذا، لكنه لم يكن يمكنه أن يتـرك الأمـر للظروف. فقد كانوا ثلاثة وهو واحد، فإذا تملكتـهم حالة هستيرية، وإذا حـاولوا أن يخـرجـوا عنوة من مـبـانى المجـمـوعـة، أو حـاولوا إدخـال أصدقـائهم إليـها، لن يكون قادرًا على التحكم فيهم. وما إن أصـبحـوا بعيدًا عن ناظره، أغلق الشفرة، هم بالخـارج، وهو هنا. لا أحد فى القبة الداخلية الآن سواه هو والكريكيون.

وأخـذ يشـاهد مـزيدًا من الأخـبـار لبـعض الوقت، ويشـرب ويسكى ليقوى نفسه، لكن مـع محـاولة فعل ذلك ببطء جاعلاً بعض الوقت بين كل جرعة وأخرى. سويقة عشب جاف، صوت حنجرى، نعامة، نبات الصبغ الأزرق. كـان بانـتظار أوريكس، لكن دون أمل. لابد أن شيئًا حـدث لهـا. وإلا لكانت هنا.

قرب الفجر، رن مونيتور الباب. كان هناك شخص يضغط الأرقام ليفتح باب محبس الهواء. لكن هذا لن يفيد بالطبع، لأن جيمى غير الشفرة.

سمع رنة فيديو الإنتركوم. وقال كريك: "ماذا تفعل؟" كان يبدو عليه الضيق. "افتح".

قال جيمى: "أنا أتبع الخطة رقم ٢ فى أوقات حدوث خطر بيولوجى، لا تدخل أحداً أبداً. هذه أوامرك، لقد أغلقت محبس الهواء".

"كلمة 'أحد' لا تشملنى أنا. لا تكن جوزة فلين".

قال جيمى: "ومن أين لى أن أعلم أنك لا تحمل الميكروب؟".

"أنا لا أحمله".

"كيف لك أن تعرف؟"

قال كريك بتعب: "دعنا نفترض فقط، أننى كنت أتوقع حدوث ذلك مسبقًا، واتخذت احتياطاتى. على أى حال، أنت أيضًا لديك مناعة لهذا".

قال جيمى: "لماذا تكون لدى مناعة؟". كان عقله بطيء الفهم الليلة. كان هناك شيء ما خطأ فيما قاله كريك لتوه، لكنه لم يستطع أن يحدده.

كان محلول المضاد فى الفاكسين الخاص بأماكن السوقة. هل تذكر كم من المرات أخذت حقنة من هذا الشىء؟ كل مرة كنت تذهب إلى السوقة لتتمرغ فى الوحل وتغرق أحزان حبك".

قال جيمى: "كيف عرفت؟ كيف عرفت أين أنا، ما كنت أريد؟" كان قلبه يدق بعنف؛ لم يكن دقيقًا فى تعبيره.

"لا تكن مغفلاً. دعنى أدخل".

أدخل جيمى الشفرة فى القفل الهوائى للباب. والآن كان كريك عند الباب الداخلى. فتح جيمى مونيتور القفل الهوائى: ظهرت رأس كريك بالحجم الطبيعى، أمام عينيه مباشرة. كان يبدو محطمًا. كان هناك شىء ما – دم؟ – على ياقة قميصه.

قال جيمى: "أين كنت؟ هل كنت فى مشاجرة؟"

قال كريك: "ليس لديك أى فكرة. أدخلنى الآن".

"أين أوريكس؟"

"إنها هنا معى. لقد عانت وقتًا عصيبًا".

"ماذا حدث لها؟ ماذا يجرى بالخارج؟ دعنى أتكلم معها!"

"إنها لا تستطيع الكلام الآن، لا أستطيع رفعها. إننى مصاب ببعض الجروح. والآن دعك من هذا الهراء وأدخلنا".

أخرج جيمى البندقية الرش، ثم أدخل الشفرة، ووقف جانبًا. كانت كل شعرة فى ذراعه واقفة. إننا نفهم أكثر مما نعرف.

استدار الباب منفتحًا.

كان كريك يرتدى زيًّا استوائيًّا ملطخًا بلون أحمر قاتم. وفى يده اليمنى كانت مطواة عادية من النوع الذى يستخدم فى غرفة الخزين، من النوع الذى يحتوى نصلين، ومبرد أظافر، وفتاحة زجاجات لولبية، ومقص صغير. وكان ذراعه الآخر حول أوريكس، والتى بدا أنها نائمة؛ كان وجهها مستندًا على صدر كريك، ضفيرتها الطويلة المربوطة بالشريط الوردى تتدلى تحت ظهرها.

وبينما يراقب جيمى، متجمدًا لا يصدق، ترك كريك أوريكس تقع إلى الخلف، على ذراعه الأيسر. ونظر إلى جيمى، نظرة مباشرة، ولم يكن يبتسم.

قال: "إننى أعتمد عليك". وشق زورها.

وأطلق جيمى البندقية عليه.

(١٣)

فقاعة

فى اللحظات التى تلى العاصفة يصبح الهواء أكثر برودة. يرتفع الضباب عن الأشجار البعيدة، وتتضاءل حرارة الشمس، وتبدأ الطيور نشاطها المسائى. ثلاثة غربان تطير فوق رأسه، أجنحتها لهب أسود، وكلماتها تكاد تكون مفهومة. إنها تقول كريك! كريك! وجنادب الليل تقول أوريكس. يفكر سنومان. إننى أهذى.

يتقدم على السور المستحكم، خطوة بخطوة ملتوية، يشعر بأن قدمه أشبه بمرجل عملاق يغلى ملىء بلحم ساخن معجون، لا عظام فيه وعلى وشك الانفجار. أيًا كانت الميكروبات التى تتخمر داخله الآن فهى من المؤكد مقاومة للمضاد الحيوى الموجود فى المرهم الذى وجده فى برج المراقبة. ربما فى الجنة، فى غرفة تخزين كريك للطوارئ التى يسودها الفوضى - هو يعرف مدى الفوضى فى هذه الغرفة، فهو نفسه الذى صنع تلك الفوضى - سوف يكون قادرًا على أن يجد شيئًا أكثر تأثيرًا.

غرفة تخزين كريك للطوارئ. خطة كريك الرائعة. أفكار كريك الفائقة. كريك، ملك الكريكية؛ لأن كريك لا يزال هناك، لا يزال يمتلك، لا يزال حاكمًا على مملكته الخاصة، مهما أصبحت تلك الفقاعة من الضوء معتمة كما هي الآن. أكثر عتمة من العتمة، وبعض تلك العتمة هي من عمل ستومان. لقد ساعد على أن تحدث.

يقول ستومان: "هيا بنا إلى هناك". يا عزيزي، أنت هناك بالفعل. إنك لم ترحل أبداً.

عند برج الملاحظة الثامن، ذلك الذي يطل على الحديقة التي تحيط بالجنة، ينظر ليرى إذا ما كان أيًا من الأبواب المؤدية إلى الغرفة العلوية مفتوحًا – سوف يفضل أن ينزل عن طريق السلم، إذا كان ذلك ممكنًا – لكن لم يجد أيًا منها مفتوحًا. باحتراس يبحث الأرض تحته من خلال إحدى فتحات المراقبة: لا يوجد أي نمط أحيائي مرئي من الحجم الكبير أو المتوسط، رغم أن هناك بعض الذيول الظاهرة بين الشجيرات، والتي يأمل أن تكون مجرد سنجاب. يفرد الملاءة الحبل، ويربطها إلى ماسورة تهوية – رديئة، ولكن هي الإمكانية الوحيدة – وينزل الناحية الأخرى منها من فوق حافة السور. كانت قصيرة بنحو سبعة أقدام، لكنه يستطيع احتمال القفزة، طالما أنه لا ينزل على قدمه المصابة. وينزل، يداً بعد يد، على الحبل الذي صنعه. يتعلق عند نهايته مثل العنكبوت، ويتردد – أليس ثمة تقنية لأداء ذلك؟ ما الذي قرأه عن الباراشوتات؟ شيء ما عن ثني الركبتين. ويترك الحبل.

ينزل على قدميه الاثنين معًا. الألم شديد، لكن بعد أن تدحرج على الأرض الطينية لبعض الوقت، وندت عنه صيحات حيوان أصيب بضربة رمح، يحمل نفسه وهو يعرج على قدميه. مراجعة: على قدمه. لا يبدو أن هناك شىء قد كسر. ينظر حوله بحثًا عن عصا لاستخدامها كعكاز، ويجد واحدة. أفضل شىء بالنسبة للعصى أنها تنمو على الأشجار.

والآن يشعر بالظمأ.

يتحرك خلال النبت الأخضر والحشائش المرتفعة، ولا يزال يعرج، ويجز على أسنانه. فى الطريق يدوس على إحدى حشرات الموز الضخمة، ويكاد يقع. يكره هذا الإحساس، باردة، لزجة، كعضلة مقشرة خارجة من الفريزر. مخاط زاحف. لو كان أحد الكريكيين لكان عليه أن يعتذر لها - آسف لأننى دست عليك، يا طفلة أوريكس، أرجو أن تسامحى غفلتى.

يحاول ذلك بصوت مرتفع: "إننى آسف".

هل سمع شيئًا؟ هل من إجابة؟

عندما تبدأ الحشرات تتكلم، يجب الإسراع فلم يعد ثمة وقت لتضييعه.

يصل إلى القبة الفقاعة، يدور حول الانتفاخ الثلجي، الساخن الأبيض، حتى يصل إلى الأمام. باب المحبس الهوائى مفتوح، كما يتذكر. يأخذ نفساً عميقاً، ويدخل.

هنا كريك وأوريكس، أو ما بقى منهما. لقد تعرضا لعملية تسرنة، إنهما متناثران هنا وهناك، عظام صغيرة وكبيرة تتناثر فى فوضى، مثل لغز عملاق من القطع المتشابكة.

ها هو سنومان، كثيف كطوبة، غبى، عابث، ساذج، تجرى المياه على وجهه، وقبضة عملاقة تعتصر قلبه، يحدق فى حبه الحقيقى وصديقه الوحيد فى العالم كله. تجويفا عينى كريك الفارغان ينظران إلى سنومان، كما كانت عيناه الفارغتان، مرة من قبل. يهمهم ويرتفع صرير كل الأسنان الموجودة فى رأسه. أما أوريكس، فوجهها إلى الأرض، وقد لفت رأسها بعيداً عنه كما لو كانت فى حالة حزن. وشريط شعرها الوردى لا يزال وردياً كما كان دائماً.

أوه، كيف التفجع والعويل؟ إنه فاشل حتى فى هذا.

يعبر سنومان من الباب الداخلى، يعبر منطقة الأمن، إلى الشقق المخصصة لمعيشة الإدارة. الهواء دافئ، رطب، غير متجدد. أول مكان يريد الوصول إليه هو المخزن؛ ويجده دون صعوبة. مظلم إلا من قليل من ضوء السماء، لكنه معه الكشاف. هناك رائحة عفونة وفئران، لكن فيما عدا ذلك فالمكان لم يُمس منذ كان هنا آخر مرة.

يحدد موقع أرفف الإمدادات الطبية، ويبحث فيها. مهبطات لنشاط اللسان، لفات من الشاش، مراهم للحروق. وصندوق من الترمومترات الشرجية، لكنه ليس بحاجة إلى أن يضع أحدها فى شرجه ليعرف أنه يكاد يشتعل من الحرارة. ثلاثة أو أربعة أنوع من المضادات الحيوية، على شكل أقراص، ومن ثم ستكون بطيئة المفعول، بالإضافة إلى زجاجة أخيرة من كوكتيل كريك الفائق المضاد للبكتريا قصير المدى الخاص بأراضى السوقة. سوف يذهب بك ويعيدك سالمًا، لا تبق هناك حتى تدق الساعة الثانية عشرة فى منتصف الليل وإلا ستتحول إلى قرعة، كان هذا ما اعتاد كريك أن يقوله. يقرأ البطاقة، ملاحظات كريك المحددة، ويقدر الجرعة المطلوبة. ويشعر بضعف شديد الآن حتى أنه يكاد لا يقدر على رفع الزجاجة، ويأخذ الأمر هنيهة ليفتح الغطاء. وتنفتح بالونة الحوار فى رأسه "جلوج، جلوج، جلوج، إلى العمل".

لكن لا، لا يجب أن يشربه. ويجد صندوقًا من الحقن النظيفة، فيحقن نفسه. ويقول: "هيا اذهب وعض تلك الجراثيم فى القدم". ثم يعرج إلى جناحه الخاص، أو ما كان جناحه الخاص، وينهار على السرير الرطب غير المرتب، ويغيب عن الوعى.

يأتى إليه فى الحلم الببغاء أليكس. يطير داخلاً من النافذة، وينزل بالقرب منه على الوسادة، يلمع جناحاه هذه المرة بلونين أخضر وبنفسجى، ومنقار أصفر، يضىء متوهجًا كضوء المنارة، ويشعر سنومان بأنه مغمور بالسعادة والحب. يرفع الببغاء رأسه مختالاً، وينظر

إليه فى البداية بعين واحدة، ثم بالأخرى. ويقول: "المثلث الأزرق". ثم يبدأ فى التورد، فى التحول إلى اللون الأحمر، ويبدأ ذلك بالعين. هذا التغير مخيف، كما لو كان لمبة على شكل ببغاء تمتلئ بالدم، ويقول: "أنا راحل الآن".

ينادى سنومان، أو يريد أن ينادى: "لا، انتظر". لا يستطيع أن يحرك فمه. "لا تذهب الآن! قل لى....".

ثم هناك دفقة ريح، ويختفى أليكس، ويجد سنومان نفسه جالسًا فى سريره السابق، فى الظلام، غارقًا فى العرق.

خربشة

فى الصباح التالى يجد أن قدمه أفضل بشكل ما. قل التورم كثيرًا، وتراجع الألم. فى المساء سيعطى لنفسه حقنة أخرى من دواء كريك السوبر. وهو يعرف أنه لا يستطيع أن يبالغ فى ذلك، فالمادة شديدة القوة. ولو أخذ منها زيادة، من الممكن أن تتضخم خلاياه وتصبح كحبات العنب.

ضوء النهار يأتى مفلترًا من خلال قوالب الزجاج العازل التى تواجه نافذة ضوء السماء. يلف حول المكان الذى كان يسكنه ذات يوم، شاعرًا بأنه أصبح مجرد إحساس تحرر من الجسد. هنا دولابه، هنا

الثياب التى كانت له، قمصان وشورتات خفيفة استوائية، مرتبة بنظام على الشماعات وقد بدأت فى التعفن. وأحذية أيضًا، لكنه لم يعد يستطيع أن يحتمل فكرة لبس حذاء أو أى شىء فى قدمه. فسوف تكون وكأنك تضيف حوافر أخرى، بالإضافة إلى أن قدمه المصابة لن تدخل فى أى حذاء. هناك أيضًا ملابس داخلية متراصة على الأرفف. لماذا كان معتاداً على ارتداء هذه الأشياء؟ إنها تبدو له الآن كنوع غريب من قضبان العبودية.

فى المخزن يجد بعض العلب والمعلبات. للإفطار يتناول فطائر مغموسة فى عصير الطماطم ونصف قطعة جيلى، وابتلع ذلك بكوكا دافئة. لم يبق أى مشروب مسكر أو بيرة، فقد ابتلع كل ذلك فى أثناء الأسبوع الذى قضاه محبوساً هنا. حسنًا، كان باعثه أنه من الأفضل أن يشربها كلها بأسرع ما يمكن، ويحوِّل كل ذاكرته إلى ضوضاء بيضاء.

لا أمل فى شىء الآن. إنه محبوس فى الزمن الماضى، والرمال المتحركة ترتفع، وهو يغرق فيها.

بعد أن أطلق النار على كريك، أعاد إغلاق الباب الداخلى، أغلقه تمامًا. وكان كريك وأوريكس يرقدان وكأنهما يحتضنان بعضهما البعض فى محبس الهواء؛ لم يتحمل أن يلمسهما، ومن ثم تركهما حيث هما. كانت لديه رغبة رومانتيكية قديمة – ربما ينبغى أن يقص بعض ضفيرة أوريكس الداكنة – لكنه قاومها.

عاد إلى غرفته، وشرب بعض الويسكى، ثم شرب المزيد، أخذ يشرب بقدر ما قد يجعله يفقد الوعى. وما أيقظه كان رنين الباب الخارجى: لا شك أن هوايت سيدج وبلاك رينو يحاولان الدخول مرة أخرى. والآخرون أيضاً. تجاهلهم جيمى.

فى اليوم التالى قطع أربع شرائح من توست الصويا، وأجبر نفسه على أكلها، وشرب زجاجة من الماء. كان يشعر كأن جسده كله إصبع قدم مبتور، متخدر - فاقد الحس - ولكنه مؤلم أيضاً.

فى أثناء اليوم رن محموله. كان أحد كبار رجال الشركات، يبحث عن كريك.

"قل لهذا القذر أن يأتى إلى هنا ويساعد فى حل هذه المشكلة".

قال جيمى: "إنه ليس هنا".

"من أنت؟"

"لا أستطيع أن أخبرك. إنه برتوكول الأمن".

"اسمع، أيًّا كنت، عندى فكرة عن نوع الاحتيال الذى ينويه هذا التافه، وعندما أضع يدى عليه سوف أكسر عنقه. أراهن أن لديه فاكسين لهذا وسوف يحتفظ به لكى يلوى ذراعنا".

قال جيمى: "صحيح؟ أهذا ما تعتقد؟"

"أعرف أن هذا النذل موجود هناك. سوف آتى وأدمر الباب".

قال جيمى: "أنا ما كنت أفعل هذا لو كنت فى مكانك. إننا نرى هنا نشاطًا ميكروبيًّا شديد الغرابة. لم نر مثله من قبل. والمكان أكثر حرارة من جهنم. وأنا أحاول أن أمسك نفسى فى البدلة الحيوية، لكنى لا أعرف حقًا إذا كنت قد أصبت به أم لا. هناك شىء فعلاً قد خرج عن التحكم".

"أوه، يا للمصيبة. هنا؟ فى ريجوڤين؟ كنت أعتقد أننا فى أمان تام".

قال جيمى: "نعم، لقد حدث تغير سئ. ونصيحتى هى أن تبحث فى برمودا. أظن أنه ذهب هناك مع كمية كبيرة من المال".

"إذن فقد باعنا هذا الملعون. وقد فعلها عامداً من أجل المنافسة. هذا يفسر كل شىء. اسمع، أشكرك على النصيحة".

قال جيمى: "حظًّا طيباً".

"نعم، أكيد، وأنت أيضاً".

لم يدق أحد على الباب الخارجى بعد ذلك، لم يحاول أحد أن يدخل عنوة. لابد أن الرسالة وصلت لأهالى ريجوڤين أما رجال الجنة، فلابد أنهم – ما إن تحققوا أن الحراس قد ذهبوا حتى اندفعوا خارجًا وأسرعوا كالنحل إلى البوابة الخارجية. فلابد أن ما كان يشوشهم هو فكرة الحرية.

كان جيمى يطل على الكريكيين ثلاث مرات فى اليوم، ينظر إليهم فى الشاشة الكاشفة. ويبتدع تشبيهاً؛ لقد كان معتاداً على الفرجة على العرى. كانوا يبدون سعداء بما يكفى، أو على الأقل راضين. كانوا يأكلون، وينامون، يجلسون ساعات طويلة يصنعون أشياء تبدو لا شىء. الأمهات ترضع الأطفال، والصغار يلعبون. والرجال يتبولون فى دائرة. إحدى النساء جاءتها المرحلة الزرقاء، وقام الرجال برقصة الغزل، أخذوا يغنون والأزهار فى أيديهم، ويشيرون بأعضائهم التى تحولت إلى أزرق سماوى، بالدور. ثم كان اختبار الخصوبة الخماسى، هناك بين الشجيرات.

وفكر جيمى، ربما يمكننى أن أقوم ببعض الصلات الاجتماعية. أساعدهم فى اختراع العجلة. وأترك لهم تراثاً معرفياً. أعلمهم كل الكلمات التى أعرفها.

لا، لا يمكنه. لا أمل فى ذلك.

أحياناً كان يبدو عليهم القلق - يجتمعون فى جماعات، ويتهامسون. كانت الميكروفونات المخبأة تلتقط أصواتهم.

"أين أوريكس؟ متى ستعود؟"

"إنها تعود دائماً".

"كان ينبغى أن تكون هنا، وتعلمنا".

"إنها تعلمنا دائماً. إنها تعلمنا الآن".

"هل هى هنا؟"

"هنا أو ليست هنا، سيان بالنسبة لأوريكس. لقد قالت ذلك".

"نعم، لقد قالت ذلك".

"ما معنى هذا؟"

كان نوعًا من النقاش اللاهوتى المجنون فى أركان غرف الدردشة المهملة. ولم يستطع جيمى أن يحتمل الاستماع إليه طويلاً.

فى الوقت المتبقى كان هو نفسه يأكل، أو ينام، أو يجلس لساعات طويلة لا يفعل شيئًا. فى الأسبوعين الأولين كان يتابع أحداث العالم على الشبكة، أو على أخبار التليفزيون: كانت أخبار الشغب والثورة فى المدن قد ازدادت وانقطعت وسائل المواصلات ونُهبت محلات السوبر ماركت، والانفجارات، وأخبار الفشل فى الأنظمة الكهربائية، وحرائق لم يأت أحد لإطفائها. احتشدت الجموع فى الكنائس والمساجد والمعابد اليهودية، والمعابد، للصلاة والتوبة، ثم بدأوا يبتعدون عن هذه الأماكن عندما اكتشف المتعبدون أنهم يعرضون أنفسهم لخطر العدوى. كان هناك خروج عظيم إلى المدن الصغيرة والمناطق الريفية، والتى حارب سكانها اللاجئين قدر استطاعتهم، بالأسلحة النارية الممنوعة، أو العصى، أو مذارى الحقول.

فى البداية كانت شركات الأخبار تأتى بكل شىء بالتفصيل، وتصور الحركة من طائرات هليكوبتر، وهم يصيحون شارحين ما يحدث كما لو كان ذلك فى إحدى مباريات الكرة: هل رأيت هذا؟ شىء لا يصدقه عقل! براد، لا أحد يمكن أن يترك مكانه، صدقنى، إن ما رأيناه لتونا هو حركة مجنونة من البستانيين الربانيين، يحررون إحدى نباتات إنتاج كيزان الدجاج. براد، هذا جنون، هذه الأشياء التى تُسمى كيزان الدجاج، ألا يمكنها المشى! (ضحك). والآن، نعود إلى الأستوديو.

يفكر سنومانِ أنه فى أثناء فترة التشويه المستديم الأولى، قام بعض العباقرة بتحرير البيجونات والكلدييات. أوه، شكرًا جزيلاً.

وظهرت فى الشوارع مجموعات من الوعاظ الذين يضربون أنفسهم بالسياط، ويصرخون متحدثين عن أحداث الآخرة، رغم أنهم بدا عليهم القنوط وخيبة الأمل؛ فأين البوق والملائكة، لماذا لم يتحول القمر إلى دم؟ وظهر على الشاشة الناقدون مرتدين البدل الرسمية، والخبراء الطبيون، والرسوم البيانية التى تبين معدلات الإصابات، والخرائط التى تتابع مدى انتشار الوباء. كانوا يستخدمون اللون الوردى لذلك، كما كان بالنسبة للإمبراطورية البريطانية فى يوم من الأيام. كان جيمى يفضل لو استخدموا لونًا آخر.

ولم يكن هناك إخفاء لخوف المعلقين. من التالى، يا براد؟ متى سيكون لديهم لقاح مضاد؟ حسنًا، يا سيمون، إنهم يعملون طوال

ساعات اليوم من أجل ما أسمعه، لكن لا أحد قد أعلن أنه قد توصل إلى هذا الشيء بعد. إنه أمر كبير للغاية يا براد. سيمون، أنت قلت هذا بملء فيك، لكننا قد أصبنا ببعض الأشياء الكبيرة من قبل. ابتسامة مشجعة، ورفع للإبهام رمزًا للتشجيع، وعيون زائغة، ووجوه شاحبة.

كانت الوثائق تلقى باستعجال معًا، مع صور للفيروس – على الأقل استطاعوا عزله، كان يبدو شبيهًا بالقرص الصمغى الذائب العادى وله أشواك – وتعليقات على طرائقه. يبدو أن هذا مخلوق فيروسى فائق معشق من عدة فيروسات. ولا أحد يعرف بعد إذا كان نوعًا من الطفرة الوراثية أم أنه تم صنعه عن عمد. يومئ العقلاء فى كل مكان. ووضعوا اسمًا لهذا الفيروس، ليجعلوه يبدو أكثر قابلية للتحكم. كان اسمه "جوفى" (الفيروس فائق السرعة المتطرف المتجاوز للمعتاد). ومن الممكن أنهم يعرفون شيئًا ما الآن، مثل ما كان كريك فى الواقع يريد أن يفعل، مختفيًا فى أمان فى أعمق مكان من مستوطنة ريجوفين إستس. جالسًا يصدر حكمه على العالم، فكر جيمى؛ لكن لماذا كان ذلك من حقه؟

وكثر أصحاب نظرية المؤامرة: لقد كان ذلك أمرًا دينيًّا، كان من فعل البستانيين الربانيين، كان مؤامرة للحصول على حكم العالم. وصدرت نصائح "اغلِ الماء ولا تسافر" فى الأسبوع الأول، وتحذيرات من المصافحة. وفى الأسبوع نفسه كان هناك طلب شديد على القفازات المصنوعة من عصارة الشجر، وعلى المخروطات الأنفية المزودة بالنترات.

وفكر جيمى أنها ستكون ذات تأثير كتأثير لصقة البرتقال بالثوم فى أثناء الموت الأسود.

جاءنا الآن حالاً أن فيروس جوفى القاتل قد ظهر فى فيجى، التى لم يكن قد ظهر فيها حتى الآن. وأعلن رئيس سلاح الشركات نيويورك الجديدة منطقة كوارث. وقد تم إغلاق المواصلات الرئيسية.

براد، هذا الشيء يتحرك بسرعة كبيرة. سيمون، إنه شيء لا يُصدق.

كان كريك يقول: "إن تغيير أى نظام يعتمد على معدله، إذا لمست الجدار برأسك لن يحدث شيء، لكن إذا اصطدمت الرأس نفسها بالجدار نفسه بسرعة تسعين ميلاً فى الساعة، فالنتيجة طلاء أحمر. إننا فى نفق السرعة، يا جيمى. عندما تكون المياه أسرع من القارب، فلن يمكن أن تتحكم فى شيء".

فكر جيمى: كنت أسمع، لكنى لم أكن أعى ما أسمعه.

فى الأسبوع الثانى، كانت هناك حركة كاملة. نادى مديرو مجلس الوباء الذى تم تشكيله على عجل بإعلان حالة الطوارئ - عيادات ميدانية، خيام عزل، عزل صحى لبلدات بكاملها، ثم عزل صحى لمدن كبرى بالكامل. لكن هذه المجهودات سرعان ما تدهورت والأطباء والممرضات أنفسهم ينتقل إليهم الوباء، أو أصابهم الرعب وهربوا.

إنجلترا تغلق الموانئ والمطارات.

انقطاع كل الاتصالات بالهند.

جميع المستشفيات كاملة العدد حتى إشعار آخر. إن شعرت بالمرض، اشرب الكثير من الماء واطلب الخط الساخن.

لا تحاول، نكرر لا تحاول أبداً، الخروج من المدينة.

لم يكن براد يتكلم ولا سيمون، لقد ذهبا. كان هناك آخرون، ثم آخرون.

طلب جيمى الخط الساخن وجاءته رسالة مسجلة تقول إن الرقم المطلوب خارج الخدمة. ثم طلب والده، وهو أمر لم يفعله من سنوات. وكان الرقم خارج الخدمة أيضاً.

بحث فى بريده الإلكترونى، لم تكن هناك أية رسائل حديثة. كل ما وجده بطاقة تهنئة بعيد ميلاده لم يستطع إلغاءها: عيد ميلاد سعيد يا جيمى، أتمنى أن تتحقق كل أحلامك. وخنازير مجنحة.

كانت إحدى مواقع الشبكة ذات الإدارة الخاصة تنشر خريطة، عليها نقاط مضيئة فى كل مكان لا يزال يتصل عبر القمر الصناعى. راقب جيمى بذهول نقاط الضوء وهى تنطفئ واحدة بعد الأخرى.

كان فى حالة صدمة. لابد أن هذا هو السبب أنه لم يستطع أن يتحمل. كان الأمر كله أشبه بفيلم سينمائى. لكن ها هو هنا، بينما

أوريكس وكريك ميتان، فى منطقة المحبس الهوائى. عندما كان يجد نفسه يفكر فى أن كل هذا وهم، مزحة عملية من نوع ما، كان يذهب وينظر إليهما... من خلال النافذة المضادة للطلقات، بالطبع: كان يعرف أنه يجب ألا يفتح الباب الداخلى.

عاش على مخزون كريك للطوارئ، أولاً البضائع المجمدة: فلو فشل النظام الشمسى للفقاعة، فسوف تتوقف الثلاجات وأفران الميكروويف عن العمل، ومن ثم يمكن أن يأكل كل الوجبات الكبيرة من كيزان الدجاج بينما لديه الفرصة. وكان يدخن دخان كريك من عشب الظربان طوال الوقت؛ وقد استطاع بذلك أن يقضى ثلاثة أيام من الرعب. فى البداية كان يحاول التعقل فى شرب الخمر، لكن سرعان ما كان يشرب كميات منه. كان بحاجة لأن يسكر ليتمكن من مواجهة الأخبار، كان بحاجة لأن يفقد شعوره، أو أغلبه.

كان يقول: "لا أصدق هذا، لا أصدق". وبدأ يتكلم مع نفسه بصوت مرتفع، علامة سيئة. "هذا لا يحدث". كيف يستطيع أن يكون موجوداً فى هذه الغرفة العادية النظيفة، الجافة، المملة، يبتلع ذرة الصويا بالكراميل، وكرات جبن القرع الصيفى، ويفسد عقله بالمشروبات الروحية ويجلس فى حالة من الإخفاق التام والذى هو حياته الشخصية، بينما الجنس البشرى بكامله تتعالى صرخات فنائه؟

وأسوأ ما فى كل هذا أن أولئك الناس الذين كانوا هناك بالخارج – الذين يعانون الخوف، والعذاب، والموت الكاسح – لم يؤثروا فيه

حقيقة. كان كريك معتاداً أن يقول إن الهومو سابينس سابينس سلالة لا يرتبط أفرادها بصلات شخصية وثيقة إلا فيما لا يتجاوز مائتى شخص، وهو عدد القبيلة البدائية، وكان جيمى قد حصر العدد فى اثنين. هل كانت أوريكس تحبه، هل كانت لا تحبه؟ هل عرف كريك علاقتهما؟ وما مدى ما كان يعرفه؟ ومتى عرفه؟ هل كان يتجسس عليهما طوال الوقت؟ هل أعد المشهد الختامى ليكون نوعًا من المساعدة على الانتحار؟ هل كان ينوى أن يجعل جيمى يطلق عليه النار لأنه كان يعرف ما سوف يحدث بعد ذلك وأنه لا يريد أن يتفضل بالتواجد لمشاهدة نتائج ما فعله؟

أم هل كان يعرف أنه لن يستطيع أن يمسك تركيبة المصل المضاد متى ما بدأ سلاح الشركات بالضغط عليه؟ منذ متى كان يخطط لهذا؟ هل من الممكن أن يكون العم بيت، وربما والدة كريك نفسها، اختباراً لمحاولة الهروب؟ ومع كل ما كان يمكن أن يخاطر به، هل كان يخشى من الفشل، من أن يصبح مجرد شخص عدمى وغير كفء؟ أم كانت الغيرة تسبب له عذابًا غير محتمل؟ هل كان الحب ذا أثر مشوش عليه، أكان هو الانتقام، هل كان كل ما يريده هو أن يجعل جيمى يضع حداً لتعاسته؟ هل كان مجنونًا أم أنه كان رجلاً محترمًا فكر فى الأشياء حتى نهاياتها المنطقية؟ وهل هناك أى فرق؟

وهكذا، ظلت الأفكار تترى، تتعاقب عليه الدوامات العاطفية وتمتص الخمر الردىء حتى يستطيع أن يفقد شعوره ووعيه.

وفى الوقت نفسه، كانت نهاية جنس تحدث أمام عينيه. المملكة، الشعبة، الدرجة، الرتبة، العائلة، الجنس، النوع. كم كان عدد الأرجل؟ هومو سابينس سابينس، تلحق بالدب القطبى، وبالحوت الأبيض، وبالحمار الوحشى، وبالبومة الحفارة، بالقائمة الطويلة، الطويلة. أوه، حصلت على نقاط مرتفعة، يا جراند ماستر.

أحيانًا كان يغلق الصوت، ويهمس بالكلمات لنفسه: عصاريات، تحولات، عمى نصفى، ربع، نفايات حشرية. كان لذلك تأثير مهدئ.

يموت موقع بعد موقع، وقناة بعد قناة. وظل موقعان كالمراسى، فارسان للأخبار حتى النهاية، وضعا الكاميرات لتصوير موت العاملين بهما - الصرخات، الجلد المتحلل، كريات العيون المنفقئة؛ كل شىء. فكر جيمى، كم أنهم مغرمون بالمسرح. بعض الناس يمكن أن يفعلوا أى شىء للظهور على التليفزيون.

قال لنفسه: "أيها الهراء العبثى". ثم بدأ يبكى.

كان كريك يقول له: "لا تكن عاطفيًّا بهذا القدر العبثى". لكن لم لا؟ لماذا لا يكون عاطفيًّا؟ لم يكن يبدو أن هناك أحد موجود لينتقد مشاعره.

كانت فكرة قتل نفسه تمر به من وقت لآخر - بدا ذلك معقولاً جدًّا - لكن بشكل ما لم تكن لديه الطاقة اللازمة. على أى حال، قتل نفسك هو شىء تفعله من أجل أن يكون لديك جمهور، كما فى موقع ليلة ليلاء

دوت كوم. وفى هذه الظروف - هنا والآن - كان الانتحار فكرة ينقصها البريق. يمكنه أن يتصور نظرة كريك الساخرة المزدرية، وأوريكس وقد خاب أملها: لكن يا جيمى، لماذا تيأس؟ إن لديك عملاً يجب أن تؤديه! لقد وعدت، هل تذكر؟

ربما فاته أن يأخذ يأسه الشخصى بجدية.

أخيراً لم يكن هناك المزيد مما يمكن أن يشاهده، إلا الأفلام القديمة على الدى ڤى دى DVD . كان يشاهد همفرى بوجارت وإدوارد روبنسون فى فيلم مفتاح الصوت البطىء. إنه يريد المزيد، ألا تريد أنت أيضًا، يا روكو؟ نعم، هذا هو ما أريد، المزيد! هذا صحيح، أريد المزيد. ألن تكتفى أبدًا؟ أو يشاهد فيلم ألفريد هيتشكوك، الطيور. فلاب فلاب فلاب، إيييك، سكريتش. يمكنك أن ترى الخيوط التى ربطت بها نجوم أفيان إلى السقف. أو يشاهد فيلم ليل الموتى الأحياء. كانت مثل هذه الأفلام التى تعبر عن جنون العظمة والاضطهاد مريحة بالنسبة له.

وكان أحيانًا يغلق الجهاز، ويجلس أمام الشاشة الخالية. وتمر أمام عينيه فى الضوء الخابى كل النساء اللاتى عرفهن. أمه أيضًا، فى ردائها المنزلى الأرجوانى، شابة مرة أخرى. وأخيراً جاءت أوريكس، تحمل زهوراً بيضاء. نظرت إليه، ثم سارت ببطء خارج حقل الرؤية، إلى الظلال التى ينتظر عندها كريك.

كانت أحلام اليقظة هذه تشعره ببعض السرور. على الأقل عندما كانت تحدث له كان يشعر بأن كل شخص لا يزال حيًّا.

عرف أن حالته لا يمكن أن تستمر كثيراً. داخل الجنة بالضبط، كان الكريكيون يمضغون أوراق الأشجار والحشائش أسرع مما يمكن أن تنمو، وفى أحد الأيام يمكن أن يفشل نظام التكييف الشمسى، وسوف يفشل نظام الطوارئ أيضًا، وليس لدى جيمى أية فكرة حول كيفية إصلاح تلك الأشياء. وقد يتوقف سريان الهواء، ويتجمد قفل الباب، وسيكون هو والكريكيون محبوسين بالداخل، سوف يختنقون جميعًا. كان ينبغى أن يخرجهم بينما كان لا يزال هناك وقت، لكن ليس بسرعة جداً وإلا لكان بعض اليائسين لا يزالون بالخارج، واليأس قد يعنى أنهم خطرون. ولم يكن يريد أن يجد ثلة من المجانين المتفسخين يقعون على ركبهم، ويرفعون أيديهم إليه: اشفنا! اشفنا! ربما يكون محصنًا ضد الفيروس - إلا طبعًا إذا كان كريك يكذب عليه - لكنه ليس محصنًا ضد ما يعانيه أولئك الحاملين للفيروس من الغضب واليأس.

على أى حال، كيف يمكن أن يكون بمقدوره أن يقف هناك ويقول: لا شىء يمكنه إنقاذكم؟

فى الضوء الخابى، فى الرطوبة، يتجول سنومان من مكان إلى مكان. هنا مثلاً مكتبه. كمبيوتره فوق المكتب، يدير إليه وجهًا خاليًا مثل

فتاة منبوذة وجدت نفسها فجأة داخل حفلة صاخبة. إلى جوار الكمبيوتر بعض الأوراق، والتى لابد أنها آخر ما كتبه فى حياته. آخر ما كتبه فى حياته. يلتقطها بفضول. ما الشيء الذى رأى جيمى - الذى كان هو يوماً - أنه يستحق التوصيل، أو على الأقل التسجيل - يستحق أن يضعه بالأسود على الورق الأبيض، يستحق أن يسوِّد الورق من أجله - لتثقيف عالم لم يعد موجوداً؟

إلى من يهمه الأمر، كتب جيمى، بقلم ذى سن كروى، وليس طباعة، فقد كان الكمبيوتر فى ذلك الوقت قد توقف، لكنه ظل يجتهد، ويكتب باليد. لابد أنه كان لا يزال لديه بعض الأمل، لابد أنه كان لا يزال يعتقد أن الحالة يمكن أن تتبدل، وأن شخصاً ما سوف يظهر فى المستقبل، شخصاً قادراً؛ وأن كلماته سوف يكون لها معنى حينئذ، سوف يكون لها سياق. كان جيمى رومانتيكيًّا متفائلاً، كما قال كريك ذات مرة.

كتب جيمى: ليس لدى وقت كافٍ. ويفكر سنومان أنها ليست بداية سيئة.

ليس لدى وقت كافٍ، لكنى سأحاول أن أكتب ما أعتقد أنه تفسير لما حدث أخيراً من كارثة. لقد دخلت على كمبيوتر الرجل المعروف هنا باسم كريك. لقد تركه مفتوحاً - عمداً على ما أظن - وأستطيع أن أقول إن فيروس الجوفى قد تم صنعه هنا فى قبة الجنة باستخدام تهجينات من الهندسة الوراثية اختارها كريك بنفسه، ثم تم وضعها

داخل المنتج المعروف باسم أقراص بليس بلاس. وهناك عامل زمنى مبنى داخلها ليسمح بالتوزيع على نطاق واسع، وأول دفعة من الفيروس لم تصبح ناشطة حتى تم التوزيع فى كل المناطق المختارة، ومن ثم أخذ الظهور المفاجئ شكل سلسلة من الموجات المتعاقبة بسرعة. ومن أجل نجاح الخطة، كان الوقت عاملاً بالغ الأهمية. كان التمزق الاجتماعى فى أقصى درجاته، وتم منع تطوير الفاكسين بكفاءة. لقد طور كريك بنفسه فاكسين فى الوقت نفسه مع الفيروس، لكنه دمره قبل ، قبل موته.

ورغم أن العديد من أعضاء مشروع بليس بلاس قد ساهموا فى فيروس جوفى، كلٌ ساهم فى جزء ما، فإننى أعتقد أنه لا أحد باستثناء كريك كان على علم بالتأثير النهائى كيف سيكون. أما بالنسبة لدوافع كريك، فإننى لا أستطيع إلا التخمين. ربما....

هنا تتوقف الكتابة. وأيًا كان من الممكن أن تكون تخمينات جيمى فى موضوع دوافع كريك، فإنها لم يتم تسجيلها.

يكرمش سنومان الأوراق، ويلقيها على الأرض. من المُقَدَّر لهذه الكلمات أن تأكلها الخنافس. كان يمكن أن يذكر التغيرات التى لاحظها فى مغناطيسات الثلاجة الخاصة بكريك. يمكنك أن تعرف الكثير عن شخص ما من الأشكال المغنطة التى يضعونها على ثلاجاتهم، لكن ذلك لا يعنى أنه كان يفكر فيها فى ذلك الوقت.

أطلال

فى يوم الجمعة الثانى من مارس - كان يضع علامات على الأيام فى نتيجة، ولا يعلم سبب ذلك إلا الله - ظهر جيمى أمام الكريكيين لأول مـرة. لم يخلع ثيـابه، لقد شطب على هذه الفكرة. كـان يرتدى الملابس الخاصـة بالمناخ الاستوائى ذات اللون الكاكى، من النمـوذج الخـاص بريجـوڤين، مع شبكة تحت الذراعين، وألف جيب، وصندله المفـضل من الجلد التقليد. تجمع أطفال كريك حوله، يحدقون إليه بدهشة واستغراب؛ فهم لم يروا أقمشة من قبل. وأخذ الأطفال يهمسون ويشيرون.

"من أنت؟" قـال ذلك أحـدهـم والذى تم تعـمـيـده باسم إبراهام لينكولن. رجل طويل، ذو بشرة بنية، نحـيف. لم يقـل هـذا بشكل غـير مـهذب. لو جاءت من رجـل عـادى لوجدها جيـمى فظة، وربما عـدوانية، لكن هـؤلاء الناس لم يتـعلمـوا آداب اللغـة، لم يتـعلمـوا الاعـتـذار، أو التلطف فى التـعـبـيـر، أو تجـمـيل الألفـاظ؛ فـهم فى الحديث صـرحـاء بسطاء مباشرون.

قـال جيمى: "اسمى سنومـان". وكـان قد فكر فى ذلك مليًّا. لم يكن يريد أن يظل جيـمى أكثر من ذلك، ولا حـتى مـجـرد جيم، ولا يريد أن يكون ثيكنى أبداً؛ فـتـجسده فى الطائر ثيكنى، سـاكن القـبور، لم يكن ناجحاً. كما أنه كان بحاجة لنسيان الماضى، الماضى البـعيد، والماضى القريب، الماضى فى أى شكل من الأشكال، كان يريد أن يكون مـوجوداً

فقط فى الحاضر، دون شعور بالذنب، دون توقعات. كما يعيش الكريكيون. ربما يفيده فى ذلك اسم مختلف.

"من أين أتيت، يا سنومان؟"

قال: "جئت من مكان أوريكس وكريك، كريك أرسلنى"، وهذا صحيح، بشكل ما. "وأوريكس أيضًا". كان يحاول أن يحتفظ ببناء العبارة سليمًا وبسيطًا، الرسالة واضحة، وهو يعلم كيف يفعل ذلك من ملاحظته لأوريكس من خلال الجدار العاكس. ومن استماعه إليها، بالطبع.

"أين ذهبت أوريكس؟"

قال سنومان: "إن لديها أعمالاً أخرى". كان هذا كل ما استطاع أن يفكر فيه، مجرد نطق اسمها جعله يكاد يختنق.

سألت المرأة المسماة مدام كورى: "لماذا أرسلك كريك وأوريكس إلينا؟"

"لآخذكم إلى مكان جديد".

"لكن هذا مكاننا. إننا راضون بمكاننا هذا".

قال سنومان: "لكن أوريكس وكريك يريدان أن يكون لكم مكان أفضل من هذا. حيث يكون هناك المزيد من الطعام لكم". وهنا كانت

إيماءات، وابتسامات. أوريكس وكريك أرادا لهما الخير، كما يعرفون دائمًا. ويدا ذلك كافيًا بالنسبة لهم.

قال واحد من الأطفال: "لماذا جلدك واسع هكذا؟"

قال سنومان: "أنا صنعت بشكل يختلف عنكم". كان قد بدأ يجد هذه المحادثة ممتعة، كما لو كانت لعبة. كان هؤلاء الناس مثل صفحات بيضاء، ويمكنه أن يكتب ما يشاء على هذه الصفحات. "كريك صنعنى بنوعين من الجلد. أحدهما يمكن خلعه". وخلع جاكيتته الاستوائية ليريهم. فأخذوا ينظرون باهتمام إلى الشعر الموجود على صدره.

"ما هذا؟"

"هذا ريش. ريش صغير. أوريكس أعطته لى كخدمة خاصة. أترون؟ هناك ريش ينمو أيضًا على وجهى". وترك الأطفال يلمسون أطراف الشعر الباقية بعد الحلاقة فى وجهه. كان كسولاً فى الحلاقة مؤخرًا، ويدا ذلك مفيدًا؛ فقد كان شعر ذقنه بازغًا.

"نعم. إننا نرى. لكن ما هو الريش؟"

أوه، حسنًا: إنهم لم يروا شيئًا من ذلك من قبل. قال: "بعض أطفال أوريكس ينمو لهم ريش. وهذا النوع يسمى الطيور. سوف نذهب إلى المكان الذى توجد فيه الطيور. وعندئذ ستعرفون ما هو الريش".

صنع سنومان أعجوبته الخاصة، كان يرقص برشاقة حول الحقيقة، بأقدام خفيفة، بأصابع خفيفة. لكن الأمر كان شديد السهولة تقريبًا، فقد قبلوا، دون سؤال، كل ما قاله لهم. كثير من هذا - أيامًا كاملة، أسابيع كاملة - واستطاع أن يرى نفسه يصرخ مللاً. فكر، أستطيع أن أتخلى عنهم، أتركهم وحسب، أتركهم يناضلون من أجل أنفسهم. هذا ليس من شأنى.

لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك؛ لأنه على الرغم من أن الكريكيين لم يكونوا شأنه، فإنهم الآن مسئوليته. فمن لديهم غيره؟

وفيما يتعلق به هو، من لديه غيرهم؟

خطط سنومان الطريق الذى سيسلكونه مقدمًا، كان مخزن كريك مجهزًا بالخرائط. سوف يأخذ أطفال كريك إلى شاطئ البحر، حيث لم يذهب هو نفسه من قبل أبدًا. كان ذلك شيئًا يمكن أن يأمل فيه: وأخيرًا يمكنه رؤية المحيط. سوف يسير على الشاطئ، كما فى القصص التى كان يحكيها الكبار عما كانوا يفعلون وهم صغار. وربما حتى يذهب للسباحة. لن يكون ذلك سيئًا جدًا.

ويمكن للكريكيين أن يعيشوا فى حديقة بالقرب من المشهجر: ذلك المكان الذى تمت زراعته بالأشجار خصيصًا من أجل الأبحاث، والذى يبدو على الخريطة باللون الأخضر، وعليه علامة على شكل شجرة. سوف يشعرون هناك وكأنهم فى وطنهم، ومن المؤكد أن المكان سيكون

مليئًا بالأوراق التى يمكن أن يأكلوها. أما بالنسبة له، فمن المؤكد أن هناك الأسماك.

جمع بعض الإمدادات – ليس الكثير، وبحيث لا يثقل الحمل، سوف يضطر لحمل كل شىء بنفسه – وشحن بندقية الرش الخاصة به بما ينقصها من الطلقات الفعلية.

فى المساء السابق لرحيلهم، تكلم بينهم. فى الطريق إلى المكان الجديد الأفضل، سوف يسير أمامهم، مع اثنين من الرجال. وقد اختار أطولهم. ووراءهما ستأتى النساء والأطفال، وستسير مجموعتان من الرجال على الجانبين. وباقى الرجال سيسيرُون فى الخلف. وهم لابد أن يفعلوا ذلك ؛ لأن كريك قال إن هذه هى أفضل طريقة. (وكان الأفضل أن يتفادى ذكر المخاطر المكنة؛ فقد يتطلب ذلك الكثير من البيانات التفسيرية). وإذا لاحظ الكريكيون أى شىء يتحرك – أى شىء على الإطلاق، فى أى شكل أو أية هيئة – فيجب أن يخبروه على الفور. بعض الأشياء التى يمكن أن يروها قد تكون مثيرة للحيرة، لكنهم ينبغى ألا يخشوا شيئًا. وإذا أخبروه فى الوقت المناسب، فهذه الأشياء لن تستطيع إيذاءهم.

سألت سوجورنر تروث: "ولماذا يريدون إيذاءنا؟"

قال سنومان: "إنهم قد يؤذونكم خطأ، دون أن يقصدوا. كما تؤذيكم الأرض إذا وقعتم عليها".

"لكن الأرض لا تريد أن تؤذينا".

"أوريكس قالت لنا إن الأرض صديقتنا".

"إنها تمنحنا الطعام".

قال سنومان: "نعم، لكن كريك جعل الأرض صلبة. وإلا فلن نستطيع أن نسير عليها".

وقد استغرقوا دقيقة ليفكروا فى ذلك جيداً. ثم كان هناك الكثير من الإيماءات بالرءوس. وكانت رأس سنومان تدور كالمغزل، فالمنطق الغريب الذى يحكم ما قاله لتوه جعله يشعر بالدوار. لكن يبدو أن هذا قد حقق الحيلة المرجوة منه.

فى ضوء الفجر، أدخل شفرة الباب لآخر مرة، وفتح الفقاعة، ثم قاد الكريكيين خارج الجنة. لاحظوا بقايا كريك راقدة على الأرض، لكن لأنهم لم يروا كريك أبداً وهو حى، فقد صدقوا سنومان عندما قال لهم إن هذا شىء لا أهمية له - مجرد نوع من القشور، مجرد نوع من بيض الحشرات. كان من الممكن أن تكون صدمة لهم أن يشاهدوا خالقهم فى حالته هذه.

أما أوريكس، فقد كان وجهها لأسفل وملتفة بالحرير. وهذا شىء لم يعرفوه أبداً.

الأشجار التى كانت تحيط بالقبة كانت مورقة وخضراء، كل شىء بدا أصيلاً ونقيًا، لكن عندما وصلوا إلى داخل مستعمرة ريجوڤين إسنس بالفعل، كانت دلائل الدمار والموت فى كل مكان. عربات الجولف المقلوبة، وأوراق متناثرة والكتابة فيها غير مقروءة، وكمبيوترات قد خرجت بطونها. ثياب مقطعة ملقاة فى كل مكان، جيف ملقاة متناثرة أجزاؤها، لعب أطفال مكسورة. وكانت النسور لا تزال تقوم بعملها.

"من فضلك، يا سنومان، ما هذا؟"

إنه جسد ميت، ماذا تظن؟ لكنه يقول: "إنه جزء من الفوضى، إن كريك وأوريكس يزيلان الفوضى، من أجلكم – لأنهما يحبانكم – لكنهما لم ينتهيا بعد من عملهما". وبدا أن هذه الإجابة ترضيهم.

قال أحد الأطفال الأكبر قليلاً: "الفوضى رائحتها سيئة".

قال سنومان: "نعم"، مع شىء كان يقصد به أن يكون ابتسامة. "الفوضى دائمًا رائحتها سيئة".

على بعد خمس تقاطعات من بوابة المستعمرة الرئيسية، برز رجل فجأة من أحد الشوارع الجانبية متجهًا ناحيتهم. كان فى أسوأ حالات المرض: كان جبينه ينضح بالدم. صاح: "خذونى معكم!". كانت الكلمات تكاد لا تسمع. والصوت كان حيوانيا، حيوانيا غاضبًا.

صاح سنومان: "ابقوا مكانكم". وقف الكريكيون متعجبين، يحدقون، لكن يبدو أنهم لم يكونوا خائفين. اقترب الرجل، وتعثر، ووقع. أطلق سنومان بندقيته عليه. كان قلقًا من العدوى – هل يمكن أن يُصاب الكريكيون بهذا الشيء؟ أو أن نوع جيناتهم كانت مختلفة تمامًا؟ من المؤكد أن كريك قد أعطاهم مناعة. أليس كذلك؟

عندما وصلوا إلى الجدار المحيط، كان هناك شخص آخر، امرأة. ظهرت فجأة من بوابة أحد البيوت، باكية، وتحتضن طفلاً.

كانت تتوسل: "ساعدوني! لا تتركوني هنا!". وأطلق سنومان البندقية عليها أيضاً.

أثناء الحادثين كان الكريكيون ينظرون في تعجب: لم يربطوا بين الضوضاء التي صدرت عن عصا سنومان الصغيرة، ووقوع هذين الشخصين.

"ما هذا الشيء الذي وقع يا سنومان؟ أهو رجل أم امرأة؟ إن له جلد آخر، مثلك".

"إنه لا شيء. إنه جزء من حلم سيئ يحلم به كريك".

كان يعرف أنهم يفهمون الأحلام، فقد كانوا هم أنفسهم يحلمون. لم يستطع كريك أن يقضي على الأحلام. كان يقول: إننا شديدو الارتباط بالأحلام. كما لم يستطع التخلص من الغناء أيضاً. إننا شديدو الارتباط بالغناء. كان الغناء والأحلام متضافرَيْن.

"لماذا يحلم كريك حلمًا سيئًا كهذا؟"

قال سنومان: "إنه يحلم به. حتى لا تحلموا به أنتم".

"من المحزن أنه يعاني من أجلنا".

إننا آسفون جداً. إننا نشكره".

"هل سينتهي الحلم السيئ قريبًا؟"

قال سنومان: "نعم، قريبًا جداً". كانت هذه المرأة الأخيرة قريبة للغاية، كانت ككلب مسرع. وكانت يداه ترتعشان الآن، وشعر بأنه بحاجة لأن يشرب شيئًا.

"هل سينتهي الحلم عندما يستيقظ كريك؟"

"نعم، عندما يستيقظ".

"إننا نرجو أن يستيقظ قريبًا جداً".

* * *

وهكذا ساروا معًا في "أرض اللاإنسان"، يقفون هنا وهناك ليأكلوا أو يقطفوا الأوراق والزهور وهم سائرون، النساء والأطفال متماسكو الأيدي، كثير منهم يغنون، بأصواتهم الكريستالية النقية، أصواتهم الشبيهة بانبثاق البراعم الورقية من قلب نبات السرخس. ثم يلفون في

شوارع مدن السوقة، مثل موكب منحرف أو طقس من طقوس إحدى الجماعات المتطرفة. وفى أثناء عواصف ما بعد الظهر كانوا يأوون إلى ملجأ ما، وما أسهل هذا، فالأبواب والشبابيك لم يعد لها معنى. ثم، فى الهواء المنعش بعد العاصفة، يستمرون فى رحلتهم.

كانت بعض المبانى فى الطريق لا يزال يتصاعد منها الدخان. وكانت هناك أسئلة كثيرة، وكثير من الشرح عليه أن يقوم به. ما هذا الدخان؟ هو شىء يخص كريك. لماذا يرقد هذا الطفل هكذا، وأين عيناه؟ هذه إرادة كريك. وهكذا.

اختلق سنومان كل شىء وهو يسير فى طريقه. كان يعرف أنه راعٍ لا يمكن التنبؤ به. ولكى يطمئنهم، حاول بقدر ما يستطيع أن يظهر جليلاً ويمكن الاعتماد عليه، حكيمًا وطيبًا. وكانت حياة كاملة من المراوغة تساعده فى هذا الموقف.

أخيراً، وصلوا إلى أطراف الحديقة. ولم يضطر سنومان إلى إطلاق النار سوى مرتين فقط على اثنين آخرين من المتفسخين. كان يؤدى لهم خدمة فى الواقع، ولذا لم تكن مشاعره شديدة البشاعة. لقد شعر بما هو أسوأ فى ظروف أخرى.

وأخيراً، وقد تقدم المساء، وصلوا إلى الشاطئ. كانت أوراق الأشجار تخشخش، والماء كان يتموج برقة، وكانت الشمس الغاربة تنعكس على صفحته، حمراء ووردية. وكانت الرمال بيضاء، والأبراج البعيدة عن الشاطئ تعج بالطيور.

"يا له من مكان جميل هنا".

"انظروا! هل هذا ريش؟"

"ما اسم هذا المكان؟"

قال سنومان: "هذا اسمه 'الوطن'".

(١٤)

نقطة

ينقب سنومان فى المخزن، ويلف ما يمكنه حمله - باقى الطعام، المجفف والمعلب، كشاف وبطاريات، خرائط وثقاب وقناديل، علب ذخيرة، شريط لاصق، زجاجتان من المياه، أقراص مسكنة للألم، مرهم مضاد حيوى، واثنان من القمصان المضادة للشمس، ومطواة صغيرة من ذلك النوع الذى يحتوى على مقص. والبندقية الرش، طبعًا. يحمل عصاه، ويتوجه إلى الخارج من خلال الممر ومحبس الهواء، متجنبًا النظر إلى كريك. ابتسامة كريك الساخرة، وأوريكس، فى ثوبها الحريرى الذى يغطيها ويتمدد على الأرض كالفراشة.

أوه يا جيمى. هذه ليست أنا!

تبدأ الطيور فى الغناء، ضوء ما قبل الفجر رمادى خفيف، الهواء ملىء بالضباب، قطرات الندى على شباك العنكبوت. لو كان طفلاً لبدت له منعشة وجديدة، تلك التأثيرات القديمة الساحرة. كما هى، وهو يعلم أنها مجرد وهم: ما إن تطلع الشمس، سيختفى كل هذا. فى منتصف

الطريق عبر الباحة يتوقف، يلقى نظرة أخيرة خلفه، على الجنة، وهى متورمة بالنباتات المورقة كأنها بالون ضائع.

معه خريطة بالمستوطنة، وقد درسها بالفعل وحدد طريقه. سوف يتوجه رأسًا عبر طريق رئيسى إلى ساحة الجولف، ويعبرها دون مشكلة. يبدأ حمله والبندقية يثقلانه بحملهما، ومن ثم يتوقف ليشرب. طلعت الشمس الآن، والنسور ترتفع فى طيرانها العمودى؛ لقد رأته، سوف تلاحظ أنه يعرج، سوف تظل تراقبه.

يأخذ طريقه عبر أحد الأقسام السكنية، ثم عبر فناء مدرسة. يجب أن يطلق البندقية على أحد البيجونات قبل أن يصل إلى الجدار الخارجى؛ كان ينظر إليه بشكل يبدو طيبًا، لكنه متأكد من أنه مجرد مستطلع، ولابد أنه كان سيخبر الآخرين. عند البوابة الجانبية يتوقف. هناك مبنى مراقبة هنا، ودخول إلى السور العلوى، وكان يتمنى أن يصعد إليه، ويلقى نظرة على المكان، ويبحث عن ذلك الدخان الذى رآه. لكن باب المبنى مغلق، فيخرج إلى الخلاء.

لا شىء فى الخندق المحيط.

يعبر "أرض اللاإنسان"، ممر يثير الأعصاب، لا يزال يرى حركات لحيوانات ذات فراء من طرف عينيه، ويقلق من تغير تشكيل أجمات العشب. وفى النهاية يصل إلى أرض السوقة، يتابع طريقه عبر الشوارع

الضيقة، محاذراً من أى هجوم من مكمن، لكن لا شىء يتعقبه، إلا النسور التى تدور فى الأعلى، تنتظر تحوله إلى لحم.

قبل الظهر بساعة يتسلق شجرة، ويختبئ فى ظل الأوراق. هناك يأكل علبة من سجق الصويا، وينهى زجاجة الماء الأولى. وما إن يتوقف عن المشى، حتى تؤكد قدمه وجودها: هناك نبض منتظم، ويشعر بها ساخنة ومشدودة، وكأنها محشورة فى حذاء ضيق. يضع بعض المرهم المضاد الحيوى على الجرح، لكن دون أمل كبير، لابد أن الميكروبات التى أصابته قد طورت مناعتها بالفعل وهى الآن تجيش داخل قدمه، لتحول لحمه إلى بوظة.

يبحث الأفق من نقطة تواجده الشجرية المرتفعة، لكنه لا يستطيع أن يرى شيئًا يبدو مثل الدخان. شجرية، كلمة طيبة. أسلافنا من ساكنى الأشجار. كان كريك يقول: أسلافنا الشجريون كانوا يتبرزون على أعدائهم من فوق وهم مختبئون فوق الأشجار. كل الطائرات والصواريخ والقنابل هى مجرد تطوير لتلك العادة الأولية المنقرضة.

يفكر: لكن ماذا لو مت هنا، على هذه الشجرة؟ هل سيكون هذا طيبًا بالنسبة لى؟ لماذا؟ من سوف يجدنى؟ وماذا إذا وجدنى البعض؟ أوه، انظر، ميت آخر. وماذا فى ذلك؟ أمر عادى مثل الطين. نعم، لكن هذا فوق الشجرة. وإذن؟ ماذا يهم؟

يقول بصوت مرتفع: "أنا لست أى ميت".

طبعًا! كل واحد منا متفرد! وكل ميت فى ذاته ميت بطريقته الخاصة جداًّ! الآن، من يريد أن يشارك فى الموت، بكلماتنا الخاصة بنا؟ جيمى، يبدو أنك تشتاق للكلام، فلم لا تبدأ؟

آه، أيها العذاب. أهذا هو المطهر الواقع بين الجنة والنار، ولو كان هو المطهر، لماذا هو شديد الشبه بالمنزلة الأولى من النار؟

بعد ساعتين من الراحة المتشنجة المتقطعة يتحرك، ويتوقف مختبئًا من عاصفة ما بعد الظهر فى بقايا أحد مبانى أرض السوقة. لا أحد هناك، لا حى ولا ميت. ثم يستمر، يعرج، يحاول أن يسرع الآن، يتوجه نحو الجنوب ثم الشرق، نحو الشاطئ.

يشعر بارتياح كبير عندما يصل إلى طريق سمكة سنومان. وبدلاً من أن يتجه إلى اليسار نحو شجرته، يأخذ طريقه نحو القرية. كان متعبًا، ويحاجة إلى النوم، لكنه يجب أن يطمئن الكريكيين - ويعلن عودته سالمًا، ويشرح لماذا غاب طويلاً هكذا، ويسلم رسالة كريك إليهم.

وسوف يحتاج إلى اختراع بعض الأكاذيب عن ذلك. ماذا كان شكل كريك؟ لم أستطع رؤيته، كان مختفيًا داخل شجيرة. شجيرة مشتعلة نارًا، ولم لا؟ الأفضل ألا يحدد ملامح الوجه. لكنه أعطانى بعض الأوامر: تأتون لى بسمكتين أسبوعيًّا - لا، فلتكن ثلاثة - وجذور وتوت. ربما ينبغى أن يضيف بعض الأعشاب البحرية إلى هذا. سوف يعرفون أى الأنواع أفضل. وبعض السرطانات أيضًا - ليس السرطانات

الأرضية، الأنواع الأخرى البحرية. سوف يأمر أن تكون مدخنة، دستة كل مرة. من المؤكد أن هذا ليس بالطلب الكثير عليهم.

بعد أن يرى الكريكيين، سوف يقوم بتخزين طعامه الجديد ويأكل بعضه، ثم ينعس لبعض الوقت على شجرته. بعد ذلك سيكون منتعشًا، وسيعمل عقله بشكل أفضل، وسوف يكون قادرًا على التفكير فيما سيفعل بعد ذلك.

ماذا سيفعل بعد ذلك في أي شيء؟ هذا صعب للغاية. لكن نفترض أن هناك أناسًا آخرين، أناس مثله - أناس يصنعون دخانًا - سوف يتمنى أن يكون في حالة ما يستطيع بها أن يلقاهم ويحييهم. سوف يغتسل - هذه المرة يمكن أن يخاطر بالنزول إلى مياه البركة - ثم يرتدي واحدًا من القمصان المضادة للشمس التي أحضرها، ربما يقص بعض ذقنه بالمقص الموجود في المطواة.

اللعنة، لقد نسي أن يحضر مرآة الجيب، يا لغبائه!

وبينما يقترب من القرية، يسمع صوتًا غير عادي - دندنة غريبة، أصواتًا عالية وعميقة، أصوات رجال ونساء معًا - منسجمة، ذات نغمتين. إنه ليس غناء، هو أكثر شبهًا بالتراتيل. ثم يسمع صوت رنين، وسلسلة من أصوات الأزيز، ثم دوي وطنين. ماذا يفعلون؟ أيًّا كان ما يفعلون، فهم لم يفعلوا شيئًا كهذا من قبل.

ها هو خط الحدود، الجدار الكريه الرائحة الكيميائية المميزة من البول الذى يجدده الرجال كل يوم. يعبره، ويتحرك بحذر إلى الأمام، يحدق من خلف شجيرة. إنهم هناك. يقوم بعدهم بسرعة - معظم الصغار، كل الكبار إلا خمسة - لابد أن يكون خمسة غائبين فى الغابات، يتزاوجون. إنهم جالسون فى نصف دائرة حول شىء ما يبدو غريب المنظر، أشبه بتمثال خيال المآتة. كل انتباههم مركز عليه: وفى البداية لا يرونه وهو يخطو من خلف الشجرة ويعرج فى اتجاههم.

أووووه، تدندن النساء.

موووون، يترنم الرجال.

أهذا قولة "آمين"؟ لا بالتأكيد! ليس بعد كل تحذيرات كريك، وإصراره على أن يحفظ هؤلاء الناس أنقياء، خالين من كل تلوث من هذا النوع. وهم بالتأكيد لم يأخذوا تلك الكلمة من سنومان. لا يمكن أن يحدث هذا.

صليل. بينج - بينج - بينج - بينج. ودوى. أووووه - موووون.

الآن يستطيع أن يرى مجموعة الآلات الموسيقية. الآلات هى غطاء عجلة، وعود معدنى - هذان يصدران أصوات الصليل - وسلسلة من الزجاجات الفارغة تتدلى من فرع شجرة ويتم العزف عليها بملعقة طعام. والدوى يأتى من برميل زيت، يُضرب بشىء يبدو كمدقة مطبخ خشبية. من أين جاءوا بهذه الأشياء؟ من على الشاطئ، بلا شك. يشعر

وكأنه يراقب فرقة إيقاع قديمة للغاية، لكنها مكونة من أطفال ضخام القامة ذوى عيون خضراء.

وما هو الشىء – التمثال، أو خيال المآتة، أو أيًّا ما كان؟ إن له رأس، وجسد من قماش بالٍ. وله وجه من نوع ما – إحدى عينيه بها كرة العين، والأخرى عين سوداء، تبدو كغطاء زجاجة. وقد ألصقت ممسحة شرائط قديمة على الذقن.

الآن يرونه. يقفزون على أقدامهم، يسرعون لتحيته، يحيطون به. كلهم يبتسمون بسعادة، الأطفال يقفزون ضاحكين، بعض النساء يصفقن بانفعال. هذه طاقة أكثر مما يظهرون فى العادة حول أى شىء.

"سنومان! سنومان!" يلمسونه برقة بأطراف أصابعهم. "لقد عدت إلينا!"

"لقد كنا نعرف أننا نستطيع أن ننادى عليك، وأنك ستسمعنا وتعود".

آه، لم يكونوا يقولون آمين إذن، وإنما سنومان.

"لقد صنعنا لك صورة؛ لتساعدنا على إرسال أصواتنا إليك".

كان كريك يقول احذر من الفن. فما إن يبدأوا فى عمل فنى، يكونون فى خطر. التفكير الرمزى من أى نوع قد يعنى سقطة، فى رأى كريك. وبعد ذلك سوف يبدأون فى اختراع الأصنام، والجنازات، وأشياء

من أجل الحزن، وقصص ما بعد الحياة، ثم الإثم والخطيئة، وحروف الكتابة البدائية، والملوك، ثم العبودية والحرب. يشعر سنومان برغبة فى أن يسألهم - من أول من واتته فكرة صناعة شىء يشبهه، يشبه سنومان، من غطاء قدر وممسحة؟ لكن هذا السؤال ينبغى أن ينتظر.

"انظروا! سنومان لديه زهور على جسده!" (كان هؤلاء الأطفال، الذين لاحظوا الملاءة ذات الزهور التى يلتف بها).

"هل يمكن لنا أن نضع على أجسادنا زهوراً أيضاً؟"

"هل كانت رحلتك إلى السماء صعبة؟"

"زهور أيضاً، زهور أيضاً!"

"ما هى الرسالة التى تحملها إلينا من كريك؟"

يسأل سنومان: "لماذا تظنون أننى ذهبت إلى السماء؟" ويحاول أن يجعل سؤاله خالياً من الانفعال بقدر الإمكان. إنه ينقر على ملفات الأساطير الموجودة فى رأسه. متى حدث أن ذكر السماء؟ هل روى بعض القصص الخيالية حول من أين جاء كريك؟ نعم، الآن يتذكر. لقد أعطى كريك بعض نعوت الرعد والبرق. وطبيعى أنهم يفترضون أن كريك لابد أن يكون قد عاد إلى أرض السحاب.

"نحن نعرف أن كريك يعيش فى السماء. وقد رأينا الريح الدوارة - لقد سارت فى الطريق الذى ذهبت أنت فيه".

"لقد أرسلها كريك لك؛ لتساعدك فى أن ترتفع عن الأرض".

"والآن وقد ذهبت إلى السماء، أنت مثل كريك تقريبًا".

الأفضل ألا يعارضهم، لكنه لا يستطيع أن يجعلهم يستمرون فى اعتقاد أنه يستطيع الطيران؛ فسرعان ما سوف يتوقعون منه أن يطير أمامهم. يقول لهم: "لقد كانت الريح الدوارة من أجل أن ينزل كريك من السماء. لقد صنع الريح لتنزله من أعلى. وقد قرر ألا يبقى هناك، لأن الشمس حامية جدًا. ومن ثم لم أره فى السماء".

"وأين هو؟"

يقول سنومان: "هو فى القبة الفقاعة"، وهو صادق بالفعل. "فى المكان الذى جئنا منه. هو فى الجنة".

يقول أحد الأطفال الأكبر قليلاً: هيا نذهب هناك ونراه، إننا نعرف كيف نذهب إلى هناك. إننا نتذكر".

يقول سنومان، بصوت حاد أكثر من اللازم: "لا تستطيعون رؤيته. لن تعرفوه. لقد حول نفسه إلى نبات". والآن من أين جاء ذلك؟ إنه متعب للغاية، وهو يفقد سيطرته.

يسأل إبراهام لينكولن: "لماذا يحول كريك نفسه إلى طعام؟"

يقول سنومان: "إنه نبات لا تستطيعون أكله، إنه أكثر شبهًا بالشجرة".

بعض النظرات المتحيرة. "إنه يتكلم معك. كيف يتكلم، إذا كان شجرة؟"

هذا سيكون من الصعب شرحه. لقد صنع خطأ سرديًا. ولديه إحساس بأنه فقد توازنه وهو واقف على قمة درجات سلَّم.

ويحاول أن يجد شيئًا يمكن الإمساك به. يقول: "إنها شجرة لها فم".

يقول أحد الأطفال: "الأشجار لا يكون لها فم".

تقول امرأة - أهى مدام كورى، أم ساكاجاويا؟ - "قدم سنومان مجروحة". النساء دائمًا يشعرن به عندما يكون غير مرتاح، ويحاولن تخفيف الأمر بتغيير الموضوع. "لابد أن نساعده".

"هيا نأتيه بسمكة. هل تحب سمكة الآن يا سنومان؟ سوف نطلب من أوريكس أن تعطينا سمكة، لتموت من أجلك".

يقول بارتياح: "سيكون هذا طيبًا".

"أوريكس تريدك أن تكون فى حالة طيبة".

سرعان ما يجد نفسه راقدًا على الأرض وهم يصدرون أصوات الهرير عليه. يقل الألم، لكن رغم أنهم يحاولون كثيرًا، فإن الورم لا يذهب تمامًا.

"لابد أنه جرح عميق".

"سوف يحتاج إلى المزيد من الهرير".

"سوف نحاول مرة ثانية فيما بعد".

ويأتون بالسمكة، مشوية وملفوفة فى أوراق الأشجار، ويراقبون بسعادة بينما يأكلها. لم يكن يشعر بجوع شديد - إنها الحمى - لكنه يجتهد فى المحاولة لأنه لا يريد إخافتهم.

الأطفال الآن يدمرون الصورة التى صنعوها له، ويفكوتها إلى الأجزاء المكونة لها، والتى يخططون لإعادتها إلى الشاطئ. هذا شىء علمته لهم أوريكس، تقول النساء: بعد أن يستخدم شىء، يجب إعادته إلى مكانه الأصلى. إن صورة سنومان قد فعلت فعلها، والآن سنومان الحقيقى بينهم مرة أخرى، فلا حاجة للصورة، الأقل إشباعًا. ويجد سنومان من الغريب أن يرى ذقنه السابقة، ورأسه السابقة، يسافران بعيدًا على شكل قطع مفككة فى أيدى الأطفال. وكأنما هو نفسه قد تم تمزيقه وبعثرته.

طقوس

يقول إبراهام لينكولن: "جاء هنا آخرون... مثلك".

كان ذلك بعد أن قام سنومان بواجبه على أفضل ما يستطيع بالنسبة للسمكة، ويستلقى مستندًا إلى جذع شجرة، يشعر فى قدمه

الآن بوخز خفيف، كما لو كانت نائمة، ويشعر بالنعاس.

يقفز ستومان مستيقظًا. "آخرون مثلى؟"

يقول نابليون: "لهم جلد آخر، مثلك. وأحدهم له ريش فى وجهه، مثلك".

وواحد آخر له ريش أيضًا، لكنه ريش قصير".

"كنا نظن أن كريك أرسلهم إلينا. مثلك"

"وكان أحدهم أنثى".

"لابد أن أوريكس أرسلتها".

"وكانت رائحتها زرقاء".

"ولكننا لم نستطع رؤية الأزرق، بسبب جلدها الآخر".

"لكن رائحتها كانت زرقاء جدًا. وبدأ الرجال يغنون لها".

"وقدمنا لها زهورًا، وأشرنا إليها بأعضائنا الجنسية، لكنها لم تستجب ولم تفرح".

"والرجال الآخرون ذوى الجلود الزائدة لم يبدُ أنهم سعداء. كان يبدو عليهم الغضب".

"وقد ذهبنا نحوهم لتحيتهم، لكنهم جروا بعيدًا".

يستطيع سنومان أن يتخيل، منظر هؤلاء الناس الهادئين إلى درجة غير سوية، إلى درجة خارقة للطبيعة. رجال ذوى عضلات قوية واضحة، يتقدمون كلهم جماعة، يغنون موسيقاهم الغريبة، عيونهم الخضراء تلمع، ويلوحون بأعضائهم الجنسية الزرقاء معًا فى تناغم، وقد مد كل منهم يديه مثل الكومبارس الذين يمثلون الموتى وقد قاموا من القبور فى أحد أفلام الرعب، لابد أنه منظر يثير الذعر.

يدق قلب سنومان بقوة الآن، بالانفعال، أو الخوف، أو مزيج من الاثنين. "هل كانوا يحملون أى شىء؟"

"كان أحدهم يحمل عصا تثير ضجة، مثل عصاك". كانت بندقية سنومان الرش غير ظاهرة الآن، لابد أنهم يذكرونها منذ يوم خروجهم من الجنة. "لكنهم لم يصنعوا أى ضوضاء بها". كان أطفال كريك يتحدثون دون اكتراث لكل ذلك، لم يكونوا على إدراك بالمعانى الضمنية لهذا الحدث. كان يبدو كأنهم يتناقشون فى الأرانب.

"متى جاءوا هنا؟"

"أوه، قبل الأمس، ربما".

من غير المجدى أن يحاول أن يجعلهم يتذكرون الماضى بالدقة، فهم لا يعدون الأيام. "أين ذهبوا؟"

"ذهبوا هناك، ساروا على الشاطئ. لماذا فروا منا يا سنومان؟"

تقول ساكاجاويا: "ربما سمعوا كريك. ربما كان يناديهم. لقد كانت معهم أشياء لامعة في أذرعهم، مثلك. أشياء يمكن بها أن يستمعوا إلى كريك".

قال ستومان: "سوف أسألهم، سوف أذهب وأتحدث معهم. سأفعل ذلك غداً. الآن أريد أن أنام". ويقوم واقفاً، يجفل من الألم. لا يزال غير قادر على أن يضع ثقله على تلك القدم.

يقول عدد من الرجال: "سنأتي نحن أيضاً".

يقول ستومان: "لا، لا أظن تلك ستكون فكرة جيدة".

تقول الإمبراطورة جوزيفين: "لكنك لست في حالة طيبة بعد، إنك بحاجة إلى مزيد من الهرير". ويبدو عليها القلق، وظهرت بين عينيها تكشيرة صغيرة. هذا التعبير غير عادي على وجوههم الكاملة الجمال الخالية من أي تجاعيد.

يستسلم ستومان، ويأتي فريق جديد للهرير - ثلاثة رجال هذه المرة، وامرأة، ولابد أنهم يفكرون أنه بحاجة إلى دواء قوي - ينحنون على قدمه. ويحاول أن يشعر بذبذبة تدل على الاستجابة داخله، متسائلاً - وليس لأول مرة - إن كانت هذه الطريقة قد صُمِّمت لتعمل عليهم وحدهم. ويراقب الآخرون العملية عن قرب؛ بعضهم يتحادث في صوت خافت، وبعد نصف ساعة أو ما إلى ذلك يتسلم فريق آخر العملية.

لكنه لا يستطيع أن يسترخى لهذا الصوت كما يعلم أنه يجب أن يفعل؛ لأنه يفكر فى المستقبل، لا يستطيع أن يمنع نفسه. عقله فى حالة سباق؛ خلف عينيه تصف المغلقتين تومض الاحتمالات وتتصادم. ربما كل شيء سيكون أفضل، ربما هذا الثلاثى من الغرباء يحملون قلوباً طيبة، وعاقلون، وذوى نوايا حسنة، ربما ينجح فى تقديم الكريكيين إليهم بطريقة لائقة. ومن ناحية أخرى، هؤلاء القادمون الجدد يمكن أن يرو أطفال كريك مخلوقات عجيبة، أو متوحشة، أو غير آدمية، وقد يرون أنهم يمثلون تهديداً.

صور التاريخ القديم تترى عبر رأسه، صور من الدم والزهور: جنكيز خان يكدس ركامًا من الرءوس، وأكداس الأحذية والنظارات فى مذبحة داتشا(*)، والكنائس الملأى بالجثث المحترقة فى رواندا، وتخريب مدينة القدس على يد الصليبيين. وهنود الأراواك الذين استقبلوا كريستوفر كولومبس بأكاليل الزهور وهدايا من الفواكه، تعلو وجوههم الفرحة، ثم سرعان ما يتعرضون لمذبحة وحشية، أو يربطوا تحت أسرّتهم بينما يتم اغتصاب نسائهم.

(*) داتشا Dachau : مدينة أقيم فيها أحد معسكرات التعذيب الألمانية فى أثناء الحرب العالمية الثانية، وعندما استسلم المعسكر للجيش السابع الأمريكى فى ١٩٤٥، قام الجنود الأمريكيون بقتل عدد كبير من الحراس والسجناء أيضًا فيما يُعرف بمذبحة داتشا.

لكن لماذا نتخيل الأسوأ؟ ربما كان هؤلاء الناس قد شعروا بالخوف، وربما انتقلوا إلى مكان آخر. وربما هم مرضى وبسببهم إلى الموت.

وربما لا.

* * *

قبل أن يستطلع، قبل أن ينطلق فى ما يعتبره الآن مهمة، يجب أن يقول خطبة من نوع ما للكريكيين. يقوم بطقس من نوع ما. يقدم لهم بعض الوصايا، كلمات وداع كريك لهم. إلا أنهم لا يحتاجون وصايا؛ ليس ثمة "لا تفعلوا" ذات فائدة لهم، أو حتى مفهومة؛ لأن كل شىء مبنى داخلهم. لا فائدة من إخبارهم ألا يكذبوا أو يسرقوا أو يزنوا أو يحسدوا. فلن يدركوا ماهية هذه المفاهيم.

ومع ذلك، فلابد أن يقول لهم شيئًا. أن يتركهم مع كلمات قليلة يتذكرونها. والأفضل، أن يقدم لهم نصيحة عملية. يجب أن يقول إنه قد لا يعود. يجب أن يقول إن الآخرين الذين لديهم جلود أخرى وريش، ليسوا من عند كريك. يجب أن يقول إن عصيهم المزعجة لابد أن تؤخذ منهم فوراً وتلقى فى البحر. يجب أن يقول إنه إذا حاول هؤلاء الناس أن يتعاملوا بالعنف – من فضلك يا سنومان، ما هو العنف؟ – أو إذا

حاولوا اغتصاب النساء (ما هو الاغتصاب؟)، أو التحرش بالأطفال (ماذا؟) أو إذا حاولوا أن يجبروا الآخرين على العمل من أجلهم....

لا فائدة، لا فائدة. ما هو العمل؟ العمل عندما تبنى أشياء – ما هو البناء؟ – أو تزرع أشياء – ما معنى تزرع؟ إما لأن بعض الناس قد يضربونك أو يقتلونك إن لم تفعل، أو إما لأنهم سيعطونك مالاً إذا فعلت.

ما هو المال؟

لا، لا يستطيع أن يقول أى شىء من هذا. كريك يراقبكم ويسهر عليكم، هذا ما سيقوله. أوريكس تحبكم.

ثم يغلق عينيه، ويشعر بنفسه يرتفع برقة، يُحمل، يُرفع مرة أخرى، يُحمل مرة أخرى، يُحتضن.

(١٥)

آثار أقدام

يستيقظ سنومان قبل الفجر. يرقد بلا حركة، يستمع إلى صوت المد، ويش - واش، ويش - واش، فى انتظام ضربات القلب. يود لو يصدق أنه لا يزال نائمًا.

عند الأفق الشرقى ظل رمادى، يضيئه خط وردى، له وميض خافت. غريب كيف أن هذا اللون لا يزال يبدو رقيقًا. يحدق إليه فى ابتهاج؛ ليست هناك كلمة أخرى لهذا الشعور. ابتهاج. القلب مأخوذ، ينطلق بلا تحفظ، وكأن طائرًا ضخمًا قد خطفه. يحدث هذا رغم كل شىء، كيف يمكن للعالم أن يظل جميلاً هكذا؟ لأنه جميل. من تلك الأبراج الشاطئية المتباعدة تأتى صرخات وصيحات الطيور التى لا تبدو شبيهة بأى شىء إنسانى.

يأخذ بضعة أنفاس عميقة، يفحص الأرض تحته بحثًا عن أية أحياء برية، وينزل من فوق الشجرة، ويضع قدمه السليمة على الأرض أولاً. ويبحث داخل قبعته، وينفض منها نملة. هل يمكن أن تكون نملة

وحيدة هى الباقية على قيد الحياة، بأى معنى من معانى الكلمة،أو أنها لها علاقة ما بكثيب النمل؟ هذا أحد ألغاز كريك القديمة.

يحجل إلى الشاطئ حتى يصل إلى طرف المياه، ويغسل قدمه، يشعر بلسع الملح، لابد أنه كان بها غليان، ولابد أن الشىء قد تفجر فى الليل، الجرح يبدو ضخمًا الآن. الذباب يطن حوله؛ منتظراً فرصة ليستقر على قدمه.

ثم يعرج عائداً إلى خط الأشجار، ويأخذ ملاءته ذات الزهور، ويعلقها على فرع شجرة؛ فهو لا يريد أن تكون عائقًا له. سوف لن يرتدى شيئًا سوى قبعة البيسبول؛ ليحمى عينيه من الوهج. لن يضع نظارته الشمسية؛ فالوقت لا يزال مبكراً ولن يكون بحاجة إليها. إنه بحاجة لأن يرى أى ظل لأى حركة.

يتبول على الجنادب، يراقب بحنين وهى تطن قافزة بعيداً. روتينه يدخل الماضى الآن بالفعل، مثل محب شوهد من نافذة قطار، يلوح مودعًا، مشدود بعناد للماضى، فى المكان والزمان، بسرعة شديدة.

يذهب إلى مخبئه، يفتحه، يشرب بعض الماء. قدمه تؤله بشدة، عاد الاحمرار حول الجرح، وكاحله متورم، أيًّا كان الشىء الموجود هناك فقد هزم الكوكتيل الذى استخدمه فى الجنة، وكذلك علاج الكريكيين. يدهنه ببعض مرهم المضاد الحيوى، لا فائدة منه كما لو كان مجرد طين. من حسن الحظ أن معه أسبرين، تلك سوف تخفف الألم. يبتلع أربعة،

ويمضغ نصف قطعة جيلى من أجل الطاقة. ثم يأخذ بندقيته الرش، ويطمئن على خزينة الطلقات الفعلية.

إنه ليس مستعداً لهذا. إنه ليس بحالة جيدة. إنه خائف.

ويمكنه أن يختار البقاء، وينتظر التطورات.

أوه يا عزيزى. أنت أملى الوحيد.

يسير بجوار الشاطئ باتجاه الشمال، مستخدماً عصاه للتوازن، محافظاً على السير فى ظل الأشجار بقدر الإمكان. الضوء يزداد إشراقاً فى السماء، ينبغى أن يسرع. يمكنه أن يرى الدخان الآن، يرتفع فى عمود نحيل. سوف يستغرق ساعة أو أكثر ليصل هناك. إنهم لا يعرفون بوجوده - هؤلاء الناس - إنهم يعرفون بوجود الكريكيين ولكن لا يعرفون بوجوده، ولن يتوقعوا ظهوره. وتلك أفضل فرصة له.

يترنح من شجرة لشجرة، مراوغاً، شاحباً، إشاعة. بحثاً عن أبناء جنسه.

هنا آثار أقدام إنسان، فى الرمل. ثم أخرى. وهى آثار غير محددة جيداً لأن الرمال جافة فى هذا المكان، لكن لا يمكن أن يخطئها. والآن هنا مجموعة كاملة منها، تؤدى إلى البحر. من عدة أحجام مختلفة. وعندما تصل إلى الرمل الرطب يستطيع أن يراها بشكل أفضل. ماذا كان هؤلاء الناس يفعلون؟ يسبحون؟ يصطادون السمك؟ يغسلون أنفسهم؟

كانوا يرتدون أحذية، أو صنادل. هنا خلعوها، وهنا لبسوها مرة أخرى. يطبع قدمه السليمة على الرمال الرطبة، إلى جوار أكبر آثار الأقدام: إمضاء من نوع ما. وما إن يرفع قدمه يمتلئ الإمضاء بالمياه.

الآن يستطيع أن يشم رائحة الدخان، يستطيع أن يسمع الأصوات. يتقدم مختلسًا السمع والنظر، كما لو كان يسير بين بيوت خالية قد يكون لا يزال بها بعض الناس. ماذا لو رأوه؟ مجنون مشعر عارٍ لا يرتدى سوى قبعة بيسبول ويحمل بندقية رش. ماذا يمكن أن يفعلوا؟ يصرخون ويجرون؟ يهاجمونه؟ أم يفتحون أذرعهم له بالفرحة والحب الأخوى؟

يختلس النظر من خلال أوراق الأشجار: إنهم ثلاثة، يجلسون حول النار التى أشعلوها. ولديهم بندقية رش خاصة بهم، بندقية من نوع بنادق سلاح الشركة اليومية الخاصة، لكنها موضوعة على الأرض. وهم نحاف، يبدو عليهم الهزال والتعب. رجلان، واحد بنى اللون، وواحد أبيض، وامرأة سمراء بلون الشاى، والرجال يلبسون ثيابًا استوائية من اللون الكاكى، من الطراز النموذجى، ولكنها فى حالة سيئة، والمرأة ترتدى بقايا زى من نوع ما - زى ممرضة أو حارسة؟ لابد أنها كانت جميلة يومًا ما، قبل أن تفقد كل هذا الوزن، والآن تبدو نحيلة، شعرها جاف، كقش المكنسة. كان الثلاثة يبدو عليهم الضياع.

كانوا يشوون شيئًا – لحم من نوع ما. راكوبان؟ نعم، هذا ذيله هناك، هناك فوق الأرض. لابد أنهم أطلقوا النار عليه، المخلوق المسكين.

لم يشم سنومان رائحة لحم مشوى منذ فترة طويلة جداً. هل هذا هو السبب فى أن عينيه تدمعان؟

وهو يرتعش الآن، تهاجمه الحمى مرة أخرى.

ماذا بعد؟ يتقدم بعصا مربوط بها حبل مصنوع من ملاءة، يهزها كعلم أبيض؟ جئت راغباً فى السلام. لكنه ليست معه ملاءته.

أو أستطيع أن أريكم كنزاً كبيراً. لكن لا، ليس لديه ما يبادله معهم، ولا هم معهم ما يبادلونه معه. لا شيء إلا أنفسهم. يمكن أن يستمعوا إليه، يمكن أن يستمعوا إلى قصته، وهو يمكن أن يستمع إلى قصتهم. وعلى الأقل، يمكن أن يفهموا بعض ما عاناه.

أو اخرج أيها الملعون من منطقة نفوذى قبل أن أفجر رأسك، كما فى أفلام الويسترن القديمة الطراز. ارفع يديك. ارجع إلى الخلف. اترك هذه البندقية الرش. ولن تكون تلك هى النهاية. فهم ثلاثة وهو واحد. ربما يفعلون ما قد يفعله لو كان مكانهم: ربما يذهبون بعيداً، لكنهم قد يكمنون له، ويتجسسون عليه. وقد يتلصصون عليه فى الظلام، ويضربون رأسه بطوبة. لن يعرف أبداً متى سيعودون.

ويمكنه أن ينهى الأمر الآن، قبل أن يروه، بينما لا تزال لديه قوة. وهو لا يزال قادراً على الوقوف على قدميه. قدمه أشبه بحذاء ملىء بنار سائلة. لكنهم لم يفعلوا شيئًا سيئًا، لم يفعلوا شيئًا له. هل يقتلهم بدم بارد؟ هل هو قادر على ذلك؟ وإذا بدأ بقتلهم ثم توقف، قد يقتله واحد منهم أولاً. طبيعى.

يهمس مخاطباً الهواء الخالى: "ماذا تريد أن تفعل؟"

من الصعب أن يعرف.

أوه يا جيمى، إنك مضحك جداً.

لا تخذلنى.

وكنوع من العادة، ينظر إلى ساعة يده، فيرى وجهها الأبيض الخالى من أى شىء.

يفكر سنومان: ساعة الصفر، وقت الذهاب.

تنويه

أشكر جمعية المؤلفين (Society of Authors إنجلترا)، الممثل الأدبى لميراث فرجينيا وولف، لسماحها لى بالاقتباس من To the Light-house، وآن كارسون Anne Carson لسماحها لى بالاقتباس من The Beauty of the Husband؛ ودار نشر جون كالدر John Calder Publica-tions وجروف أتلانتيك Grove Atlantic للسماح لى باقتباس ثمانى كلمات من رواية صمويل بيكيت .Mercier and Camier . وهناك قائمة كاملة بالاقتباسات الأخرى التى تم استخدامها أو الإشارة إليها فى هذا الكتاب يمكن أن تجدها فى .oryxandcrake.com والإشارة إلى "أرض العجائب الشتوية" Winter Wonderland، فى الجزء التاسع، من تأليف فليكس برنار وريتشارد سميث Felix Bernard and Richard B. Smith، وحقوق النشر مع وارنر بروس Warner Bros .

اسم "أماندا باين" Amanda Payne تكرمت به صاحبة امتيازه، والتى وضعت تمويلاً كان ضروريًا للغاية للمؤسسة الطبية لرعاية ضحايا التعذيب (المملكة المتحدة). الببغاء أليكس مساهم فى أعمال د. إيرين

بيبربرج Irene Pepperberg عن الذكاء الحيوانى، وهو بطل العديد من الكتب والوثائق ومواقع شبكة الإنترنت. وأطلق اسمه على مؤسسة أليكس. وأتوجه بالشكر أيضاً إلى الببغاء تاكو، الذى يعيش مع دوبينين وبريان بريت Sharon Doobenen and Brian Brett، وإلى الببغاء ريكى، الذى يعيش مع روث أتوود ورالف سيفرد Ruth Atwood and Ralph Siferd.

وقد أمدتنى كثير من المجلات والجرائد والأعمال العلمية التى صادفتنى على مر السنوات بكثير من الخلفية العميقة لهذه الرواية. وهناك قائمة كاملة لذلك فى .oryxandcrake.com وأشكر د. ديف موسوب وجريس موسوب Dave Mossop and Grace Mossop، ونورمان وباربارا باريسيلو Norman and Barbara Barricello، من "الحصان الأبيض" فى يوكون، كندا؛ وماكس دافيدسون Max Davidson وفريق Davidson's Arnheimland Safaris، أستراليا؛ كما أشكر أخى، طبيب الأعصاب، د. هارولد أتوود Harold Atwood (أشكرك لدراسة هرمونات الجنس فى جنين الفئران، ومعلومات أخرى)؛ وكذلك الممارسين البيولوجيين المتخصصين جيلبرتو سيلفا وأورلاندو جاريدو Lic. Gilberto Silva and Lic. Orlando Garrido، من كوبا؛ وماثيو سوان Matthew Swan وفريقه، من Adventure Canada، التى كُتب جزء من هذا الكتاب عن إحدى رحلاتها القطبية؛ والأولاد فى المعمل، ١٩٣٩-١٩٤٥، وفيليب

وســو جــريجــورى Philip and Sue Gregory من Cassoway House,
Queensland، أسـتـراليـا، والذين رأت المؤلفة من شـرفة منزلهـمـا، فى
مـارس ٢٠٠٢، ذلك الطائر النادر، كـريك أحـمـر الرقـبـة Red-necked
Crake.

وامتنانى أيضاً للقارئين الأوائل، Sarah Cooper, Matthew Poulik-
akis, Jess Atwood Gibson, Ron Bernstein, Maya Mahvjee, Louise
Dennys, Steve Rubin, ArnulfConradi, and Rosalie Abella؛ وإلـى
وكـلائى: Phoebe Larmore, Vivienne Schuster, and Diana Mackay،
وإلى المحـررين: Ellen Seligman of McClelland & Stewart (Canada),
Nan Talese of Doubleday (U.S.A.), and Liz Calder of Bloomsbury
(U.K.)؛ وإلى مـحـررتى الشـجـاعـة: Heather Sangster. كـمـا أشكر
مساعدتى فى العمل الشاق Jennifer Osti، وكذلك الموظفة المسئولة عن
الصندوق البنى المشئوم لقصاصات الأبحاث Surya Bhattacharya.
أشكر أيضـاً Arthur Gelgoot, Michael Bradley, and Pat Williams;
وأخـيـراً and to Eileen Alien, Melinda Dabaay, and Rose Tomato.
شكرى إلى رفـيقى لثـلاثين عـامـا، جـرايم جـيبسـون، الملاحظ المكرس
للطبيعة، والمشارك المتحمس فى Pelee Island Bird Race فى أونتاريو،
كندا، والذى يفهم ويقدر الهواجس المفرطة للكاتبة.

المؤلفة فى سطور

مارجريت أتوود

• ولدت فى ١٨ نوفمبر ١٩٣٩، أوتاوا، أونتاريو، كندا.

• تلقت تعليمها فى جامعة تورنتو ١٩٦١، كما التحقت بجامعة هارفارد بكمبريدج ٦٢-١٩٦٣، ٦٥-١٩٦٧.

• تنقلت بين عدة مدن بكندا، والولايات المتحدة، وإنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وهى حاليا تعيش فى تورنتو منذ ١٩٩٢.

• عملت محاضرة للغة الإنجليزية فى عدد من الجامعات داخل كندا وخارجها، واستضافتها بعض الجامعات ككاتبة، مثل جامعة تورنتو، جامعة ألاباما، جامعة نيويورك، جامعة ماكوارى بأستراليا، جامعة سان أنطونيو، بتكساس.

• رئيسة اتحاد كتاب كندا من مايو ١٩٨١ إلى مايو ١٩٨٢، وأيضًا رئيسة المركز الكندى لنادى القلم الدولى، فى الفترة من ١٩٨٤-١٩٨٦.

• متزوجة من الكاتب الكندى جرايم جيبسون، **Graeme Gibson**، ولديهما ثلاثة أبناء.

• بالإضافة إلى حصول عدد من كتبها على المركز الأول فى أفضل الكتب مبيعًا، فقد حصلت على العديد من الجوائز الأدبية، ومنها جائزة بوكر عام ٢٠٠٠، عن روايتها **The Blind Assassin**، جائزة جيللر عام ١٩٩٦، عن المذنبة **Alias Grace**، جائزة رواية العام من مؤسسة المؤلفين الكنديين عام ١٩٩٣ عن روايتها **The Robber Bride**، وغير ذلك من الجوائز، بالإضافة إلى درجات الشرف من عدد من الجامعات الكندية والأمريكية.

المترجمة فى سطور

سحر توفيق

- ولدت فى القاهرة ١٩٥١.
- تخرجت من جامعة الأزهر ١٩٧٤.
- عملت بالتدريس فى وزارة التربية والتعليم ١٩٧٥–٢٠٠٢-٢٠٠٢
- ١٩٩٤، حصلت على جائزة أركنساس عن الترجمة الإنجليزية عن مجموعة قصصية بعنوان "الجهات الأربع". كما حصلت على منحة تفرغ من وزارة الثقافة لمدة أربع سنوات.
- ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ باحثة بالمدرسة العربية للسينما والتليفزيون على شبكة الإنترنت.
- استضافتها جامعة إلينوى ككاتبة (٢٠٠٦)، بمنحة من مؤسسة فولبرايت.
- تعيش الآن فى القاهرة مع ولديها إسلام ومحمد عادل الشرقاوى.
- وترجمت أيضاً: فلاحو الباشا، قصص برازيلية (بالاشتراك مع خليل كلفت)، أرض الحبايب بعيدة (بيرم التونسى)، امرأة محاربة. كما ترجمت للمؤلفة نفسها رواية : المذنبة Alias Grace.

التصحيح اللغوى : أحمد نزيه
الإشـــراف الفـــنى : حسن كامل

المجلس الأعلى للثقافة

تتفتح أحداث الرواية من خلال رحلتين يقوم بهما سنومان، بطل الرواية الذى جاء اسمه من اسم رجل الجليد الأسطورى القديم. إحدى الرحلتين تلقى نظرة على مجتمع مستقبلى، فى مكان ما من القرن الحادى والعشرين. والرحلة الثانية فى الحاضر، حاضر الرواية.

تنطلق الرواية من خيوط موجودة بالفعل فى عالمنا الآن: الإعدام والتعذيب فى السجون لأسباب تتعلق بالسياسة، الاستخدام السيئ للعلم، تحويل البشر والأعضاء البشرية إلى سلعة تجارية، وغير ذلك من الجرائم التى ترتكب ضد الإنسانية. التطورات فى العلوم الحديثة، خاصة الطبية، وبشكل محدد الهندسة الوراثية ومحاولة تهجين مخلوقين مختلفين لخلق حيوانات مختلفة فى تركيبها. ولا تعتمد الرواية على الخيال العلمى القائم على تصوير الإنجازات العلمية المتفوقة كما فى روايات الخيال العلمى المعروفة، وإنما تعتمد على رؤية للمجتمع من خلال صورة ديستوبية للآثار المدمرة التى يمكن أن تنتج عن استخدام العلم فى التجارة بالحياة البشرية والجنس وتحويلها إلى سلعة بلا حدود.

أسئلة تتطرق إلى ذهن القارئ ولاشك، والمؤلفة تمد الخطوط إلى نهاياتها المنطقية، ويبقى أن سنومان، أو جيمى، أو ثيكنى، الطائر الذى يبقى فى المقابر، كما توقع كريك تماماً، هو الوحيد الباقى لينعى كل البشر.

اللوحة للفنان: سلفادور دالى تصميم الغلاف: محمد بغدادى